المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة ام القرى
كلية الشريعة والدراسات الاسلامية
قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية

أثر صلاح الدين الأيوبي على التطور الحضاري والعمراني لمدينة القاهرة

٥٦٤-٥٨٩هـ/١١٦٨-١١٩٣م

رسالة مقدمة لأكمال متطلبات درجة الماجستير في الحضارة والنظم الاسلامية

اعداد
الطالب/ عدنان محمد فايز الحارثي

اشراف
الأستاذ الدكتور/ حسام الدين السامرائي

١٤٠٨هـ ١٩٨٨م


بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى أبي وأمي منبع الإيثار

إلى مليكي ووطني الحبيبين .

إلى من أنار لي طريق المعرفة

أهدي ثمرة غرسهم .

فكرة ومنهاج :

* التاريـخ ليس هو الحوادث ، انما هو تفسير هـذه الحوادث ، واهتداء الى الروابط الظاهرة والخفيّة التي تجمع بين شتاتها ، وتجعل منها وحدة متماسكة الحلقات ، متفاعلة الجزئيات ، ممتدة مع الزمن والبيئة امتداد الكائن الحي في الزمان والمكان .

سيد قطب

مصطلحـــات

ورد في الرسالة المصطلحات المبينة فيما يلي :

أ - ن . م . س : تعنى المصدر السابق مع نفس الجزء والصفحـة .

ب - م . س : تعنى المصدر السابق مع اختلاف في الجزء أو الصفحة .

جـ - ص : تعنى صفحة من البحث .

د - بالنسبة للخرائط الواردة في البحث مرفقة بمجلد خاص بها .


مقدمة

ان الحمد لله نحمده و نستعينه ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له و من يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، صلى الله عليه و على آله وسلم تسليما كثيرا .

ان أهمية دراسة التاريخ الحضارى للمسلمين ،يعتبر من الموضوعات الهامة الى حد بعيد في عصرنا الحاضر ،ذلك اننا نستطيع من خلال هذه الدراسة ،ان نتفهم وبصورة أعمق الأبعاد والجذور التاريخية لواقعنا المعاصر ،وما يكتنف هذا الواقع من مشكلات اجتماعية وفكرية وثقافية للعديد منها اصولا تاريخية ، كذلك فان هذا النوع من الدراسة يعتبر ذا أهمية خاصة بالنسبة للدراسات الانسانية ،نظرا لدوره في تقديم ممارسة انسانية اسلامية يمكن اعتبارها رافدا مهما للتنظير والتأطير من مجال الدراسات الانسانية الاسلامية المعاصرة ، وما يرتبط بهذه الدراسات من موضوعات تخدم التخطيط والتنمية في العصر الحديث ،و من هنا اتجهت لدراسة الحضارة الاسلامية في اطارها العام ، وهو ما يمكن اعتباره الهدف العام للدراسة ، اما بالنسبة لاختيار العمران كموضوع دراسي ، فذلك لأنه الوعاء الذى يستوعب النشاط الحضرى للانسان ، فالمدينة هي المكان الذى يحتوى هذا النشاط في قمة توهجه وانبعاثه ،و هذا الهدف المتعلق بأسباب اختيار الموضوع في الدراسة العمرانية .

ان الاطار التاريخي لفترة الدراسة ،والمتمثلة في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي ، فهذه الشخصية تعتبر من القمم البارزة في

التاريخ الاسلامي ، فقد تحقق على يدى هذا القائد العظيم انجازات كبيرة جدا ،خاصة على صعيد الجهاد في سبيل الله الأمر الذى أكسبه احترام الأعداء قبل الأصدقاء ، وقد دفعني ذلك الى التدقيق في مدى ارتباط تلك الانجازات بالعمران البشرى ، وما اذا كان هناك بعدا حضاريا لانتصار حطين ؟؟

ان الاجابة على هذا التساؤل هي احدى ابرز معالم هذه الدراسة ، فما احدثه الناصر صلاح الدين الأيوبي من تغيرات حضارية في القاهرة ، تجاوزت المفاهيم المادية البحته ،الى روح المدينة نفسها ، مما يبرر القول بأنها دخلت في تلك الأثناء في عصر جديد ، يختلف جذريا عما كانت عليه في السابق .

والحقيقة فان اختيار القاهرة كموضوع ، وفي فترة تاريخية معينة أمر في غاية الأهمية لأن هذه المدينة تعكس تفاعلا تاريخيا خصبا في مجال التمدن والعمران ، فهي تحمل في احشائها سجلا ضخما من سجلات الحركة العمرانية عند المسلمين ،ابتدأت بوضع اللبنات الأولى لمدينة الفسطاط ،على يد القائد الفذ عمرو بن العاص ، بتوجيهات أمير المؤمنين الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ،ولتستمر حركة العمران فيها على شكل تجمعات عمرانية ومدن متقاربة (العسكر ـ القطائع ـ القاهرة) ولتنتهي بالسور الذى بناه الناصر صلاح الدين ، لكي يجمع بين تلك المدن ويوحدها ،ولتستمر بعد ذلك التطورات العمرانية للقاهرة الكبرى تسير في هذا الاطار لقرون عديدة ،ولتصبح القاهرة الحديثة احدى اكثر مدن العالم ازدحاما وتكدسا من حيث المحتوى البشرى .

ان موضوعا كهذا ومدينة مثل القاهرة جديرة بالاهتمام والدراسة والمتابعة ،خاصة وأنه لا يوجد حتى الوقت الحاضر دراسات جادة تناولت هذا الموضوع في كامل الاطار الفكرى المشار اليه سابقا.

لذلك قررت مستعينا بالله عز وجل دراسة القاهرة في جوانبها العمرانية ،وتقدمت الى مجلس الدراسات العليا التاريخية والحضارية موضوع عمران القاهرة في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي ، وجرت ولله الحمد الموافقة عليه كموضوع لتقدم به لنيل درجة الماجستير في الحضارة الاسلامية .

ولعل من المفيد هنا أن نذكر ان الدراسة قامت بشكل أساسي على وحدتين متماثلتين ، أولهما ، تتعلق نحو دراسة الفعل الحضارى للانسان كمؤثر مهم في تكوين المظهر العمراني ، وذلك من خلال المعالجة الجغرافية ،والاجتماعية ،والثقافية ،والسياسية ،والاقتصادية ، مما يترتب عن تلك المعالجة من نتائج حضارية وعمرانية ، أما الوحدة الثانية ، فهي تهدف للوصول الى الصورة العمرانية ،التي ترتبت كنتائج للوحدة الأولى ،وذلك عن طريق ايضاح مظاهر التأثير على التخطيط المادى للمدينة ، بالاضافة الى التطرق الى نتائج هذا التأثير على المكونات الداخلية لهذا التخطيط ،وذلك عن طريق دراسة أقسام المدينة ، بالاضافة الى دراسة الانعكاسات التي ظهرت على المنشآت ، والأوضاع السكانية .

ومن خلال هاتين الوحدتين ، جرى العمل على دراسة مجموعة من المداخل التي تسهم في توضيح ابعاد أهداف البحث ، يمكن تلخيصها في التالي :

أولا : دراسة الانسان كوحدة سلوك ، ذات تأثير على النواحي العمرانية في المدينة ، اذ ان حياة الانسان لا تتميز بالثبات في جميع اوجهها ، بل انها تكون عرضة للتغير في اكثر من جانب ، الأمر الذى سينعكس بالتأكيد ، على مكونات نشاطه الحضرى والعمراني ، ولذلك فان اجراء مثل هذه الدراسة قد تسهم في تقديم فهم متعمق لأسباب التغير في النشاط الحضرى والعمراني للانسان ، مما يساعد في تقديم تصورات تنظيمية تفيد في مجال الدراسات الانسانية ، خاصة تلك التي تتعلق بجوانب الانماء والتحضر .

ثانيا : القيام باجراء اختبار ودراسة ، لمجموعة من النظريات العمرانية ، خاصة تلك التي قام بوضعها ابن خلدون ، الذى ينبغي الاعتزاز بمقدمته كاحدى مثريات الفكر الانساني ، ولقد اثبتت الدراسة صحة العديد من النظريات التي طرحها في مقدمته من خلال تطبيقها على مكان وزمان البحث.

ثالثا : القيام بدراسة وصفية تحليلية للنواحي الحضارية والعمرانية ، للقاهرة في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي ، وذلك بهدف اثراء معرفتنا التاريخية ، وابراز الوجه الناصع للحضارة الاسلامية والتي حاول الكثيرون طمسها .

أما عن الصعوبات التي واجهها البحث ، فهي كثيرة ، والحمد لله على كل حال ، ومن ابرزها قلة المعلومات المباشرة في مجال مظاهر النشاط العمراني ، فعلى الرغم من توفر المصادر المختصة بالنواحي العمرانية للقاهرة ، فان اختيار فترة الناصر صلاح الدين الأيوبي ، كشريحة

تحكمها فترة زمنية قصيرة لا تتجاوز أربعة وعشرين عاما ، زاد من صعوبة توفر المادة العلمية فأضحت ضيقة النطاق الى حد بعيد ،الأمر الذى نجم عنه أن واجه البحث صعوبات في توفير المادة التي تتناسب مع المفروض التي كان ينبغي التأكد من جدواها .

كذلك ظهرت أمام البحث مجموعة من المشكلات ،سببتها بعض النصوص المتناقضة ،أو الفهم الخاطيء لبعضها ،مما استوجب البحث في معالجة منطقية لهذه المشكلات.

ومن المشكلات الرئيسية التي واجهها البحث ندرة الخرائط الجغرافية الخاصة بفترة الدراسة ، اذ أنه على الرغم من توفر بعض الخرائط عن القاهرة الفاطمية ، والأيوبية ،والمملوكية ،التي قام بعملها بعض الباحثين ، واستفاد منها البحث ،فان تلك الخرائط لم تكن كافية اذ أنها لم تعط سوى اجزاء يسيرة من اطار الموضوعات التي تناولتها الدراسة ،فبالنسبة للخرائط التي تناولت الفترة الفاطمية ، فانها حرصت على التركيز على القاهرة في عهدها الأول ،وتناولت فقط تحديد بعض المناطق المهمة ،كالقصرين الشرقي والغربي بالاضافة الى الاحياء والرحاب والميادين الرئيسة ، ولم تتطرق الى الكثير من المواضيع التي تعود لتلك الفترة ، والتي اقتضت علاقتها بفترة الدراسة الاشارة اليها .

أما بالنسبة للفسطاط ،فنظرا لاندثار معظم أجزائها وتحولها الى أكوام وخرائب ،فان ذلك قد أثر الى حد بعيد على مستوى التوقيع الخرائطي لها ، وان كان ينبغي الاشارة هنا الى الخريطة الرائدة والمهمة التي أعدها المستشرق بول كازنوفا ،والتي افادت البحث كثيرا ،واتيح لي

من خلالها تحقيق بعض التقدم في مجال انجاز خارطة جديدة توصل اليها البحث عن الشكل العام للمدينة في أواخر العصر الفاطمي وفي عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي .

أما بالنسبة للخرائط التي نشرت في المراجع المختلفة والتي تناولت الفترة الأيوبية ،فيغلب عليها انها تناولت الشكل العام للمدينة مع التركيز على السور والقلعة بشكل خاص دون الاهتمام بالمواضع الأخرى التي توضح معالم التطور في المدينة في تلك الاثناء . ولعل أكثر تلك الخرائط تعمقا هي ما قامت بعمله الباحثة سوزان جان ، بيد أنه ينقصها الاشارة الى العديد من المواضع ،ويقتضيها بعض التعديلات.

اما عن الخرائط التي قدمتها المراجع عن الفترة المملوكية ،فيمكن القول بأنها من أهم وأبرز الخرائط التي نشرت حتى الآن ،ولعل السبب في ذلك ، يعود الى ان المدينة في تلك الفترة قد اتضحت معالمها ، وتوفرت النصوص الكثيرة الواضحة عنها ، بيد أن فائدتها بالنسبة للبحث ليست بالكبيرة وذلك لتأخرها عنها من الناحية التاريخية .

امام هذه الاعتبارات ،فلقد كان من المهم والضروري القيام باجراء العديد من التوقيعات الجديدة ، واستعانت الدراسة في ذلك بالعديد من الخرائط المعتمدة ،اهمها خرائط الحملة الفرنسية وخريطة هيئة المساحة المصرية للآثار الاسلامية ، حيث تم متابعة التوقيعات من خلالها ،وذلك بتدوين الأسماء الحديثة للمواضع التي جرى توقيعها ، وذلك بالاعتماد على اقوال المؤرخ الكبير على باشا مبارك ، في كتابه الخطط التوفيقية ،وعلى اقوال المحقق العلامة محمد رمزى في كتابه

القاموس الجغرافي ،وتعليقاته في كتاب النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى، هذا علاوة على ما ورد عند غيرهم من الباحثين.

أما عن نطاق البحث فان الدراسة قد شملت اثر صلاح الدين الأيوبي على التطور الحضارى والعمراني لمدينة القاهرة وقد جرى تقسيم البحث فيها الى بابين ، الأول يستهدف عرض وتحليل لأبرز عوامل التطور العمراني للمدينة حيث تضمن بادىء الأمر عرضا تمهيديا تم من خلاله استعراض وضع المدينة كوحدة حضارية وعمرانية وذلك من الناحية النظرية ،فضلا عن القاء نظرة تم من خلالها التعرف على العوامل المؤثرة في التطور العمراني للمدينة ،ثم اتبعت التمهيد بأربعة فصول .

جرى الحديث في الفصل الأول عن العوامل الجغرافية ، فمن المعروف ان اى مدينة تتأثر وتؤثر في البيئة الطبيعية التي تقع فيها ، ولقد تميز موضع القاهرة الكبرى باحتوائه على عدد من العناصر الجغرافية ، أهمها نهر النيل ، وتلال المقطم ،والخلجان والبرك المائية ،وأخيرا الأكوام. وقد عمدت الدراسة الى استكشاف المتغيرات الطبيعية التي تعرضت لها هذه العناصر - كانحراف مجرى نهر النيل مثلا - علاوة على توضيح التطورات التي طرأت على علاقة الانسان الذى استوطن القاهرة بهذه العناصر ،ومدى تأثير ذلك كله على النواحي العمرانية في المدينة.

أما الفصل الثاني ،فقد تناول النواحي الاجتماعية ، فالمدينة مركب انساني ومادى في آن واحد ،وبالتالي فان المتغيرات الاجتماعية لا بد وأن يكون لها تأثير على التكوين المادى للمدينة . ولقد شهد عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي متغيرات اجتماعية اساسية انتابت حياة

المجتمع القاهرى ،كان من اهمها التغيرا ت المتعلقة بالنواحي الدينيـة ، فصلاح الدين كان حريصا على القضاء على البدع والخرافات التي سادت مجتمع القاهرة ابان حكم بني عبيد . كذلك عمل على نشر التعليـم والثقافة بين الناس ، هذا علاوة على ما طرأ على الحياة الاجتماعية من مظاهر ومتغيرات جديدة في انماط الحياة ،ترتب عنها وعن العوامل السابقـة ايضا اثار عمرانية هامة.

وتناول الفصل الثالث ،جوانب انسانية أيضا ، اذ انه يتعلـق بالنواحي السياسية والعسكرية ،وهي امور معنوية بطبيعتها . فقد شهدت القاهرة في عهد الناصر صلاح الدين مواقف سياسية وعسكرية في غاية الأهمية ، فوظيفة هذه المدينة تطورت في تلك الأثناء ،نظرا لكونها أضحت عاصمة لدولة قوية مترامية الاطراف ، تضطلع بدور كبير يهدف الى توحيد العالـم الاسلامي ،وطرد الصليبيين من بلاد الشام وفلسطين . كذلك فان قيام الدولة الأيوبية ،أمر لم يكن ليمر بسلام ، دون ان يشهد ذلك قيـام جبهات معادية لها ،وعلى الأخص من قبل الفاطميين ،والصليبييـن ، الأمر الذى كان له انعكاس على النواحي السياسية والعسكرية ،ولقد ترتب عن كل ذلك ظهور اشكال من التكيفات العمرانية تنسجم مع هـذه الظروف .

أما الفصل الرابع ،فيتناول النواحي الاقتصادية للمدينة ، حيث شهدت اقتصادياتها في عهد الناصر صلاح الدين ،تطورات أساسيـة ، فهي من ناحية أضحت المصب الذى ترتكز فيه ثروات البلاد ،وهي ثروات شهدت تزايدا في مقدارها نتيجة ازدهار الزراعة والتجارة في مصر حينئذ . هذا علاوة على ان هذه الثروات جرى اعادة توزيعها بطريقة تؤدى بها

نحو فئات كبيرة من مجتمع القاهرة فترتب عن ذلك انعكاسات عمرانية في غاية الأهمية . هذا فيما يتعلق بالباب الأول . أما الباب الثاني فقد هدف الى توضيح مظاهر التطور العمراني في القاهرة في تلك الأثناء ، وتكون هذا الباب من تمهيد واربعة فصول أيضا ، ففي التمهيد جرت الاشارة الى طبيعة العلاقة بين البابين الأول والثاني ، مع توضيح اثر العوامل في ازدهار النشاط العمراني في القاهرة في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي ، وأثر هذا الازدهار على طبيعة الأوضاع العمرانية في المدينة كما كانت سائدة في العصر الفاطمي .

أما عن الفصل الأول ، فقد تناول التخطيط المادى للمدينة وذلك بتوضيح الشكل العام للمدينة الكبرى ، وما طرأ عليه من تغيرات في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي ، ولقد جرى توضيح هذه التغيرات من خلال تبيان التوسعات التي شهدتها القاهرة في تلك الأثناء ، ومن خلال دراسة البنية وما طرأ عليها من تغيرات في تلك الأثناء أيضا .

وفي الفصل الثاني ، جرى تناول أقسام المدينة ، وهي : الخطط والأحياء السكنية ، والشوارع الرئيسة ، والأسواق ، والبساتين ، والمتنزهات والرحاب والميادين ، والمقابر ، وهي تشكل في مجموعها العناصر الاساسية لمادة المدينة . ولقد جرى توضيح ما طرأ على هذه الأقسام من تطورات وتغيرات في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي .

أما الفصل الثالث ، فقد تناول منشآت المرافق وابرز المتغيرات التي ظهرت عليها في تلك الأثناء ، حيث دخل عليها في تلك الأثناء انواع جديدة من العمائر ، كذلك جرى التوسع في استغلال بعض الأنواع الأخرى

التي كانت توجد في هذه المدينة قبل هذا التاريخ ،هذا علاوة على انه قد جرى بناء عمائر للمرافق في مواضع لم تكن توجد بها في السابق، بالاضافة الى بناء منشآت جديدة بدلا من اخرى قديمة ،علاوة على تجديد عمارة بعض المنشآت الاخرى القديمة .

اما الفصل الرابع ، فكان موضوع تناوله الاوضاع السكانية ،وماطرأ عليها من تحولات في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي ، حيث جرى في تلك الأثناء تغيرات سكانية اذ استبدلت عناصر سكانية فاطمية بعناصر سكانية أخرى ، شجع الناصر صلاح الدين على هجرتها الى مصر . كذلك جرى في تلك الأثناء تغيرات في توزيع الكثافات السكانية والتوزيع الاجتماعي لسكان المدينة.

وفي الاجمال ، فانه لا يمكن الادعاء بأنني قد تمكنت من تحقيق جميع الأهداف التي أصبو اليها من خلال هذه الدراسة ،وان كنت قد حرصت كل الحرص على بذل اقصى جهد ممكن من أجل تحقيقها ، فان كنت قد وفقت في تقديم شيء مفيد فان ذلك بفضل من الله جل وعلى ، وان كنت قد قصرت ، فذلك من نفسي ،ولقد خلق الانسان ضعيفا .

وقبل أن أختم هذه المقدمة المتواضعة ، أود بعد حمد الله تعالى وشكره على ما تفضل به وأنعم ،ان اتقدم بشكرى الخالص الى جامعة أم القرى ممثلة في معالي مديرها الدكتور راشد بن راجح الشريف ،وكافة المسئولين فيها.

كما لا يفوتني أن اتقدم بخالص الشكر والثناء الى استاذى الفاضل الاستاذ الدكتور حسن الباشا ،الذى كان له دورا بارزا في اعداد الخطة،

وعلاوة على مشاركته لي في هموم البحث ومشكلاته ،كذلك اتقدم بالشكر الى الاستاذ الدكتور حسام الدين السامرائي ،الذى كان لتوجيهاته وارشاداته دورا كبيرا في ان ترى هذه الدراسة ، طريقها الى النور ،وتخرج الى حيز الوجود .

وأود أن أشكر أيضا عمادة كلية الشريعة ،ممثلة في عميدها السابق الدكتور صالح بن حميد ،وعميدها الحالي الدكتور سليمان بن وائل التويجرى ، الذى كان لتعاونهما دورا في اخراج هذه الدراسة ، وأخص بالشكر صبرهم وحلمهم الذى أحرجني كثيرا ، كما أشكر الدكتور عبد الرحمن العثيمين الرئيس السابق لمركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي الذى أعانني مشكورا في الحصول على العديد من المصادر المهمة التي تخص الدراسة .

كما أتوجه بالشكر الى الأخ الأكبر رئيس قسم الحضارة والنظم الاسلامية الدكتور ضيف الله الزهراني ،الذى كان له معي مواقف لا تنسى ، سأظل ما حييت ذاكرا لها ، شاكرا جميله مقدرا بكل امتنان تعاونه وحرصه ونصحه .

وبالاضافة الى هؤلاء أود أن أشيد بالكثير من الأخوة الذين ساهموا بقسط في اخراج هذه الدراسة ،من أمناء مكتبات في أنحاء مختلفة من العالم الاسلامي ،الذين أسهموا في تسهيل مهمتي في الحصول على العديد من المصادر والمراجع ، علاوة على الخطاطين والرسامين .فلهم جميعا جزيل الشكر وأسأل الله أن يجزيهم عني خير الجزاء انه كريم وهاب ، سميع مجيب الدعاء ، وأسأله جل شأنه أن يتقبل عملنا هذا خالصا لوجهه الكريم . وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين والتابعين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .

الطالب/ عدنان محمد فائز الحارثي

نقد المصادر والمراجع

اعتمدت الدراسة على العديد من المصادر التي زودتها بالمادة العلمية اللازمة ،والحقيقة فان التعرض لجميع المصادر التي اعتمد البحث عليها أمر يطول شرحه ،علاوة على انتفاء الجدوى من ذلك نظرا لتكرار المعلومات في الكثير منها ،ولذلك جرى الاكتفاء هنا بالاشارة الى المصادر الرئيسة منها .

وأولى هذه المصادر ،كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم [(١)] ، من تصنيف محمد بن احمد بن ابي بكر البناء الشامي المقدسي (ت٣٩٠هـ/ ١٠٠٠م) احد مشاهير الرحالة والجغرافيين المسلمين ، تعاطى التجارة ، وعشق الترحال والسفر ،وخاض غمار الكثير من تجارب الحياة ،وكان له في الأصقاع المختلفة مشاهدات عدة دونها في كتابه هذا [(٢)] . الذى تميز بالاجمال في الوصف ،وعرض بشد الانتباه من حيث سلاسة العبارة ولطفها . ودقة في المنهج ، حرص فيه على ان لا يدون المعلومات التي دونها من سبقه من الجغرافيين ، علاوة على انه اقتصر في تدوينه على الأماكن التي شاهدها [(٣)] . ولذلك فانه يقول عن كتابه هذا (.. اعلم انـي

---

(١) قام (M.J.Degoege) بتحقيق هذا الكتاب ونشره ، وطبع في ليدن عام ١٩٠٩م.

(٢) عنه انظر حاجي خليفة ، كشف الظنون عن اسماء الكتب والفنون ، بغداد جـ١/ ١٦-١٧ . كحالة ،معجم المؤلفين (تراجم مصنفي الكتب العربية) بيروت ،جـ٨/ ٢٣٨ - ٢٣٩ ،زكي حسن ،الاعمال الكاملة (الرحالة المسلمون في العصور الوسطى) بيروت ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ،جـ٨/ ٤٢-٤٣ ، محمد محمود محمدين ، التراث الجغرافي الاسلامي ،الرياض ،ط : الثانية ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م ،ص ٤٥١.

(٣) زكي حسن ،م.س جـ٨/ ٤٣.

أسست هذا الكتاب على قواعد محكمة ،وأسندته بدعائم قوية ،وتحريت جهدى الصواب ..) (١) . والحقيقة فان كتابه يحتوى على معلومات وفيرة رغم اقتضابها ، مبتدءا اياه بايضاح لبعض المصطلحات التي ترد في ثنايا كتابه ، ذاكرا اسماء البحار والأنهار المعروفة في عصره ،والمذاهب والأديان التي كانت في ديار الاسلام آن ذاك ،واسماء المواضع المتشابهة وغير ذلك من المعلومات التي وردت مختصرة أو مفصلة عن أقاليم دار الاسلام ، بحيث انه يمكن القول ان هذا الكتاب يعد موسوعة جغرافية ،لما يحتويه من معلومات عن الجغرافيا الطبيعية ،والاجتماعية ،والاقتصادية ،والسياسية .

ولقد أفاد هذا الكتاب البحث ، فيما اورده من معلومات عن مصر واحوالها في أوائل عهد الفاطميين . خاصة فيما ذكره عن تأثير نهر النيل على الأوضاع الزراعية فيها ، وفيما أورده عن الفسطاط وما كان يجرى فيها من نشاط تجارى واقتصادى وحال اسواقها في تلك الأثناء ،وما كانت عليه كثافاتها السكانية ،وتوزيع هذه الكثافات بحسب الانتماء المذهبي والديني ،والعلاقة العمرانية فيما بينها وبين القاهرة وهي مادة كان لها دورها في الفصل الرابع من الباب الأول . والفصول الأول ،والثاني ،والرابع من الباب الثاني .

ومن المصادر الرئيسة التي اعتمدت عليها الدراسة ،كتاب رحلة ناصر خسرو المشهور بسفر نامة (٢) ، لابى معين ناصر خسرو الحكيم

---

(١) المقدسي ، احسن التقاسيم ،ص : ٣ .

(٢) قام يحيى الخشاب بترجمة هذا الكتاب الى العربية ، وعلق عليه ،وطبع في بيروت ،عام ١٩٧٠م .

القباذياني (ت ٤٥٣ هـ / ١٠٦١م) [١] ،وهورحالة شهير ، زار بلدان عدة منها ايران ،وتركستان ، والهند ،وجزيرة العرب ،ومصر ثم استقر مدة طويلة تزيد عن الثلاث سنوات ،حيث اعتنق هناك المذهب الباطني الاسماعيلي وتزود بمعارفه ليكون احد ابرز دعاة هذا المذهب في شرق العالم الاسلامي ، وصنف فيه المصنفات العديدة التي تدعو الى هذاالمذهب [٢].

ولقد تميز كتاب سفرنامه بأنه يحوى على العديد من المعلومات التي دونها هذا الرحالة عما شاهده في رحلته ،ومنها تلك المعلومات التي اوردها عن مصر خلال حكم بني عبيد ، وان كان قد تميز أسلوبه بالمبالغة في الوصف والتصوير [٣] . ولقد أفاد هذا الكتاب البحث بمادة جيدة عن الفسطاط والقاهرة ،حيث أشار بوضوح الى مدى تأثير نهر النيل على توزيع العمران في المدينة في تلك الأثناء ،كذلك زوده بأوصاف عن النشاط الاقتصادى والصناعي فيها ،ومراكز هذا النشاط وأسواقه . الأمر الذى أفاد الدراسة في فصلها الأول من الباب الاول والفصل الثاني من الباب الثاني .

---

(١) زكي حسن : الاعمال الكاملة جـ٨/ ٥٧ ، ويذكر البغدادى ان وفاته كانت في عام (٤٤٤هـ/ ١٠٥٢ م) اسماعيل باشا البغدادى ، هدية العارفين (اسماء المؤلفين والمصنفين) . استانبول ١٩٥٥م ،جـ٢/ ٤٨٧ ، والراجح ان وفاته تلت هذا التاريخ ،حيث كان تأليفه لكتابه هذا في تاريخ لاحق عنه. انظر : ناصر خسرو ،سفرنامة ،(المقدمة) ص ١٦.

(٢) عنه انظر ناصر خسرو ،م.س ص٩-٣٢ ،البغدادى ،م.س ، جـ٢/ ٤٨٧ ،زكي حسن ، م.س ،جـ٨/ ٥٦ - ٦٣.

(٣) ناصر خسرو ،م.س ، ص ص ١٦ ،٢٨ - ٢٩.

ومن المصادر التي افادت البحث أيضا تاريخ القاضي الفاضل ورسائله ،من تصنيف محيي الدين عبدالرحيم بن علي بن محمد اللخمي العسقلاني الشهير بالقاضي الفاضل (ت ٥٩٦ هـ / ١١٩٩م) كان في بادئ امره موظفا في ديوان الانشاء الفاطمي (١) ،فلما تمكن الأيوبيون في مصر التحق بهم واتصل بعم الناصر صلاح الدين ،الامير اسد الدين شيركوه (٢) ، ثم أخذ أمره بالصعود في عهد الناصر صلاح الدين ،

---

(١) ديوان الانشاء : كان مختصا بالرسائل ومكاتبات الخليفة و يعتبر القلقشندى ان " كتابات الرسول صلى الله عليه وسلم ، تشير الى انه اول ديوان وضع في الاسلام . الا أنه من المرجح ان هذا الديوان لم يعرف كمؤسسة ادارية الا في العصر الأموى . ولقد أولى الفاطميون هذا الديوان رعايتهم واهتمامهم ، فكان صاحبه من المقربين الى الخليفة ومن اهل الشورى عنده ، ولا يختار له الا من برز في البلاغة والفصاحة . انظر : القلقشندى ، صبح الأعشى ،جـ١/ ٩١ ، جـ٣/ ٤٨٦ - ٤٨٨ ، محمد ضيف الله البطانية ،تاريخ الحضارة العربية الاسلامية ،ص ص : ١٢٤ ، ١٣٠ - ١٣٢ .

(٢) هو أبو الحارث شيركوه بن شاذى بن مروان الملقب بالملك المنصور أسد الدين (ت ٥٦٤ هـ/ ١١٦٨م) وهو عم الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي ، عرف بالشجاعة والاقدام فولاه الملك العادل نور الدين زنكي قيادة جيوشه ،فكان قائد حملاته على مصر عندما اضطربت امور الدولة الفاطمية في اواخر عهدها ،ولي في اواخر عمره الوزارة للخليفة العاضد لدين الله الفاطمي (٥٥٥ - ٥٦٧ هـ / ١١٦٠ - ١١٧٢م) فما لبث بها الا بضعة أسابيع حتى توفي ،ليليها من بعده ابن اخيه الناصر صلاح الدين ،فيكون بذلك أول من ثبت أقدام

===

الذى جعله وزيرا له واختص بمشورته ، عرف عنه التقوى وكثرة الصدقات ، وكان ذا ثقافة واسعة وشغف بالمعرفة ، اقتنى الكتب من كل فن وجلبها من كل مكان ،حتى قيل ان عددها قد بلغ عنده ،مائة واربعة عشر ألف مجلد ،وذلك قبل أن يموت بعشرين عاما . عرف عنه المهارة في الانشاء والبلاغة في القول ، فاعتبر من كبار رجال الأدب ، وممن كان لهم باع واسع في تشكيل المدرسة الأدبية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي وكانت له رسائل كثيرة جدا ،قيل ان مسوداتها لو جمعت لما احتواها مائة مجلد . [1] ولا يعرف في الوقت الحاضر كتابا من تأليف القاضي الفاضل ،ولذلك فان كتابه في التاريخ يعتبر من عداد الكتب المفقودة ،

=== الايوبيين في مصر . للمزيد انظر : ابو شامة ، شهاب عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي (ت ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م) ، الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية ، ١٩٦٢م جـ١ / ق ٢/ ٣٢٩-٣٣٨ ، ابن خلكان ، ابي العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) ،جـ١/ ٢٥٥-٢٥٧ ،جـ٢/ ٤٧٩-٤٨٠ ، جـ٧/ ١٣٩ - ١٥١ .

(١) عنه انظر العماد الاصفهاني ،محمد بن محمد بن حامد الكاتب الاصفهاني (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) ،خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء مصر) تحقيق احمد امين واخرون ،القاهرة جـ١/ ٣٧ - ٥٤ ،ابن خلكان ،م.س ، جـ٣/ ١٥٨ - ١٦٣ . ابن اياس ، محمد بن احمد بن اياس الحنفي (٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م) بدائع الزهور في وقائع الدهور ،تحقيق محمد مصطفى ،فيسبادن ط. الأولى ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م ،جـ١/ ق١/ ص ٢٢٨ - ٢٣٩ .

===

اختلفت المصادر في تحديد مسماه ،فمنهم من سماه تاريخ القاضي الفاضل [(١)] ، ومنهم من سماه بالمتجددات اوبالمجريات ..وهكذا. [(٢)] وعلى أية حال فان هذا الكتاب كان اشبه بالمذكرات اليومية [(٣)] ،نقلت عنها المصادر الكثير من المعلومات ،وعلى الاخص تلك التي نقلها المقريزى ،وجرت الافادة منها للتعرف على بعض جوانب النشاط الاقتصادى في القاهرة في عهد الناصر صلاح الدين ، كما ورد في الفصل الرابع من الباب الاول ،كذلك فان رسائله لم تتوفر مجتمعة في كتاب واحد ،وانما جرى جمع بعضها في بعض الكتب ،مثلما فعل ابن نباته الذى جمع بعض هذه الرسائل في كتاب اسماه المختار من كلام القاضي الفاضل. وسترد الاشارة اليه لاحقا . كذلك نقل بعض المؤرخين بعضا من رسائله ،مثل ابو شامة في كتابه الروضتين ،والعماد الاصفهاني في كتابه البرق الشامي ، والقلقشندى في كتابه صبح الاعشى ، وغيرهم من المؤرخين يرد الاشارة اليهم في ثنايا هذه الدراسة . ولقد غذت هذه

=== ابن العماد ، ابي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ، (ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٨١م) ، شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، بيروت جـ٤/ ٣٢٤-٣٢٧ ، عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية في العصرين الايوبي والمملوكي الاول. القاهرة ط : الثامنة ،١٩٦٨م ص ص ٢٨٠ - ٢٨١ ، ٢٨٤ - ٢٨٦ ، نظير سعداوى ،المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين الايوبي ، القاهرة ١٩٦٢م ص ٢٨ - ٣٩.

(١) ابن خلكان ،م.س جـ١/ ٢٥٨.

(٢) نظير سعداوى ،م.س ،ص ٣٦.

(٣) ابن خلكان ،ن.م.س ، سعداوى ،ن.م.س.

الرسائل البحث بمادة وفيره ، حيث ورد فيها الاشارة الى مواقف الناصر صلاح الدين تجاه العديد من القضايا السياسية والاجتماعية ، هذا علاوة على ما ورد فيها من معلومات توضح دور بعض المنشآت المعمارية واهداف بنائها ،وعن الأوضاع الاقتصادية في اواخر العصر الفاطمي ،وفي عهد الناصر صلاح الدين ،وجرى الاشارة اليها في الفصول الثاني ،والثالث ،والرابع من الباب الأول ،وفي الفصلين الثالث ،والرابع من الباب الثاني .

ومن المصادر التي اعتمد عليها البحث كتاب البرق الشامي ، من تصنيف محمد بن محمد بن حامد الكاتب الشهير بالعماد الاصفهاني ، وبابن أخي العزيز (ت٥٩٧ هـ / ١٢٠٠م) نشأ في فارس ،ومنها قدم الى العراق حيث نال حظا وافرا من العلم ، واشتغل هناك بصنعة الكتابة . وتقلب في الوظائف الادارية . كان على صلة بوالد الناصر صلاح الدين الأيوبي ،الامير نجم الدين ايوب (١) ، الا ان اتصاله بصلاح الدين كان عن طريق القاضي الفاضل ،الذى اشار على الناصر باستخدامه ،

---

(١) هو ابو الشكر ايوب بن شادى بن مروان الملقب بالملك الأفضل نجم الدين ايوب (ت ٥٦٨هـ/ ١١٧٣ م) ، اشتهر برجاحة الرأى والسداد في التفكير ، ولي تكريت في العراق فترة من الزمن وكان في ولايته هذه قد اسدى معروفا للملك العادل نور الدين زنكي (٥٤٨هـ -٥٦٩ هـ/ ١١٥٤ - ١١٧٤ م) فلما اضطر للخروج منها هو وأخوه اسد الدين شيركوه قصدا الملك العادل في الموصل فأكرمهما واقطعهما اقطاعا حسنا ، واصبحا من جملة رجاله ، وكبار قادته . اشتهر بحب الخير والصلاح . عنه انظر: ابن خلكان ،وفيات الأعيان ،جـ١/ ٢٥٥-٢٥٩.

ومن هنا بدأت علاقته بالصلاح ،فأضحى كاتبه الشخصي ، يرحل برحيله ، ويغشى مجالسه العلمية والسياسية والعسكرية ،وبوفاة الناصر صلاح الدين عام (٥٨٩ هـ / ١١٩٣م) انقطع العماد للتأليف فكان له عـــدة مصنفات ، من اهمها كتابنا هذا (١) ،الذى يقع في خمس مجلدات فقد معظمها (٢) . بيد أن هذا الكتاب جرى اختصاره تحت عنوان "ســـنا البرق الشامي" (٣) . كذلك نقل عنه أبو شامة في كتابه الروضتين الكثير من الاخبار والاحداث ،علاوة على ما نقله المقريزى ،والكتاب أشبـــــه بالمذكرات الشخصية ،تناول فيها المؤلف الكثير من الأحداث والأمـــور التي واجهته وواجهت سيده الناصر صلاح الدين الأيوبي ، وأورد فيه أيضا العديد من رسائل القاضي الفاضل ،وهو ثرى في معلوماتـــــه ،

---

(١) عنه انظر : العماد الاصفهاني ، خريدة القصر ،(المقدمة) ، جـ١/ ص : ك - م. ،ابن العماد ،شذرات الذهب ، جـ٤ / ٣٣٢ - ٣٣٣ . سعداوى ،المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين ، ص١٩ - ٢٨.

(٢) بقي من هذا الكتاب المجلدان الثالث والخامس ، ولا يزال أولهما مخطوطا بمكتبة بلدوين بجامعة اكسفورد ،ويحمل رقم (١١) ،سعداوى ،م.س ، ص ٢٤ ، واما ثانيـهما فلقد قام رمضان شيشنن بنشره وتحقيقه ، وطبع في اسطنبول عام ١٩٧٩م.

(٣) قام أحد مؤرخي القرن السابع (٧هـ/ ١٣م) وهو الفتـــح البندارى باختصار هذا الكتاب الذى نشرته وحققته فتحيـــة النبراوى ، ونشر في القاهرة ،وانظر ايضا الفتح البندارى ، سنا البرق ، ص ٧.

التي افادت البحث في اكثر من جانب ،حيث انه تحدث عن الأوضاع التعليمية في مصر في تلك الأثناء ،وعن اهتمام الناصر صلاح الدين بهذه الأوضاع ،جرت الافادة منها في الفصل الثاني من الباب الأول ، كذلك أورد معلومات عمرانية و معمارية ،في غاية الاهمية ، أثرت مادة الفصلين الثاني والثالث من الباب الثاني .

و من المصادر التي اعتمد عليها البحث أيضا كتاب نزهة المقلتين في اخبار الدولتين الفاطمية والصلاحية ، وهو من تصنيف ابو محمد المرتضى عبد السلام بن محمد بن الحسن بن الطوير الفهرى القيسراني الكاتب المصرى ،الذى لم تورد المصادر أثناء حديثها عنه أى معلومات عنه ،وعن كتابه واقتصرت على ذكر اسم المؤلف و عنوان الكتاب (١) ، بيد انه من الواضح أنه عاصر أواخر العهد الفاطمي ، حيث ينقل عنه المقريزى ما يفيد بأنه كان متوليا ديوان الرواتب (٢) في تلك الاثناء (٣).

---

(١) المقريزى ،الخطط جـ١/ ٣٨٦ ،حاجي خليفة ، كشف الظنون عن اسماء الكتب والفنون ،بيروت جـ٢/ ١٩٤٧ .

(٢) ويختص بتسجيل عطاءات الجنود وجميع موظفي الدولة ، ويشمل بذلك أسماء المرتزقين من الجنود من استجد منهم ومن مات وغير ذلك. عبد المنعم ماجد ، نظم الفاطميين ورسومهم ،جـ١/ ١٩٢ .

(٣) المقريزى ،م.س ،جـ١/ ٣٩٨ .

هذا علاوة على معاصرته لعهد الناصر صلاح الدين الأيوبي كما يشير الى ذلك عنوان كتابه . ويعد هذا الكتاب من الكتب المفقودة في الوقت الحاضر ، بيد أن هناك من المصادر من نقلت عنه الكثير من المعلومات حيث نقل عنه القلقشندى ،والمقريزى ، ويتضح من فحوى هذه المنقولات أن المؤلف ركز في كتابه على الجوانب الادارية وما يرتبط بها من مراسيم وتنظيمات ، ويبدو أنه قصد بها مقارنة اوضاعها فيما بين العهدين الفاطمي والأيوبي ، كما يشير الى ذلك أثناء حديثه عن رسوم الضيافة في هذين العهدين. (١) ولقد كان لمادة هذا الكتاب دورا كبيرا في اثراء مادة البحث ،خاصة فيما يتعلق بالتنظيمات الادارية والاقتصادية في العصر الفاطمي ، بحيث امكن من خلال متابعة التغيرات التي طرأت في عهد الناصر صلاح الدين ،من التعرف على جوانب هامة ارتبطت باقتصاديات المدينة في تلك الأثناء ، كما سيتضح لاحقا في الفصل الرابع من الباب الأول ، كذلك افادت مادة هذا الكتاب في التعرف على أثر المتغيرات الادارية على وظائف بعض المنشآت التي تعود للعصر الفاطمي ، والتي جرى استغلالها بصورة أخرى في عهد الناصر صلاح الدين. كما سيتضح في الفصل الثاني من الباب الثاني .

ومن المصادر التي اعتمد عليها البحث رحلة ابن جبير (٢) ، لأبي الحسن بن جبير الكناني الاندلسي (ت ٦١٤هـ/١٢١٧م) من

---

(١) المقريزى ،الخطط ،جـ١/ ٤٦١.

(٢) قام المستشرق رايت بتحقيق الكتاب والتعليق عليه ونشر عام ١٨٥٢م ثم اعيد طبعه في بيروت عام ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

مشاهير الرحالة المسلمين . وكان له ثلاث رحلات الى مشرق العالم الاسلامي ، نشأ بالأندلس وتلقى العلم بها على يد أبيه وعدد من علماء عصره ، ووصف بأنه كان أديبا بارعا وشاعرا مجيدا ، ذا خلق كريم . ولقد قام ابن جبير بنشر كتابه هذا بدون احداث رحلته الأولى ،التي بدأت عام (٥٧٨هـ / ١١٨٣م) وانتهت عام (٥٨١ هـ / ١١٨٧م) .(١)

اما عن محتويات الكتاب ،فهي عبارة عن اوصاف لما شاهده هذا الرحالة في رحلته حيث سجل اوضاع الدول ومظاهر العمران وصور الحياة ، في المواضع التي زارها ،أفادت البحث كثيرا خاصة فيما يتعلق بأوضاع مصر وعاصمتها القاهرة ، في عهد الناصر صلاح الدين ،فأمكن من خلالها التعرف على الكثير من الأوضاع الاجتماعية ، والاقتصادية ،والعمرانية ، والمعمارية ، تزودت منها معظم فصول الدراسة ،فدخلت في الفصلين الثاني ،الرابع من الباب الأول ، وجميع فصول الباب الثاني .

ومن المصادر التي اعتمد عليها البحث كتاب الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة وهو من تصنيف القاضي محي الدين عبدالله بن رشيد الدين بن عبد الظاهر بن نشوان السعدى المصرى (ت ٦٩٢هـ / ١٢٩٢م) ، نشأ في القاهرة وبها تعلم ، وتقلب في

---

(١) عنه انظر : ابن جبير ،الرحلة (المقدمة) ص ٥ - ٦ ،عبدالقدوس الانصارى ،مع ابن جبير في رحلته القاهرة ،ط. الاولى ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م ، ص ٢١ - ٥١ ، زكي حسن ،الاعمال الكاملة ،جـ٨/ ٧٠- ٨٨ .

المناصب الادارية ،فولي القضاء وديوان الانشاء ،واعتبر من أجود كتاب عصره ، ومدحه معاصروه كثيرا . وكان له مؤلفات عدة منها كتابه هذا [(١)] ، الذى تناول فيه خطط القاهرة الفاطمية ومنشآتها ،وما طرأ عليها من تطورات عمرانية حتى عصره . وعلى الرغم من ان هذا الكتاب يعد من الكتب المفقودة في الوقت الحاضر ، الاان هناك من المؤرخين من نقل عنه الكثير من المعلومات المتعلقة بخطط المدينة وعمرانها ، فلقد نقل عنه القلقشندى في كتابه صبح الأعشى كذلك نقل عنه ابن تغرى بردى ، في كتابه النجوم الزاهرة ،علاوة على ما نقله المقريزى الذى اقتبس منه كثيرا فيما يتعلق بالقاهرة المعزية [(٢)] ، وان كان يلاحظ انه انتقد في صحة معلوماته ، حيث يقول عنه ابن تغرى بردى (... انه لم يسلم من الاعتراض عليه في كثير مما نقله ، وأيضا مما سكت عنه ..) [(٣)] . ولقد

---

(١) عنه انظر : ابن عبد الظاهر ،الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر تحقيق عبد العزيز الخويطر ،الرياض ، ط : الاولى ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م. ص ٩ - ١٥ ، الكتبي محمد بن شاكر (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م) فوات الوفيات ،تحقيق احسان عباس . بيروت ج٢/ ١٧٩- ١٩١. ابن تغرى بردى ،جمال الدين يوسف الاتابكي ،(ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ،تحقيق محمد رمزى ،القاهرة ج٨/ ٣٨ ، ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج٥/ ٤٢١ ، حاجي خليفة ،كشف الظنون ،ج١/ ٩٢٥ ، محمد عبدالله عنان ،مصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية ،القاهرة ، ط.الثانية ،١٩٦٩م ،ص ٤٦ - ٤٧.

(٢) عنان ،م.س ،ص ٤٦.

(٣) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ج٤/ ٤١.

افادت مادة هذا الكتاب البحث كثيرا ،وعلى وجه الخصوص في الباب الثاني الذى دخلت المادة في جميع فصوله .

ومن المصادر التي اعتمد عليها البحث أيضا مقدمة ابن خلدون (١) . التي كانت مقدمة لكتابه التاريخي الكبير المعروف بالعبر وديوان المبتدأ والخبر في آيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر ،وهذا الكتاب من تصنيف الموءرخ الشهير عبد الرحمن بن محمد ابن محمد بن جابر الحضرمي الاشبيلي الاصل التونسي ثم القاهرى(ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) وهو موءرخ غني عن التعريف . كانت نشأته في تونس وهناك تلقى معارفه وعلومه ، ثم تقلب بعد ذلك في المناصب الادارية ، وكان له باع طويل في السياسة ،وولى القضاء في القاهرة في أواخر عمره ، وكانت له تصانيف عدة من اشهرها مقدمته (٢) التي حظيت باهتمام عالمي واسع النطاق ، كاحدى روائع الفكر الانساني ،ولقد احتوت مقدمته على العديد من المباحث والنظريات التي تتناول شوءون الاجتماع الانساني وعوارضه ،وتناقش مسائل العمران ،والتمدن البشرى ،من مختلف الجوانب، والحقيق فان اهمية هذه المقدمة تكمن فيما يرد فيها من عرض للعلل والاسباب ، التي نبعت منها ظواهر العمران البشرى ،وبالتالي فهي تمثل قواعد منطقية ،ونظريات علمية ،تسهم في فهم حركة الحضارة

---

(١) طبع هذا الكتاب طبعات عدة وجرى الاعتماد هنا على طبعة بيروت وهي غير موءرخة .

(٢) عنه انظر الشوكاني محمد بن على (ت ١٢٥٠هـ/) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، بيروت ج١/ ٣٣٧ ، سفيتلانا باتسييفا ، العمران البشرى في مقدمة ابن خلدون ،ترجمة رضوان ابراهيم ،تونس ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م ،ص ٥٥ - ٨٨ .

والعمران ، ونظرا لانتماء المقدمة الى بيئة الحضارة الاسلامية ، فمن المؤكد أن نظرياتها تعكس في مجملها التفاعل الحضارى الذى ظهر في هذه البيئة ،حيث ان الفكر الانساني يعبر في كثير من الأحيان عن الواقع الذى ينبت فيه (١) . وبالتالي فان اعتماد نظريات المقدمة في دراسة بيئة الحضارة الاسلامية أمر لا غنى عنه على الاطلاق ،وعليه جرى الاستفادة من نصوص المقدمة في توضيح الكثير من الجوانب الانسانية والعمرانية ، التي تطرقت اليها الدراسة ، حيث تم من خلالها التنبيه الى الفكر العمراني عند المسلمين ، وما وصلوا اليه من تصورات في هذا المجال ،وهو ما تم ايضاحه في تمهيد الباب الأول ،كذلك دخلت مادة المقدمة في تفسير طبيعة مواقف الناصر صلاح الدين تجاه بعض العناصر الاجتماعية ،وذلك من خلال تبيان المقومات التي تقوم عليها السلطة ، كما وردت في المقدمة ،وهو ما سيرد لاحقا في الفصل الثاني من الباب الأول . كذلك كان لنظريات المقدمة ، دورا في تفسير بعض التطورات الاقتصادية التي طرأت خلال فترة الدراسة ،كما سيرد في الفصل الرابع من الباب المذكور ، هذا علاوة على دورها في توضيح طبيعة التطور الذى من الممكن أن تتعرض له المنشآت في حال توفر ظروف معينة ، كما سيرد في الفصل الثالث من الباب الثاني .

---

(١) احمد زايد ،علم الاجتماع بين الاتجاهات الكلاسيكية والنقدية ، القاهرة ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ،ص ١٥ .

ومن المصادر التي اعتمد عليها البحث كتاب الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، من تصنيف صارم الدين ابراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي الشهير بابن دقماق (ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦م) ، الذى ينتمي في نسبه الى طائفة المماليك حيث كان والده من امراء دولتهم ، نشأ وترعرع في القاهرة ، وتزود من العلم ، وحصل منه على جملة وافرة ، في الفقه والأدب ، والتاريخ ، الذى كتب فيه كثيرا ، حتى بلغ ما كتبه مائتي سفر ، من أهمها كتابه هذا (١) الذى يتكون من مجلدات عدة (٢) ، تتضمن الجغرافيا العمرانية والاقتصادية ، لاقليم مصر وما تتضمنه اقاليمه من مدن وقرى (٣) . ولقد وصلنا من خلال هذا الكتاب معلومات جيدة عن الفسطاط وخططها ومنشآتها ، وما يجاورها من المواضع مثل التلال ، والبرك والخلجان ، وان كان يغلب على معلومات الاقتضاب الى حد بعيد ، الا أنه أفاد البحث كثيرا ، حيث استفاد منه في الفصل الأول من الباب الأول ، وفي الفصل الأول والثاني والثالث من الباب الثاني .

---

(١) عنه انظر : ابن دقماق ، الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، مكة المكرمة (المقدمة) ص ٨ - ١٥ ، ابن العماد ، شذرات الذهب ، جـ٧/ ٨٠ - ٨١ ، عنان ، مصر الاسلامية ، ص ٤٨ .

(٢) فقدت غالبية هذه المجلدات ولم يبق منها سوى مجلدين ، طبعا طبعات مختلفة ، جرى الاعتماد على طبعة بيروت التي تتضمن تعليقات وفهارس قام بوضعها لجنة احياء التراث العربي في دار الافاق الجديدة ، وانظر أيضا : عنان ، ن٠م٠س وهامش (٣) من نفس الصفحة .

(٣) عنان ، ن٠م٠س .

ومن المصادر التي اعتمد عليها البحث كتاب صبح الأعشى في صناعة الانشاء (١) من تصنيف ابن العباس احمد بن علي بن أحمد القلقشندى (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨م) ، درس الفقه في أول أمره ثم اهتم بالأدب ، وخاض بعد ذلك غمار الوظائف الحكومية ، حتى تبوأ مناصب رئيسة فيها. (٢)

أما عن مؤلفه صبح الأعشى والذى يقع في اربعة عشر مجلدا ، فمن الواضح ان هذا الكتاب قد وضعه لمن يختصون بصنعة الكتابة للعمل في دواوين الدولة ، الا أن فائدته في الدراسة ظهرت فيما احتواه من معلومات مفصلة عن مصر و مدنها ، وعلى الأخص تلك التي ترد عن القاهرة ، هذا علاوة على ما احتواه من معلومات ادارية ، وضح فيها الاوضاع الادارية ومراسيمها في العصر الفاطمي ، والمماليكي ، حيث يعد الأخير امتدادا في حضارته لما كان عليه الحال في عهد الأيوبيين ، وبالتالي فان ما يرد عنه من معلومات يمكن اعتباره بشكل أو بآخر ، ذو جذور أيوبية ، ولذلك فلقد جرت الافادة من هذا الكتاب في الكثير من فصول البحث ، خاصة الفصل الرابع من الباب الأول ، والفصول الأول، والثاني ، والثالث من الباب الثاني .

---

(١) طبع هذا الكتاب في القاهرة عن نسخة مصورة للمطبعة الاميرية ، وزود بتصويبات واستدراكات ومقدمة جيدة بقلم محمد عبد رب الرسول .

(٢) عنه انظر : القلقشندى ، صبح الأعشى (المقدمة) جـ١/ ١٩-٢٤. ابن تغرى بردى ، الدليل الشافي على المنهل الصافي ، تحقيق فهيم شلتوت ، القاهرة جـ١/ ٥٥ ، ابن العماد ، شذرات الذهب ، جـ٧/ ١٤٩ ، كحالة ، معجم المؤلفين ، جـ١/ ٣١٧.

ومن المصادر التي اعتمد عليها البحث كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار ،المعرف بالخطط المقريزية [(١)] من تصنيف ابي العباس تقي الدين احمد بن علي بن عبد القادر المقريزى (ت٨٤٥هـ/ ١٤٤١م) الذى يعود في الصلة الى الاسرة الفاطمية ، وكانت أسرته تقطن في احدى مدن جبل لبنان حيث كان مولده ، ولي في القاهرة وظائف عدة ،وقام بالتدريس مرارا ،وحمدت سيرته في مباشراته كلها ، تتلمذ على يد ابن خلدون ،وكان يحبه ويجله كثيرا [(٢)] ،وكان له مؤلفات عديدة ،جرت الافادة من بعضها ومن أهمها كتابه الخطط، الذى يعد موسوعة متكاملة عن تاريخ مصر وجغرافيتها ، فاحتوى على الكثير الوافر من المعلومات التي تخص هذا الاقليم من سياسية ، واجتماعية ،واقتصادية ، علاوة على كونه يمثل القمة في مجال التأليف في الخطط ،وان كان من الواضح ان الكتاب لم يصلنا متكاملا كما أراد مؤلفه [(٣)] .

---

(١) طبع هذا الكتاب طبعات عدة ،وجرى الاعتماد على طبعة بيروت ، وهي على جزئين .

(٢) عنه انظر ،ابن العماد ،شذرات الذهب ،جـ٧ / ٢٥٤-٢٥٥ ، الشوكاني البدر الطالع ، جـ١ / ٧٩ ، ٣٣٨ - ٣٣٩ ،عنان ، مصر الاسلامية ، ص٤٩ - ٦١ . مؤرخو مصر الاسلامية ومصادر التاريخ المصرى ، القاهرة ص ٨٥ - ١٠٤ .

(٣) عنان ،مصر الاسلامية ص ٥٤ .

ولقد أثرى هذا الكتـــاب الدراسة كثيرا ، بل انه بالامكان اعتباره المصدر الأساسي فيها ، فلا يخلو فصل من فصولها الا وكانت مادة هذا الكتاب جزءا رئيسا فيه ،وعلى الأخص تلك الفصول التي تتناول الجوانب العمرانية . التي اعتمدت بشكل يكاد أن يكون متكاملا علـــى هذا الكتاب .

تمهيد

يعتبر ظهور الدولة الأيوبية ،من الاحداث الرئيسة في تاريخ الدولة الاسلامية ،نظرا لما قامت به من دور كبير في مواجهة الهجمات الصليبية التي استهدفت الاسلام .(١)

ومن الواضح أن قيام هذه الدولة ،انما كان امتدادا للدولة الزنكية ، حيث كان والد الناصر صلاح الدين الأيوبي الامير نجم الدين أيوب (٢) ،وأخوه أسد الدين شيركوه (٣) ، من كبار رجال الملك العادل نور الدين زنكي (٤) ، وتحت قيادة أسد الدين شيركوه دخلت القوات الزنكية مصر ،ومن هناك بدأ دور الأسرة الأيوبية في الدخول الى ساحة الأحداث ،وذلك بالسيطرة على مقالبد الأمور فيها ، عندما تولى أسد الدين الوزارة للفاطميين ،وذلك بعد قتل الوزير شاور (٥) . غير أن

----

(١) على بيومي ، قيام الدولة الأيوبية في مصر ،القاهرة ، ط/ الأولى ١٩٥٢م، ص : ٩٤ ، الباز العريني ،مصر في عصر الأيوبيين ، القاهرة ،ص ١٠٠ .

(٢) عنه انظر ص : ٢٤ هامش (١) .

(٣) عنه انظر ص : ٢١ هامش (٢) .

(٤) علي بيومي ،م.س ، ص ٥ ،والملك العادل نور الدين ، هو أبو القاسم محمود بن عماد الدين زنكي (٥٥٨-٥٦٩هـ/١١٥٤-١١٧٤م) من مشاهير حكام المسلمين في عصر الحروب الصليبية ، وكان له معهم وقائع مشهودة ،وفتح الفتوحات ، عرف بحب الخير والميل للعدل ،والحرص على عمارة البلاد ، عنه انظر ابن خلكان ،وفيات الأعيان ،جـ٥/ ١٨٤ - ١٨٨ .

(٥) هو ابو شجاع بن مجير بن عشائر بن شأس السعدى (٥٥٨، ٥٥٩ - ٥٦٤ هـ / ١١٦٢، ١١٦٣- ١١٦٨م) كان في بادئ الأمر واليا على الصعيد الأعلى ثم استولى على الوزارة بالقوة

===

اسد الدين لم يلبث ان توفى بعد ذلك ببضعة أسابيع ،ليتولى من بعده الوزارة ابن أخيه الناصر صلاح الدين الأيوبي (١) ، الذى تمكن من القضاء على الحكم الفاطمي عام (٥٦٧ هـ / ١١٧١م) (٢) اضافة الى دوره في توحيد الجبهة الاسلامية وقيامه بطرد الصليبيين من معظم الاراضي التي كانوا يحتلونها في بلاد الشام وفلسطين ،وعلى الأخص من بيت المقدس. (٣)

أما عن القاهرة الصلاحية ، فلقد أسسها الفاطميون بعد أن تمكنوا من الاستيلاء على مصر عام (٣٥٨هـ / ٩٦٨م) (٤) ،حيث بنوا هذه المدينة لتكون مقرا للخليفة وحاشيته وجنده المخلصين (٥) ،وجعلوها تقع الى الشمال

=== من آل زريك ، الى أن انتزعها منه ضرغام اللخمى (٥٥٨ - ٥٥٩ هـ / ١١٦٢-١١٦٣م) ، فلجأ الى الملك العادل نور الدين زنكي يعينه على استعادة مركزه فكان ذلك بداية التدخل الفعلي للملك العادل في شؤون مصر. ولينتهي الأمر بقتل هذا الوزير وبسط النفوذ الزنكي على هذه البلاد .
انظر : عمارة اليمنى ،ابو محمد نجم الدين عمارة بن أبي الحسن الحكمى (ت ٥٦٩ هـ / ١١٧٣م) . النكت العصرية في أخبار الوزارة المصرية ،تحقيق هرنويغ درنبرغ . بشالون ، ١٨٩٧م ص ص ٦٧ - ٧٣ ، ٧٨ - ٩٣ . ابن خلكان ،م.س ، ٢/٤٣٩-٤٤٨ .

(١) ابن الاثير ،ابي الحسن على بن محمد بن عبد الكريم الشيباني ، (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) ،الكامل في التاريخ ،عني بنشره ومراجعة أصوله والتعليق عليه نخبة من العلماء . بيروت ،ط. الثانية ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م ،جـ٩/٩٩ - ١٠٢ .

(٢) ابن الاثير ،م.س ، ٩/١١١ .

(٣) للمزيد انظر ص : ١٧٣ - ١٩٤ .

(٤) ابن تغرى بردى ،النجوم الزاهرة ،جـ٤/ ٣١-٣٢ .

(٥) المقريزى ،الخطط ،جـ١/ ٣٦٤ ،سعاد ماهر ،القاهرة ،ص ٢٠-٢١ .

من عواصم مصر الاسلامية القديمة [١] ، وهي الفسطاط [٢] ، والعسكر [٣] والقطائع [٤] . وظلت كذلك الى ان تمكن الناصر صلاح الدين من تأسيس دولته في هذه البلاد ، حيث دخلت المدينة في عهده في متغيرات وتطورات حضارية وعمرانية سيتم الاشارة اليها بالتفصل في ابواب الرسالة وفصولها .

---

(١) عبدالرحمن زكي ، القاهرة : تاريخها وآثارها من جوهر القائد الى الجبرتي المؤرخ ، القاهرة ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م ، ص ٩٠

(٢) اسست الفسطاط على يد فاتح مصر عمر بن العاص رضي الله عنه فيما بين عامي (١٨ - ٢٠ هـ/ ٦٤٠ - ٦٤١ م) لتكون مقرا لقوات الفتح الاسلامي لمصر ، ومقرا للادارة والحكم فيها ، انظر: ابن دقماق : الانتصار ، ق١/ ٢-٣ . عبدالرحمن زكي ، الفسطاط وضاحيتاها العسكر والقطائع ، القاهرة ١٩٦٦م ص ٥ - ٦ ، حواضر العالم الاسلامي ، القاهرة منارة الحضارة الاسلامية ، القاهرة ص ١ .

(٣) قام بني العباس بعد قضائهم على حكم بني أمية عام ١٣٢هـ/ ٧٥١ م ببناء هذه المدينة الى الشمال من الفسطاط في عام (١٣٣هـ/ ٧٥٢م) ، المقريزى ، م.س ، جـ١/ ٣٠٤ ، عبد الرحمن زكي ، الفسطاط ص ٨٢ - ٨٣ .

(٤) اسست هذه المدينة على يد احمد بن طولون (٢٥٤-٢٧٠هـ/ ٨٦٨ - ٨٨٣ م) وابتدأ بنائها عام (٢٥٦هـ/ ٨٦٩م) واختير موقعها الى الشمال من الفسطاط والعسكر ، تحت الشرف الذى تقع عليه قلعة الجبل الآن ، ابن دقماق ، م.س ، ق١/ ١٢١ .

الباب الأول

عوامل التطور العمراني


تمهيد

تعريف المدينة وعوامل نشأتها وتطورها

لا بأس ونحن بصدد التطرق الى أهم العوامل التي أثرت على التطور العمراني للقاهرة في عهد صلاح الدين الأيوبي ،أن نلقي بعض الأضواء على المدينة كوحدة عمرانية وحضارية ،بالاضافة الى عوامل نشأة المدينة وتطورها بشكل عام، وعلى الرغم من أن المدينة واقعا حضاريا وعمرانيا ملموسا ، فان الدارسين لم يتفقوا على تعريف محدد لها.(١)

وفي اللغة ،فان المدينة لفظ مأخوذ من "مَدَنَ بالمكان" ، أى أقام به . وهي على وزن فعيلة ،كذلك تطلق المدينة على "... الحصن يبنى في أصطمة(٢) الأرض"(٣) . والمدينة أيضا لفظ يطلق على الأمة.(٤)

وهناك من يقول ،بأن لفظ المدينة مشتق من "دان" ، اذا أطاع والميم في كلمة المدينة زائدة . ذلك أن السلطان يسكن المدينة ، فتقام له فيها الطاعة.(٥)

بيد أن بعض الباحثين المعاصرين ،يرى أن كلمة المدينة ،أتت من أصل لغوى غير عربي ،وأنها قد تكون آرامية

---

(١) فاديه عمر الجولاني : علم الاجتماع الحضرى ،الرياض ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ص ٣٥.

(٢) الأصطمة معظم الشيء . الزبيدى : محب الدين محمد مرتضى الحسيني تاج العروس من جواهر القاموس ،القاهرة ١٣٠٦هـ، ٨/٣٦٤.

(٣) الزبيدى : م.س ، ٩/٣٤٢ ،

(٤) ن.م.س.

(٥) محمد محمود محمدين : التراث الجغرافي الاسلامي ص ٣٠٣.

أو سريانية الأصل .(١)

وعلى أية حال فان دلالة الاسم ،تشير الى أن اللفظ قد ارتبط بمعان عدة . منها الدلالة على الاقامة أو السكنى في المكان ،اضافة الى أنه موءشر الى مركز السلطة ،أو المكان الذى يتمتع بنوع من الحماية .(٢)

ولقد أفرز الفكر العمراني الاسلامي عددا من التعريفات ،حيث تناول الفقهاء والجغرافيون والموءرخون المسلمون ،مصطلح " المدينة " من جوانب مختلفة ،وهي تعكس في مجملها محاولات جادة لتحديد هوية المدينة ، على اعتبار أنها مظهر حضارى وعمراني . وقد أطلقوا عليها أيضا لفظ " المصر " الذى هو عندهم "كل بلد جامع تقام فيه الحدود ويتخذه الحاكم مقرا له وينفق عليه ".(٣)

وهناك من يقترح وجود علاقة بين المدينة وبعض المظاهر الحضارية كالمسجد الجامع مثلا ،فالمقدسي يذكر أنه كان ببلاد ما وراء النهر قرى ، لا يعوزها من رسوم المدن وآلاتها الا الجامع .(٤)

وهناك من يشترط أن يكون للمدينة سور يميزها من القرية .(٥)

---

(١) محمد محمود محمدين : م . س .ص ٣٠٤ ، مصطفى عباس الموسوى : العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الاسلامية ،بغداد ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م ، ص ٣٥٠-٣٥١ .

(٢) محمد محمود محمدين : م.س . ص ٣٠٤ .

(٣) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٤٧ .

(٤) المقدسي : م.س : ص ١١٣ ، انظر أيضا : محمد محمود محمدين: التراث الجغرافي الاسلامي ،ص ٣٠٤ .

(٥) القزويني : زكريا بن محمد بن محمود ت ٦٢٨هـ/ ١٢٢٨م ،آثار البلاد وأخبار العباد ،بيروت ص ٧ .

وينظرالسمهودى الى المدينة نظرة كمية ،اذ يعتبر بأن المدينة عبارة عن عدد من المساكن ،يزيد عما هو موجود بالقرية ،وبالمقابل فهو يرى بأن عدد مساكن المدينة ،يقل عن عدد مساكن المصر[(١)].

وعلى كل فانه من الواضح بأن نظرة المسلمين الى المدينة لم تكن قاصرة على المظاهرالعمرانية فقط ، اذ أنه من المؤكد بأنها قد تجاوزت ذلك المفهوم فشملت الجانب الانساني الدقيق . ذلك أنهم نظروا الى نشأة المدينة وقيامها كظاهرة انسانية عامة ،من خلال الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية التي تواجه الانسان ،وعليه فان المدينة تعبر عن حالة اجتماعية واقتصادية ، وأمنية .

فيرى قدامة بن جعفر بأن ظهور المدينة ،نتج عن حاجة الانسان الى التعايش مع الجماعة ، ذلك التعايش الذى تفرضه ضروريات الحياة ، حيث تكيف الانسان فظهرت المدن والأمصار[(٢)] . وتابعه في ذلك أيضا القزويني[(٣)] .

أما ابن خلدون فانه يرى بأن التطور الانتاجي عند الانسان ، والارتقاء بمستواه الحضرى ، هو العامل الحاسم لظهور المدينة والتمدن[(٤)] .

---

(١) نقلا عن محمد محمود محمدين : ن.م.ص .

(٢) قدامة بن جعفر بن قدامة الكاتب البغدادى ت ٣٣٧هـ/٩٤٨م الخراج وصناعة الكتابة ، شرح وتعليق محمد حسين الزبيدى ،بغداد ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.ص ٤٣٢ - ٤٣٣.

(٣) القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ص ٧ - ٨ .

(٤) انظر : هشام جعيط : نظرة ابن خلدون للمدينة و مشكلة التمدين (بحث ألقى ضمن فعاليات ندوة ابن خلدون والفكر العربي

===

بيد أن هذا العامل لا يتبلور وتظهر فعاليته الا بتطور النظام الاجتماعي للانسان ،وعليه فان ظهور مؤسسات الحكم التي عبر عنها ابن خلدون باسم "الملك" ،هو الذى قاد المجتمعات الانسانية نحو التمدن.(١)

بيد أنه ،وعلى الرغم من التعريفات آنفة الذكر ،- وهي ما تتميز بالوضوح والدقة - فان التمييز الدقيق بين المدينة والريف ، لم يزل من المشكلات الشائكة لكثير من المتخصصين(٢) ، ولعل مرد ذلك راجع الى أن الفروق الأساسية بين كل من المدينة والريف ،لا تظهر بوضوح الا في الدرجات القصوى لتطور كل منهما.(٣)

ويرى الاجتماعيون في العصر الحديث ،بأن التمدن هو تعبير عن تمركز سكاني منظم ،يعيش فيه الناس في حالة تفاعل اجتماعي واقتصادى ويتمتعون بادارة عامة ،وتسهيلات تتناول جوانب الحياة المختلفة.(٤)

بينما لجأ غيرهم من الدارسين الى أسس مختلفة ،في تعريفهم أو تصنيفهم للمدينة ، قد تعكس اختصاصات كل منهم الى حد بعيد .

=== المعاصر المنعقد في تونس في عام ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م تحت رعاية المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. والمنشورة في كتاب يحمل عنوان الندوة ،تونس ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ص: ٩٤٠.٤

(١) ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد الاشبيلي : مقدمة كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر ،المشهورة بمقدمة ابن خلدون ، بيروت ط. الخامسة ١/ ٣٤٢-٣٤٣.

(٢) جون كلارك : جغرافية السكان ،ترجمة محمد شوقي ابراهيم مكي الرياض ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م ص ٨٣.

(٣) أحمد علي اسماعيل : دراسات في جغرافية المدن ،القاهرة ط. الثانية ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م ص ١٦.

(٤) جون كلارك : ن.م.س.

فهناك الأسس الاحصائية ،التي تعتمد على نوعين من الاحصاء السكاني وهما الحجم والكثافة . فالحجم يقوم على أساس المقياس العددى لمنطقة من المناطق السكانية ، فاذا تجاوز العدد السكاني في موقع ما حدا معينا ، فعند ذلك يجرى اعتبار ذلك الموقع "مدينة".(١)

ولقد اتفقت الهيئات الدولية "الأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة" على أن المدينة هي كل تجمع سكاني يزيد عدد أفراده عن عشرين ألف نفس.(٢)

أما الكثافة ،فترتبط بمقدار عددى معين يكون محصورا ضمن مساحة معينة ،وهي على نوعين : الكثافة الكلية التي تنسب مجموع عدد السكان فيها الى مساحة الموقع العمراني . والكثافة الصافية التي تؤخذ على أساس نسبة الكثافة السكانية الى مساحة المنطقة المبنية.(٣)

ومن الأسس التي لجأ اليها بعض الباحثين في تصنيفهم أو تعريفهم للمدينة ، الأسس الاقتصادية ،وهذه النظرة هي محاولة للبحث عن اطار وظيفي يمكن من خلاله تحديد "المدينة".(٤)

والسبب في ذلك أن المدينة تتجاوز في أهميتها عندهم مجال المساحة التي تشغلها ، أو عدد السكان القاطنين بها، ذلك أنها تحوى على مجالات متعددة للعمل والانتاج ،يرتبط بكل منهما أدوار اقتصادية متنوعة.(٥)

---

(١) جمال حمدان : جغرافية المدن ،القاهرة ط. الثانية ص ٥ - ٦ .

(٢) عبدالمنعم شوقي : مجتمع المدينة (الاجتماع الحضرى) ،القاهرة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م. ص ٢٥.

(٣) أحمد على اسماعيل : دراسات في جغرافية المدن ص ١٩ .

(٤) جمال حمدان : جغرافية المدن ،ص ١٠-١١ .

(٥) أحمد على اسماعيل : م.س. ص ٢١-٢٢.

وقد يكون للاعتبارات الادارية دور في تحديد تعريف "المدينة" ، اذ غالبا ما تقوم بعض الحكومات بوضع تحديدات معينة لغرض تنظيم بعض التجمعات العمرانية ،وتلك التحديدات تؤدى الى اعتبار بعض التجمعات "مدينة". تمييزا لها عن غيرها وهو ما يمكن أن نعبر عنه "بالاطار القانوني" للمدينة .(١)

وعلى أية حال ،فان الأسس السابقة تكاد أن تكون الأسس الرئيسية ، في تصنيف أو تحديد تعريف "المدينة" ،الا أن هناك بجانب ذلك واضافة اليه أسسا أخرى معتبرة ،وان كانت تقل عن الأولى في أهميتها منها مثلا :

الأساس الشكلي ،اذ أن المدينة تختلف في مظهرها وشكلها الخارجي عن الريف ، من حيث التنظيم وتوزيع أوجه النشاط الانساني ، الذى يتركز في مناطق محددة في المدينة ،فالتجارة والصناعة لها أماكنها المحددة ، كذلك الأمر بالنسبة لمراكز الادارة أو المتنزهات وغيرها .(٢)

ويلي الأساس الشكلي في الأهمية ،الأساس التاريخي ، فقد يعرف موقع تجمع سكاني عمراني معين بلفظ " المدينة " ، نتيجة لظروف تاريخية مر بها الموقع ،وهكذا يبقى الاسم العلم محتفظا بدلالته على الموقع .(٣)

ولقد حاول بعض الباحثين ،وضع تقسيمات للمدن تميز بعضها عن البعض الاخر ، معتمدين على أساس الأعمال التي تؤديها كل من تلك المدن ،وهكذا فانهم صنفوها الى مدن سياسية ،وأخرى تجارية ، وثالثة صناعية ،وهكذا .(٤)

---

(١) أحمد على اسماعيل : م.س . ص ٢٣ .

(٢) أحمد على اسماعيل : م.س . ص ٢٦-٢٧ .

(٣) جمال حمدان : جغرافية المدن ص ٩ .

(٤) احمد على اسماعيل : م.س . ص ٢١ .

بينما تقوم بعض التقسيمات التي اعتمدها باحثون آخرون للمدن ، على أساس درجة تقدمها الحضارى . وهم يعتمدون في ذلك " نوع " و "كمية " الخدمات التي تؤديها المدينة لسكانها.(١)

والواقع فان ابن خلدون ،كان قد أشار الى هذا التصنيف ،فهو قد اعتمد فروقا بين المدن ،تتناسب مع المستوى الحضارى لكل منها ، وان كان يميل الى اعتبار أن العاصمة " المصر " تمثل القمة في هذا المجال .(٢)

ومن خلال العرض السابق للتعريفات والأسس التي يقوم عليها تصنيف المدينة وتحديد أنواعها ،يتضح أن المدينة عبارة عن وحدة عمرانية ، تتميز بأنها المحور أو المركز الذى تتكتل فيه الكثافات السكانية ، والنشاط الحضرى للانسان ،اضافة الى ما تتميز به من مظاهر تنظيمية وانشائية .

وتعد ظاهرة نشأة المدن من المسائل الشائكة في الفكر الانساني المعاصر ،فقد دأب المفكرون على معالجتها كل حسبما تمليه تصوراته من آراء وأفكار .(٣)

فاذا كان لظهور النشاط الحضرى للانسان عوامل وباعث(٤) ، فانه من الطبيعي القول بأن ظهور المدينة أو تطورها - هي عملية حضارية -

---

(١) عبد المنعم شوقي : مجتمع المدينة (الاجتماع الحضرى) ص : ٣١ - ٣٣ .

(٢) ابن خلدون : المقدمة ١/ ٣٦٠- ٣٦٢ ، ٣٦٩ .

(٣) هشام جعيط : نظرة ابن خلدون للمدينة و مشكلة التمدين ،ابن خلدون والفكر العربي المعاصر ، ص ٤٩٢ - ٤٩٣ .

(٤) أرنولد توينبي : مختصر دراسة التاريخ ،ترجمة فؤاد محمد شبل ، مراجعة محمد توفيق غربال ،القاهرة ١٩٦٦م ١/ ١١٢ .

تحتاج الى عوامل وبواعث أيضا [١] . ولقد ظهرت العديد من الاراء أو التصورات التي تحاول أن تبين العوامل والدوافع التي أدت الى ظهور المدينة وتطورها ،ومما تجدر ملاحظته ،أن بين الباحثين من يميز بشكل دقيق بين عوامل ظهور المدينة وبين عوامل تطورها . [٢]

والحقيقة فان وضع تصنيف معين يمكن من خلاله توضيح العوامل التي أدت الى نشأة المدن ،والأخرى التي أدت الى تطورها ،أمر في غاية الصعوبة ،اذ أن العلاقة بين الانسان والبيئة علاقة تشمل جوانب الحياة المختلفة ،ولذلك فان كل مظهر حضاري ينتج عن تلك العلاقة لا بد وأنه يتأثر بأوجهها المختلفة ، كما ويكون له أثره التالي في عملية التطور التي تصبح كبيرة التعقيد الى درجة يصعب معها ايجاد العلاقات السببية وما ترتب عنها ،وبالتالي فان عوامل نشأة المدن قد تكون أيضا عوامل فاعلة لها أثرها الكبير في احداث التطور الواقع .

وعلى أية حال فلقد تعددت وتنوعت وتشابكت مثل هذه العوامل فكان منها ما هو مرتبط بالنواحي الدينية العقدية للانسان ،كما أن منها ما هو مرتبط بالجوانب الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية أو الثقافية ،

---

(١) عبدالرحمن فهمي : دراسات في الحضارة الاسلامية ، مذكرات مطبوعة تحتفظ بها مكتبة قسم التاريخ في كلية الشريعة والدراسات الاسلامية في جامعة أم القرى -بمكة المكرمة تحت رقم (٧٥) ص ٣٦ .

(٢) لقد ميز الموسوى بين عوامل نشأة المدينة وعوامل تطورها ،فجعل هناك عوامل أدت لنشأة المدينة وأخرى لتطورها . انظر مصطفى عباس الموسوى : العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الاسلامية ص ٥٣ - ٣٣٣ .

ولا يخلو الأمر قطعا من التداخل الكبير فيما بين هذه العوامل جميعا ، وبدرجات متفاوته تختلف من مدينة الى أخرى [(١)] . ولعل من المناسب أن نلقي بعض الأضواء على أبرز هذه العوامل :

العوامل الدينية :

العلاقة بين الدين والمدينة علاقة وثيقة [(٢)] ، فلقد كان له دور كبير في تأسيس العديد من المدن في العصور القديمة ، ويعتقد بعض الباحثين بأن السومريين لم يؤسسوا مدنهم الا لغرض العبادة ، فلم يكن لهم غرض آخر كالحكم أو التجارة ، كما كان للمدن صبغة دينية عند الآشوريين والفراعنة [(٣)] .

وعادة ما تنشأ المدن الدينية حول نواة صغيرة تكون في الأصل مركزا للعبادة ، لتتولد بعدها التجارة والصناعة ، الا أن النشاط المدني في مثل هذه المدن يظل مصبوغا بالصبغة الدينية [(٤)] .

وبالنسبة للدين الاسلامي ، الذى يبرز غيره من الأديان ، من حيث أثره الكبير والبارز في تأسيس المدن ، فلقد تميزت تشريعاته بكونها تحفز على التعاون والاستقرار والحياة الحضرية [(٥)] .

---

(١) فادية الجولاني : علم الاجتماع الحضرى ص ١٣٠ .
(٢) مصطفى عباس الموسوى : العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الاسلامية ص ١٥٧ .
(٣) جمال حمدان : جغرافية المدن ١٧٥ .
(٤) مصطفى عباس الموسوى : م . س . ص ١٥٩ .
(٥) ن . م . س . ص ١٥٨ .

ولا شك بأن هذا ينعكس في مدى عناية المسلمين بنشر العمران في الأقطار التي دخلوها ،حيث قاموا بانشاء العديد من المدن الجديدة التي بلغ عددها مع نهاية العصر الأموى نحو خمس وعشرين مدينة [(١)] ،تحول بعضها الى أكبر مدن العالم في ذلك الوقت ،حيث شكلت في مجموعها " ... الهيكل المادى للعالم الاسلامي .... "[(٢)]

ولم يقتصر أثر المسلمين في صدر الاسلام الأول على الدعوة الى تأسيس المدن والشروع في ذلك ، بل تعداه الى تعميق وابراز أثر عقيدتهم على تلك المدن من حيث الهنية والتخطيط .

فالجامع وما يمثله في حياة المسلمين باعتباره مركزا للعبادة والادارة والالتقاء [(٣)] [(٤)] يعد النواة أو المركز الأساسي الذى تجتمع حوله المنازل والأسواق .[(٥)] وكان لذلك أكبر الأثر في بلورة مفهوم واضح لفكرة تخطيط المدينة عند المسلمين ، حيث أصبح المسجد الجامع هو النقطة المركزية

---

(١) حسن الباشا : المدخل للاثار الاسلامية ،القاهرة ص ٥٥.

(٢) موريس لومبارد : الجغرافيا التاريخية للعالم الاسلامي خلال القرون الاربعة الأولى ،ترجمة عبد الرحمن حميده ،دمشق ص ١٦١ .

(٣) أحمد شلبي : موسوعة النظم والحضارة الاسلامية (التربية الاسلامية نظمها - فلسفتها - تاريخها ، القاهرة ط. السادسة ١٩٧٨م، ٥/١٠٢.

(٤) محمد محمود محمدين : التراث الجغرافي الاسلامي ص ٣٠٢ .

(٥) نيكيتا اليسييف : التخطيط المادى ، بحث ألقي ضمن فعاليات حلقة التدارس عن المدينة الاسلامية ،التي عقدت بمركز الشرق الأوسط ،التابع لكلية الدراسات الشرقية في جامعة كمبردج بالمملكة المتحدة ، تحت رعاية اليونسكو ، ونشرت في كتاب يحمل عنوان الحلقة ،باشراف ر . ب . سرجنت ،ترجمة أحمد محمد شعلب ، اليونسكو ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ص ١٠٧ .

الذى تتجمع حوله الوحدات العمرانية للمدينة ،بشكل منسق ومتماثل ، والذى تتفرع من حوله الطرق الاساسية باتجاهاتها المختلفة.(١)

العوامل الجغرافية :

ان تأثير البيئة على المدينة يستمد من علاقة الانسان بالارض وتكويناتها بالاضافة الى المناخ وخصائصه .

فالانسان ليس كغيره من المخلوقات فهو بفضل ما وهبه الخالق سبحانه وتعالى من خصائص عقلية وبدنية كرمه بها (٢) ،وأهله لان يكون أكثر قدرة على التأثير في علاقته مع الوسط الطبيعي المحيط به (٣) ،وتسخيره لخدمته واستعماره لمصلحته واستثماره لاغراضه .

وعلى الرغم من أن تأسيس المدن وتطورها يعد عملا انسانيا بالدرجة الاولى ،فان هذا العمل لا يخلو من التأثيرات البيئية (٤) . وبالتالي فلا بد أن يوءثر الموقع والمناخ على تخطيط المدينة ،وتفصيلات وحداتها السكنية اضافة الى شكلها الخارجي.(٥)

ويقترح جغرافيو المدن مصطلحين جغرافيين ،يرون أنه تكمن فيهما الدوافع التي تسهم في ظهور المدن وتطورها ،هما الموقع والموضع.

---

(١) عبد الرحمن فهمي : دراسات في الحضارة الاسلامية ص ٣٥ .

(٢) أشارت الايات الكريمة الى تكريم الله سبحانه وتعالى لبني آدم فقال تعالى * ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا * (الاسراء آية ٧٠).

(٣) قال تعالى * ألم تر أن الله سخر لكم ما في الارض * (الحج آية ٦٥) . وانظر أيضا عبد الفتاح محمد وهبة : جغرافية الانسان ، القاهرة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ص ص ٩٧ ، ٩٨ .

(٤) مصطفى عباس الموسوى : م. س. ص ١٩٩ .

(٥) ن . م . س .

فالموقع يعنى بدراسة علاقة المدينة بالوسط المحيط بها (١) ، وما يربطها بالأقاليم المجاورة ، وبما وراء هذه الأقاليم من طرق ومواصلات، ودور ذلك كله في ظهور المدينة وتطورها. (٢)

وأما الموضع ،فهو ما يتميز به المكان الذى تقوم عليه المدينة ، وهو تمييز يعنى بالصفات والخصائص الطبيعية ،كتلك التي توفر للمدينة نوعا من الحماية تساعد في الدفاع عنها. (٣)

ولقد عرف المسلمون أهمية الموضع بالنسبة للمدينة ،وكان لهم فيه نظرة متعمقة ،وتؤكد المصادر التاريخية الموثوقة وجود عوامل بيئية ومناخية أثرت في اختيار المسلمين الأوائل لمواضع مدنهم.

اذ لم تكن الاعتبارات الأمنية أو الادارية ،وحتى الاقتصادية ،وحدها ذات الأولوية في ذلك الاختيار . ان استقراء تلك النصوص يكشف بشكل دقيق وثابت اعتبار العوامل المناخية والبيئية في اختيار الموضع ،فقد أشارت النصوص الى أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ،أمر باختطاط الكوفة وذلك لما رأى تأثير وخومه البلاد على المسلمين الفاتحين اذ أشار الطبرى الى ذلك فقال : " كتب عمر الى سعد أنبئني ما الذى غير ألوان العرب ولحومهم فكتب اليه أن العرب خددهم وكفى ألوانهم وخومة المدائن ودجلة ، فكتب اليه أن العرب لا يوافقها الا ما وافق ابلها من البلدان". (٤)

---

(١) جمال حمدان : جغرافية المدن ص ٢٨٠.

(٢) عبد الفتاح محمد وهبه : م.س. ص ٥٢٣.

(٣) جمال حمدان : م.س. ص ٢٧٧-٢٧٨ ، مصطفى عباس الموسوى : العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الاسلامية ص ٢٠٠.

(٤) الطبرى : محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢ م): تاريخ الأمم والملوك ،القاهرة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، ١٨٩/٤.

وعلى نفس الوتيرة سار المسلمون في اختيارهم لمواضع معظم مدن الفتح الاسلامي (١) ، وكذلك كان الأمر بالنسبة للأمويين الذين كانوا يشتون في بعض المدن الساحلية طلبا للدفء ، فكان الخليفة معاوية ومروان بن الحكم يشتون في الصنبرة ،الواقعة على الشاطيء الجنوبي لبحيرة طبريه (٢).

وكذلك كان لهم قصور في بادية شرق الأردن ، اختيرت مواضعها ومواقعها ، كمحلات للصيد والنزهة . مثل قصير عمره الذى يقع شرقي مدينة عمان ،وينسب الى العصر الأموى (٣).

ولقد انعكست هذه الرؤيا على الفكر العمراني عند المسلمين فابن خلدون يشير الى أهمية الموضع عند تأسيس المدن ،من حيث مناعتها الطبيعية ،ولذلك يوصى باختيار المواضع التي تهيء وسائل دفاعية جيدة عن المدينة .

وكذلك يرى بأن موضع المدينة لا بد أن يكون في منطقة جيدة المناخ ،وأنه ينبغى الابتعاد عن المناطق ذات المناخ الردىء ،لما في ذلك من اعتبارات صحية .

ويرى ابن خلدون بأن المواضع التى تتوفر من خلالها المرافق الأساسية كموارد المياه والمنتجات الزراعية هي من المواضع المناسبة لتأسيس المدن عليها (٤).

---

(١) ابن خلدون : المقدمة ١ /٣٤٩ .

(٢) زكي محمد حسن : فنون الاسلام ،الكويت ص ٤٤ .

(٣) زكي محمد حسن : م.س. ص ٤٤ ، فريد شافعي : العمارة العربية الاسلامية ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، الرياض ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ١٥ .

(٤) ابن خلدون : المقدمة ١/٣٤٧-٣٤٩ .

على أن تأثير العامل الجغرافي لا يتحكم في نشأة المدينة فقط ، بل انه يتعدى ذلك ،موءثرا بشكل بارز في تطورها ،اذ ان المدن التي توءسس بالقرب من كثافات سكانية أقل درجة في التحضر كالبادية ،فان ذلك يساهم في التعجيل في سرعة تطور المدينة ونموها عن طريق الهجرة .(١)

ولقد كان للعوامل الجغرافية دور كبير عند تأسيس العديد من المدن الاسلامية ، علاوة على دوره في تطورها . وذلك أن المدن التي تأسست في عصر الفتح الاسلامي ، قد جرى اختيار مواقع و مواضع لها من نمط خاص ، مما يدل على وضوح الروءيا عند المسلمين واطمئنانهم الى توفر المواصفات المطلوبة التي يرونها للمواضع التي يقيمون عليها مدنهم الجديدة .(٢) حيث يجرى عادة انتقاء المواضع المناسبة التي تقع على مفترق الطرق أو ملتقاها ، سواء كان ذلك في السهول ،أو على شطوط الانهار ،أو على أطراف الصحراء ،أو أكتاف الجبال .(٣)

فالبصرة والكوفة (٤) ، اللتان انشئتا في عامي (١٤، ١٧ هـ / ٦٣٥ ، ٦٣٨ م) كان موقعهما يتميز بتلاقي شط العرب برأس الخليج

---

(١) ابن خلدون : م.س. ، ١/ ٣٤٣ .

(٢) عيسى سليمان وآخرون : العمارات العربية الاسلامية في العراق ، (تخطيط مدن ومساجد) بغداد ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م ، ١/ ٤٤٠ .

(٣) أحمد علي اسماعيل : دراسات في جغرافية المدن ،ص ٧٥ .

(٤) البصرة والكوفة : مدينتان اسلاميتان تقعان جنوبي العراق ، حيث تقع الأولى على ساحل شط العرب ، بينما تقع الثانية الى الشمال منها ، على شاطيء الفرات . للمزيد انظر : الاصطخرى : ابراهيم ابن محمد المعروف بالكرخي (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م) ،المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر عبد العال ،مراجعة محمد شفيق

===

العربي ،الى جانب وجودهما عند التقاء الطرق البرية التي تربط بين شمال العراق وجنوبه ،وتتصل بالطرق المؤدية الى شبه الجزيرة العربية.(١)

أما بالنسبة للفسطاط التي أنشئت في عام (٢١هـ / ٦٤١م) ، فلقد اختير موقعها بعناية فائقة اذ تقع على نهر النيل الى الجنوب من الدلتا ،أى أنها ترتبط بذلك الطريق النهرى الكبير الذى يربط بين شمالي الوادى وجنوبه ،علاوة على سيطرتها على الطريق البرى الواصل بين بلاد الشام والمغرب وأفريقية ، كذلك كان يقع بالقرب من الفسطاط الخليج الذى يصل بين نهر النيل والبحر الأحمر والذى عرف بخليج أمير المؤمنين فيما بعد.(٢)

أما من حيث المواضع ،فيلاحظ أن مدن الفتح الاسلامي الأولى " البصرة - الكوفة - الفسطاط " تم اختيار مواضعها ،بحيث لا يضطر القادم اليها من شبه الجزيرة العربية الى عبور الأنهار.(٣)

ولقد تم هذا الاختيار بناء على أوامر من الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الذى أمر قائده سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه لما عزم على اختطاط مدينة الكوفة ،أن لا يجعل بينه وبينهم بحرا "،(٤)

=== فريال ،القاهرة ١٣٨١هـ/١٩٦١م ،ص ٥٦-٥٨ ،و كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ،ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، بيروت ،ط. الثانية ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م ص ص ٦٤-٦٧ ،١٠١-١٠٢.

(١) أحمد علي اسماعيل : دراسات في جغرافية المدن ص ٧٥.

(٢) موريس لومبارد : الجغرافيا التاريخية للعالم الاسلامي خلال القرون الأربعة الاولى ص ١٧٩٠.

(٣) أحمد علي اسماعيل : م.س ،ص ٧٦.

(٤) البلاذرى : احمد بن يحيى البغدادى (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م) ، فتوح البلدان مراجعة وتعليق : رضوان محمد رضوان ،بيروت ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م ، ص ٢٤٧.

كذلك قال لقائده عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه لما عزم على اتخاذ عاصمة اقليمية لمصر " ... لا أحب أن تنزل المسلمين منزلا يحول الماء بيني وبينهم في شتاء ولا صيف .. "(١)

والسبب في هذا الاختيار هو أن الفاتحين وجلهم عرب لم يكونوا قد اعتادوا عبور الماء في الأعم الأغلب ،فكان هناك نوع من التوجس من البحر والنهر . بالاضافة الى أن عدم وجود الحواجز المائية فيما بين تلك المدن وشبه الجزيرة العربية تجعلها على اتصال دائم و مباشر بمركز الدولة ، حيث تتمكن الخلافة من أن تقدم للفاتحين من سكان هذه المدن ، المدد والعون بسرعة اذا اضطرتهم الظروف الى ذلك (٢) ،علاوة على توفير امكانيات مرونة الحركة والانسحاب والالتفاف في حالة الاضطرار عند تعرض قوات الفتح الى الخطر (٣) .

على أن تأثير العوامل الجغرافية على المدينة الاسلامية لم يرتبط بمرحلة تأسيس المدن ونشأتها فقط ،بل انها كان لها دورها المؤثر خلال مرحلة تطور المدن ونموها (٤) ،فالمدن الاسلامية التي أسست في المناطق الوفيرة الأمطار ،ذات الطقس الدافئ ، مما سمح بقيام الزراعة المنتجة ،

---

(١) ابن سعيد الاندلسي : على بن موسى بن محمد (ت ٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م ، الاعتباط فى حلى مدينة الفسطاط (من كتاب المغرب في حلى المغرب) ،القسم الخاص بمصر ،حققه و علق عليه : زكي محمد حسن ،وآخرون ،القاهرة ١٩٥٣م ١/ ٣٩ .

(٢) أحمد علي اسماعيل : دراسات في جغرافية المدن ص ٧٦ .

(٣) مصطفى عباس الموسوى : العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الاسلامية ص ٦٢ .

(٤) عبد الفتاح محمد وهيبه : جغرافية الانسان ، ص ٥٢٩ .

هي التي شهدت التطورات العمرانية الكبرى [(١)] اذ جرى اختيار موقع بغداد في منطقة زراعية خصبة [(٢)] . فهي تتوسط أربعة طساسيج [(٣)(٤)] ، اثنان منها في الجانب الغربي ،وهما قطربل ،وبادوريا ، وآخران في الجانب الشرقي وهما نهربوق وكلواذى ،مما يوفر للمدينة امدادات غذائية كبيرة ،فلو (... تأخرت عمارة طسوج منها كان الاخر عامرا) [(٥)] . مما هيأ لها الفرصة للتوسع واستيعاب أعداد متزايدة من البشر [(٦)] .

وتبرز أهمية التضاريس في التحكم في التطورات العمرانية في المدينة ،ما يمكن مشاهدته في المدينة الكبرى (مصر ـ القاهرة) التي أخذت في التمدد باتجاه الشمال حيث الأراضي المنبسطة السهلة بينما لم تتحول نحو الشرق أو الجنوب نظرا لوجود التلال المرتفعة والصحراء التي كانت تقف عائقا امام التوسع العمراني نحو تلك الجهات [(٧)] .

---

(١) مصطفى عباس الموسوى : م.س. ص ٢٠٥ .

(٢) عبد العزيز الدورى وآخرون : بغداد ، نقلا عن دائرة المعارف الاسلامية ،ترجمة ابراهيم خورشيد وآخرين ،بيروت ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م ص ٦٦ .

(٣) كي ليسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٤٩ .

(٤) الطسوج : جزء من اجزاء الكوره ،وهي فارسية الأصل ،اكثر ما تستعمل في سواد العراق ،ياقوت الحموى : شهاب الدين ياقوت ابن عبدالله الرومي البغدادى ، (٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) ، بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م ١/ ٣٨ .

(٥) ياقوت الحموى : م.س. ١٠/ ٤٥٨ .

(٦) عبد العزيز الدورى وآخرون : م.س. ص ٩٢ .

(٧) حسن الباشا وآخرون : القاهرة : تاريخها فنونها آثارها ، القاهرة ص.ص ١٣ ، ١٨ ، ٢٠ .

العوامل السياسية والادارية :

تعد الادارة ضرورة أولية نشأت مع نشأة المجتمعات المستقرة ، لذلك تعد الادارة من أولى الوظائف التي مارستها المدينة [١] ، ولعل هذا يفسر موقف ابن خلدون من علاقة المدينة بالملك ، حيث يعده من العوامل الرئيسة للاستقرار ومن ثم لظهور المدينة [٢].

لذلك فلقد اقترن تأسيس كثير من المدن بقيام الدولة ونشأتها ، فكل دولة تقوم ينبغي لها أن تتخذ مركزا للحكم والادارة ، تظهر من خلاله قوة شخصيتها ، وتشد اليها فيه انظار الشعوب المحكومة واحترامهم [٣].

وكان لتوسع الدولةالاسلامية ونموها سبب في تحول المدن العسكرية التي أنشأها الفاتحون الأولون الى مراكز محلية للحكم وادارة البلاد المفتوحة [٤].

ولقد ابتعدت حدود الدولة الاسلامية كثيرا عن الكوفة والبصرة والفسطاط ، وفقدت هذه المدن تدريجيا أهميتها العسكرية الأساسية باعتبارها خطا للمواجهة مع الأعداء أو معسكرات رئيسية على الحدود ، ورغم ذلك فقد حافظت تلك المدن ولمدة طويلة على مكانتها اذ تحولت الكوفة الى عاصمة للدولة الاسلامية في خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه [٥] ، كما لعبت هي والبصرة والفسطاط دورا اداريا متميزا طيلة العصر الأموي ، وكان لها دور مهم في العصور

---

(١) جمال حمدان : جغرافية المدن ص ٨١ .

(٢) ابن خلدون : المقدمة ١/٣٤٢ .

(٣) عبد الرحمن فهمي : دراسات في الحضارة الاسلامية ص ٣٦ .

(٤) مصطفى عباس الموسوى : م.س. ص ١٠٨ .

(٥) كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١٠ .

العباسية الأولى[1].

وقد يؤدى تبدل الحكومات ،أو تغيير الأسر الحاكمة الى انشاء مدن جديدة ، تعبر به السلطة الجديدة التي وصلت لتوها الى الحكم عن انتصارها ونشأتها[2] ، كما أنها تضمن بذلك أمنها والتفاف أنصارها حول مركزها ،فانتقال الحكم من أيدى الأمويين الى العباسيين اقتضى اتخاذ عاصمة جديدة ، حرص العباسيون في اختيارها أن يضمنوا أمنهم واستقرارهم فيها والابتعاد عن أخطار تأثير خصومهم ،وأن يكون سكانها من الموالين لهم والمرتبطين مصلحيا بدولتهم[3].

فكان ظهور مدينة بغداد[4] في عام (١٤٥هـ/ ٧٦٢هـ) لتكون بديلا عن دمشق[5] ، التي كانت عاصمة لبني أمية[6].

---

(١) موريس لومبارد : الجغرافيا التاريخية للعالم الاسلامي خلال القرون الاربعة الاولى ص ص ١٦٧، ١٧٩ - ١٨٠.

(٢) مصطفى عباس الموسوى : م.س . ص ١٢٨.

(٣) صالح العلي : بغداد مدينة السلام (الجانب الغربي) ، بغداد ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م ص ٢٨ - ٣٢.

(٤) بغداد مدينة اسلامية بناها ثاني الخلفاء العباسيين أبو جعفر المنصور لتكون مركزا للخلافة العباسية ،وتقع على نهر دجلة في العراق ياقوت الحموى ،معجم البلدان ١/ ٤٥٦ - ٤٦٧.

(٥) دمشق قصبة بلاد الشام ، فتحها المسلمون سنة ١٤هـ واتخذها بنو أمية عاصمة لدولتهم . انظر عنها : ياقوت الحموى ، م.س . ٢/ ٤٦٣ - ٤٧٠.

(٦) كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٤٢ .

ولقد شهد العالم الاسلامي ظهور العديد من العواصم الاقليمية ، كمدن بديلة عن العاصمة المركزية ،وذلك نتيجة لضعف وتفكك الدولة الاسلامية ،حيث ظهرت حكومات اقليمية يدين بعضها بالولاء الاسمي لدولة العباسيين ،كما حدث في مصر حيث ظهرت مدينة القطائع على يد أحمد بن طولون (١) الذى أسس دولة تتمتع بالاستقلال عن ارادة العباسيين. (٢)

وكان لظهور السامانيين في بلاد الصغد دور كبير في أن يشهد هذا الاقليم أوج ازدهاره ،وخاصة مدينتا سمرقند وبخارى (٣) حيث كانت الأولى المركز الادارى السياسي لهذا الاقليم في حين كانت الثانية المركز الديني والثقافي (٤).

كما كان لظهور دول تنافس بني العباس في ادعائهم حق حكم المسلمين وتناصبهم العداء كما هو الأمر مع بني عبيد (الفاطميين) ، دور في ظهور مدن كان الغرض منها مناجزة بغداد (٥) ، فبنيت مدينة المهدية في عام (٣٠٣هـ/٩١٥م) في تونس (٦) لتليها القاهرة في عام

---

(١) أحمد بن طولون أبو العباس التركي ، ابتدأ امره بالظهور كوال لمصر من قبل الخليفة العباسي . للمزيد انظر : ابن تغرى بردى : جمال الدين بن يوسف بن تغرى بردى الأتابكي (ت ٨٧٤هـ/١٤٤٣م) حققه وعلق عليه محمد رمزى القاهرة ٣/١٠-٢١.

(٢) موريس لومباردو : الجغرافيا التاريخية للعالم الاسلامي خلال القرون الاربعة الاولى ص ١٨٠.

(٣) بخارى وسمرقند من اعظم مدن بلاد ما وراء النهر ، خضعتا بشكل فعلي للنفوذ الاسلامي في عام ٨٨هـ/ ٧٠٧م ،للمزيد انظر عنهما : ياقوت الحموى : معجم البلدان ١/٣٥٣-٣٥٦، ٣/٢٤٦-٢٥٠.

(٤) كي ليسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٥٠٣-٥٠٤.

(٥) عبد الرحمن فهمي : دراسات في الحضارة الاسلامية ص ٣٧.

(٦) وقيل ان بنائها تم في عام ٣٠٠هـ/ ٩١٢ م ،وهي مدينة على الساحل

===

(٣٥٨ هـ / ٩٦٩ م).[1]

وعلى أية حال فان مدن الادارة بشكل عام والعواصم السياسية بشكل خاص ،قد اكتسبت أهميتها الخاصة التي تنعكس في زيادة تعدادها السكاني [2] ، الذى أدى بطبيعة الحال الى نمو المدينة وتطورها العمراني [3]، كذلك فان العواصم الاقليمية تلك غالبا ما تحظى بنصيب وافر من المنشآت والمرافق ،التي أسهمت في نموها الحضرى [4].

فبغداد عاصمة العباسيين ،سرعان ما نمت في أقل من أربعين سنة من موقع عمراني يحوى عددا قليلا من السكان ،الى مدينة يبلغ عدد سكانها نحو المليونين [5] ، بل ان سعتها والعدد الكبير الذى وصلته ارباعها محلاتها قد دفع البعض الى أن يعدها مجموعة من المدن المتلاصقة يتجاوز عددها الاربعين مدينة.[6]

ويظهر أيضا الأثر العمراني للوظيفة السياسية والادارية في حالة اختفائها من مدينة من المدن ، ذلك أن هناك من يرى بأن اختفاء الوظيفة السياسية والادارية قد كان حاسما في التناقص السكاني ،ومن ثم في التراجع الواقع في المستوى العمراني للمدينة [7].

=== في تونس ،تقع في موضع أشبه بالجزيرة . بناها الخليفة المهدى الفاطمي . انظر عنها : ياقوت الحموى معجم البلدان ٥/ ٢٢٩-٢٣٢.

(١) ص ٣٨ - ٣٩ .

(٢) عبد الفتاح محمد وهيبة : جغرافية الانسان ص ٥٢٥.

(٣) أحمد علي اسماعيل : دراسات في جغرافية المدن ص ١٩٠.

(٤) ابن خلدون : المقدمة ١/ ٣٤٣.

(٥) موريس لومباردو : م . س . ص ١٦١ .

(٦) ابن خلدون : م.س ، ١/ ٣٤٣.

(٧) ابن خلدون : م.س ، ١/ ٣٧٥.

وعلى أية حال فان العلاقة بين الدولة والمدينة العاصمة علاقة وثيقة ومترابطة في أكثر من وجه ، فهي تشبه تلك العلاقة التي بين المادة وصورتها ،لذلك فان المدينة العاصمة عادة ما تعكس وضع الدولة وتوجهاتها الحضارية (١) ،فقوة الدولة وغناها وطريقة انفاقها للأموال أمر ذو أثر كبير على الأوضاع العمرانية والحضارية في هذا النوع من المدن (٢).

العوامل الاقتصادية :

لقد جعل الله الانسان مفطورا على العمل والسعي ،وأمره بذلك قال تعالى ﴿ هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور ﴾ (٣) . فسعى الانسان لا يقتصر على الرغبة في اشباع الحاجات الانسانية فقط كما يعتقد البعض (٤) ، وعليه حدث تفاعل بين الانسان وبين البيئة الطبيعية المحيطة به ، مما أدى لظهور النشاط الاقتصادى (٥).

ولقد ترتب على تلك العلاقة مجموعة من المظاهر الحضارية ، من أبرزها نشأة التقنية التي تحاول معالجة المشكلات التي تعرض لها الانسان في تعامله مع البيئة (٦).

----

(١) ابن خلدون : م.س. ، ٣٧٦/١ .

(٢) ابن خلدون : م.س ، ٣٧١/١ .

(٣) سورة الملك آية ١٥ .

(٤) محمد رياض : الانسان دراسة في النوع والحضارة ،بيروت ، ١٩٧٤م ،ص ٤٠٦ .

(٥) ن.م.س .

(٦) ن.م.س .

ومن المؤكد أن مثل هذه المفاهيم ،هي التي دفعت بعض الباحثين من أمثال لينارد وولي (Leenard Wolly) الى اعتبار أن تطور مجالات النشاط الاقتصادى - الزراعة وزيادة الانتاج الزراعي - لدى الانسان ، هي السبب الرئيسي لتحوله نحو حياة الاستقرار ،ومن ثم الى ظهور "المدينة "(١) . لذلك عمد بعض الجغرافيين الى جعل الأسس والركائز الاقتصادية ،هي القواعد الأساسية في تصنيف وظائف المدن.(٢)

واذا كانت الزراعة - كأحد أوجه النشاط الاقتصادى للانسان - هي التي ساهمت الى حد بعيد في ظهور "المدينة " ،فانها قد ساهمت أيضا في تطور العديد من المدن.

ففي العراق الذى يعد بقعة تمدن ،تمتد جذورها في أعماق التاريخ ،شهد في العصر الاسلامي نهضة عمرانية كبرى ،ارتبطت الى حد بعيد بمشاريع الرى واستصلاح الأراضي (٣) ،وهي مشاريع أولاها الحكام المسلمون كل رعاية واهتمام (٤) ،ظهر أثرها العمراني بزيادة المحتوى السكاني للمدن التي كانت موجودة في هذا الاقليم.(٥)

---

(١) نقلا عن هشام جعيط : نظرة ابن خلدون للمدينة ومشكلة التمدين ، المدينة الاسلامية ص ٤٩٣ .

(٢) أحمد علي اسماعيل : دراسات في جغرافية المدن ص ١١٧ .

(٣) موريس لومباردو: الجغرافيا التاريخية للعالم الاسلامي خلال القرون الاربعة الاولى ص ١٦٤ .

(٤) El- Samarraie - Husam Qawam
Agriculture In Iraq During The 3rd. Century A.H.
Thesissu limited For the degree of Doctpr of Philosophy in University of London 1970 p.(94).

(٥) موريس لومباردو : م.س . ص ١٦٤ - ١٦٥ .

كذلك كان الأمر بالنسبة للعديد من المدن في مناطق أخرى مثل بلاد الشام ،وخراسان ،وبلاد ما وراء النهر . التي تطورت بتطور النشاط الزراعي في المناطق المحيطة بها ،فأخذت هذه المدن تتمدد عن طريق أسوارها لتضم العديد من القرى والضواحي المحيطة بها كما حدث لبخارى وسمرقند .(١)

ومن المؤكد أن دمشق قد انتعشت بانتعاش النشاط الزراعي فيها ، فما أن اتخذها الأمويون عاصمة لهم حتى أخذت المساحة المزروعة المحيطة بها بالتوسع والازدياد .(٢)

ومثلما لعبت الزراعة دورا في نشأة المدن وتطورها ،فان التجارة كان لها أيضا اسهام كبير في هذا المجال ،فهناك الكثير من المدن التي كانت الأسواق هي النواة الأولى لها ،والتي كان النشاط التجاري وفعالياته المحور الذى قامت عليه وتطورت منه .(٣)

ونظرا لما تمثله التجارة من عامل لجذب السكان ،فان الوظيفة التجارية قد أتاحت للمدينة توسعا وامتدادا قياسيا ،مما دفع البعض الى القول بأن المدن التجارية تعد من أعظم التجمعات البشرية على الاطلاق .(٤)

والواقع فقد كان لظهور المدن التجارية من الناحية التاريخية ،دور حاسم في تولد النشاط الصناعي ،الذى أدى الى أن يعرف التمدن المدن الصناعية.(٥)

---

(١) موريس لومباردو: م.س. ص ١٧٤- ١٧٥ .
(٢) موريس لومبارد : م.س ص ١٧٧ .
(٣) جمال حمدان : جغرافية المدن ص ٤٨ - ٤٩
(٤) جمال حمدان : م.س.ص ٥٥ .
(٥) عبد الفتاح محمد وهيبه : جغرافية الانسان ص ٥٢٦ .

ولقد كان هناك علاقة تبادلية في التطور المشترك بين الصناعة والعمران ، اذ أن الصناعة تنمو بنمو العمران في المدينة ،كما أن التوجه الصناعي يزيد من حجم المدينة وامتدادها ،ويظل الحال في توافق كلما كانت الزيادة في أحدهما.(١)

وعلى أية حال ،فلقد كان للتجارة أثر واضح في التطور العمراني في العالم الاسلامي ،اذ أن توحيد هذا المجال الجغرافي الكبير في اطار موضوعي واحد ،أدى الى تطور النشاط الاقتصادى فيه ،وهو تطور كانت التجارة احدى روافدها الأساسية.(٢)

فمدينتا البصرة والكوفة قد بنيتا في الأصل لتكونا معسكرات لجيوش الفتح ، ثم لعبتا بعد ذلك دورا في الادارة الاقليمية ،قد أخذتا بالتحول الى مدينتين تجاريتين كبيرتين(٣) ، مما أسهم في جلب العديد من الصناعات والحرف اليهما(٤) . بل ان البصرة على وجه الخصوص ،كانت في العصر العباسي مستودعا لتجارة المحيط الهندى ،والميناء الرئيسي لبغداد وبلاد الرافدين.(٥)

ولا شك في أن هذا النمو التجارى قد أدى الى أن تصبح البصرة

----

(١) ابن خلدون : المقدمة ١/٣٧٧.

(٢) موريس لومباردو: الجغرافيا التاريخية للعالم الاسلامي خلال القرون الاربعة الاولى ص ٢٢ - ٢٥.

(٣) عبد الرحمن فهمي : دراسات في الحضارة الاسلامية ص ٤١.

(٤) مصطفى عباس الموسوى : العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الاسلامية ص ٣٢٧.

(٥) موريس لومباردو : م.س ص ١٦٧.

من أهم مراكز الصناعة في العالم الاسلامي [١] ،لتنطلق نحو عصرها الذهبي في العمران [٢].

ولقد ارتبط التوسع العمراني الكبير في مدن فارس وخراسان ، بنمو تجارة العالم الاسلامي في ذلك الوقت ،اذ أن المدن التي أصابها الازدهار العمراني في هذا الاقليم ،هي التي تقع على طرق تجارة القوافل ،وتأتي سمرقند في طليعتها التي تقع عند نقاط التقاء الطرق التجارية القادمة من الهند وبلاد فارس [٣].

وقد شهدت موانيء بلاد الشام ازدهارا عمرانيا كان مدفوعا بازدياد النشاط التجارى فيها ،فالموانيء الفنيقية القديمة ،التي تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط ،الشرقي مثل صور وعكا وطرابلس [٤] ، شهدت عملية انشاء وتعمير أرصفة جديدة لاستقبال السفن المحملة بالبضائع، كما شهدت تطورا واتساعا عمرانيا كبيرا [٥] ، وما شهده شرق العالم

---

(١) الخطيب البغدادى : أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ ، ١٠٧٠م) تاريخ بغداد ، بيروت ٤٩/١.

(٢) موريس لومبارد و : الجغرافيا التاريخية للعالم الاسلامي خلال القرون الاربعة الاولى ص١٦٧.

(٣) موريس لومبارد : م.س ،ص ١٧٥.

(٤) هذه المدن من مدن الساحل الشامي ، فتحت زمن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه حيث فتحت عكا في حدود عام ١٥هـ/ ٦٣٦م بينما فتحت طرابلس في سنة ٢٣هـ/٦٤٢م . للمزيد عن هذه المدن انظر : ياقوت الحموى معجم البلدان ، ٤٣٣/٣ - ٤٣٤ ، ٢٥/٢ - ٢٦، ١٤٣ - ١٤٤.

(٥) موريس لومبارد و : م.س . ص ١٧٧.

الاسلامي من ازدهار عمراني ، ارتبط بذلك التوسع التجارى ، فان غرب العالم الاسلامي قد عاش حالة مماثلة ، تبعا لعوامل مشابهة .

ومن ابرز الشواهد التي يمكن من خلالها متابعة هذا الازدهار ، ما حدث في مصر التي كانت تعاني قبل الفتح من تدهور في الأوضاع العمرانية ، لتنقلب الصورة بعد ذلك وتظهر في شكل حركة ضخمة يمكن متابعتها عند دراسة عاصمة الاقليم نفسه ، فالفسطاط التي ظهرت الى الوجود كمركز لاستقرار الفاتحين ، ومعسكرا متقدما في غرب الدولة الاسلامية ، أخذت تتطور اقتصاديا (١) ، بازدهار التجارة فيها ، نتيجة ازدهارها بشكل عام عبر الاقليم المصرى (٢) ، فأصبح ميناؤها أحد أهم مراكز تجمع السفن والبضائع (٣) .

ولقد أدى هذا التطور الى أن تتحول المدينة الى منطقة تكدس سكاني ضخم (٤) ، حيث تجاوز سكانها المليون نسمة ، وهو تقدير يقوم على أساس تعداد البيوت التي كانت فيها ، والتي قيل أن عددها بلغ مائة الف منزل ، كما أنها كانت تتوزع على ثمانية الاف شارع مسلوك (٥) .

---

(١) ن . م . س .

(٢) لاحظ الوصف الذى يرد عند الخطيب البغدادى عن كون مصر بلد التجارة ، تاريخ بغداد ١/٤٩ . انظر أيضا : مصطفى عباس الموسوى : العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الاسلامية ص ٣٣٣ .
=

(٣) المقدسي : احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ص ١٩٨ .

(٤) ن . م . س .

(٥) عبد الفتاح محمد وهبة : الجغرافيا التاريخية بين النظرية والتطبيق بيروت ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م ص ٤١٦ - ٤١٧ .

أما في افريقية الشمالية ،التي أصبحت بلاد التجارة والنقل والعبور بين الأطراف الشرقية ،والغربية للعالم الاسلامي ،علاوة على احتوائها على مراكز الاتصال ،بين هذا العالم وبين بلاد السودان والصحراء الكبرى (١) . فان هذا الاقليم شهد نهضة عمرانية يدل عليه الزحف المدني في أقاليم الصحراء الكبرى ، حيث ظهرت العديد من المدن على أطراف الطرق العابرة لهذه الصحراء ،مثل مدينة وجده ،وأغلى (٢) " القرن الثالث الهجرى -القرن التاسع الميلادى " اللتين ظهرتا في السوس الاقصى . نظرا لارتباطهما بنهاية الطرق العابرة للصحراء الكبرى (٣) .

العوامل الحربية :

الحرب ظاهرة لم ينقطع تكرارها منذ بدء الخليقة حتى الوقت الحاضر (٤) ، وهي بالتالي تمثل محورا مهما من محاور التاريخ البشرى وتجديده ،لا بد وأن يظهر أثرها بشكل أو بآخر على حضارته .

وتصديقا لقوله تعالى * ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض * (٥) .

---

(١) موريس لمباردو: الجغرافيا التاريخية للعالم الاسلامي خلال القرون الاربعة الاولى ص ١٨٢ .

(٢) لم اعثر فيما اطلعت عليه من مصادر على معلومات وافية عن هذه المدن .

(٣) موريس لمباردو : ن.م.س .

(٤) حسن أحمد البدوى : ظاهرة الحرب ومذاهبها : محاضرة القيت ضمن فعاليات الموسم الثقافي لكلية الملك خالد العسكرية ، ونشرت في مجلتها ،العدد ١٦ ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م ص ٢٥ .

(٥) البقرة آية ٢٥١ .

ولقد ارتبطت نشأة المدينة منذ أقدم العصور بالوظيفة الحربية ، بل ان البعض يعد ذلك الأصل في نشأة المدينة ،والدافع الرئيسي لوجودها تاريخيا (١) .

ويذكر القزويني أن ظهور الوظيفة الحربية في المدينة ،كان نتيجة الحاجة الانسانية الى الأمن (٢) ، ذلك أن الخوف كان أحد الدوافع الرئيسة في التأثير على السلوك الانساني ،كما أن الحاجة الى الأمن ، هو من الدوافع القوية في توجيه هذا السلوك (٣) .

ومن المؤكد أن مثل هذه الاعتبارات ،هي التي أدت الى الأخذ بالأسباب الحربية في اختيار موقع المدينة (٤) .

ولقد عرف تاريخ التمدن نوعين من المدن الحربية ،الأولى عبارة عن حائط يطوق بموضع محصن ،يلجأ اليه سكان المنطقة المحيطة به ، في حال تعرضهم للخطر . بينما الثاني يكون موقعا عسكريا ،أقيم بهدف السيطرة على سكان منطقة من المناطق (٥) .

---

(١) جمال حمدان : جغرافية المدن ص ٢٢ .
(٢) القزويني : اثار البلاد وأخبار العباد ص ٧ .
(٣) سعد جلال : المرجع في علم النفس ،القاهرة ،ط. الخامسة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م ص ٣١٤ - ٣١٥ .
حامد عبد السلام زهران : علم النفس الاجتماعي ، القاهرة ط. الخامسة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ص ١٠٨ - ١٠٩ .
(٤) لاحظ ما يذكره ابن خلدون في هذا الصدد ، ص ٥٤.
(٥) جمال حمدان : جغرافية المدن ص ٢٣ - ٢٤ .

ونظرا لكثرة ما شهده التاريخ البشرى من الحروب والصراعات ، فلقد شهد هذا التاريخ ظهور العديد من المدن الحربية ، التي توزعت في مختلف بقاع العالم .(١)

وكان لظهور الدين الاسلامي ، وما ترتب عنه من انطلاقة كبرى تمثلت في حركة الفتح الاسلامي ، التي استهدفت نشر عقيدة الاسلام بين مختلف الشعوب في مختلف أرجاء العالم القديم (٢) ، أثر بارز في تأسيس عدد كبير من المدن العسكرية الجديدة ، بهدف ايواء الفاتحين وأسرهم ، وتتكون حلقة الوصل بين مركز الدولة وأقاليم الفتح .(٣)

ولقد أقام المسلمون كما أسلفنا ، العديد من المدن كمراكز عسكرية أو معسكرات ، اذ بني في العراق في صدر الاسلام مدينتان رئيستان هما الكوفة والبصرة .(٤)

في حين أن بلاد الشام ، شهدت أيضا بناء بعض المدن ، في مواقع عسكرية بيزنطية مثل طرسوس (٥) ، حيث كان موقعها حصنا جعلا عنه

---

(١) جمال حمدان : م.س . ص ص ٢٤ ، ٢٥ .

(٢) شكرى فيصل : حركة الفتح الاسلامي في القرن الاول : دراسة تمهيدية لنشأة المجتمعات الاسلامية ، بيروت ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، ص ١٩ . مصطفى عباس الموسوى : العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الاسلامية ، ص ٦٢ .

(٣) مصطفى عباس الموسوى : م.س . ص ٦٣ - ٦٤ .

(٤) انظر ص : ٥٩ .

(٥) تقع هذه المدينة على الساحل الشامي بالقرب من انطاكية فيما بينها وبين حلب . للمزيد انظر : ياقوت الحموى ، معجم البلدان ٤/ ٢٨ - ٢٩ .

قاطنوه اثر الفتح ،فتحول موقعها في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه الى مدينة حربية ، اذ قام بتمصيرها.(١)

كذلك بنيت القسطاط في بادئ الامر لتكون مقرا لجند الفتح الاسلامي.(٢)

ولقد بنيت القيروان(٣) في عام (٥١هـ/٦٧٠م) لنفس الغرض(٥)، في حين أن مدينة تونس(٥) التي ظهرت بعدها بقليل ، لم تنشأ الا لتكون ميناءا ومركزا لصناعة السفن الحربية.(٦)

ان تأثير العوامل الحربية لا يظهر في نشأة مدن جديدة فقط، بل يتعداه لتكون هذه العوامل سببا في تطور عمران العديد من المدن .

ففي مشرق العالم الاسلامي ، أقام الفاتحون العديد من الأحياء التي تجاور المدن القديمة ،وعرفت هذه الأحياء بالأرباض ،كانت تحتوى على الجامع الكبير الى جانب القلعة والسوق.(٧)

---

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ص١٣٩ .

(٢) ص : ٥٩ .

(٣) مدينة اسلامية أسسها القائد عقبة بن نافع ، وكانت عاصمة الحكم والادارة للاقليم الافريقي . للمزيد انظر : ياقوت الحموى معجم البلدان ٢/ ٤٢٠-٤٢١ .

(٤) موريس لومباردوا : الجغرافيا التاريخية للعالم الاسلامي خلال القرون الاربعة الاولى ص١٨٧ .

(٥) مدينة اسلامية على الساحل الافريقي أنشأها القائد حسان بن النعمان في عام ٧٠هـ/٩٦٠م للمزيد أنظر : ياقوت الحموى ،م.س ٢/ ٦٠-٦٢ .

(٦) أحمد مختار العبادى ،السيد عبد العزيز سالم : تاريخ البحرية الاسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط ،البحرية الاسلامية في المغرب والأندلس ،الاسكندرية ٢/ ٣٠-٣٢ .

(٧) موريس لومباردو: م.س . ص ١٧٤ .

بل ان هذه الظاهرة أدت الى ظهور المدن المزدوجة [(١)] ، كما حدث لمدينة مرو الكبرى [(٢)] ، التي كانت تتكون من المدينة الأصلية بالاضافة الى الأحياء المجاورة لها [(٣)] ،ومدينة بخارى التي أضحت نتساجا لتجمع عدد من المدن المجتمعة مع بعضها البعض [(٤)] .

وهذا التطور العمراني أسهمت فيه تلك المجمعات التي بناها الفاتحون ،بالاضافة الى النتائج الناجمة عن تعرض هذه المناطق الى الغزوات التي تعرض لها مشرق العالم الاسلامي [(٥)] . مما يبرر القول بأنه قد أصبح هناك تكتل مدني ، يهدف الى ايجاد نوع من المقاومة ضد الغزوات التي تواجهها هذه المدن .

أما في سواحل بلاد الشام ،فلقد جرى شحن مدن الساحل الشامي بالمقاتلة لمواجهة هجمات البيزنطيين المتكررة ،وقد أدى ذلك الى زيادة أعداد السكان في تلك المدن الى درجة عالية [(٦)] .

---

(١) موريس لومبارد و : الجغرافيا التاريخية للعالم الاسلامي خلال القرون الاربعة الأولى ص ١٧٤ .

(٢) عاصمة اقليم خراسان ،ومن اعظم مدن الشرق الاسلامي . للمزيد انظر ياقوت الحموى ، معجم البلدان ٥/١١٢-١١٦ .

(٣) كي ليسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٤٤٠-٤٤٢ .

(٤) كي ليسترنج : م.س. ص ٥٠٤ - ٥٠٥ .

(٥) موريس لومبارد و : م.س . ص ١٧٤ - ١٧٥ .

(٦) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٣٤ - ١٣٥ .

ومن المؤكد أن تكون الظروف العصيبة التي واجهتها تلك المدن، نتيجة تعرضها للعدوان المستمر، قد أدت الى استقطاب اهتمام الادارة الاسلامية نحوها، حيث عمل الحكام المسلمون بدأب واستمرار في بناء التحصينات واحكام الاستحكامات، وشحنها بأعداد اضافية من المقاتلين وأسرهم، اضافة الى بناء المساجد والمرافق الاخرى [(١)] ويمكن القول بأن نفس العوامل قد أدت الى تطوير العواصم [(٢)] ، التي أقيمت على امتداد الحدود الشمالية في مواجهة الثغور التي ينفذ منها العدو البيزنطي في المناطق الجزرية [(٣)].

العوامل الاجتماعية :

على الرغم من أن الجغرافيين لم يتحدثوا عن المدينة كظاهرة اجتماعية من حيث نشأتها وتطورها، الا أن هناك من يعد التكوين الاجتماعي للانسان هو العامل الرئيسي لظهور المدينة [(٤)] ،أو أن العامل الاجتماعي يعد جزءا من عملية معقدة أدت في النهاية الى ظهور المدينة [(٥)].

ونظرا لوجود الفروق الاجتماعية بين الحياة في المدينة والريف [(٦)] ، وهي فروق تعني أن هناك اختلافا واضحا في المحتوى الحضاري فيمابينهما [(٧)] ،

---

(١) البلاذري : فتوح البلدان ص ١٣٤، ١٣٩.

(٢) المقصود بالعواصم هنا مدن الثغر البيزنطي وليس مراكز الحكم والادارة .

(٣) موريس لومبارد و : الجغرافيا التاريخية للعالم الاسلامي خلال القرون الاربعة الاولى ص ١٧٨.

(٤) لاحظ ما يذكر قدامة بن جعفر ،والقزويني في هذا الصدد ص

(٥) فادية عمر الجولاني : علم الاجتماع الحضرى ص ١٣٠.

(٦) فادية عمر الجولاني : م.س. ص ١٦٠.

(٧) عبدالرحمن فهمي : دراسات في الحضارة الاسلامية ص ٤٦.

وهو ما يعده ابن خلدون مظهرا يزداد تعقيدا كلما تقدمت معيشة سكان المدن نحو الترف والرفاه [١] ، فان ذلك يعني أن العلاقة بين الحياة الاجتماعية والمدينة ، علاقة عضوية تؤثر بشكل أو بآخر على ظهور التمدن أو تطوره .

ولقد راعى الفاتحون الأوائل طبيعة حياتهم الاجتماعية في مدنهم التي أسسوها ، فالكوفة والبصرة والفسطاط والقيروان ، تم اختيار مواقعها بالقرب من الصحراء و مراعي الابل .[٢]

كذلك روعي في تخطيط هذه المدن ، أن تتوزع السكنى فيها على أسس اجتماعية [٣] . ففي الكوفة ، جرى اسكان كل قبيلة على حالها بشكل مترابط ، يتبعها حلفاؤها أو مواليها ، وكل ربع له مسالكه و منافذه وحماته ومرابطه . وحدث في البصرة أيضا أن خططت تخطيطا خماسيا ، يقوم على أساس توزيع القبائل بحسب انتماءاتهم العرقية [٤] ، وعلى ذلك جرى الأمر بالنسبة للفسطاط .[٥]

و من أبرز المظاهر الاجتماعية التي أثرت على المدن في العصر الاسلامي ، الهجرات السكانية ، التي شجعتها الدولة الاسلامية [٦] ،

---

(١) ابن خلدون : المقدمة ١/ ٣٦٠ - ٣٦١ .

(٢) ابن خلدون : م.س ، ١/ ٣٥٩ .

(٣) مصطفى عباس الموسوى : العوامل التاريخية لنشأة تطور المدن العربية الاسلامية ص ٢٦٠ .

(٤) ن.م.س .

(٥) عبد الرحمن زكي ، الفسطاط وضاحيتاها العسكر والقطائع ص ١٦٠ .

(٦) عبد العزيز الدورى : المؤسسات الحكومية ضمن كتاب المدينة الاسلامية ص ٥٣ .

وكانت تتم في بعض الأحيان بشكل مدروس ،ففي العصر الأموي جرى توطين بعض السكان في السواحل الشامية ،بعد أن استقدموا من مشرق العالم الاسلامي .(١)

ومن الواضح أن من النتائج المترتبة على نجاح حركة الفتح الاسلامي ، وظهور "ديار الاسلام" ما قد أدى الى ازالة الحدود والعقبات بين أجزاء الدولة الجديدة ،والى تكثيف حركة الانتقال والهجرات فيما بين أجزائه ، حتى أصبح بعض سكان مشرق العالم الاسلامي يعيشون في غربه .(٢)

ولا شك في أن مثل هذه الهجرات السكانية تؤثر بالتأكيد على أوضاع المدن القائمة ،وهو تأثير يظهر على شكل أحياء جديدة ، تلتحق أو تضاف الى الرصيد العمراني للمدينة (٣) . وان كان ينبغي الاشارة هنا بطبيعة الحال الى الهجرات المعاكسة ،اذ أن هجرة سكان المدينة منها سيؤدي الى تدهور أوضاعها العمرانية .(٤)

---

(١) البلاذري : فتوح البلدان ص ١٦٦ .

(٢) كان من ضمن سكان مدينة سلجماسة المغربية سكان من أهل العراق ، استقروا بها لغرض التجارة . انظر : صباح ابراهيم الشحتلي ، النشاطات التجارية العربية عبر الطريق الصحراوي الغربي حتى نهاية القرن الخامس الهجري ، بحث منشور ضمن كتاب تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر . بغداد ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ص ٢٩ .

(٣) مصطفى عباس الموسوي : العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الاسلامية ص ٢٧٨ .

(٤) ابن خلدون : المقدمة ١/ ٣٤٣ .

العوامل الثقافية والفنيـة :

على الرغم من أن الثقافة كمصطلح عبارة عن مفهوم واسع المعنى ، يصعب تقييده في اطار معين باستثناء الاطار الاجتماعي ،وبالتالي علاقة هذا المفهوم بحياة الانسان (١) ، الا أن وجود هذه العلاقة يعني أن الثقافة ترتبط بتجربة الانسان الحضارية ،وبالتالي بمظاهر هذه التجربة ،ومن ثم بعملية تأسيس وقيام المدن. (٢)

فمن الواضح أن عملية تأسيس و نشأة المدن في العالم الاسلامي أصبحت جزءا من ثقافة الحكم فيه ،ولعل من أبرز الأمثلة على ذلك ما حدث بالنسبة للعباسيين ،الذين حرصوا منذ ظهورهم ،الى ايجاد مدينة تكون عاصمة لدولتهم الجديدة (٣) . وكذلك كان الأمر بالنسبة للقاهرة نفسها اذ أن المدينة الكبرى (مصر - القاهرة)تمثل مجموعة من المدن التي بنتها الحكومات الاسلامية في فترات متعاقبة . (٤)

ولو نظرنا الى التعبير الرمزى ،كأسلوب في الحكم عرفته الدولة الاسلامية منذ العصر الأموى (٥) ، لوجدنا أن هذا التعبير كان له تأثير

---

(١) محمد الجوهرى : الانثروبولوجيا (اسس نظرية و تطبيقات علمية) الدمام ص ٦٢ .

(٢) عبدالرحمن فهمي : دراسات في الحضارة الاسلامية ص ٤٨- ٤٩ .

(٣) مصطفى عباس الموسوى : العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الاسلامية ص ١٢٨ .

(٤) موريس لومبارد و : الجغرافية التاريخية للعالم الاسلامي خلال القرون الاربعة الاولى ص ١٧٩- ١٨٠ .

(٥) يعقوب لتز : خطط بغداد في العهود العباسية الأولى ، ترجمة صالح احمد العلي ،بغداد ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م ص ٢٣٧ .

عمراني ،يؤكد ذلك وضوحه في الفكر العمراني عند المسلمين ،اذ أن ابن خلدون يشير الى أن أى دولة جديدة تحب أن تطمس معالم الدولة السابقة لها [(١)] ،الأمر الذى يكون له تأثيره العمراني على مدن العواصم.

ويظهر الجانب الثقافي أيضا في النواحي الفنية ،فالمسلمون عرفوا فن تخطيط المدن ، وكان لهم دور في ازدهاره [(٢)] ،ذلك أن تشييد المدن وبناء مرافقها العسكرية والمدنية ،لم يكن من الأمور المرتجلة عند المسلمين . اذ أنهم اذا أرادوا تخطيط مدينة معينة ، أو عند اضافة مظهر عمراني جديد الى مدينة قائمة ،فانهم يعمدون في بادئ الأمر الى رسم الخرائط التوضيحية واعداد ما يتعلق بمثل هذه المهمة من احتياجات ومواد [(٣)].

ولذلك فلقد تناول فقهاء النظم الاسلامية مسألة تخطيط المدن وكيفية اعدادها [(٤)] ،وكانت عندهم تصورات واضحة عن أهمية انشاء المدن وبنائها [(٥)].

هذا بالاضافة الى أنه قد عرف المسلمون عملية اعادة تخطيط بعض المناطق وتهذيبها ،كتنظيم بعض مناطق السكنى أو المرافق [(٦)].

---

(١) ابن خلدون : المقدمة ١ / ٣٧٥ .

(٢) حسن عبد الوهاب : تخطيط القاهرة وتنظيمها منذ نشأتها ،القاهرة ١٩٥٧م ص ١٠ .

(٣) مصطفى عباس الموسوى : العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الاسلامية ص ٢١٦-٢١٧ .

(٤) الماوردى : محمد بن حبيب البصرى البغدادى الماوردى ٤٥٠هـ/ والاحكام السلطانية والولايات الدينية ص ١٧٩- ١٨٠ . الكتاني : عبد الحى بن عبد الكبير الحسيني ، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الادارية ١ / ٢٨٢ .

(٥) محمد عبد الستار عثمان : المفهوم الاسلامي لتخطيط المدن ،بحث منشور في مجلة المنهل العدد ٤٥٤ ،٤٠٧هـ/١٩٧٨م ص ٢٢٢-٢٢٣ .

(٦) حسن عبد الوهاب : تخطيط القاهرة وتنظيمها منذ نشأتها ص ٦ .

الفصل الأول

العوامل الجغرافية

لكي نتمكن من استيعاب مدى تأثير الجغرافيا على النواحي العمرانية ، ينبغى ألا تقتصر طريقة المتابعة لدينا على دراسة الجغرافيا التاريخية للمنطقة ،بل تتعداها الى مجال أوسع من ذلك .

فلقد تأثرت النواحي العمرانية في القاهرة (١) ،بالأوضاع التضاريسية المكونة للمنطقة التي نشأت عليها هذه المدينة ،شأنها في ذلك شأن أى مدينة أخرى تتأثر بالتكوين الجغرافي للمنطقة التي تنشأ فيها ، اذ يمكن بسهولة تلمس مدى تأثير التضاريس والمناخ على الأوضاع العمرانية بهذه المدينة .

ومن ذلك المجال الذى يهدف الى فهم الأثر العمراني للجغرافيا ،من خلال فهم علاقة الانسان بالبنية الجغرافية للمنطقة ، وطبيعة تلك العلاقة حيث أن هذا الاطار يعد من أبرز مجالات الفكر الجغرافي الحديث (٢) . ويتضح من خلاله مدى تأثير العامل الجغرافي ،على النواحي العمرانية للمدينة .

وليس من المتوقع أن تقدم المصادر التاريخية التي أرخت لنشأة القاهرة الكبرى ،الكثير من المعلومات التي تعين على ادراك التأثيرات المذكورة ، ذلك أنها تقتصر في ما تقدمه على متابعة أحداث التاريخ ، وقد تتعرض للاشارة الى المنشآت ،ومناسبات تشييدها ،وبعض التفصيلات الخاصة بها ، دون أى تعرض لما ذكرنا آنفا من تأثيرات ،بيد أن عدم وجود هذه المعلومات في المصادر ،لا يعني انهاء امكانية الاستفادة منها في تزويد البحث بالمادة الأساسية اللازمة ، اضافة الى مسوؤلية الباحث عن

---

(١) المقصود بالقاهرة في هذا الموقع المدينة الكبرى (مصر - القاهرة) .

(٢) عبد الفتاح محمد وهبة : جغرافية الانسان ص ص ٧ ، ٢١ .

الاستفادة من النصوص للاستنتاج باحدى وسيلتين : أولاهما الاستفادة من الاشارات التي ترد في المصادر ،وتتحدث عن خصائص أو مميزات موضع من المواضع في القاهرة الكبرى ،ومن خلال فهم تلك الاشارات ، ودراسة أسلوب افادة المواطن من الموضع ،مما يعكس طبيعة العلاقة التي كونها المواطن مع المكان ، ويسهم في ادراك الأهمية الجغرافية لذلك المكان.

أما الوسيلة الثانية فهي محاولة استيفاء النصوص التي تعكس مدى تأثير العامل الجغرافي على المدينة ،خلال فترة الدراسة على وجه التحديد .

وفي الصفحات التالية من البحث ،محاولة استقصاء جادة ودقيقة لأبرز الظواهر الجغرافية لمنطقة القاهرة الكبرى ،والتي كان لها تأثيرها في التطور العمراني للمنطقة موضوع الدراسة ،خلال فترة البحث .

(١) طرح نهر النيل :

يسوء ثر النيل بشكل كبير على جوانب الحياة في مصر[١] . اذ تجمعت حوله الحياة ،والنشاط الزراعي ، في هذا الاقليم ،وعلى مر العصور.[٢]

---

(١) حسنين محمد ربيع : النظم المالية في مصر زمن الأيوبيين ، القاهرة ١٩٦٤م ص ٢٣ .

(٢) ابن ظهيرة القرشي : مجهول الشخصية عاش في القرن ٩ هـ / ١٥م الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة ، تحقيق : مصطفى السقا ،كامل المهندس ، القاهرة ١٩٦٩م ص ١١١ .

لذلك فقد تأثرت مظاهر الحياة القائمة على جانبيه ، بالتطورات الطبيعية التي طرأت على مجرى النيل ،وضفافه وواديه ،بشكل عام حيث أن ترسب طرح النيل ، من العوالق الغرينية الغنية ،كانت تعمل باستمرار على تطوير وضع المجرى (١) .

غير أن ما يعنينا في هذه الدراسة هو التعرف على آثار هذه الرواسب ،والطروح الغرينية ،على مجرى النيل . خلال مروره بمنطقة القاهرة الكبرى ، خلال فترة البحث ،وكذلك محاولة التعرف بشكل دقيق ، على ما تحقق نتيجة ذلك ،من ظهور أراض جديدة ملحقة بالضفتين ، أو على شكل جزر أو خلجان ،أو ما نجم عن شدة التيار وتوجهاته من نحات ،أو تآكل ،أو تدمير لبعض شواطئه ،في مقابل اثراء وترصين واضافة لمناطق أخرى (٢) منها ، نتج عن ظاهرة الترسيب للطمي الغريني ، التي يجريها النهر عند جريانه ،أثناء مروره بالمنطقة ، موضوع الدراسة .

وبجانب ذلك فان من المهم متابعة وجهة النهر ،خلال جريانه ومدى التعديلات أو الانحرافات التي أصابت مجراه ، وآثار ذلك على الحياة العمرانية للمدينة (٣) ،ذلك أنه ينتج عن انحراف المجرى ظهور

---

(١) جمال حمدان ، شخصية مصر دراسة في جغرافية المكان ،القاهرة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ١/٢١١ .

(٢) جمال حمدان : م.س ، ١/١٨٥ .

(٣) ن.م.س . ، عبد الفتاح محمد وهبة : الجغرافيا التاريخية بين النظرية والتطبيق ،ص ٢٦٢ .

أراض تكون في بادئ الأمر أشبه بالجزر ، التي تحيط بها المياه قرب الشواطئ ،تنتشر فيها العديد من البرك أو ما يشبه البحيرات في الأراضي المنخفضة منها ، ويتكون ذلك بسبب تراجع مجرى النهر . وغالبا ما تتحول هذه المناطق الى أراض مستوية ،بعد تكرار غمرها بمياه الفيضان ، حيث تعمل الرواسب على تسويتها وتوحيد مستوياتها[١] .

ولقد كان لانحراف مجرى نهر النيل ، دور في اضافة مساحات شاسعة من الاراضي الجديدة للمدينة الكبرى . وهو ما يمكن ملاحظته بشكل دقيق في شواطئ مدينة الفسطاط[٢] ، ففي عشية تأسيس هذه المدينة كان جامعها يشرف على ساحل المدينة[٣] ،في حين أن الخرائط الحديثة تشير الى وجود مسافة كبيرة تفصل بين هذا الجامع والساحل[٤] . الأمر الذى أثر على بنية الفسطاط ،التي كان عليها التكيف مع مثل هذه التغيرات في أهمية الموقع . نظرا لوجود الحاجة الى الارتباط بالشاطئ مما استوجب ضرورة الاستغلال العمراني ، لهذه الأراضي الجديدة المكتسبة بوجه من أوجه النشاط العمراني كالعمائر أو البساتين[٥] .

---

(١) فؤاد فرج : المدن المصرية وتطوراتها مع العصور ، مجموعة فنية تاريخية (القاهرة) ،القاهرة ١٩٤٣م ١٨٨/٣ ، عبد الفتاح محمد وهبة : الجغرافيا التاريخية بين النظرية والتطبيق ، ص ٢٦٥ .

(٢) المقريزى : الخطط ١٣٢/٢ .

(٣) المقريزى : م.س، ٣٤٣/١ ، ١١٣/٢ ، ١٣٢ ، بول كزانوفا : تاريخ ووصف قلعة القاهرة ،ترجمة احمد السيد دراج ،مراجعة جمال محرز ،القاهرة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م ص ٥٥ .

(٤) انظر خريطة الاثار الاسلامية ،خريطة رقم (١٦/ب) .

(٥) المقريزى : م.س . ٣٤٣/١ .

ومن المؤكد أن المساحات المكتسبة من الأراضي الجديدة ، لم تكن على مقدار واحد من جميع أجزاء المدينة الكبرى . اذ يتضح من خلال بعض الخرائط التي وضعت لتحديد وصف انحراف مجرى النيل في المنطقة أن ساحل هذا النهر لم يكن يتخذ شكلا مستقيما في بادىء الأمر ، اذ يبدأ بالاتجاه نحو الشمال الشرقي كلما ابتعد عن الفسطاط واقترب من موقع القاهرة الفاطمية (١) .

وينبغي الاشارة هنا الى أنه من المؤكد أن ظهور هذه الاراضي الجديدة ، وما يتبعها من انحراف لمجرى النهر ، كان يمتد بشكل تدريجي حيث تتكون وتضاف بعض الاراضي الجديدة الى الشاطيء شيئا فشيئا ، ليبتعد النهر عن شاطئه القديم ، ويتخذ شاطئا مستحدثا وهكذا .

فان ابتعاد النهر عن ساحل المقس (٢) كان يحصل نتيجة ظهور مساحات جديدة من الاراضي على شكل جزر في البداية كانت ترتفع مستوياتها بالتدريج نتيجة الطمى الغريني الذى يرسبه النيل

---

(١) انظر خريطة رقم (٥)
نقلا عن فؤاد فرج : المدن المصرية وتطوراتها عبر العصور (القاهرة) ٤/٣٢١ .

(٢) المقس هو محلة بظاهر القاهرة غربي الخليج ، وكان موضعها قبل الاسلام قرية تعرف بارتين ، واختلفت النصوص التاريخية في تحديد أصل تسميته وأسباب هذه التسمية فقيل أنه المقس من المكس أى الموضع الذى تجبى فيه الضرائب ، وقيل أن اسمه جاء من المقسم أى الموضع الذى قسمت فيه غنائم فتح مصر ، انظر المقريزى : الخطط ٢/١٢١ ، ١٢٣ .

سنة بعد أخرى .(١)

وبالتالي فان ما تورده المصادر من تحديدات تاريخية (ذكر الأمر بالسنة) ، عن ظهور هذه الأراضي الجديدة ، كما سيتضح لاحقا ، لا بد وأنه يعني الظهور الكامل ،والواضح لهذه الأراضي ،نتيجة الأرساب التي حملها النهر من ضمن تلك السنة .

وعلى أية حال فان الذى يعنينا من هذه الدراسة ،هو تأثير ظهور هذه الأراضي وما يتبعها من انحراف لمجرى النيل ، على النواحى العمرانية للمدينة ، في عهد صلاح الدين الأيوبي .

اذ أن هذه الظاهرة برز تأثيرها في تلك الفترة ، في ناحيتين أساسيتين . الأولى تتمثل في ظهور الأراضي الجديدة ،نتيجة الطرح النهرى ،ففي أثناء القرن السادس (٦هـ/ ١٢م) ، شهدت شواطيء المدينة تحولات كبيرة ،حيث أخذت هذه الشواطيء بالاتساع ناحية الغرب والتحقت بالمدينة مساحات شاسعة من الأراضي ، سواء ناحية ساحل الفسطاط او القاهرة من المنطقة الواقعة غربي الخليج ،فبعد سنة خمسمائة (٥٠٠هـ/ ١١٠٦م) شهد ساحل الفسطاط ظهور أراض جديدة تمثلت في البداية على شكل جزر ،كما يشير الى ذلك المقريزى أثناء حديثه عن حمام أبي الحوافر(٢) ،حيث كان موضع هذا الحمام جزيرة ،

---

(١) المقريزى : م.س . ص ١٣١ ، مؤلف مجهول : تاريخ مصر القاهرة ، مخطوط محفوظ في مكتبة أيا صوفيا في اسطنبول تحت رقم ٣٠٨٣ ورقة ١٥٧ .

(٢) هذه الحمام في مدينة الفسطاط عرفت بالقاضي فتح الدين ابن العباس أحمد بن الشيخ جمال الدين ابي عمر رئيس الأطباء المصرية ،مؤلف مجهول : تاريخ المصر القاهرة ورقة ١١٢ .

ظهرت بعد سنة خمسمائة (٥٠٠هـ/١١٠٦م) نتيجة الطرح النهرى.[١]
كذلك ظهرت أراض جديدة بازاء هذا الشاطيء ، في حدود سنة (٥٧٠هـ/١١٧٤م)[٢] ، وأخرى في عام (٥٧٧هـ/١١٨١م)[٣]. بالاضافة الى أراض جديدة ظهرت قبيل نهاية هذا القرن ،أى ما قبل سنة ستمائة (٦٠٠هـ/١٢٠٣م)[٤].

كذلك كان الحال في المنطقة الواقعة غربي الخليج ، الذى شهد ظهور أرض جديدة (.. بعد الخمسمائة من سني الهجرة ..)[٥]. يذكر أحد الباحثين المحدثين بأنها كانت في سنة (٥٣٠هـ/١١٢٦م)[٦] كذلك تشير النصوص التاريخية الى ظهور أراض جديدة في هذه المنطقة فيما يلي عام (٥٧٠هـ/١١٧٤م)[٧] لعلها تلك التي ترتبت عن طرح سنة (٥٧٧هـ/١١٨١م)[٨] حيث ابتعد ساحل النهر عن

---

(١) المقريزى : الخطط ٨٥/٣.

(٢) المقريزى : م.س ، ١٠٩/٢.

(٣) المقريزى : احمد بن على : السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ،القاهرة ، ط. الثانية ١٩٥٧م جـ١ ق ١ ص ٧١ .

(٤) المقريزى : الخطط ٣٤٤/١ ، عبد العال الشامي : مدن مصر وقراها عند ياقوت الحموى ،الكويت . الاولى (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ص ٥٣ .

(٥) المقريزى : م.س . ، ٣٤٥/١.

(٦) عبدالرحمن زكى ،امتداد القاهرة من عصر الفاطميين الى عصر المماليك، بحث نشر ضمن ابحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة والمنشور في كتاب يحمل عنوان الندوة ،القاهرة ١٩٧١م ، ٦٤٠/٢.

(٧) المقريزى : م.س. ، ١٣٠/٢-١٣١ ،مؤلف مجهول : تاريخ المصر القاهرة ورقة ١٥٧ .

(٨) المقريزى : السلوك ،جـ١ ق ١ ،ص ٧١ .

منطقة المقس ، وصارت هناك رمال وجزائر ما من سنة الا وهي تكثر حتى بقي ماء النيل لا يمر بهما الا أيام الزيادة فقط ...).[(١)] ولقد كانت هذه الاراضي الناتجة عن الطرح النهرى ، تشمل مساحات كبيرة ،أضيفت الى أراضي المدينة ، اذ تشمر الماء عن ساحل الفسطاط ،وأضحت الترعة الفاصلة فيما بين هذا الشاطئ وجزيرة الروضة جافة في وقت انحسار فيضان النهر[(٢)] . مما يدل على أن ساحل الفسطاط أصبح قريبا جدا من جزيرة الروضة . لذلك فمن المؤكد أن المنطقة التي يقع عليها خط الساحل الجديد[(٣)] ،قد بدأت بالظهور في تلك الفترة . اذ يلاحظ أن حمام أبي الحوافر[(٤)] ، التي كانت تقع على جزيرة ظهرت في أوائل القرن السادس (٦ هـ / ١٢م) . كانت تجاور الجامع الجديد الناصرى[(٥)] ، الذى كان يقع في خط الساحل الجديد.[(٦)]

---

(١) المقريزى : الخطط ، ١٣١/٢ ،مؤلف مجهول : تاريخ المصر القاهرة ورقة ١٥٧ .

(٢) المقريزى : م.س. ، ٣٤٤/١ .

(٣) ابي دقماق : الانتصار لواسطة عقد الأمصار ق ٢ ص ٤٠ ومن موقع الساحل الجديد انظر خريطة رقم (١٢) نقلا عن :

Casanova - Poul
De reconstútion, Topographique Deof Ville D'Al-Foustat au Misr, Mifao , Tome Trentecinquieme, Le Caire 1919, Plan 1.

(٤) عن هذه الحمام انظر ص ٨٥ هامش(٢)

(٥) المقريزى : م.س ، ٨٥/٢ هذا الجامع أمر ببنائه الملك الناصر محمد قلاوون (٦٩٣-٧٤١هـ/١٢٩٣-١٣٤١م)وكان الشروع في بنائه في سنة ٧١١هـ . وكان موضعه رمله تتمرغ فيها الدواب . ابن دقماق : م.س. ،ق ١ ، ص ص ٧٦ ، ٧٧ .

(٦) ابن دقماق : م.س. ،ق ٢ ص ٤٠ - ٤١ .

الا أنه ينبغي الاشارة هنا الى أن هذه المنطقة ،قد تعرضت أراضيها الى بعض التعديلات ، بعد عصر صلاح الدين الأيوبي ، فكما سبق أن ذكرنا بأن هذا الطرح النهرى ،أدى الى ربط ساحل الفسطاط بجزيرة الروضة . واختفى الحاجز المائي فيما بينهما ، في فترة احتراق النيل ، وانخفاض مستوى الفيضان . فالجزر والرمال التي ظهرت في هذه المنطقة (.. خيف منها على المقياس أنه يتقلص الماء عنه ،ويحتاج الى عمل غيره ..) .(١) ونظرا لأهمية دور المقياس في تحديد مستويات فيضان النيل ،وما يترتب على ذلك من نتائج اقتصادية(٢) . فلقد قام بعض سلاطين مصر ، بمحاولة السيطرة على الأخطار الناجمة عن هذا الطرح ،لذلك فلقد قام الملك الكامل الأيوبي(٣) ببذل جهود كبيرة لمقاومة هذه النتيجة ،فعمد الى حفر وتعميق مجرى جديد منتظم ، بين الفسطاط والجزيرة . أجرى فيه مياه النيل حتى في فترة انخفاض المد(٤) ،الأمر الذى سيحافظ من خلاله على فعالية المقياس ، وجدواه والغاء الحاجة الى انشاء مقياس جديد .

---

(١) المقريزى : السلوك ،جا ،ق ١ ، ص ٧١ .

(٢) في هذا الصدد أنظر ص ٢٣٤- ٢٣٥ .

(٣) هو الملك الفاضل محمد بن محمد بن العادل بن أيوب ،أحد أبرز سلاطين الدولة الأيوبية (٦١٥ - ٦٣٥ هـ / ١٢١٨- ١٢٣٨م) . ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٥/٧٩ ، ابن دقماق : الجوهر الثمين في تاريخ الخلفاء والملوك والسلاطين ص ٢٣٥ .

(٤) المقريزى : م٠س ، جا ، ق١ ،ص ٢٤١ ، عبد العال الشامي مدن مصر وقرها عند ياقوت الحموى ، ص ٥٣ .

وقد تكرر نفس الاجراء في زمن الملك الصالح نجم الدين أيوب (١)، الذى بنى قلعة له في جزيرة الروضة (٢) ورغب في أن يجعل الماء يفصل بشكل دائم، فيما بين الجزيرة وساحل الفسطاط، لذا فقد عمد الى ازاحة الأراضي الجديدة الناجمة عن الطرح، من طريق حفر قناة جديدة في الشاطئ، وضغط المياه بوضع حواجز من السفن والحجارة فيما بين الساحل الغربي للجزيرة وساحل الجيزة (٣). كذلك أعيدت المحاولة مرة أخرى في عهد السلطان المملوكي الظاهر بيبرس (٤)، حيث عمد الى حفر القناة مجددا ليضمن مرور المياه فيها، وليفصل فيما بين الجزيرة، وشاطئ مدينة الفسطاط (٥).

---

(١) هو أيوب بن محمد بن محمد بن أيوب الملك الصالح نجم الدين آخر سلاطين الأيوبيين الأقوياء في مصر (٦٣٧-٦٤٧هـ/ ١٢٤٠-١٢٤٩م) عنه. انظر ابن تغرى بردى: أبا المحاسن جمال الدين يوسف ت ٨٧٣هـ/ ١٤٦٩م. الدليل الشافي على المنهل الصافي، تحقيق فهيم محمد شلتوت، القاهرة ١/١٧٨. ابن دقماق الجوهر الثمين ص ٢٤٢.

(٢) ابن دقماق: الانتصار ق ١ ص ٧٧.

(٣) ن.م.س، المقريزى: الخطط ١/٣٤٥، السلوك جا، ق١، ص ٣٤١.

(٤) هو ركن الدين بيبرس البندقدارى، سلطان الديار المصرية أصله من مماليك الامير علاء الدين أيدكن البندقدارى، ثم انتقل الى ملك الملك الصالح نجم الدين أيوب، كان من أقوى الملوك وأعظمهم وهو أحد من قام بنصرة الاسلام وفتح الفتوحات الهائلة. عنه انظر: الكتبي محمد بن شاكر ت: ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م، فوات الوفيات والذيل عليه، تحقيق احسان عباس، بيروت ١٩٧٤م، ١/٢٣٥، ابن العماد: شذرات الذهب ٢/٣٤٩.

(٥) المقريزى: السلوك جا، ق ٢، ص ٥٤٤.

ولقد نجم عن هذه المشاريع المتكررة لاعادة فتح مجرى النيل ، في المنطقة آثار ايجابية على وضع شاطيء الفسطاط ، حيث جرت الاستفادة من الرواسب والأتربة والرمال المستخرجة من المجرى الذى تم حفره لتسوية ورفع مستويات بعض المساحات من الاراضي المنخفضة التي كان الفيضان يغمرها في الماضي مما أدى الى تهذيب أراضي الشاطيء واسهم بطبيعة الحال في زيادة فرصة استغلالها عمرانيا .(١)

كذلك نتج عن هذا الطرح اضافات جديدة للاراضي الواقعة غربي الخليج . كنوع من الاستمرار لعملية الطرح المتوالية التي كانت موجودة قبل هذه الفترة والتي ترتب عنها تباعد الشاطيء في هذه المنطقة عن موقع القاهرة الفاطمية وذلك بعدما كان قريبا منها ، كما يشير الى ذلك المقريزى ،أثناء حديثه عن ظواهر القاهرة المعزية ، حيث يذكر بأن هذه المنطقة لم يكن لها عرض كبير ، كما هو الحال في عصره . وانما كانت المساحة فيما بين الشاطيء والساحل ضيقة ، وبأن النيل كان يمر على الموضع الذى يعرف باللوق الى المقس .(٢)

ومن الواضح أنه يقصد بذلك التنبيه الى طبيعة وضع الساحل ، عند تأسيس القاهرة الفاطمية ٣٥٨هـ/ ٩٦٨ م وبأن أراضي محلة باب اللوق ،كانت جزءا من مجرى النهر . وأنها قد بدأت بالظهور نتيجة الطرح النهرى خلال العصر الفاطمي (٣) حيث يترك الطرح أراضي

---

(١) ابن دقماق : الانتصار ،ق١ ص ٧٧ ،المقريزى : الخطط ٣٠٤/٢ ،موءلف مجهول : تاريخ المصر القاهرة ورقة ٣٦٩ .

(٢) المقريزى : الخطط ١٠٨/٢-١٠٩ .

(٣) حسن الباشا وآخرون ،القاهرة ص ٧٠ .

لينة كانت تلاق لوقا عند زراعتها نعرفت بأراضي اللوق.(١)

وكما سبق أن ذكرنا ،فان هذه المنطقة شهدت منذ أوائل القرن السادس (٦هـ / ١٢م) اضافة أراض جديدة ،فظهرت في أوائله القطعة الواقعة فيما بين ميدان اللوق(٢) وبستان الخشاب(٣) ،وهي التي عرفت بمنشأة الفاضل.(٤)

---

(١) المقريزى : الخطط ،، ٢/ ١١٧ ، موءلف مجهول : تاريخ المصر القاهرة ورقة ١٤٠ ، ولقد استمرت عملية الطرح واتساع الاراضي في هذه المنطقة حتى العصرالعثماني ، حسن الباشا وآخرون : القاهرة ، ص ٧٠ ، لتشمل أراض واسعة من القاهرة الحالية والتي تضم شارع قنطرة الركبة ، وأول شارع رمسيس ،ومستشفى قصر العيني ،وشارع بستان الفاضل ، وشارع بورسعيد ،وشارع نوربار حتى شارع الشيخ ريحان الى الشاطيء الشرقي لنهر النيل حاليا ، عبد الرحمن زكي : موسوعة مدينة القاهرة في ألف عام ، القاهرة ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م ص ١٠.

(٢) هذا الميدان ينسب الى الملك الصالح نجم الدين أيوب وكان بستانا فحوله وجعله ميدانا بعد ان اشتراه . وكان هذا الميدان يقع في المنطقة الممتدة فيما بين جامع الطباخ ،وقنطرة قدادار على باشا مبارك : الخطط الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة . القاهرة ط . الثانية ١٩٧٠م ٣/ ٢٢٣-٢٢٤.

(٣) محل بستان الخشاب هو معظم الاراضي الواقعة في مواجهة القصر العالي والقصر العيني ،من الناحية الشرقية . على باشا مبارك م.س ، ٣/ ٢٣١ .

(٤) المقريزى : الخطط ، ١/ ٣٤٥ . وعن منشأة القاضي الفاضل انظر ص ٣٣٨ .

كذلك فان الطرح الذى ظهر في سنة (٥٧٧هـ/١١٨١م) ، ترتب عليه ابتعاد الماء عن ساحل المقس ، حيث كان ينتهي السور [١] ،الذى أمر صلاح الدين ببنائه سنة (٥٧٢هـ / ١١٧٦م) [٢] الأمر الذى أزعج الادارة الأيوبية ، خشية أن يؤثر ذلك على وظيفته الدفاعية ،فاستلزم الأمر التفكير جديا ، في حلول عملية ، وفورية ، لمواجهة هذه المشكلة ، واستشير أهل الخبرة في ذلك ، فاقترحوا اقامة جراريف لقطع جـــزر الرمل التي ظهرت أمام الساحل ، في هذه الناحية ، كما اقترحوا انشـــاء دعامات ومصدات " أترف " ،على الشاطيء المقابل لها غربي النيل . لغرض طرد تيار النهر باتجاه الشاطيء الشرقي [٣] ضمانا لتأمين ارتباط السور بالمياه ، مما يعيد له كفاءته الدفاعية ،ويحقق الهدف الذى جرى انشاؤه من أجله .

الا أن هذه الاقتراحات قد أهملت [٤] ، ولعل ذلك يعكس ادراك المسؤولين عدم جدوى الوقوف أمام تلك الظاهرة الطبيعية المتكررة . كذلك لا بد وأنهم أدركوا مدى ضخامة الأموال والجهود المطلوبة لتحقيق مثل تلك الافكار وتحويلها الى واقع علمي ،وخصوصا أن المصادر قد أشارت الى محاولة مشابهة جرت في أواخر العصر الفاطمي ، فلقد ظهرت خلال وزارة

---

(١) المقريزى : الخطط ٢/١٢٤ .
(٢) ص : ٤٨٤ .
(٣) المقريزى : م.س ، ٢/١٢٤ ،مؤلف مجهول : تاريخ المصر والقاهرة ،ورقة ١٤٩ .
(٤) ن.م.س.

الأفضل بن أمير الجيوش (١) ،أراضي جديدة أمام دار الملك (٢) على ساحل الفسطاط . ففكر هذا الوزير بازالتها بالجراريف وباقامة المصدات "الأتوف" على جزيرة الروضة غير أنه عدل عن ذلك بعد أن أدرك الكلفة الاجمالية الباهظة التي كان عليه أن يوفرها ، من أجل انجاز هذا العمل (٣) .

مما يعني بدوره بأن أراضي الطرح هنا أصبحت واقعا علميا ، في تلك الفترة وأن اضافات جديدة من الأراضي قد ظهرت أمام ساحل المقس . وان كانت المصادر لا تقدم معلومات وافية ،يمكن من خلالها تحديد مدى هذه الاضافات . بيد أنه من المؤكد أنها كانت كبيرة لدرجة أنها أدت الى نشوء مخاوف من مدى تأثيرها على وظيفة السور الدفاعية ، حينئذ .

وعلى أية حال ، فانه من الواضح أن ساحل المدينة الكبرى قد شهد في تلك الفترة تبدلات واسعة ،تمثلت في اضافة مساحة شاسعة الى أراضي المدينة (٤) . وهذه هي الناحية الاولى من تأثير انحراف مجرى النيل كما سبق أن ذكرنا .

---

(١) هو أبو القاسم الأفضل امير الجيوش شاه شاه بن امير الجيوش بدر الجمالي ٤٨٧ - ٥١٥هـ/ ١٠٩٤-١١٢١ م ولي الوزارة بعد أبيه وكان المتحكم في أمور الدولة في عهد الخليفة المستعلى العبيدى والآمر بأحكام الله الذى قيل بأنه هو الذى قتله بسبب أنه سمح للناس في اظهار عقائدهم فكرههأهل الباطنية والشيعة . ابن العماد : شذرات الذهب ،٥/ ٤٧٠.

(٢) عن دار الملك انظر : ص ٣٥٠ هامش (٣) .

(٣) المقريزى : الخطط ٢/ ١٢٤ ،مؤلف مجهول : تاريخ المصر القاهرة ورقة ١٤٩ .

(٤) انظر خريطة رقم (١٩) نقلا عن خريطة سوزان جان ،المنشورة في : Sauza Jane Staffa : Conquest and Fusion The Social Elvolution of Cairo, A.D. 642-1890 Leiden , 1977.

أما الناحية الثانية من تأثير انحراف مجرى نهر النيل ،على مدينة القاهرة ،فهي متعلقة بالفيضان النهري (١) الذي ظهرت عليه في عهد صلاح الدين الأيوبي، تطورات أثرت على وضعية الأراضي في المدينة الكبرى . ففي عهد صلاح الدين ،تراجع تأثير الفيضان عن مساحات كبيرة من الأراضي في هذه المنطقة ،ولم يعد المد يشملها كما كان عليه الحال في العصر الفاطمي . اذ أصبح المد لا يصل الا الى ساحل المقس ، وذلك في حالة زيادته القوية (٢) مثلما حدث في سنة (٥٨٧هـ/١١٩١م) عندما بلغ فيها فيضان النيل مستويات عالية الأمر الذي أثر على جامع المقس (٣) ، اذ (.. انشقت زريبة من هذا الجامع في شهر رمضان لكثرة زيادة ماء النيل وخيف على الجامع السقوط ..) (٤) . في حين أن فيضان هذا النهر كان اذا بلغ زيادة عالية في العصر الفاطمي ، فانه يشمل أراضي المنطقة كلها ، ولا ينجو من تأثير الفيضان سوى الأماكن المرتفعة . كما يشير الى ذلك ناصر خسرو (٥) ، وهذه الظاهرة ظلت

---

(١) يبدأ النيل بالزيادة ويرتفع مستوى الماء فيه في أشهر الصيف ، فتندفع المياه لتشمل كافة الأراضي الزراعية ،وعلى هذا الفيضان كانت تقوم الحياة الزراعية ،والاقتصادية في هذه البلاد انظر ص : ٢٣٥ .

(٢) عن زيادة النيل ومستوياته انظر ص : ٢٣٧- ٢٤٤ .

(٣) هذا الجامع أنشأه الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله ،المقريزي : الخطط ٢/٢٨٣ . وهو يعرف الان بجامع أولاد عثمان ، علي باشا مبارك : الخطط التوفيقية ٣/٣٦٨ .

(٤) المقريزي : ن.م.س ، مؤلف مجهول : تاريخ المصر القاهرة ورقة ٣٤٣ .

(٥) ناصر خسرو : سفرنامه ، ص ص ٩٣ ، ١٠١ .

مستمرة حتى أواخر العصر الفاطمي ، وان كان تأثيرها بدرجة أقل على ما يبدو اذ أن الفيضان عندما يبلغ زيادة عالية في تلك الفترة ، فانه يغطي الأماكن الواقعة الى الجنوب الغربي من القاهرة الفاطمية ، فيما بينها وبين الفسطاط ، ففي سنة (٥٤٣هـ/ ١١٤٨م) كان المد عاليا لدرجة أنه قطع الطريق الواصل فيما بين القاهرة والفسطاط . الأمر الذى ترتب عنه أن اضطر الناس الى سلوك طريق المقابر (١) الواقعة على يسار الخارج من باب زويله . (٢)

ان هذا التحول في تأثير الفيضان كان سببه عاملين أساسيين : أولهما هو ما سبق الاشارة اليه ، من أن الفيضان النهرى كان يترتب عنه أرساب وطمى يؤدى الى الارتفاع التدريجي للأراضي عن مستوى النهر (٣) بيد أن هذا العامل يعد تأثيره بطيئا جدا ، ولا يظهر الا بعد فترات متباعدة ، تصل الى مئات السنين ، كما يشير الى ذلك التغير في تحديد مستويات فيضان نهر النيل (٤) . وان كان بالامكان القول بأن تأثير ارتفاع مستوى الأراضي ، ظاهره ملموسة في عهد صلاح الدين الأيوبي ، حيث تغير تأثير مستوى الفيضان ، عما كان عليه الحال في العصر الفاطمي . (٥)

---

(١) المقريزى : تقي الدين احمد بن علي ، اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء . تحقيق محمود حلمي محمد ، القاهرة ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م ٣/١٨٦-١٨٧ .

(٢) انظر عن موقع هذه المقابر ص ٤٦٠ .

(٣) انظر ص : ٨٤ - ٨٥ .

(٤) انظر ص : ٢٣٩ - ٢٤٠ .

(٥) انظر ص ص ٢٣٩ ، ٢٤٢ .

أما العامل الثاني ،فهو الأشد تأثيرا وذلك بسبب أن الفيضان أصبح تأثيره بعيدا عن المنطقة بأسرها ، اذ يلاحظ أنه في عصر صلاح الدين ظهر أمام ساحل المدينة ،من جهة المقس جزيرة عرفت بجزيرة الفيل (١) ، وهي جزيرة لم تتكون نتيجة الطرح النهري ،وانما كان سبب ظهورها ،هو غرق مركب كبير في هذه المنطقة في أواخر العصر الفاطمي كانت تعرف بالفيل ، فتجمعت أرساب النهر عليه حتى ظهرت هذه الجزيرة (٢) فيما بعد سنة (٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م) (٣) .

فأدى ذلك الى أن يصبح مدى الفيضان النهرى ،وتأثيره ،وقوته ، في ناحية الساحل الغربي للنهر (٤) . بل ان ظهور هذه الجزيرة هو الذى أدى ايضا الى ابتعاد ساحل النهر عن المقس . اذ يذكر المقريزى أن ساحل النهر (.. كان بالمقس وأن الماء انحسر بعد سنة سبعين وخمسمائة عن جزيرة عرفت بجزيرة الفيل وتقلص الماء عن سور القاهرة ...) (٥)

كذلك يبدو أن الأمر ظهر على نفس الوتيرة في ساحل الفسطاط فأصبحت قوة الفيضان تمر من خلال الفرع الواقع فيما بين ساحل جزيرة الروضة الغربي والجيزة . وذلك نتيجة اقتراب ساحل الفسطاط في تلك الفترة من جزيرة الروضة ،حتى أصبح الماء لا يمر في الفرع الواقع فيما

---

(١) موضع الجزيرة اليوم هي المنطقة التي يخترقها شارع شبرا من الجنوب الى الشمال . عبد الرحمن زكي : موسوعة مدينة القاهرة ص ٦٦ .

(٢) موءلف مجهول : تاريخ المصر القاهرة ورقة ٢١٦ .

(٣) المقريزى : الخطط ٢/ ١٣٠-١٣١ ، موءلف مجهول : تاريخ المصر القاهرة ورقة ١٥٧ .

(٤) المقريزى : السلوك ،جـ ١ ،ق ١ ، ص ٧١ .

(٥) المقريزى : الخطط ،٢/ ١٣٠- ١٣١ .

بينهما ، الا في وقت الزيادة فقط [١] ، وأن التعديلات التي أجريت بعد صلاح الدين الأيوبي للمحافظة على استمرارية التدفق الدائم للمياه فيه [٢] لم تؤد الا الى ظهور ترعة صغيرة تفصل فيما بين المنطقتين كما هو عليه الحال في الوقت الحاضر [٣] ، فأصبح الفرع الواقع غربي الجزيرة هو اكبر الفروع بعدما كان الفرعان متساويين في أوائل العصر الفاطمي ، حيث كانت جزيرة الروضة تقع في وسط النهر [٤] .
وبالتالي فان ذلك أدى الى حفظ الأراضي الناتجة عن الطرح ، وبشكل دائم من تأثير الفيضان النهري ، خاصة وقت الزيادة القوية . ولا شك بأن ذلك الوضع يفسر الى حد بعيد ، عدم تقدم المباني في العصر الفاطمي تجاه الساحل ، ففي جهة القاهرة الفاطمية ، كانت منشآت النزهة تبلغ أقصى حد لها منطقة بر ابن التبان الواقعة على الشاطيء الغربي للخليج [٥] ، ولم تتجاوزها باتجاه الساحل لتشمل أراضي اللوق ، التي كانت تستخدم للزراعة في ذلك الوقت [٦] . وكذلك كان الحال في الفسطاط اذ أن المباني لم تكن تتقدم نحو الساحل ، في الأراضي التي يمكن أن يتركها الطرح النهري ، خلال العصر الفاطمي . يدل على ذلك سور المدينة الذى بنى لها في سنة (٥٦٤ هـ / ١١٦٨م) فهذا السور كان ينتهي في الناحية الغربية ، الى موقع دار النحاس تقريبا [٧] .

---

(١) انظر ص : ٨٨ .
(٢) انظر ص : ٨٨ - ٨٩ .
(٣) انظر خريطة الاثار الاسلامية ، خريطة رقم (١٦/ب) .
(٤) ناصر خسرو ، سفر نامه ، ص ١٠٤ .
(٥) عن بر ابن التبان وموقعه انظر ص ٣٢٩ وخريطة رقم (٨) .
(٦) ص : ٤٥٣ .
(٧) عن هذا السور وموقع دار النحاس انظر ص ٣٠٤-٣٠٦ وخريطة رقم (١٣) .

وهذه الدار يعود تاريخ بنائها الى العصر الأموى [١] ، مما يدل على أن المباني لم تتقدم باتجاه الساحل ، منذ عقود طويلة من الزمن ، من المؤكد أن السبب في ذلك ، يعود الى أن الأراضي التي يكونها الطرح النهرى ، لم تكن مهيأة طوال تلك الفترة ، للاستغلال العمراني المناسب لأن فيضان النيل كان يشملها في ذلك الوقت كما سبق أن ذكرنا .
وهذا فيما يتعلق بظاهرة انحراف مجرى النيل في عصر صلاح الدين الأيوبي ، أما عن أثر هذا الانحراف على التطور العمراني للقاهرة ، فان من أبرز المكتسبات التطويرية في هذا الشأن هو زيادة الفرصة المتاحة لاستغلال أراض جديدة استغلالا عمرانيا . ففي الفسطاط تقدمت المباني بشكل كبير باتجاه الساحل . فاستغلت الأراضي المتكونة من الطرح النهرى في بناء العديد من المنشآت والدور [٢] ، حيث أخذ النشاط العمراني في هذه المدينة بالتحول ناحية الساحل [٣] ، ليبلغ ذروته في عهد السلطان المملوكي الظاهر بيبرس ، اذ قام سكان الفسطاط في تلك الفترة بالانتقال من شرقيها الى ساحل المدينة الكبرى . فعمروا فيه العديد من الدور والمباني [٤] ، كذلك بدىء في استغلال أراضي الطرح الواقعة غربي الخليج ، الذى بني عليها العديد من منشآت النزهة والبساتين علاوة على الدور السكنية [٥] .

ولم يكن تأثير انحراف مجرى النيل قاصرا على هذه الناحية فحسب ، بل تعداها الى التأثير على قيم المكان في بعض أجزاء المدينة الكبرى .

---

(١) ابن دقماق : الانتصار ، ق ١ ص ٦٠ .
(٢) ص : ٣٨٧ .
(٣) ص : ٣١٢-٣١٣ .
(٤) القلقشندى ، صبح الاعشى ، ٣/٣٣٤ .
(٥) ص ص ٣٨٨ ، ٤١٥ - ٤٥٣ .

اذ أن منطقة القاهرة الفاطمية ، تأثرت قيمه الموقع بها نتيجة الطرح النهرى ، فظهور أراض جديدة ،في غربي هذه المدينة أثر على الوظيفة الدفاعية التي كانت تقوم بها ، اذ كان الفاطميون يعتمدون في طريقتهم الدفاعية عن المدينة الكبرى على أساس جعل القاهرة - وهي الجزء المحض من المدينة الكبرى في ذلك الوقت - هي التي تقوم بتحمل عبء الدفاع عن هذه المدينة .(١)

وهو ما أشار اليه المقدسي ،حيث ذكر بأن الوصول الى الفسطاط لم يكن يتم الا بعد المرور على القاهرة ،نظرا لكون القاهرة ممتدة فيما بين الماء والجبل (٢) ،فهي تحجز الفسطاط من الجهة الشمالية . وهي الجهة التي يسهل منها الدخول الى هذه المنطقة ،لأن أراضيها كانت أراض سهلية (٣) ،في حين كانت تلال المقطم تحد المدينة من جهة الشرق ومعظم الأجزاء الجنوبية (٤) . فهي تكون خطا دفاعيا متازا ،علاوة على وجود النهر في غرب المدينة ، مما يوفر مناعة طبيعية من هذه الجهات ، وعند ذلك فانه لا تحتاج الفسطاط الا توفير الحماية بازاء الطرف الشمالي منها .

ونظرا لأن القاهرة الفاطمية لم تكن تقع على نهر النيل مباشرة (٥)

---

(١) Susan , Conquest and Fasion , p. 94

(٢) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٢٠٠ .

(٣) ص : ٥٨ .

(٤) ص : ١٠١ .

(٥) حسن الباشا وآخرون : القاهرة ص ٥٤ ،

فمن الواضح أن اشارة المقدسي سابقة الذكر ، لا بد وأنها تعني أن موضع القاهرة كان يؤهلها للسيطرة على المساحة الواقعة فيما بينها وبين النيل ،ذلك أن بر الخليج الغربي لم يكن عرضه كبيرا حينئذ (١) فاعتبر المقدسي المدينة واقعة بين النهر والجبل .

الا أنه مع مرور الزمن ،فان الطرح النهرى أدى الى تباعد الشاطيء عن المدينة ،الأمر الذى سيجعلها منطقة استقرار صالحه لأى قوة عسكرية ،تستهدف الدخول الى مصر . وهو ما جربه صلاح الدين بنفسه ،حيث أن القوات الزنكية لما دخلت مصر في سنة (٥٦٤هـ/١١٦٨م) استقرت في هذه المنطقة اذ كان نزولهم في أرض اللوق . (٢)

لذلك فقد اقتضت الضرورة الى اجراء نوع من التكيف ازاء هذه التطورات ،فجرى مد سور المدينة حتى الشاطيء (٣) وذلك ضمن المشروع التحصيني الذى أمر صلاح الدين ببنائه سنة (٥٧٢ هـ/١١٧٦م) لحماية المدينة الكبرى من الغزوات المعادية . (٤)

وبشكل عام ،فبالامكان القول بان انحراف مجرى نهر النيل أدى الى أن تجذب المدينة باتجاه الغرب ، ضمانا لمصالحها مع النهر ، سواء الأمنية ،أو الاقتصادية ،التي لا بد وأن النهر كان له دور أساسي في ايجادها .

---

(١) ص : ٩٠ .
(٢) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ج ١ ق ٢ ص ٣٣٤ .
(٣) ص : ٣٣٠ . وخريطة رقم (٢) .
(٤) عن هذا المشروع انظر ص ٤٨٤ - ٤٩٣ .

ب : تلال المقطم :

ومن العوامل الجغرافية ، التي أثرت على التطور العمراني لمدينة القاهرة ، في عهد صلاح الدين الأيوبي ، تلك التكوينات الصخرية ، التي كانت جزءا من المكونات التضاريسية ، لأراضي المدينة الكبرى .

اذ يكتنف القاهرة من جهتها الشرقية ، كتلة صخرية ضخمة ، هي جزء من سلسلة الجبال الشرقية في الاقليم المصرى ، والتي تسير بمحاذاة نهر النيل ، لتترك بينها وبين النهر شريطا سهليا ضيقا ، يبدأ بالانفراج والاتساع عند القاهرة ، حيث ينتهي امتداد هذه السلسلة في المقطم ، عند المدينة ، وحيث تأخذ السلسلة الجبلية بالابتعاد عن طرف الوادى متجهة نحو الشرق .(١)

ولقد اصطلح على تسمية الكتلة الصخرية ، التي تقع شرقي المدينة الكبرى (مصر - القاهرة) باسم جبل المقطم .(٢)

وتختلف الروايات التاريخية ، حول أصل تسمية المقطم ، ذلك أن رواة السير ينسبون الاسم الى بعض القدماء ، حيث ينسبه البعض الى شخص يدعى المقطم بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام .(٣)

---

(١) ابن مماتي : أسعد بن المهذب بن أبي مليح ت ٦٠٦هـ/١٢٠٩م ، قوانين الدواوين ، تحقيق عزيز سوريال عطية ، القاهرة ١٩٤٣م ص ٧٠ - ٧١ . ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ١٣١/٥ .

(٢) ابن مماتي : م.س . ص ٧١ ، ياقوت الحموى : م.س ١٧٦/٥ ، المقريزى : الخطط ١٢٣/١ .

(٣) ابن مماتي : م.س . ص ٨١ ، ياقوت الحموى : ن.م.س ، المقريزى : م.س ١٢٤/١ . بول كزانوفا : تاريخ ووصف قلعة القاهرة ص ٦١ .

أما ياقوت ، فانه يناقش ما اذا كان الاسم عربيا ،وهو يقدم ثلاثة فروض لغوية : الأول أن أصل التسمية جاءت من القطم ، وهوتناول الحشيش بأدنى الفم ،وعليه فربما جاءت التسمية من حيث أن هذا الجبل لا نبات فيه .

أما الثاني ،فمنبعه من قولهم : (... فحل قطم وهو شدة اغتلامه فشبه بالفحل الأغلم لأنه اغتلم أى هزل فلم يبق فيه دسم ".[(١)] وكذلك حال هذا الجبل الذى لا ماء فيه ولا مرعى .

أما الفرض الثالث ، وهو ما استحسنه ياقوت ،فهو أن كتلة الجبال الشرقية ،تنقطع عن الامتداد بمحاذاة الساحل ،عند هذه المنطقة . وذلك يعد قطما فكانت تسميته على هذا الأساس[(٢)] . ومن الواضح أن الكتل الصخرية التي كانت تقع في المنطقة نفسها وتحمل أسماء أخرى تعد أيضا من ضمن تلال المقطم .[(٣)] وكانت هذه التلال تحيط بالمدينة من الجهة الشرقية[(٤)] والجنوبية حيث يوجد الرصد .[(٥)(٦)]

---

(١) ياقوت الحموى : ن.م.س .

(٢) ن.م.س .

(٣) ن.م.س .

(٤) فتحي حافظ الحديدى ،دراسات في مدينة القاهرة ،القاهرة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ص ٧٠ ، عبد الفتاح محمد وهبه : الجغرافيا التاريخية بين النظرية والتطبيق ص ٤٠٤ .،

(٥) المقريزى : الخطط ١٣٥/١ ،وهذا الجبل يعرف الان بجبل اصطبل عنتر ،فؤاد فرج : المدن المصرية وتطوراتها عبر العصور (القاهرة) ١٨٧/٣ وخريطة رقم (١٢) .

(٦) وسمى بالرصد لأن الأفضل بن أمير الجيوش بنى عليه مرصدا لرصد الكواكب ،المقريزى : ن.م.س ،بول كزانوفا : تاريخ ووصف قلعة القاهرة ص ٦١ .

ان الأهمية العمرانية لهذه الأماكن تكمن في خصائصها التي تعطيها بعدا وظيفيا يمكن استغلاله من قبل المدينة ، فمن الملاحظ أن ارتفاع بعض المناطق قد اكسبها هواء نقيا جافا ، مما جعلها تعد من الأماكن التي يتمتع أهلها بوضع سكني مميز.(١)

ولقد كان لهذه التلال تأثير عمراني على المدينة في عهد صلاح الدين ، اذ استقطبت بعض المشروعات العمرانية التي أقيمت في المدينة حينئذ ذلك أن الموضع الذى جرى اختياره لانشاء قلعة الجبل التي أمر صلاح الدين ببنائها في عام (٥٧٢هـ/ ١١٧٦م) (٢) كان عبارة عن بروز صخرى يتميز بانكسار حاد من الجهة الغربية كان يعرف بالشرف.(٣) وكان هذا الموضع يحقق مجموعة من الخصائص ، من المؤكد أنها هي التي اكسبته الأهمية التي دفعت الادارة الصلاحية الى تفضيل اختياره موقعا للقلعة .

فهو من الناحية العسكرية يتميز باشرافه على منطقة الوادى بأكملها ، وعلى الرغم من أن هذه الكتلة يقع خلفها كتلة أخرى أشد علوا منها الأمر الذى قد يثير اعتراضات نقدية حول أهمية اختيار هذا الموقع ، الا أنه

---

(١) المقريزى : م.س ، ١/ ٣٤٠.

(٢) ص : ٤٧٢.

(٣) كان بالمدينة الكبرى ثلاثة مواضع تعرف بالشرف : الأول : هو الذى عليه القلعة ، والثاني في الرصد جنوبي الفسطاط ، والثالث : فهو الذى بين الكوم الجارح والجامع الطولوني .
المقريزى : الخطط ، ١/ ١٢٥. وانظر عن موقع القلعة ايضا :
ك . أ . كويزويل . وصف قلعة الجبل ، ترجمة جمال محمد محرز مراجعة عبد الرحمن زكي ، القاهرة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م ص ١٧-١٨.

يلاحظ أن أقرب نقطة بين المنطقتين تقع على مساحة ثلاث مائة وخمسين مترا ٣٥٠ م وهي مسافة يصعب على آلة من آلات الرمي في ذلك الوقت أن تصلها كما يذكر كريزويل.(١)

ولقد أخذ في الاعتبار أيضا لتحديد موقع القلعة ، مسألة المناخ واعتداله اذ أن القلعة كانت قد أريد بها أن تكون مقرا سكنيا لصلاح الدين الأيوبي.(٢) ومن هنا جرى اختيار صلاحية المنطقة من هذه الناحية(٣). أضف الى ذلك فان من الخصائص التي يتميز بها موضع القلعة ،هو أنه يشرف على أرجاء المدينة الكبرى كما يشرف على الوادى. وبالمقابل فان هذا الموقع يمكن مشاهدته من مختلف أرجاء المدينة الكبرى ، وبالتالي فان اختياره يعد أمرا مهما لارهاب أولئك الذين يفكرون بالعصابات من سكان المدينة نفسها(٤) ، فموقع القلعة الذى يمكن مشاهدته من مختلف أرجاء المدينة حيث يقع فيما بين القاهرة والفسطاط ، يرمز للقوة والسيطرة والتحكم(٥) . وكما سبق أن ذكرنا فان التعبير الرمزى هذا كان له تأثيره على الفكر العمراني عند المسلمين(٦) .

---

(١) ك. أ. كريزويل ، م.س ص ٨٠.

(٢) ص : ٤٧٢.

(٣) لاحظ ما يذكره المقريزى عن تجربة تعليق اللحم. المقريزى : الخطط ٢٠٣/٢. وانظر أيضا : جاستون فييت ،القاهرة مدينة الفن والتجارة ،ترجمة مصطفى العبادى ، بيروت ١٩٦٨م ص ٧٥.

(٤) جاستون فييت : م.س ص ٧٧. جرجي زيدان : تاريخ مصر الحديث مع فذلكة من تاريخ مصر القديم ،القاهرة ١٣٠٦هـ/ ١٨٨٩م ٣٢٢/١.

(٥) جاستون فييت : ن.م.س.

(٦) ص : ٧٧ - ٧٨.

خاصة وأن فكرة السيطرة والضبط ،كانت واضحة كل الوضوح عند صلاح الدين الأيوبي ،فقد أورد أبو شامة ،بأن السبب الذى دفع صلاح الدين ، نحو تجديد عمارة سور القاهرة القديم ،هو أن هذا السور قد تلف وأصبح لا يرد داخلا ولا يمنع خارجا [(١)] . وهكذا فان اعادة ترصين وبناء هذا السور ،كان يهدف الى الضبط والسيطرة على دخول الأفراد وخروجهم من القاهرة في ذلك الوقت . أضف الى ذلك فان ربط المدينة الكبرى بالقلعة ، التي تقع على الجبل [(٢)] ، يحقق نقله نوعية في وظيفة المدينة الحربية بشكل عام.

اذ أن هذا الربط يعني ربط المدينة بالجبل ،وهي علاقة كانت تحتاجها المدينة في تلك العصور لتحقيق وضمان الوظيفة الحربية [(٣)] ، وهو ما ذكره ابن خلدون الذى أشار الى أهمية التلال الجبلية كمواضع تقام عليها المدن [(٤)] ، خصوصا وأن القاهرة قد أصبحت في عهد صلاح الدين الأيوبي هي العاصمة التي تتحمل عبئا خاصا ومتميزا في التصدى بصلابة للهجمة الصليبية الشرسة ،التي كانت تستهدف بلاد الاسلام في ذلك الحين [(٥)] .

---

(١) تم تجديد عمارة هذا السور في عام ٥٦٦هـ /١١٦٨م.
انظر : أبو شامة : الروضتين في اخبار الدولتين ،جـ١ ،ق ٢ ، ص٤٨٨.

(٢) ص : ١٠٣ .

(٣) جمال حمدان : جغرافية المدن ص٣١.

(٤) ابن خلدون : المقدمة ٣٤٧/١ .

(٥) ص : ١٨٧-١٨٨.

جـ : الأكـوام :

يطلق هذا اللفظ على الرمل المشرف ،كما أن الكوم عبارة عن حجارة وتراب مجتمعين ، يرتفعان عن سمت الأرض بمقدار ذراعين (١) وهي تنسب في مصر اما الى أصحابها ،أو الى شيء ما تعرف به (٢).

وتحتوى الفسطاط في الوقت الحاضر ،على مجموعة ضخمة من التلال هي عبارة عن أكوام تعبر عن التغيرات العمرانية الكبرى ، التي تعرضت لها المدينة عبر العصور المختلفة (٣) ، ومناطق هذه الأكوام في الأصل مناطق سكنية ، كانت معمورة في وقت من الأوقات ،فلما هجرت انتقضت وتحولت الى خرائب تداعت على بعضها ،فعرفت بالأكوام (٤).

---

(١) الذراع : هو ما يذرع به وهو من معدات القياس وقد استخدم في تحديد أطوال المسافات المختلفة كالبريد والفرسخ والميل ، والأذرعة سبعة أصناف ، الذراع العمرية ،الهاشمية الصغرى ، والهاشمية الكبرى ، والسوداء ، والقاضية اليوسفية ،الشرعية ، المأمونية ، فالترهنس : المكاييل والأوزان الاسلامية ، ومايعادلها في النظام المترى ،ترجمة كامل العسلي ، عمان ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م ص ٨٧ - ٩٢ ، ضيف الله يحيى الزهراني : موارد بيت المال في الدولة العباسية فيما بين سنة ١٣٢-٢١٨ هـ/ ٧٤٩-٨٣٣م مكة . ط. اولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ص ٣٠٨ - ٣١٢.
طلال جميل رفاعي : نظام البريد في الدولة العباسية حتى منتصف القرن الخامس الهجرى ،رسالة دكتوراه مخطوط ، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ،جامعة أم القرى ،مكة المكرمة ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م. ١/٨٠-٨١.

(٢) ياقوت الحموى : معجم البلدان ٤/ ٤٩٥.

(٣) عبدالرحمن زكى : الفسطاط وضاحيتاها العسكر والقطائع ، ص ٣٤ - ٣٥ ،القاهرة تاريخها وآثارها ،القاهرة ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م ص ٤ - ٥.

(٤) القلقشندى : صبح الاعشى ٣/ ٣٣٤.

ويفهم من نص أورده المقريزى ، بأن العامة في مصر ، قد استعملوا للدلالة عليها لفظا آخر هو " كيمان مصر " (١) .

وتكاد المصادر أن تتفق على أن سبب وجود الأكوام وقوع حادثتين رئيسيتين ، تعرضت لها الفسطاط في العصر الفاطمي ، أولاهما الأزمة الاقتصادية الخانقة والغلاء والقحط الذى واجهته البلاد في عهد الخليفة العبيدى المستنصر بالله (٢) والتي نسبت اليه فعرفت بـ " الشدة المستنصرية " . وقد رافق هذه الأزمة - وكما هو متوقع - اضطرابات أمنية وفوضى ضاربة (٣) ، وقد نجم عن ذلك تأثر أجزاء كبيرة من المدينة الكبرى ، حيث هجرها أهلها ، وكان ذلك مدعاة لتدهور عمراني ، انتهى بها الى أن تحولت الى خراب .

---

(١) المقريزى : الخطط ، ١/٣٣٩ .

(٢) هو المستنصر بالله سعد بن علي الظاهر لاعزاز دين الله ، ابن الحاكم بأمر الله (٤٢٧ - ٤٨٧هـ) ، أبو تميم : بلغت الدولة الفاطمية في عهده أوج اتساعها ، عنه انظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٥/٢٢٩ ، ابن دقماق : الجوهر الثمين ص ٢٥٨ .

(٣) المقريزى : تقي الدين أحمد بن علي : اغاثة الأمة بكشف الغمة (أو تاريخ الجماعات في مصر) ، حمص ص ٢٣ - ٢٦ . وانظر أيضا بمزيد من التفاصيل : أحمد السيد الصاوى : المجاعات وتأثيرها على النواحي المالية والحضارية زمن الفاطميين ، دراسة أثرية حضارية ، رسالة ماجستير مخطوط ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، القاهرة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م ص ٧٣ - ١٠٩ .

أما الحادثة الثانية ،فكانت حادثة احراق الفسطاط المتعمد التي أقدم عليها الوزير الفاطمي شاور ، تحسبا لاحتمال استيلاء الصليبيين عليها وحرمانا لهم من امكانية الاستفادة منها أو من بيوتها وعمائرها ، عندما عزموا على الاستيلاء على مصر في عام (٥٦٤ هـ /١١٦٨م).[١]

ويذكر المقريزى ،بأن هذا الحريق ،هوالذى أدى الى خراب الفسطاط بشكل كبير ، حتى تكونت الكيمانات التي تعرف بكيمانات مصر.[٢] ولم ينفرد المقريزى بذكر الاشارة الى الكيمانات ، فقد أشار ابن المتوج الى ستة أكوام ،من المسماة في عصره بالكيمانات[٣] . في الوقت الذى أشار فيه ابن دقماق الى ثلاثة عشر كوما[٤] ،أما القلقشندى فانه أورد ذكرا لأحد عشر كوما.[٥]

فهل هذه الكيمانات التي توردها المصادر ،تعود كلها لهاتين الحادثتين ،ان الاجابة على ذلك بالنفي ،اذ أن من غير المتوقع أن يكون وجود جميع الأكوام في المنطقة موضوع البحث ، مرتبط بالحادثتين المذكورتين آنفا ، ذلك أن المصادر تشير الى أن الكوم المعروف بكوم " عابس "[٦] ، كان قد كبس بعد سنة ٢٦٠ هـ وبنيت عليه الآدر.[٧]

---

(١) ص : ٣٠٧-٣٠٨.

(٢) المقريزى : الخطط ٣٣٩/١.

(٣) المقريزى : م.س ، ٣٤٢/١.

(٤) ابن دقماق : الانتصار ، ق ١ ص ٥٢ - ٥٣.

(٥) القلقشندى : صبح الأعشى ، ٣٣٤/٣.

(٦) نسبة الى عابس بن سعيد المرادى القطيعي ولي القضاء والشرطة بالفسطاط وتوفى سنة ٦٨هـ / ٦٨٨ م . ابن دقماق : م.س ، ق ١ ص ٥٣.

(٧) ن.م.س .

وبالتالي فان بالامكان القول بأن التطورات العمرانية التي مرت بها مدينة الفسطاط قبل العصر الفاطمي ، قد أسهمت بدون شك في ظهور عدد من الاكوام . والواقع فان خطط مدينة الفسطاط ،لم تستمر بنيتها بالاستمرار على وتيرة واحدة منذ نشأتها ،فقد حصلت تغيرات مختلفة في بعض مواضع الخطط فيها ،فلقد كان لمهره (١) خطة على جبل يشكر (٢) ،غير أن هذه القبيلة قامت بالانتقال منها في وقت من الاوقات لم تحدده المصادر ،ودون سبب ظاهر معروف ،حيث أنها سكنت بعد ذلك موضعا آخر ، يقع الى الجنوب من خطة أهل الراية (٣) . وتعرضت الفسطاط اضافةالى ذلك لبعض الحوادث قبل العصر الفاطمي ، لعل من أبرزها الحريق الذى تعرضت له ابان انهيار الحكم الاموى ، وظهور الدولة العباسية في سنة (١٣٢هـ/ ٧٥٠م) (٤) .

فلذلك فان بالامكان القول بأن ظاهرة وجود الاكوام ،تعود أصولها التاريخية الى ما قبل العصر الفاطمي . وان كانت كظاهرة لم تتضح الا خلال ذلك العصر حيث كانت الحادثتين المذكورتين آنفا ، عاملا رئيسيا في أن يشمل الخراب أجزاء كبيرة من المدينة (٥) .

---

(١) مهرة بن حمدان بن عمر بن الحاف بن قضاعة من قبائل حمير ، المقريزى م.س ، ١/٢٩٧ .

(٢) هذا الجبل فيما بين الفسطاط والقاهرة وهو الذى يقع عليه جامع أحمد بن طولون ، المقريزى : م.س ، ١/١٢٥ .

(٣) المقريزى : م.س ، ١/٢٩٧ ،عبدالرحمن زكي : الفسطاط ص١٧ ، وأهل الراية هم جماعة من قريش والانصار وخزاعة ،ومنطقتهم تقع حول الجامع العتيق . المقريزى ن.م.س ،عبد الرحمن زكي : ن.م.س .

(٤) عبدالرحمن زكي : م.س ،ص ٨٢ ، حسن الباشا وآخرون : القاهرة ص١٨ .

(٥) المقريزى : م.س ، ١/٣٣٥ ،عبد الرحمن زكي : م.س ،ص ٣٢-٣٣ .

فبالنسبة للشدة المستنصرية ،فلقد كان لها التأثير الكبير على القطائع والعسكر ، بالاضافةالى الاجزاء الشرقية من الفسطاط التي تتصل فيما بينها وبين القرافة ، فهذه المواضع خلا سكانها عنها ، عقب الشدة المستنصرية.[١] بيد أنه يلاحظ ،أن الخراب لم يستمر بشكل كامل في مواضع القطائع والعسكر اذ جرى تعمير أجزاء كبيرة منهما في عهد الخليفة الامر باحكام الله العبيدى[٢] ، وأعيدت عمارتها أيضا في عهد صلاح الدين الأيوبي.[٣] لذلك فمن المرجح أن تكون الأجزاء الواقعة شرقي الفسطاط هي التي ظلت أكواما منذ عهد الشدة المستنصرية .

أما الأكوام التي ترتبت عن حريق الفسطاط ، فيذكر المقريزى أنه قد نتج عن حريق الفسطاط ،الخراب الذى هو كائن فيها في عصره حيث (... خربت مصر الفسطاط هذا الخراب الذى هو كيمان مصر..".[٤]

ولقد أشار ابن جبير عند زيارته لمدينة الفسطاط ،الى هذا الخراب. فقال : (.. وبمدينة مصر آثار من الخراب الذى أحدثه الاحراق الحادث بها وقت الفتنة عند انفساخ دولة العبيديين ".[٥]

---

(١) المقريزى : الخطط ،١/٣٣٧ ، عبد الرحمن زكي : الفسطاط ص ٣٣.

(٢) هو الامر باحكام الله أبو علي منصور بن المستعلى بن المستنصر ابن الظاهر بن الحاكم العبيدى الفاطمي (٤٩٥ - ٥٢٤هـ / ١١٠٢- ١١٣٠م) ولي أمور الدولة الفاطمية وهو ابن خمس سنوات . قتله جماعة من الباطنية وهو ذاهب الى جزيرة الروضة . عنه انظر أبا عبدالله محمد بن علي بن حماد (ت ٦٢٨هـ/ ١٢٣١م) . أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ،تحقيق التهامي نقره ، وعبد الحليم عويس . الرياض ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ص ١٠٥ ، ابن دقماق : الجوهر الثمين ص ٢١١- ٢١٢.

(٣) ص ٣١٧- ٣٢١.

(٤) المقريزى : الخطط ،١/٣٣١.

(٥) ابن جبير رحلة ابن جبير ص ٢٩.

غير أن مما تجدر ملاحظته أن المقريزى وابن جبير ،لم يقدما معلومات واضحة عن الأماكن التي أصابها الخراب ،والتلف ، نتيجة الحريق . خاصة وأن هناك أجزاء كبيرة من المدينة ،قد أعيدت عماراتها في عهد الناصر صلاح الدين ،وخاصة المناطق التي تحيط بالجامع العتيق (١) ، وهي أماكن لم تهجر نهائيا ،وتتحول الى أكوام من الخراب ،الا في عهد السلطان المملوكي الملك الظاهر بيبرس (٢) .

لذلك فمن المؤكد أن الأكوام التي ظهرت نتيجة هذا الحريق ، في تلك الفترة ،هي تلك التي يفصلها عن الجامع العتيق مساحات واسعة . وعلى الأخص تلك التي تقع في الجنوب الشرقي من الجامع المذكور (٣) ، حيث تقع الكيمانات التي اصطلح على تسميتها بكيمان مصر ، وكانت تمتد من الكوم الجارح (٤) ، وما يليه من الأكوام جنوبا ،الى الرصد (٥) ،فهذه الأماكن كانت الأكثر تضررا من الحريق المذكور (٦) .

---

(١) ص : ٣٠٩-٣١٢ .

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ٣/٣٣٤ ،وعن الظاهر بيبرس انظر ص ٨٩ هامش (٤) .

(٣) انظر خريطة رقم (١٢) .

(٤) هذا الكوم يقع في الشرق من جامع عمرو بن العاص ، انظر خريطة رقم (١٧) نقلا :

Casanova , Paul , De Reconstitution , plan 1

(٥) المقريزى : الخطط ١/٣٤٣ .

(٦) ص : ٣٠٨ .

والحقيقة فان ظاهرة وجود الأكوام قد أثر على توزيع النشاط العمراني في الفسطاط ، اضافةالى تأثيره على مخطط مشروع السور الذى أمر صلاح الدين ببنائه في عام (٥٧٢ هـ/ ١١٧٦م) والذى كان يهدف الى توحيد مهمة الدفاع عن مدينتي الفسطاط والقاهرة معا ،عن طريق ضمهما في سور واحد .[١]

أما بالنسبة للنشاط العمراني في الفسطاط فيلاحظ أن حركة التوسع في المدينة قد اتجهت بشكل عام نحو الشاطئ والقاهرة[٢] ، لتترك بذلك الأجزاء التي فيها الأكوام دون عمران يذكر ، حيث تركز النشاط العمراني والاقتصادى في المنطقة المطلة على شاطئ النيل ، عوضا عن أن يتركز في المناطق التي فيها الأكوام كما كان عليه الحال في السابق .[٣] وان كان هذا لم يمنع أن تكون هذه الأماكن مناطق سكن للفقراء ورعاع الناس ،الا أنها لم تكن تعد من العامر كما يذكر القلقشندى .[٤]

أما تأثير الأكوام على مخطط مشروع السور ،فيمكن ادراكه من متابعة خط توجه السور ،الذى يظهر من رسمه ،أنه قد تعمد عدم ضم أغلب الأكوام مصر ،الممتدة من " كوم الجارح " حتى منطقة الرصد ، وتشير التوقيعات الخرائطية الى أن السور كان قد احتوى " كوم الجارح " مارا من جهته الجنوبية[٥] ، أى أنه تجنب الأكوام[٦] ، مما يشير

---

(١) الهندارى ،سنا البرق ، ص ١١٩ .

(٢) ص : ٣٢٢ - ٣٢٤ .

(٣) ص : ٣٢٢ - ٢٢٣ .

(٤) القلقشندى : صبح الأعشى ،٣/ ٣٣٤ .

(٥) انظر خريطة رقم (١٢) نقلا عن :
Casanova , Paul , De Reconstitution , plan 1.

(٦) لاحظ ما يذكره ابن دقماق عن الأكوام الواقعة خارج السور. ابن دقماق الجوهر الثمين ص ٢١٨ .

الى أن سكنى تلك الأماكن لم يعد مرغوبا فيه ،من قبل سكان المدينة ، ولم تعد هناك حاجة الى سكناها، وبالتالي توفير الحماية لها.

د - الخلجان والبرك :

من العوامل الجغرافية التي أثرت على خريطة المدينة ، التضاريس الطبيعية المائية ، التي كانت تقع في الدائرة العمرانية للمدينة الكبرى بشكل عام. وكما سبق أن شاهدنا كيف أن النيل قد كان عاملا لجذب عمران المدينة باتجاهه (١) ،

وقد أثرت المظاهر المائية الأخرى ،على نواحي عمرانية مرتبطة بالمدينة ،وذلك أن منطقة القاهرة تحتوى على العديد من الخلجان وأولها وأهمها خليج القاهرة أو خليج أمير المؤمنين ،وقد عرف أيضا بالخليج الحاكمي ،وبخليج اللؤلؤة ، وان كانت أقدم الأسماء التي عرف بها الخليج المصرى (٢).

وتختلف الروايات التاريخية حول أصل هذا الخليج وتاريخ نشأته ، فهناك من يرجعه الى عصر ما قبل الاسلام (٣) ،ذلك أن انحراف مجرى نهر النيل والترسبات والطرح ، قد أدى الى تباعد شاطيء النهر عن مدينة عين شمس - احدى عواصم مصر القديمة - فعمد قدماء المصريون الى حفر هذا الخليج في مجرى النهر القديم ، لكي تصل المياه الى المدينة (٤). وتذهب الرواية الى القول بأنه كان يتصل منذ تلك الفترة

---

(١) ص ص ٩٨ ، ١٠٠.

(٢) المقريزى : الخطط ١/ ٧١ ، ٢/ ١٤٠.

(٣) المقريزى : م.س ، ٢/ ١٣٩.

(٤) فؤاد فرج : المدن المصرية وتطوراتها عبر العصور (القاهرة) ٣/ ١٨٧.

بالبحر الأحمر (القلزم) (١) . ويذهب البعض الى أن هذا الخليج قد حفر بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ضمانا لتيسير وصول شحنات المؤن من مصر الى بلاد الحجاز في عام الرمادة . (٢)

ويمكن التوفيق بين الروايتين ،حين ننظر الى الاجراء المتخذ في زمن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه على اعتبار أنه اجراء اضطراري ، اتخذ لمواجهة أزمة غذائية مستحكمة في الحجاز ، تطلبت حلا سريعا . وهكذا فمشروع ربط النيل بالبحر الأحمر ،كان يقتضي السرعة والافادة من الامكانات والظروف المتاحة ،وهكذا استفاد المسلمون الأوائل في مصر من وجود الخليج في منطقة عين شمس . وربما من وجود أثر القناة جافة مهملة ،تمثل مشروعا قديما ربط بين النيل والبحر الأحمر ، فعمل عمرو بن العاص رضي الله عنه والي مصر ، على تنفيذه عن طريق تعميق تلك القناة ، وربطها بخليج عين شمس ، حيث نجحوا في اعادة جريان الماء ،ووصوله الى البحر الأحمر بحيث يستوعب حمل سفن الشحن المطلوبة . وهذا الرأى يتفق مع نص المقريزى بهذا الشأن ،حيث أنه ذكر : بأن هذا الخليج (... جدد حفره باشارة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في عام الرمادة ...) . (٣)

ويظهر أن هذا الارتباط قد روعي وتولى المسلمون تأمينه ، حتى توقف في العصر العباسي (٤) . والذى يعنى البحث هو تحرى موقع

---

(١) المقريزى : الخطط ٢/١٣٩ .

(٢) ياقوت الحموى : شهاب الدين بن عبدالله ، المشترك وضعا والمفترق صقعا . بغداد ص ١٥٩ ، القلقشندى : صبح الأعشى ٣/٢٩٨ .

(٣) المقريزى : الخطط ٢/١٣٩ .

(٤) ن.م.س .

الخليج بشكل خاص وأثره في التوسع العمراني لمدينة القاهرة . ذلك أن الخليج المذكور يقع الى الشمال من الفسطاط ،حيث يتفرع من هناك من نهر النيل ،جنوب القصر العيني من المنطقة التي تعرف حاليا بفم الخليج (١) ، ويسير باتجاه الشمال الشرقي ،ثم ينعطف على شكل قوس بعد ذلك ،نحو الجنوب الشرقي ،حيث يوجد ميدان السيدة زينب ، في الوقت الحاضر ،ليعاود السير بعد ذلك نحو الشمال الشرقي مارا غربي بركة الفيل (٢) ، ثم يتجه شمالا حتى يخترق سور القاهرة الى خارج المدينة (٣) . وهذا الخليج يعد الخليج الأساسي في المدينة . وان كان هناك خلجان أخرى كانت تعمل على تغذية البساتين والبرك المائية في المدينة ،منها خليج الذكر أو فم الخور (٤) . وهو خليج حفره كافور الاخشيدى (٥) حيث كان يزود بستان المقس بالمياه

---

(١) حسن الباشا وآخرون . القاهرة ص ٣٢ .

(٢) عن هذه البركة انظر ص : ١١٨- ١١٩ .

(٣) موقع هذا الخليج حديثا . انظر عبدالرحمن زكي ،موسوعة مدينة القاهرة ص ١٠٠ - ١٠١ ،وخريطة الاثار الاسلامية حيث يطلق عليه شارع الخليج بعد أن ردم هذا الخليج ، خريطة رقم (١٦/P٦ب) .

(٤) حسبما ورد في الخطط فانه يشير الى خليجين بقوله (ذكر خليج فم الخور وخليج الذكر ، الا انهما في الاصل كانا خليجا واحدا ثم اصبحا خليجين بعد تأسيس الخليج الناصرى في العصر المملوكي حيث قطع هذا الخليج الخليج الأول ،فقسمهما الى قسمين ،وسمى بالذكر نسبة لأحد الأمراء المماليك شمس الدين الذكر . انظر : المقريزى : الخطط ٢/ ١٤٤-١٤٥ .

(٥) كافور الاخشيدى (٣٥٥-٣٥٦هـ/ ٩٦٥-٩٦٦م) مملوك ولد في النوبة كان للاخشيد ملك مصر فتولى الحكم بعد وفاته بالوصاية عن أبي القاسم أوجور ابن الاخشيد ثم استولى على حكم مصر . عنه انظر : ابن العماد شذرات الذهب ، ٣/ ٢١-٢٢ .

في عصره ، فلما حول هذا البستان الى بركة في العصر الفاطمي [١] كان هذا الخليج مصدر المياه لها [٢] . ومن الواضح أن كلمة الخور التي تعني في اللغة مصب الماء [٣] انما هو امتداد لهذا الخليج نشأ نتيجة انحراف مجرى النهر ، فكانت الأرض التي يتركها النهر تحفر حتى يتصل ماء النهر بالخليج . فعرفت بالخور . ومن المؤكد أن التوسعة التي أجراها الملك الكامل [٤] لهذا الخليج [٥] ،قد قصد منها ضمان ارتباط الخليج بالنيل ، بعد ما عرقل ذلك ظهور الأراضي التي تكونت من ترسبات الطرح النهرى [٦] .

ومن هذه الخلجان أيضا خليج " بني وائل " ،غير أن المصادر لم تقدم عنه معلومات واضحة . وهو يقع جنوبي الفسطاط [٧] ، حيث كانت تقطعه قنطرة [٨] نسب اليها بابى الفسطاط ، اللذين كانا يقعان قربهما [٩] .

---

(١) ص : ١١٩-١٢٠ .

(٢) المقريزى : م.س ، ٢/ ١٤٤ ،مؤلف مجهول : تاريخ المصر القاهرة ورقة : ١٧٤ .

(٣) الزبيدى : تاج العروس ٣/ ١٩٣ .

(٤) عنه انظر ص ٨٨ هامش (٣) .

(٥) المقريزى: الخطط ، ٢/ ١٤٤ و من الواضح أن هذا الخليج . يدل على موقعه المنطقة التي تعرف حديثا بتل سن ابره أو تل اليهودية ، ذلك خط قم الخور الذى ينسب لهذا الخليج كان يقع فيها . على باشا مبارك : الخطط التوقيفية الجديدة ٣/ ٢٣٦ . وانظر خريطة رقم (٢) .

(٦) لاحظ ما ذكرناه عن انحراف النهر في المنطقة الواقعة غرب الخليج ص : ٩٢ - ٩٣ .

(٧) Casanova, Paul , Re Constitution plan 1.

(٨) المقريزى : الخطط ، ١/ ٣٤٧ .

(٩) ص : ٤٩٢ - ٤٩٣ .

ومن المرجح أن يكون الخليج موجودا زمن صلاح الدين الأيوبي ، ذلك أنه كان يمد بركة شطا بالمياه . من خلال برابخ كانت تخترق السور [(١)] . والثابت أن السور المذكور هو السور الذى أمر صلاح الدين ببنائه ليضم الفسطاط والقاهرة [(٢)].

أما البرك الأخرى الواقعة الى الجنوب من الفسطاط ، فقد كانت تردها المياه من بعض الخلجان الأخرى ، فبركة الشعيبية مثلا ، والتي تقع الى الجنوب من الفسطاط ، كان لها خلجان يربطانها بالنيل [(٣)] ، أحدهما من الجهة الجنوبية ، والاخر من الجهة الشمالية [(٤)].

أما البرك في منطقة القاهرة الكبرى ، فقد أشارت المصادر الى وجود عدد من البرك تكونت نتيجة تغيرات طبيعية في المنطقة ، أو نتيجة انجاز بشرى مقصود .

ومن أهم هذه البرك ما أنشيء جنوبي الفسطاط ، مثل بركة الحبشي [(٥)] والتي كانت تقع فيما بين الرصد والنيل [(٦)] ، وكانت

---

(١) ابن دقماق : الانتصار ق ١/ ص ٥٤ ، وعن هذه البركة انظر مايلي .

(٢) انظر خريطة رقم ( ) .

(٣) ابن دقماق ، م.س ، ق ١ / ٥٥ .

(٤) ابن دقماق : ن.م.س ، المقريزى : الخطط ٢/ ١٥٨ - ١٥٩ .

(٥) سميت بالحبشي نسبة لاحدى الجنان التي تطل عليها . وكانت تعرف ببركة المعافر وبركة حمير ، عنها انظر : ابن دقماق : الانتصار ، ق ١ ص ٥٥ - ٥٦ ، المقريزى : الخطط : ٢ / ١٥٢-١٥٩ .

(٦) المقريزى : م.س. ، ٢ / ١٥٢ ، مؤلف مجهول : تاريخ المصر القاهرة ، ورقة : ١٨٣ .

تحتل مساحة كبيرة [١] وتجاور البركة المذكورة الى الشمال منها ، برك أخرى منها بركة الشعيبة [٢] ، وبركة شطا [٣] .

وتشير المصادر الى بركتين تقعان فيما بين الفسطاط والقاهرة

أولاهما " بركة الفيل " يذكر المقريزى بأن هذه البركة

---

(١) كانت هذه البركة تشغل مساحة قدرها الفان ومائتان فدانا (٢٢٠٠) وتحد هذه البركة من الشمال بجبل اصطبل عنتر (الرصد) وبصحراء القرافة ،واراضي قرية أثر النبي كحد فاصل فيمابينهما وبين دير الطين ،أما من الغرب فحدها هو جسر النيل ، بين قرية دير الطين ومعادى الخبيرى ،ومن الجنوب والشرق باقي أراضي ناحية البساتين التابعة لمركز الجيزة . محمد رمزى : القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين الى سنة ١٩٤٥م. القاهرة ١٩٥٤م ق ١ البلاد المندرسة ص ١٥٠ .
ولقد قام بتحديد هذا الموقع بول كزانوفا ، انظر :

Paul Casanova , De Constitution , plan 1

(٢) يبدو أن سبب تسميتها بالشعيبة لأن اناسا يعرفون ببني الشعيبة كان لهم وقف فيها . انظر ابن دقماق : الانتصار ،ق ١ ص ٥٥ . وعن موقعها انظر :

Paul Casanova , Op. Cit.,

(٣) عن هذه البركة انظر : ابن دقماق : م.س ،ق ١ ص ٥٤ - ٥٥ ، ولا تذكر المصادر سببا يعرف منه أصل مسماها . وعن موقعها انظر : Paul Casanova , Op. Cit .

كانت كبيرة جدا .[١]

ويجاور بركة الفيل بركة أخرى تعرف " ببركة قارون " ولم يكن يفصل بينهما سوى جسر ،عرف بالجسر الأعظم .[٢]

كما كان يوجد في غربي الخليج عدد آخر من البرك من أهمها بركة " بطن البقرة "[٣] تذكر بعض المصادر بأن موقعها كان في الأصل بستانا يعرف ببستان المقس ، ثم حول الى بركة في عهد

----

(١) المقريزى : م٠س ١٦١/٢ ،ويدل عليها في الوقت الحاضر المنطقة التي تحد من الشمال بسكة الحياتية ،وغربا بشوارع درب الجماميز والعبودية والخليج المصرى ،وجنوبا شارع مراسينا ثم ينحرف هذا الحد من ناحية الشمال الشرقي حتى يتقابل مع أول شارع نور الظلام ، وصولا الى شارع الألفي ،وتحد من الشرق بكمالة شارع نور الاسلام فشارع مهذب الدين الحكيم ، فسكة عبد الرحمن بك وماض امتدادها الى الشمال حتى الحد الشمالي . وسميت ببركة النيل لأن الأمير خمارويه بن أحمد بن طولون جعل عليها دارا خاصة بالحيوانات تعرف بهذا الاسم . محمد رمزى : م٠س ق١ ص١٥٢-١٥٣ .

(٢) المقريزى : الخطط ١٦١/٢ . وهذا الجسر يدل عليه شارع مراسينا ،وكانت هذه البركة تمتد جنوبا حتى شارع الشيخ البغال . عبد الرحمن زكي : موسوعة مدينة القاهرة ص ٣٠ ولا تذكر المصادر سببا لتسميتها .

(٣) لعلها عرفت بهذا الاسم لأنها كانت كبيرة جدا وتستوعب كميات كبيرة من الماء . فشبهت ببطن البقرة .

الخليفة الفاطمي الظاهر [١][٢] ، الا أن ناصر خسرو ،الذى زار مصر في عهد الحاكم بأمر الله [٣] يشير الى وجود هذه البركة رغم أنه لم يسمها ، ويذكر بأنها تختلط بمياه خليج القاهرة وأن فيها مراكب للسلطان وتشرف عليها مناظره [٤] ،وذلك ما يوءكد بأن بركة بطن البقرة يعود تاريخها الى ما قبل عهد الخليفة الظاهر ،ويظهر من نص ناصر خسرو أن هذه البركة كانت كبيرا جدا [٥] ، ولعل اسمها يرمز الى ذلك . ويعتقد على باشا مبارك بأن هذه البركة كانت تمثل المنطقة الممتدة فيما بين قنطرة الموسكى وباب القنطرة [٦] .

ولا شك في أن علي باشا يقصد بباب القنطرة ،الباب الذى كان يقع على رأس شارع مرجوش ،من جهة الخليج [٧] .

---

(١) المقريزى : الخطط ١٦٣/٢ . موءلف مجهول : تاريخ المصر القاهرة ،ورقة ١٩٥ .

(٢) هو الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله على بن الحاكم بأمر الله (٤١١-٤٢٧ هـ / ١٠٢٠-١٠٣٥م) عنه انظر : ابن خلكان : وفيات الاعيان ٤٠٧/٣ ،ابن حماد : اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ص ١٠٣ . ابن دقماق : الجوهر الثمين ص ٢٠٦ .

(٣) هو الحاكم بأمر الله منصور بن العزيز بالله (٤١١ - ٤٢٧هـ/ ١٠٢٠- ١٠٣٥م) ولي الخلافة وهو ابن احدى عشر سنة وبضع شهور . عنه انظر : ابن خلكان : م.س ٤٠٧/٣ . ابن حماد : م.س ص ٩٤ - ١٠٣ ،ابن دقماق : م.س. ص ٢٠٤ .

(٤) ناصر خسرو : سفر نامة ص٩٧ .

(٥) يذكر ناصر خسرو بأن هذه البركة باتساع ميدانين أو ثلاثة : ن . م.س .

(٦) على باشا مبارك : الخطط التوقيفية الجديدة ٢٥٠/٣ وعن قنطرة الموسكى وباب القنطرة انظر ص ص ٤٩١ ، ٤٩٧ .

(٧) على باشا مبارك : م.س ١٢٨/٣ .

الا أن تحديد علي باشا هذا ،انما هو تحديد عام ،وقد بنى على تصور شخصي دون التقيد الدقيق بالنصوص ،التي توردها المصادر ، في مجال تحديد موقع البركة .

وقبل الاشارة الى هذه النصوص وما يترتب عليها من نتائج ،لا بد من الاشارة الى نقطتين أساسيتين ،أولاهما ان باب القنطرة الذى أشار اليه علي باشا مبارك ،ليس هو الباب الذى يعود الى العصر الفاطمي ، انما هو باب كان قد بناه الناصر صلاح الدين الأيوبي ، ضمن مشروعه التحصيني (٥٧٢ هـ /) (١) ،في حين أن الباب الفاطمي يقع الى الشمال من الباب المذكور ،وتحديدا في الجهة الغربية من شارع الفراخة ، عند تقاطعه مع شارع الشعراني . (٢)

وثانيهما أن الشارع الذى كان يقع أمام باب القنطرة ،من الجهة الغربية للخليج ،يتميز بأن فيه انحناءة ناحية الشمال ،بمعنى أن الخارج من باب القنطرة الفاطمي ،فانه بعد أن يعبر القنطرة التي كانت قائمة أمام الباب ،فانه ينزل الى طريق يتجه به شمالا . ويدل على

---

(١) انظر ص : ٤٩١ .

(٢) انظر خريطة رقم (٣٨) . وقارن بين موقع هذا الباب :
A. Raymond E. & G. Wiet : Les Marcees de Caire traduction annotced dutexte de Magrizi , Caire , 1979 , Plan 3.

وموقع شارع الفراخة والشعراني . حيث كان الأخير يقع فيه خط باب القنطرة . علي باشا مبارك : الخطط التوفيقية الجديدة . ٢/٣٣٧ ، ٣/١٢٥ .

ذلك شكل عطفة المسطاحى [١] التي تقع فيها قنطرة الباب الفاطمي ، والتي سدها السور [٢] . وهو سور صلاح الدين بطبيعة الحال ، الذى انحرف في هذه الجهة ليتصل بباب القنطرة الجديد [٣] .

ولذلك فانه من الواضح أن تحديد على باشا لنهاية البركة من الناحية الشمالية عند باب القنطرة ، قد قصد منه الغاء التناقض الحاصل بين المعلومات عن موقع الشارع الذى يتصل بهذا الباب من بر الخليج الغربي ، وبين المعلومات الأخرى عن موقع البركة .

ولكن بما أن الباب الفاطمي كان يقع الى الشمال وأن الشارع الذى يرتبط به كان ينحرف شمالا ، فلا شك في أن ذلك يعني بأن هناك سببا قاهرا قد أثر على تصميم الشارع وعدالته ، ومن المؤكد أن ذلك يتمثل في وجود البركة التي تفيد المصادر بأنها لم تكن تنتهي في هذه الجهة عند باب القنطرة كما ذكر علي باشا ، وانما كانت تمتد حتى تصل الى أرض الطبالة [٤] ، والتي تقع شمالي سور المدينة الذى بناه صلاح الدين

---

(١) عن هذه العطفة وموقعها انظر : على باشا مبارك : م.س ٢٧٢/٣ . وانظر خريطة رقم (٣٨) .

(٢) على باشا مبارك : ن.م.س .

(٣) يذكر علي باشا مبارك أن السور الذى سد هذه القنطرة هو سور فاطمي ، ن.م.س ، ولكن لا دليل على ذلك اذ لم يجر الفاطميون أى توسعة في هذه الناحية والتعديلات التي أجريت تعود الى عصر صلاح الدين . انظر ص ٤٨٤ هـ(٥) ، ٤٨٧ .

(٤) المقريزى : الخطط ١٦٣/٢ . مؤلف مجهول : تاريخ المصر القاهرة ورقة ١٩٥ ، وسميت هذه الأرض بأرض الطبالة نسبة لمغنية للخليفة المستنصر بالله الفاطمي وهبها هذه الأرض . القلقشندى : صبح الاعشى ٣٥٦/٣ . ويدل عليها في الوقت الحاضر شارع الفجالة ، على باشا مبارك : الخطط التوفيقية الجديدة ٢٥٩/٣ .

في هذه الجهة .(١)

وقد وجدت في هذه المنطقة مجموعة أخرى من البرك ،كانت تقع غربي الخليج . والمرجح أنها قد تكونت بتأثير عملية طرح النهر الذى عادة ما يخلف وراءه بعض المواضع المنخفضة التي تغمرها المياه في موسم الفيضان ، كما تساعد المياه الجوفية على استمرار امدادها بالمياه خلال المواسم الأخرى ، مع ملاحظة قربها من النيل . وتوافق مستواها مع مستوى الماء فيه في الظروف العادية(٢) . وكانت تعرف لذلك باسم البرك .

ومن المرجح أن تكون هذه البرك قد ظهرت في أزمنة مختلفة ، ومن المؤكد أن يكون بعضها قد وجد في عصر صلاح الدين ،ذلك أنها تقع ضمن الأراضي التي كانت موجودة في المنطقة في ذلك الوقت ، ومن أبرز تلك البرك " بركة الشقاف " والتي تقع في باب اللوق(٣) ، ويشير المقريزى الى وجودها في زمانه حيث كان يطل عليها جامع الطباخ(٤) ،

---

(١) على باشا مبارك : م.س ٢٦٠/٣ .

(٢) ص : ٨٣ .

(٣) عن أراضي اللوق انظر ص : ٩٠ - ٩١ .

(٤) هذا الجامع أنشأه الأمير جمال الدين أقوش ، وجدده الحاج على الطباخ في المطبخ السلطاني أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون فنسب اليه ، المقريزى : الخطط ،٣١٥/٢ .

وتعد من جملة أراضي الزهرى .(١)(٢)

وكانت توجد في المنطقة بركة أخرى هي " بركة السباعين "(٣) وهي من جملة أراضي الزهرى أيضا .(٤)

---

(١) المقريزى : م.س ٢/١٦٢ . وهي بذلك تقع بشارع باب اللوق (الصنافيرى) حيث يقع الجامع المذكور ، وحل محلها ميدان عابدين . انظر : علي باشا مبارك : الخطط التوفيقية الجديدة ٣/ ١٠٧، ٢٢٣.

(٢) نسبة لعبد الوهاب بن موسى بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن ابن عوف الزهرى ولى شرطة الفسطاط ، وتوفى سنة (٢١٠هـ) المقريزى : م.س. ٢/١١٤ . وكان هذا الحكر يحتل مساحة واسعة تشمل بر ابن التبان الذى يدل عليه المباني الواقعة قبال باب الخرق غربي الخليج . وشق الثعبان الذى يدل عليه حارة تحمل نفس الاسم في شارع الخلوني ، وسويقة القرى وهي حارة القرى بشارع الخلوتي أيضا . وبركة الشقاف حيث ميدان عابدين ، وبركة السباعين التي بها دور سكنية ، وحدره المرادنيين الذى يدل عليها شارع حدره جميزة وشارع الحدره ، علي باشا مبارك : م.س ٣/١٠٦-١٠٧.

(٣) سميت بالسباعين لأنه اتخذ عليها دار للسباع . المقريزى : م.س ، ٢/١٦٢ . ويذكر محمد علي باشا بأنه يقع عليها مجموعة من المباني السكنية في شارع سويقة السباعيين . على باشا مبارك : م.س ، ٣/٢٣١.

(٤) المقريزى : ن.م.س ، مؤلف مجهول : تاريخ المصر القاهرة ورقة : ١٩٥.

لقد كان التأثير العمراني لهذه المواضع المائية على القاهرة في عهد صلاح الدين الأيوبي كبيرا ، فوجود الأنهار والترع والبرك والخلجان في مكان ما ، تكسبه سمة وظيفية أو نوعا من القيمة الاضافية ، فالغدران التي كانت في القرافة ،هي من الأسباب الرئيسية التي أدت الى أن تكتسب أهميتها كأحد متنزهات القاهرة.(١)

لذلك فانه من أبرز المظاهر العمرانية التي أثرت فيها الخلجان على الخريطة العمرانية في عهد صلاح الدين ، هو جذبها لمنشآت النزهة ، ذلك أنه في عهد صلاح الدين كثرت المناظر التي تطل على خليج القاهرة (٢) ، كذلك كانت البرك عامل جذب للكثير من البساتين ومنشآت النزهة التي أخذت تحيط بها (٣) ، بل يلاحظ أن بعض البرك استغلت أجزاء منها للتعمير عليها.(٤)

---

(١) ابن فضل الله العمري : شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٠٠م) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ،مخطوط في مكتبة أيا صوفيا باستانبول رقم ٣٤١٦ ، جـ ٣ ، ورقة ١٢٧ - ١٢٨.

(٢) ص : ٤٤٧.

(٣) ص: ٤٤٨ - ٤٥٠.

(٤) ص : ٤١٥-٤١٦.

الفصل الثاني

العوامل الاجتماعية

نظرا لما تعنيه مظاهر النشاط الاجتماعي والثقافي للانسان من تأثير مباشر اوغير مباشر على ظاهرة التمدن الانساني [١] ،فلقد تأثرت القاهرة الصلاحية بعدد من العوامل الاجتماعية والثقافية التي كان لها اكبر الأثر على تطورها العمراني . فحياة الانسان بمظاهرها المختلفة لابد لها من وعاء مادى يستوعبها ، والعمران بطبيعة الحال هو ذلك الوعاء . لذلك فقد كان للمتغيرات الاجتماعية والثقافية التي شهدتها القاهرة في عهد صلاح الدين آثارها وانعكاساتها العمرانية ومن ابرز هذه المتغيرات :

أ - <u>التحول الى المذهب السني :</u>

يمكن القول بأن توجه السلطة الصلاحية نحو الالتزام بمذاهب أهل السنة كان من اكبر وابرز المؤثرات الاجتماعية التي اسهمت في احداث بعض التطورات العمرانية ،سواء بطريق مباشر أو غير مباشر على القاهرة الصلاحية في ذلك الوقت .

فلقد كان العبيديون يتمذهبون بمذاهب الشيعة العلوية وقد تبدى ذلك في ادعائهم الانتساب الى فاطمة الزهراء رضي الله عنها وتسميتهم لأنفسهم بالفاطميين [٢] . ومع ان المقريزى يعتبر من المعتزين بالانتساب اليهم والمدافعين عنهم [٣] ،الا انه لم يجد بدا من الاعتراف بأنهم

----

(١) ص : ٧٤ - ٧٨ .

(٢) انظر في نسب الفاطميين وما ورد فيه من اقوال للمؤرخين في الدراسة المستفيضة التي كتبها الاستاذ احسان الهي ظهير الذى تطرق فيها الى مختلف الاقوال حول نسب الفاطميين . احسان الهي ظهير <u>الاسماعيلية تاريخ وعقائد</u> ،لاهور ط ١ ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ص ١٦٧ - ٢٦٦ .

(٣) ص : ٣٤ .

كانوا من غلاة الشيعة العلوية ومن غلاة الروافض[(١)] . اما علماء أهل السنة ومؤرخي الفرق الدينية فقد ذهب بعضهم الى اخراجهم من الملة الاسلامية ونسبتهم الى الديانة المجوسية ،حيث ذكروا ان مذهبهم هو من مذاهب المجوسية التي اتخذت ثوبا اسلاميا ،فعبد القاهر البغدادى يذكر بأن الذين اسسوا الحركات الباطنية (.. كانوا من اولاد المجوس وكانوا مائلين الى دين اسلافهم ولم يجسروا على اظهاره خوفا من سيوف المسلمين فوضع الاغماد منهم اساسا من قبلها ، منهم صار في الباطن الى تفصيل اديان المجوس..)[(٢)]. لذلك عمدوا الى تأويل الايات القرآنية والاحاديث النبوية بما يوافق افكارهم واهوائهم[(٣)] ، فابتعدوا عن الصواب وخالفوا مسلك السلف ومنهاجهم[(٤)].

وباستيلاء الفاطميين على مصر سنة (٣٥٨هـ/ ٩٦٢م) حرصوا على نشر مذهبهم في تلك البلاد ،ولجأوا الى مختلف الوسائل لجذب الناس الى ساحتهم[(٥)].

وتختلف النصوص التاريخية في تحديد ما وصل اليه الفاطميون من نجاح في هذا الصدد ،اذ ان هناك من النصوص ما تذكر بأن الفاطميين لم يستطيعوا جذب المصريين الى مذهبهم ،حيث ظلوا محتفظين بمذاهب أهل السنة التي كانت فاشية بينهم ،كما يشير بذلك عبد القاهر البغدادى

---

(١) المقريزى ، الخطط ١/ ٤٩٢.

(٢) عبد القادر البغدادى (ت ٤٢٩هـ /١٠٣٧م) الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية منهم ط ٤ ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م ص ٢٦٩.

(٣) ن.م.س.

(٤) احسان ظهير ،الاسماعيلية ، ص ٢٦٧.

(٥) الامين عوض الله ،الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي ، جده ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م ص ٦٨.

عند تعرضه للحديث عن استيلاء الفاطميين على مصر (١) . وعلى ذلك سار عدد من الباحثين المحدثين الذين يرون بأن التشيع في مصر لم يحظى فيها بالانتشار الواسع (٢) ، بيد ان هناك من النصوص التاريخية التي تشير الى ان الفاطميين قد حققوا نجاحا كبيرا في نشر مذهبهم في مصر ،اذ يشير المقريزى اثناء حديثه عن داعي الدعاة (٣) الى انتشار التشيع في مصر حيث يذكر بأن داعي الدعاة له الحق في اخذ اموال النجوى (٠٠ من الموءمنين بالقاهرة ومصر واعمالها لا سيما بالصعيد ٠٠) (٤) . ويوءيد ابن تغرى بردى ما ذهب اليه المقريزى ،فيذكر اثناء حديثه عن حوادث سنة (٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م) بأن غالبية اهل مصر كانوا قد اعتنقوا المذهب الشيعي العلوى في عصر التسلط العبيدى مسايرة منهم لحكامهم (٥) . ومن الواضح ان هذا الاختلاف في النصوص التاريخية يعكس في مجمله تطور الاوضاع المذهبية خلال العصر الفاطمي . فلا شك بأن المصريين كانوا في بادىء الأمر متمسكين بسنيتهم ،فحرصوا عندما دخل الفاطميون مصر على أن يأخذوا منهم أمانا

---

(١) عبد القاهر البغدادى ، الفرق بين الفرق ، ص ٢٧٥ .

(٢) الامين عوض الله / م.س . ص ٦٦ ،موريس لومباردو ، الجغرافيا التاريخية للعالم الاسلامي خلال القرون الاربعة الاولى ص ٣٨ .

(٣) داعي الدعاة ، منصب استحدثه الفاطميون بعدما حكموا مصر وكانت مهمة صاحبه نشر المعتقدات الشيعية بين الناس . وكان يختار لها نوابا لذلك ،انظر عبد المنعم ماجد ، نظم الفاطميين ورسومهم في مصر ط ٣ ،١٩٧٨م ، ١/ ١٧٧ - ١٩٠ .

(٤) المقريزى ،الخطط ، ١/ ٣٩١ .

(٥) ابن تغرى بردى ،النجوم الزاهرة ، ٥/ ١٢٠ .

يلتزم الفاطميون بموجبه بعدم فرض معتقداتهم على اهل هذه البلاد [١] .
لكن هذا الالتزام لم يدم طويلا ، حيث لجأوا بعد ذلك الى نشر عقائدهم
بكل السبل والوسائل ، وعمدوا الى الترغيب والترهيب ، فبثوا دعاتهم في
المساجد ودور العلم ، وقصروا الوظائف في بعض الاحيان على معتنقي
مذهبهم [٢] ، بل انهم قاموا باخراج علماء السنة من مصر لكي يتمكنوا
من نشر مذهبهم ، ففي سنة (٤١٠هـ/ ١٠١٩م) أمر الخليفة الفاطمي
الظاهر [٣] باخراج (.. من بمصر من الفقهاء المالكيين وغيرهم..) [٤] ،
وجعل مبلغا من المال لكل من يحفظ كتب المذهب الشيعي [٥] . وبشكل
عام ، فمن المؤكد ان الفاطميين كانوا لا يرغبون في وجود المذهب السني
داخل بلادهم ، فيقال ان الخليفة الفاطمي العاضد [٦] كان اذا ظفر بسني
قتله [٧] . وعلى الرغم من ان هذا القول فيه من المبالغة الشيء الكثير الا انه
يؤكد وجود المذهب السنى في مصر ، وفي نفس الوقت يوضح موقف الفاطميين
تجاه أهل السنة .

---

(١) الامين عوض الله ، الحياة الاجتماعية ، ص ١٦٠ .
(٢) الامين عوض الله ، م . س ، ص ٦٨ .
(٣) عنه انظر ص : ١٢٠ هامش (٢) .
(٤) المقريزى ، الخطط ، ١/ ٣٥٥ .
(٥) ن . م . س .
(٦) هو ابو محمد عبدالله بن يوسف بن الحافظ لدين الله العبيدى (٥٥٥ - ٥٦٧ هـ/ ١١٦٠-١١٦٧م) آخر خلفاء الفاطميين مات بعدما قضى صلاح الدين على الخلافة الفاطمية بثلاثة أيام. انظر عنه ابن العماد ، شذرات الذهب ، ٤/ ٢٢٢-٢٢٣ .
(٧) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ٥/ ٣٣٩ .

ومن الواضح ان السياسة الفاطمية هذه قد لاقت نجاحا في بادئ الأمر، حيث دخل الكثير من المصريين في التشيع [١] أو تظاهروا به على أقل تقدير [٢]. ولم يبق من المصريين محافظا على سنيته الا القليل [٣]، الا أن المذهب السني عاود الانتشار مرة اخرى في مصر في اواخر العصر الفاطمي [٤] حيث تزايد نفوذ اهل السنة في مصر، ومن ابرز الدلائل على ذلك ظهور المدارس في الاسكندرية - وهي من وسائل محاربة التشيع - [٥] في اواخر العصر الفاطمي [٦].

ومن المؤكد ان من الاسباب الرئيسية التي ادت الى عودة المذهب السنى الى مصر هو الاحباطات الكبيرة التي واجهها المصريون خلال فترة التسلط العبيدى من مجاعات وازمات اقتصادية [٧] احدثت لدى شعب مصر العريق في حضارته انواعا من ردود الفعل الرافضة لهذا الحكم [٨]، على أن ذلك ينبغي الا يفهم منه بأن حركة التشيع قد اضحت ضعيفة في مصر في اواخر العصر الفاطمي بل ان التشيع العلوى كان في مصر قويا لدرجة كبيرة، يدل على ذلك الثورات التي واجهها صلاح الدين الأيوبي

---

(١) حسن عبد الحميد صالح، <u>الحافظ ابو طاهر السلفي</u>، بيروت، ط ١، ص ٧٣.

(٢) الامين عوض الله، <u>الحياة الاجتماعية</u>، ص ٦٨٠، حسن عبد الحميد صالح، ن.م.س.

(٣) ابن تغرى بردى، <u>النجوم الزاهرة</u> ٥/١٢٠.

(٤) حسن عبد الحميد صالح، م.س، ص ٧٣.

(٥) ص: ١٤٠.

(٦) ص: ٤٧٥.

(٧) عن هذه المجاعات والازمات الاقتصادية انظر احمد السيد الصاوى، <u>المجاعات في العصر الفاطمي</u> ص ٢٢ - ١١٦.

(٨) فريد شافعي، <u>العمارة العربية الاسلامية</u> ص ٧٤.

من اتباع هذا المذهب ،والتي كانت تستهدف القضاء على حكمه.[(١)]

لقد كان دخول عصر صلاح الدين هو بداية تحول ديني في مصر ،
حيث اخذت الدولة الايوبية على عاتقها ازالة المذهب الشيعي ونشر عقيدة اهل السنة والجماعة فيها[(٢)] . ولقد كانت بداية هذا التحول في عام (٥٦٦ هـ/ ١١٧٠م) أى قبل القضاء على الخلافة الفاطمية بعام واحد تقريبا[(٣)] . فألغى الكثير من مظاهر التشيع ، حيث الغى من الأذان عبارة (حي على خير العمل)[(٤)] ، وأنكر على كل من يعتنق هذا المذهب اشد الانكار[(٥)] .

كما قام بعزل قضاة مصر الشيعة واقام قاضيا شافعيا بمصر الذى استناب بدوره قضاة شافعية في سائر الأقاليم[(٦)] ،وارفق السلطان

----

(١) عن هذه الثورات واهدافها انظر ص : ٢١٣-٢١٨ .

(٢) المقريزى ، الخطط ، ٣٦٣/٢ ، حسن الباشا وآخرون ، القاهرة ص ٢٣٠ . فنون التصوير الاسلامي في مصر ، القاهرة ص ٩١ .

(٣) اعلن الغاء الخلافة الفاطمية عام (٥٦٧هـ/ ١١٧١م) ص :

(٤) ابو شامة ،الروضتين ،ج١ ، ق ٢ ، ص ٤٩٨ . المقريزى ، الخطط ٣٥٩/١ .

(٥) ابو شامة / ن.م .س .

(٦) ابن الاثير ،الكامل في التاريخ ، ٩ / ١١٠ . ابن واصل جمال الدين محمد بن سالم (ت ٦٩٧ هـ/ ١٢٩٧م) . مفرج الكروب في اخبار بني ايوب ،تحقيق جمال الدين الشيال ،القاهرة ١٩٨/١ . ابن اياس ، بدائع الزهور ،تحقيق محمد مصطفى القاهرة ١٣٩٥هـ ج١ ،ق١ ،ص ٢٣٣ .

الناصر صلاح الدين الايوبي بهذه الاجراءات ، اجراءات اخرى تتعلق بالناحية الثقافية ، فقام باشناء مدرستين في الفسطاط هما المدرسة الناصرية والمدرسة القمحية [١] في سنة (٥٦٦هـ/ ١١٧٠م) ، وكان من مهامهما تدريس الفقه السني على المذهبين الشافعي والمالكي [٢].

ولقد كان اثر تأسيس هاتين المدرستين على الدولة الفاطمية صاعقا ، اذ ان بناء اولها وهي المدرسة الناصرية يعد من (.. اعظم ما نزل بالدولة ..) [٣] الفاطمية . فانشاء مثل هذه المدارس يعتبر من الوسائل المجدية في مكافحة التشيع [٤] نظرا لما تقوم به من دور كبير في نشر مبادئ الدين الصحيح ، وازالة ما علق في اذهان الناس من افكار ومبادئ التشيع الهدامة خلال العصر الفاطمي . كذلك فان الناصر صلاح الدين قام بالغاء التعليم الشيعي ، حيث الغى هذا التعليم من الجامع الازهر [٥] الذى كان من اهم مراكز الدعوة الشيعية في ذلك الوقت [٦].

---

(١) عن هاتين المدرستين انظر ص : ٤٧٦ ، ٤٧٧ .

(٢) ص ٤٧٧ .

(٣) المقريزى ، الخطط ، ٣٦٣/٢ ، موءلف مجهول ، تاريخ المصر القاهرة ، ورقة ٤٤٣ .

(٤) ص : ١٤٠ .

(٥) احمد احمد بدوى ، الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ، القاهرة ص ١٥ .

(٦) الامين عوض الله ، الحياة الاجتماعية ص ٧٧٠ ، أحمد احمد البدوى ، م .س . ، ص ١٥ .

ولتأكيد الصفة السنية على الحياة الاجتماعية في مصر ، فان الناصر صلاح الدين الأيوبي امر بالزام الناس في حضور صلاة الجمعة والجماعة (١) ، وهو امر يتعارض مع تطبيقات المتشيعة التي لا ترى جواز اقامة الجمعة الا للامام القائم (٢) . وهذا التوجه الجديد هو ما دعى اليه فقهاء اهل السنة في ذلك العصر ، فالشيزري الذى عاصر صلاح الدين الايوبي (٣) ، وألف كتابا في الحسبة بناء على ما طلب متوليها في ذلك الوقت (٤) ، يذكر بأن على المحتسب حث الناس على صلاة الجماعة في المساجد لما في ذلك من اظهار

---

(١) على بيومي ، قيام الدولة الايوبية ، ص : ١٧٩ .

(٢) لجأ الشيعة للتأويل لكي يجعلوا نصوص الكتاب والسنة تتوافق مع اهوائهم فانتهى الامر بهم الى تعطيل الشرائع لذلك لم يكن الفاطميون يصلون الجمعة سوى ثلاث مرات في السنة ، انظر المقريزى ، الخطط ، ١/ ٤٩٥ ، ٢/ ٣٦٢ . وعن تأويل الصلاة عند الاسماعيلية انظر احسان الهى ظهير ، الاسماعيلية ص ٤٩٩ - ٥٠٥ .

(٣) كانت وفاة الشيزرى عام ٥٨٩ هـ ١١٩٣م . رشاد عباس معتوق ، نظام الحسبة في العراق حتى عصر المأمون ، (نشأته وتطوره) جدة ط ١ ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م ص ١٨ . وقد الف الشيزرى لصلاح الدين كتابا في سياسة الحكم انظر ص :

(٤) الشيزرى ، عبد الرحمن بن نصر ٥٨٩ هـ ١١٩٣م نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق السيد الباز العريني بيروت ، ط٢ ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ص ٣ ، د . حسام الدين السامرائي ، المؤسسات الادارية في الدولة العباسية ، ط ٢ مكة المكرمة ص ٣١٢ . رشاد عباس معتوق ، م . س ص ١٩ .

لشريعة الاسلام في زمن كثرت فيه الفتن والحركات الهدامة .[١] هـــذا علاوة على قيام صلاح الدين بتهجير الكثير من اتباع الفاطميين الشيعة الى خارج القاهرة .[٢]

ان تلك الاجراءات - بالاضافة الى الغاء الخلافة الفاطمية - ادت الى ان يستطيل أهل السنة على الاسماعيلية[٣] ، وان يتظاهر الناس (.. بمذهب مالك والشافعي رضي الله عنهما واختفى مذهب الشيعة الى أن نسى من مصر ..)[٤] . الا ان هذا التحول لا يعني بأن مظاهر هذا المذهب قد اختفت في مصر بشكل كامل في تلك الفترة ، فابن جبير يشير الى بقـــاء هذه المظاهر عند حديثه عن المشهد الحسيني[٥] حيث كان بعض النـاس يطوفون بهذا المشهد ويتضرعون عنده بالدعاء[٦] وهي أمور تتنافى مع

----

(١) الشيزرى / م.س ص ١١١ .

(٢) ص : ٥٠٦ - ٥٠٧ .

(٣) ابو شامة / م.س ، جا ق ١ ، ص ٥٠١ .

(٤) المقريزى ، الخطط ، ٣٥٩/١ .

(٥) هذا المشهد يقال ان فيه رأس الحسين بن علي رضي الله عنه . وقد بناه الفاطميون سنة ٥٤٩ هـ / ١١٥٤م في داخل القصر الشرقي الكبير بجوار باب الديلم . انظر المقريزى ، الخطط ، ٤٢٧/١ . ولقد كان الفاطميون هم اول من ابتدع بناء المشاهد في مصر . فريد شافعي ، العمارة العربية الاسلامية ، ص ٧٤ .

(٦) ابن جبير ، الرحلة ص ٢٠ ، لينبول ، سيرة القاهرة ، ترجمـــة حسن ابراهيم حسن وادوارد حلمى ، القاهرة ١٩٥٠م ص ١٦١ .

مبادىء الدين الصحيح وتعتبر من البدع التي لا أصل لها في الاسلام .[(١)]

ويرى لينبول ان مثل هذه الاجراءات الهادفة الى القضاء على التشيع - علاوة على الموقف المتحفظ من قبل صلاح الدين تجاه نصارى مصر[(٢)] - تعتبر من النواقص التي اثرت على عظمة صلاح الدين[(٣)] ، بيد ان هذا المستشرق قد فاته ان مثل هذا الموقف من صلاح الدين يعد امرا طبيعيا منه لكونه شديد التمسك بقيمه ومبادئه الاسلامية كما هو ثابت تاريخيا[(٤)] . وبالتالي فان توجهه نحو مقاومة حركة التشيع بكل قوة انما كان تعبيرا صادقا عن قناعة وايمان بحقيقة وعدالة المبادىء التي ارتضاها وعاش من اجلها واخلص في الدعوة لها . علاوة على ان الابقاء على التشيع في مصر سيكون له اكبر الأثر في زعزعة السلطة الأيوبية . ذلك ان الدولة مظهر اجتماعي للانسان[(٥)] ، وبالتالي فان ثبات سيادة الدولة لا بد وان يستمد وجوده من الواقع الاجتماعي الذى تسيطر عليه الدولة . فابن خلدون يشير الى ان قيام الدولة مرتبط ارتباطا وثيقا بتأييد عناصر اجتماعية لها ، وهو ما عبر عنه بـ (العصبية) .[(٦)]

---

(١) على بن محفوظ ، الابداع في مضار الابتداع ، بيروت ص ١٩١ .

(٢) من المواقف التي اتخذها صلاح الدين ضد اهل الذمة في مصر انه امر سنة ٥٦٧ هـ بأن يقصوا عن الوظائف الادارية في الدولة المقريزى ، السلوك ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٤٧ - ٤٨ .

(٣) لينبول ، م.س. ص ١٦٢ .

(٤) ابن شداد ، ابو المحاسن يوسف بن رافع ت ٦٣٢هـ/١٢٣٩م النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين) تحقيق جمال الدين الشيال ، ط ١ ص ٧-١٦ . ابن خلكان ، وفيات الاعيان ٧/١٥١ .

(٥) ابراهيم درويش وبكر العمرى ، دراسة الحكومات المقارنة ، جدة ط٢ ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م ، ص ٨١ .

(٦) ابن خلدون ، المقدمة ١/ ١٥٤ .

لذلك فعندما طلب الملك العادل نور الدين زنكى (١) من صلاح الدين الغاء الخلافة الفاطمية واقامة الدعوة للعباسيين بمصر ، فانه اعتذر منه بقوله (.. ان المصريين لهم جماعة كبيرة متفرقة في بلاد مصر ..) (٢) ، أى ان للفاطميين قاعدة اجتماعية تحول دون القيام بمثل هذا العمل في ذلك الوقت، وبالتالي كان لا بد من الاعداد لهذا الأمر (٣) ، وهو ما قام به صلاح الدين حيث بدأ بالتحول الديني قبل الغاء الخلافة الفاطمية. (٤)

اما بالنسبة لموقف صلاح الدين من النصارى في مصر ، فمن الواضح انه كان رد فعل تجاه ما قام به النصارى من اعمال تخريبية في مصر في بداية حكم صلاح الدين.

ففي عام ٥٦٤ هـ/ ١١٦٧ م قاموا باحراق الجوامع والمنشآت الرئيسية في الفسطاط من رباع ودور كبيرة ،فأراد صلاح الدين ان يتخذ ضدهم بعض التدابير في تلك السنة ،لكنه اجلها حتى يقوى امره. (٥)

---

(١) انظر ترجمته ص : ٣٧ هامش (٤) .

(٢) ابو شامة ،الروضتين ،جـ ١ ،ق ١ ، ص ٤٦٨ .

(٣) ن.م.س.

(٤) ص : ١٣٢.

(٥) ابن ايبك الدوادارى (ت ٧٣٦ هـ/ ١٣٣٥م) كنز الدرر وجامع الغرر الدر المطلوب في اخبار بني أيوب ،تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور القاهرة ١٣٩١هـ/ ١٩٧٢م ٧/ ٣٩ - ٤٠ .

ولقد كان للتحول الى المذهب السني آثار عمرانية متنوعة من اهمها ،
فقد بعض الاماكن وظيفتها التي كانت تقوم بها ، مثل ما حدث لمصلى العيد الفاطمي الذى كان يقع خارج القاهرة والى الشمال منها . اذ انه من المؤكد ان هذا المصلى لم يعد يستخدم في ذلك الوقت لأداء صلاة العيد لأن فقهاء الشافعية يجيزون اقامتها في المساجد (١) ،لذلك نرى العبدرى الذى زار مصر في أواخر القرن (٧ هـ / ١٣م) يذكر بأن سكان القاهرة كانوا يجيزون لأنفسهم أداء صلاة العيد في المساجد ،ولا يظهرون خارج البلد كما جرت به السنة على حد تعبيره (٢) .

وهكذا لم يعد هذا المصلى الفاطمي يستخدم في اغراضه المرسومة ثم ظهرت في عهد صلاح الدين الحاجة الى مساحته الواسعة لأغراض اخرى ،حيث جرى تحويل اجزاء منه الى ميدان للعب الأكرة (٣) ، واخرى لكي تكون مقبرة لأهل القاهرة (٤) .

ولقد كان لسيادة المذهب الشافعي على المذاهب السنية الأخرى في عهد صلاح الدين دور في التأثير على وظيفة بعض الجوامع حيث الغيت

---

(١) احمد بن محمد المالكي ، الحاشية على تفسير الجلالين ، للجلال المحلى والجلال السيوطي ،القاهرة ١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م ، ٣٠٦/١ .

(٢) العبدرى ، عبدالله محمد بن محمد ، رحلة العبدرى المسماة الرحلة المغربية ، تحقيق محمد القاسي فاس ،ص ١٢٨ .

(٣) ص : ٤٥٩ .

(٤) ص : ٤٦١ .

الخطبة في الجامع الأزهر، وابقيت في جامع الحاكم، فقد ذكر المقريزى بأنه (.. لما استبد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بالسلطنة فانه قلد وظيفة القضاء لقاضي القضاة صدر الدين عبد الملك بن درباس [(١)] فعمل بمقتضى مذهبه وهو امتناع اقامة الخطبتين للجمعة في بلد واحد كما هو مذهب الامام الشافعي فأبطل الخطبة من الجامع الازهرى وأقر الخطبة بالجامع الحاكمي من اجل انه اوسع) [(٢)]، الا ان هناك من الباحثين من يعتبر بأن صلاح الدين مارس سياسة اهمال للجامع الأزهر [(٣)]، بدافع موقفه العدائي ضد الفاطميين . اذ ان هذا الجامع يعتبر رمزا للسيادة الشيعية في مصر [(٤)] . لذلك فان الجامع تشعث وتشقق تشققا فاحشا [(٥)] . ويبدو انه قد جرى الاستيلاء على اوقافه في تلك الفترة [(٦)] ، الا أنه على الرغم

---

(١) صدر الدين بن عبدالملك بن اياس (ت ٦٠٥هـ/ ١٢٠٨م) ولي قضاء مصر في عهد صلاح الدين بعد ان كان قاضي الغربية من اعمال ديار مصر . عنه انظر ابن خلكان ، وفيات الاعيان، ٣/ ٢٤٢-٢٤٣ .

(٢) المقريزى ، الخطط ، ٢/ ٢٧٥ - ٢٧٦ . وانظر ايضا : حسن عبد الوهاب ، تاريخ المساجد الاثرية ، القاهرة ١٩٤٦م ١/ ٥٢-٥٣ .

(٣) احمد بدوى ، الحياة العقلية ص ١٥ .

(٤) الامين عوض الله ، الحياة الاجتماعية ص ١٧ .

(٥) السخاوى ، نور الدين علي بن احمد بن عمر ، تحفة الاحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات ، تحقيق محمود ربيع وحسن قاسم ، ط ١ ، ١٣٥٦هـ ص ٥٩ - ٦٠ .

(٦) ابن ظهيرة ، الفضائل الباهرة ص ١٨٤ .

من كل ذلك لم تبعد عنه صفته التعليمية في عهد صلاح الدين حيث حل التعليم السني في هذا الجامع (١) ، ودرس فيه عدد من العلوم المختلفة مثل الطب والرياضيات وغيرها (٢) .

وكان للتحول عن التشيع دور في ان تختفي الكثير من العادات والتقاليد الشيعية ، الأمر الذى كان له بعض الاثار العمرانية سنشير اليها لاحقا (٣) . ومن المؤكد ان هذا التحول الى المذهب السني يعد من العوامل الاساسية التي ساهمت في ادخال المدارس كمنشآت جديدة الى القاهرة . اذ يكاد يجمع الباحثون على ان المدارس تعتبر من انجع الوسائل في محاربة التشيع (٤) . وعليه فان توسع صلاح الدين في تأسيس المدارس في مصر لا شك بأنه كان بدافع محو هذا المذهب والقضاء عليه (٥) .

---

(١) عبد الفتاح محمد وهبة ، جغرافية العمران ، الاسكندرية ١٩٧٥م ص ٢٦٩ .

(٢) عبدالرحمن زكي ، الازهر وما حوله من اثار القاهرة ص ٦٤ .

(٣) ص : ١٥٢-١٥٣ .

(٤) عبد اللطيف حمزة ، الحركة الفكرية في مصر ، ص ٧٧ ، حسن الباشا وآخرون ، القاهرة ص ٢٣٠ ، حسن الباشا ، الفنون الاسلامية والوظائف ، القاهرة ١٩٦٦م ، ٣/ ١٠٧٥ . عبدالرحمن زكي ، القاهرة ص ٧١ ، أحمد بدوى ، الحياة العقلية ، ص ٣٠ .

(٥) احمد فكرى ، مساجد القاهرة و مدارسها ، القاهرة ٢ / ١٤ .

ب - رعاية التعليم :

وتشير المصادر التاريخية الى ان عصر صلاح الدين قد شهد بحق ازدهارا علميا رصينا ، وهو ازدهار يعبر عن خطة مدروسة تبناها صلاح الدين بهدف نشر المعرفة بين افراد الشعب (١) فاصبحت المدارس التي أنشئت في القاهرة حينئذ مراكز لرواية الاحاديث النبوية الشريفة والدراسات الفقهية والادبية (٢) . كذلك كانت الكتاتيب التي أمر صلاح الدين بانشائها (٣) فرصة يتلقى فيها الصبيان آيات القرآن الكريم (٤) ،وما يرتبط بذلك من علوم شرعية وآداب وحكمة .

ومن الواضح ان هذا الازدهار يؤكد رغبة الدولة الايوبية محو التشيع والقضاء عليه عن طريق نشر مبادىء الدين الصحيح بالتعليم (٥) ،علاوة على انه يعبر عن اهتمام صلاح الدين بالعلم والعلماء . فكان مجلسه حافلا بالعلماء (.. حيث جمع به من اهل العلم والعلماء عنده اشتاتا ..) (٦) يتذاكرون فيه اصناف العلوم المختلفة ،وصلاح الدين يحسن الاستماع والمشاركة يدل على ذلك ما حصل عليه من نصيب وافر من العلم نتيجة مخالطته العلماء (٧) الذين كان يحثهم على الهجرة الى بلاده (٨) .

---

(١) بول كازانوفا ،تاريخ ووصف قلعة القاهرة ص ٢٨ .

(٢) الفتح البغدادى ،سنا البرق الشامي ،ص ١١٥ .

(٣) ص : ١٤٣ .

(٤) ابن جبير ،الرحلة ص ٢٧ .

(٥) انظر الصفحة السابقة .

(٦) ابو شامة ،الروضتين في اخبار الدولتين ٢/ ٢١ .

(٧) احمد بدوى ،الحياة العقلية ص ٥ - ٦ .

(٨) احمد بدوى ،م.س ص ٣١ .

ومن الثابت ان صلاح الدين قد شجع على التأليف وأجزل العطاء على ذلك ،فالشيزرى الف كتابه في السياسة الشرعية لصلاح الدين [(١)] ، كذلك فان ابن شداد وضع كتابا لصلاح الدين في الجهاد [(٢)] في حين ان الطرسوسي الف له كتابا في صناعة السلاح وكيفية عمله [(٣)].

ومن المؤكد انه قد اقتدى بصلاح الدين اقرباءه الامراء وكبار رجال الدولة ،فالقاضي الفاضل [(٤)] كان شغوفا بالمعرفة ،حيث يجمع الكتب من الاصقاع المختلفة وله نساخ لا يفترون يقومون باستنساخ الكتب ، علاوة على المجلدين والمركبين [(٥)] . ويبدو أن ذلك أدى الى ازدهار المكتبات الخاصة والعامة ، فالمدرسة الفاضلية [(٦)] كان بمكتبتها مائة الف مجلد [(٧)].

---

(١) الشيزرى ،المنهج المسلوك في سياسة الملوك ، القاهرة ١٣٢٦هـ/ ص ١٣ ،احمد بدوى ،الحياةالعقلية ،ص ٣٢٤- ٣٢٥.

(٢) احمد بدوى ،م.س ص ١٦.

(٣) الطرسوسي ،مرضى بن على (ت ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م) تبصرة أرباب الالباب في كيفية النجاة من الاسواء ونشر اعلام الاعلام في العدو والالات المعينة على لقاء الاعداء ،تحقيق كلود كاهين ، بيروت ١٩٤٨م ورد على غلاف الكتاب انه الف لصلاح الدين الأيوبي .

(٤) عنه انظر ص : ٢١ - ٢٢.

(٥) ابن العماد ، شذرات الذهب ، ٣٢٥/٤.

(٦) عن هذه المدرسة انظر ص : ٤٨٠.

(٧) المقريزى ، الخطط ، ٢٦٦/٢.

ولقد ترتب على الاهتمام بالعلم أن أقيم في القاهرة العديد من المنشآت التي تخدم العلم وتنشره ، فأسست الزوايا في الجوامع . فقد عمر صلاح الدين (.. بجامع عمرو ابن العاص بمصر زاويتين احداهما للشافعية والأخرى للمالكية وتعرف الآن بالخشابية ..) .[١] كما قام صلاح الدين بانشاء العديد من المدارس[٢] فاعتبره البعض من اعظم بناة المدارس في الاسلام .[٣] ولقد اقتدى به في ذلك اقرباءه ورجال دولته الذين أسسوا العديد من المدارس في مصر والشام وغيرها من البلاد .[٤] كما أن صلاح الدين أمر بالاكثار من انشاء الكتاتيب لتعليم الصبيان قراءة القرآن الكريم .

وقد امتدح ابن جبير مآثر صلاح الدين في هذا الشأن فذكر بأنه (... أمر بعمارة محاضر[٥] الزمها معلمين لكتاب الله تعالى عز وجل يعلمون ابناء الفقراء والايتام خاصة ..) .[٦]

---

(١) السخاوى ، تحفة الاحباب ، ص ٤٩ ، وعرفت زاوية الخشابية ايضا بالزاوية الصلاحية كنسبة لصلاح الدين الأيوبي ، انظر : القلقشندى ، صبح الاعشي ، ٢/ ٣٩ .

(٢) ص : ٤٧٤-٤٧٨ .

(٣) حسن الباشا ، الفنون الاسلامية والوظائف ، ٣/ ١٠٥٦ .

(٤) المقريزى ، الخطط ، ٢/ ٣٦٣ . موءلف مجهول ، تاريخ المصر القاهرة ، ورقة ٤٤٢ .

(٥) يذكر محقق كتاب الرحلة ان المقصود بالمحاضر هنا هو المدارس الا انه من الملاحظ ان ابن جبير ورد عنده لفظ المدارس في نفس الصفحة مما يفيد به غير المدارس ، ولا شك بأنه المقصود بها الكتاتيب لأنه مخصص للصبيان . ابن جبير ، الرحلة ص ٢٧٠ .

(٦) ن . م . س .

ويندرج تحت رعاية العلم والعناية به الاهتمام بالعلماء وطلبة العلم ،فصلاح الدين كان يقرب العلماء اليه ويرفع مكانتهم (١) هذا بالاضافة الى الانفاق على المعلمين وطلبة العلم وتوفير اسباب الراحة لهم ، فخصص الرعاية الطبية والغذاء وكل ما يكفل راحتهم ،فيذكر ابن جبير عند حديثه عن الاسكندرية ان من مفاخر هذا السلطان أنه جعل لأهل العلم فيها (.. حمامات يستحمون فيها متى احتاجوا الى ذلك . ونصب لهم مارستانا لعلاج من مرض منهم ،ووكل بهم اطباء يتفقدون احوالهم وتحت ايديهم خدام يأمرونهم بالنظر في مصالحهم التي يشيرون بها من علاج وغذاء . وقد رتب ايضا فيه اقوام برسم الزيارة للمرضى الذين يتنزهون عن الوصول للمارستان المذكور من الغرباء خاصة . وينهون الى الاطباء احوالهم ليتكفلوا بمعالجتهم ..) (٢). بل ان الذين يفدون الى هذه البلاد لطلب العلم سيجدون المأوى والمدرسين الذين يعلمونهم الفن الذى يرغبون في تعلمه (٣).

وبطبيعة الحال ،فان مثل هذه الرعاية للعلم تحتاج الى نفقات مالية فكان الاجراء متصل من قبل السلطان صلاح الدين على كل المنشآت التعليمية بمختلف انواعها ،اذ بلغت جملة نفقاتها في المدينة الكبرى في

---

(١) احمد بدوى ، الحياة العقلية ، ص ٥ .

(٢) ابن جبير ،الرحلة ص ١٥ - ١٦ .

(٣) ن.م.س ، ص ١٥ عبد القدوس الانصارى ، مع ابن جبير في رحلته ، ط الأولى ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م ،ص ١٠٥ .

الشهر الواحد الفي دينار [١] ، بل ان بعضها حظي بالأوقاف الضخمة [٢] حيث أوقف صلاح الدين على المدارس الأراضي والدكاكين والقياسر [٣] ،علاوة على الانفاق على المعلمين وطلبة العلم ، فكانت النفقات تصل الى أهل العلم والمنقطعين له وللعبادة في القرافة [٤].

كما كانت صلاته تصل الى المغاربة الذين قدموا من شمال افريقية وبلاد المغرب ،وكانوا يسكنون في الجامع الطولوني للعبادة والتعلم ،فكانت الارزاق تجرى عليهم كل شهر من قبل السلطان صلاح الدين الأيوبي [٥].

ولقد كان لرعاية الدولة الأيوبية للتعليم آثار عمرانية هامة . من ابرزها المنشآت التعليمية التي ستكون بطبيعة الحال جزءا من التكوين المادى للمدينة . هذا بالاضافة الى دورها في التأثير على النشاط العمراني في بعض المناطق اذ ان بعض المناطق التي تقع فيها منشآت تعليمية يزداد محتواها السكاني . فبناء المدرسة الناصرية في القرافة كان من العوامل التي جذبت السكان الى المنطقة المحيطة بها [٦].

كما اسهمت موءسسات التعليم في تشجيع الهجرات السكانية الى القاهرة [٧] ، وهو امر اسهم بلا شك في الازدهار العمراني الذى شهدته

---

(١) ابن جبير ،م.س ص ٢٤ . عبدالقدوس الانصارى ،م.س ص ١٢٨ .

(٢) الوقف هو حبس العين وتسبيل ثمرتها او التصدق بها . انظر محمد ابو زهرة ،محاضرات في الوقف ، القاهرة ط٢ ،ص ٣٩ .

(٣) ص : ٤٨١ .

(٤) ابن جبيـر ،م.س.

(٥) ابن جبير ، م.س ،ص ٢٦ . عبد القدوس الانصارى ، م.س ص ١٢٩ .

(٦) ص : ٣٩١ وعن هذه المدرسة انظر ص : ٤٧٨-٤٧٩ .

(٧) ص : ٥٠٩ .

القاهرة في ذلك الوقت [١] . حيث سيحتاج مثل هؤلاء الى مساكن يأوون اليها وغيرها من متطلبات الحياة ذات الصلة بالنواحي العمرانية .

ج - التغيرات الاجتماعية :

شهد عصر السلطان صلاح الدين الايوبي تغيرات اجتماعية هامة . كان لها اثرها المباشر والغير مباشر على الاوضاع العمرانية في القاهرة حينذاك . اذ وجه هذا السلطان اهتماما كبيرا تجاه سكان هذه المدينة . فبذل الجهد الكبير نحو رعايتهم والاهتمام بمصالحهم . فمنذ ان ولي الوزارة في عام ٥٦٤ هـ / ١١٦٨م ،وهويحرص كل الحرص على اظهار الحق ودرء المفاسد فساس الرعية احسن سياسة وأظهر لها من العدل ما لم تكن تعلمه او تعرفه من قبل الأمر الذى زاد من حنق الفاطميين عليه [٢] . وبعد ان استقل بحكم مصر ورغم الحروب التي كان يخوضها لتوحيد جبهة الاسلام من اجل طرد الصليبيين [٣] فانه على الرغم من ذلك لم يكن يتوانى في توجيه الاهتمام نحو رعيته كلما سنحت له الفرصة ، فعندما يكون في مصر في تلك الاثناء فانه يظل مشتغلا بأمور الدين والدولة والجلوس للمظالم في دار العدل يومي الاثنين والخميس (.. لتشييد منار الحق وتفريج الكروب واسداء المعروف وكشف المظالم..) [٤] كذلك قام صلاح الدين

---

(١) ص : ٢٨٧ .

(٢) ابو شامة ،الروضتين ،جا ،ق ٢ ، ص ٤٥٦ .

(٣) في هذا الصدد انظر ص : ١٧٣-١٧٩ .

(٤) صاحب حماه محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه الايوبي (ت ٦١٧هـ/ ١٢١٩م) ،مضمار الحقائق وسر الخلائق ،تحقيق حسن حبشي ،القاهرة ص ٥٣ .

بنشر الأمن في ربوع بلاده الأمر الذى اثار اعجاب ابن جبير . فأهل الاسكندرية كما يذكر يتصرفون في ليلهم كتصرفهم في النهار (١) ، بل كانت بضائع التجار تترك على الطرقات البرية دون أن يمسها احد حتى يأتي اهلها ليأخذوها. (٢) بل ان الناصر صلاح الدين وجه اهتمامه نحو توفير حياة الترف والرفاه بين رعاياه والداخلين الى هذه البلاد من الأصقاع المختلفة ،فأهل الاسكندرية كانوا (... في نهاية الترفيه واتساع الاحوال لا يلزمهم وظيفة البته ..) (٣) وكان الداخلون الى مصر يجدون ما يكفيهم من الطعام فكان كل واحد منهم يصرف له خبزا لقوته ليومه ، وهي من السنن التي يحمد عليها هذا السلطان والتي كانت مقطوعة منذ زمن بعيد على حد تعبير ابن جبير (٤) ،فالمصريون في العصر الفاطمي كانوا لا ينالون سوى الفتات (٥) على الرغم مما كان عليه خلفائهم من ترف ورفاه لم تعرفه مصر الاسلامية في تاريخها . (٦) ومن المؤكد ان ذلك الازدهار يعكس الى حد بعيد الازدهار الاقتصادى في البلاد في عهد السلطان صلاح الدين (٧) ،

---

(١) ابن جبير ،م.س. ص ١٧ ، عبد القدوس الأنصارى : مع ابن جبير ،ص ١٠٧.

(٢) ابن جبير ،م.س. ص ٤٣-٤٤ ، عبد القدوس الأنصارى ، م.س. ص : ١٤٠.

(٣) ابن جبير ،م.س . ص ١٦ .

(٤) ن.م.س .

(٥) عبداللطيف حمزة ،الحركة الفكرية في مصر ،ص ٥٩ .

(٦) الامين عوض الله ،الحياة الاجتماعية ،ص ٤٧

(٧) انظر الفصل الرابع من هذا الباب .

علاوة على ما قام به الايوبيون من توجيه النفقات بطريقة تؤدى في نهاية الأمر الى ان تصل الثروات الى قطاعات كبيرة من رعاياهم.(١)

ومن المؤكد ان هذه التغيرات تعكس نظرة السلطان صلاح الدين تجاه رعاياه ،وهي نظرية تقوم على اساس ان افراد الشعب كلهم سواء لا فروق بينهم (٢). ومن ابرز الدلائل على ذلك انه اباح سكنى القاهرة للجمهور والعامة. وجعلها مبتذلة لجميع طوائف الناس. بل كانت جميع اجزاء المدينة الكبرى مباحة (٣) بعدما كانت السكنى فيها في العصر الفاطمي مقسمة الى أجزاء طبقية، فكانت القاهرة الفاطمية للخليفة وحرمه وخواصه من رجال دولته وجنده في حين ان هناك اجزاء اخرى من المدينة الكبرى يقصر سكناها على الشيعة فقط، وتبقى اجزاء لبقية الرعايا.(٤)

ولم تكن التغيرات في مظاهر الحياة الاجتماعية في عهد الناصر صلاح الدين قاصرة على هذه المظاهر فحسب ،فلقد ازدهرت في مصر في ذلك الوقت الروح الدينية وهي روح اوقدتها الحروب الصليبية (٥)، فانتشرت الآداب والثقافة التي تزكي هذه المشاعر.(٦)

----

(١) ص: ٢٤٧-٢٧٠.

(٢) Suzan , Conquest and Fasion, p. 97.

(٣) ص: ٥١٢.

(٤) ص: ٥١٦.

(٥) عبداللطيف حمزة ،الحركة الفكرية في مصر ،ص ٦٨.
محمد سيد الكيلاني ،الحروب الصليبية واثرها على الأدب العربي في مصر والشام ،القاهرة ط٢ ،١٤٠٤هـ/ ص ٥١.

(٦) محمد سيد الكيلاني ، ن.م.س.

ومن المؤكد ان السلطان صلاح الدين قد عمل جاهدا على تقوية تلك المشاعر ،ومن ابرز الدلائل على ذلك رعايته للتعليم و نشر العلوم الدينية ، ولا جرم في ذلك فانه كان ذو نزعة دينية قوية (١) ،علاوة على ان تعزيز الروح الدينية يعتبر من اقصى الضروريات في ذلك الوقت ،نظرا لأهمية مثل هذه المشاعر في مقاومة و مجاهدة الخطر الصليبي ، فاستخدم التعليم لتحقيق هذا الغرض (٢).

والحقيقة ان رعاية الجوانب الدينية في الحياة الاجتماعية لم تكن في عهد الناصر صلاح الدين قاصرة على تنمية هذه الروح بين افراد الشعب المصرى فحسب ، بل تجاوزت ذلك الى رعاية التصوف (٣)، فلقد وجه صلاح الدين اهتماما كبيرا تجاه هذه الحركة الدينية فكان يشجع على هجرة المتصوفة الى مصر (٤) وينفق عليهم . فكانت من مهام الدولة الصلاحية ان تقرر للمتصوفة اموالا خاصة بهم للانفاق عليهم (٥).

---

(١) ص : ١٣٦.

(٢) حسن الباشا ،الفنون الاسلامية والوظائف ، ١٠٥٧/٣.
امينة بيطار ،التعليم في الشام في العصر الايوبي ، بحث منشور في مجلة تاريخ العرب والعالم ،العدد (٧٠) ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ص ٥٨.

(٣) اختلف في أصل هذه التسمية ،فقيل ان اسمها جاء من الصفة ،وهو الموضع الذى بنى لايواء جماعة من المسلمين بالمسجد النبوى الشريف وقيل انها جاءت من الصفاء اى صفاء الروح والسريرة ،وقيل من الصف اى التقدم في الصفوف بين يدى الله . وقيل ان اسمها جاء من لبس الصوف . للمزيد انظر احمد بن محمد بناني ،موقف الامام ابن تيمية من التصوف والصوفية مكة المكرمة ،ط١ ، ١٤٠٦هـ ص ٦٧-٧٠.

(٤) ص : ٥٠٩ - ٥١٠ .

(٥) حسنين ربيع ،النظم المالية في مصر ،ص ٧٨.

ومن المؤكد ان السبب في توجيه هذه الرعاية هو اعتقاد بعض حكام المسلمين حينئذ بأن في دعوات هؤلاء يكمن النصر على اعدائهم من الصليبيين .

فعلى ذلك كان اعتقاد الملك العادل نور الدين زنكي (١) الذى كان يعتبر أن من اهم العوامل المؤدية الى النصر دعوات هؤلاء الزهاد.(٢)

ومن المرجح ان صلاح الدين اراد بتشجيعه للتصوف ان يستوعب التغلل الشيعي (٣) داخل الحركات الصوفية التي كانت تنتشر بين طوائف الصناع، وبالتالي يمكن تحويل هذا التصوف نحو المذهب السني (٤) ، ضمانا لتأمين جبهة المسلمين الداخلية ضد الخطر الصليبي ،خاصة وان فترة الحروب الصليبية قد شهدت ازدهارا في حركات التصوف الذى وجد فيه الكثير من المسلمين الملجأ للهروب النفسي من واجب الجهاد المقدس.(٥)

---

(١) عنه انظر ص : ٣٧ هامش (٤) .

(٢) شاكر احمد ابو بدر ،الحروب الصليبية والاسرة الزنكية ، بيروت ص ١٨٢ .

(٣) سعيد عبد الفتاح عاشور ،الحياة الاجتماعية في المدينة الاسلامية ، بحث منشور في مجلة عالم الفكر ، ج ١١ العدد الاول ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ص ١٤٠ ، موريس لومبارد ،الجغرافيا التاريخية للعالم الاسلامي ص ٢٠٧ .

(٤) موريس لومبارد ،م.س ،ص ٢٠٩ .

(٥) محمد سيد الكيلاني ،الحروب الصليبية ص ٤٤ - ٤٥ .

وعلى كل فان هذا المظهر الاجتماعي قد ترتب عنه ان اصبح التصوف مظهرا من مظاهر الحياة الاجتماعية في مصر في ذلك الوقت (١) . فكان سكان القاهرة يعتبرون خروج المتصوفة لصلاة الجمعة من خنكاه سعيد السعداء (٢) التي بناها صلاح الدين للمتصوفة ،من الفرج التي يحرصون على مشاهدتها (٣) .

ولقد شمل التغير الاجتماعي في عصر صلاح الدين الكثير من العادات والتقاليد التي كانت سائدة في ذلك الوقت ، حيث صبغ هذا الجانب من الحياة الاجتماعية بصبغة جديدة تتفق مع التحول الى المذهب السني في القاهرة (٤) ،فاختفت الكثير من المواكب والاحتفالات التي كانت سائدة في مصر زمن الفاطميين (٥) فلقد كانت اعياد الفاطميين متعددة ، وبلغت من الكثرة حتى ليخيل الى الباحث ان ايامهم في

---

(١) سعيد عاشور ،مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك ص ١١٧ اسمت غنيم ،الدولة الايوبية والصليبيون ،الاسكندرية ١٩٨٥م ص ١٣٥ ،عبد اللطيف حمزة ، الحركة الفكرية في مصر ص ٩٥ .

(٢) عن هذه الخانكاه انظر ص : ٤٨٢ - ٤٨٣ .

(٣) المقريزى ،الخطط ، ٢/ ٤١٥ ،حسنين ربيع ،النظم المالية في مصر ص ٧٤ ، السيد الباز العريني ،مصر في عهد الايوبيين ، القاهرة ص ٢١٧ - ٢١٨ ، سعيد عبد الفتاح عاشور ،ن.م.س ، اسمت غنيم ،ن.م.س .

(٤) شحاته ابراهيم ، القاهرة ص ١١١ .

(٥) عبد اللطيف حمزة ،الحركة الفكرية في مصر ،ص ٥٩ .

مصر كانت كلها اعيادا .(١)

ومن الواضح انهم قصدوا بذلك ابراز سلطانهم وقوتهم امام رعاياهم امعانا في تثبيت هذا السلطان وتأكيد وجوده.(٢)

وبالغاء الخلافة الفاطمية على يد صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م ،والتحول الى المذهب السني ادى الى اختفاء العديد من الاحتفالات التي كانت سائدة في العصر الفاطمي كما سبق بيانه ،حيث اختفت معظم الاحتفالات الشيعية(٣) التي كانت موجودة عند الفاطميين(٤) وما يرتبط بها من بدع لا اصل لها في الدين الاسلامي .

---

(١) الامين عوض الله ،الحياة الاجتماعية ص ٢٤ ، وكان عدد هذه الأعياد يتراوح مابين خمسة وعشرون وثمانية وعشرون عيدا ، عبد اللطيف حمزة ،م.س ص ٥٧.

(٢) عبد المنعم ماجد ،نظم الفاطميين ورسومهم ، ٢/ ٤٢-٤٣ ، عبد اللطيف حمزة ، ن.م.س .

(٣) كان للفاطميين عدد من الاعياد الشيعية من اهمها الموالد مثل مولد النبي صلى الله عليه وسلم . ومولد علي بن ابي طالب رضي الله عنه ومولد ابنيه الحسن والحسين . ومولد الخليفة الحاضر . . . الخ .

الامين عوض الله ، الحياة الاجتماعية ص ٢٤ . وعن الاحتفالات بهذه الاعياد انظر المقريزى ،الخطط ، ١/ ٤٦٠- ٤٩٢ .

والقلقشندى ، صبح الاعشى ، ٣/ ٤٩٤ ،٥٠٥ . ومحمد جمال الدين سرور ،الدولة الفاطمية في مصر سياستها الداخلية ومظاهر الحضارة في عهدها ،القاهرة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م ، ص ١٦٣-١٦٩ .

(٤) سعيد عبد الفتاح عاشور ،مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك ، ص ١٣٣ ،واسمت غنيم ،الدولة الايوبية والصليبيون ،ص ١٤٠ .

في حين ان ما بقي منها جرى تحويره على عادات اهل السنة في ذلك الوقت ، فيوم عاشوراء (١) الذى اتخذه الفاطميون يوم حزن (٢) ،جعله الأيوبيون يوم فرح وسرور يدخلون فيه الحمامات ،ويوسعون فيه على اهلهم وعيالهم على عادة أهل الشام. (٣)

كما اختفي في عهد صلاح الدين الاحتفال الرسمي بمواسم النصارى واعيادهم (٤) ،حيث كان الفاطميون يشاركون النصارى اعيادهم ، ضمن سياستهم التي اتبعوها في مصر والقائمة على محاباة أهل الذمة. (٥) ففي عصر صلاح الدين الأيوبي اختفت هذه المشاركة الرسمية من قبل الدولة كما يشير

---

(١) هذا اليوم معظم عند المسلمين وهو اليوم العاشر من المحرم ولقد اوصى عليه الصلاة والسلام على صيامه وصيام يوم قبله أو بعده.
انظر سيد سابق ،فقه السنة ، ط ١ ، ١٣٩٧هـ/ ج ١ ص ٣٨١-٣٨٢.

(٢) جعله الفاطميون يوم حزن لأنه وافق فيه مقتل الحسين بن علي رضي الله عنه سنة ٦١ هـ. الامين عوض الله ، الحياة الاجتماعية ، ص ٢٦. عبد المنعم ماجد ، نظم الفاطميين ورسومهم ،ج٢ ص ١٢٨.

(٣) المقريزى ،الخطط ،١/ ٤٩٠ ، عبد اللطيف حمزة ،الحركة الفكرية في مصر ،ص ٥٩ ، سعيد عاشور ، مصر والشام ، ص ١٣٣ ، اسمت غنيم ، الدولة الايوبية ، ص ١٤٠

(٤) كان للاقباط في مصر عدد كبير من الاعياد من اهمها النوروز القبطي وعيد الميلاد والنسطاس والفصح وغيرها من الاعياد ،انظر المقريزى ، م.س ، ١/ ٢٦٤ - ٢٦٩. عبد المنعم ماجد ،م.س ، ٢/ ١٣١-١٣٦.

(٥) عبد المنعم ماجد ،م.س ، ٢/ ١٣١ - ١٣٢.

الى ذلك ابن اياس عند حديثه عن عيد خميس العدس [(١)] ففي العصر الفاطمي كانوا يضربون في هذا العيد (.. خراريب من ذهب ويفرقونها على ارباب الدولة برسم التبرك بها ... فبطل ذلك في دولة صلاح الدين يوسف بن أيوب) [(٢)] الا ان عدم المشاركة الرسمية من قبل بني ايوب لهذه الاحتفالات لا يعني اختفائها من الحياة الاجتماعية في مصر . اذ ان اهلها ظلوا يحتفلون بها . وربما شاركهم فيها في ذلك الوقت بعض المسلمين كما يشير الى ذلك القاضي الفاضل عند حديثه عن النوروز القبطي [(٣)(٤)] .

---

(١) سمي خميس العدس لأن النصارى يطبخون به العدس المصفى ويزعم النصارى بأن عيسى عليه السلام امر تلاميذه بأن يملئوا اناءا بالماء ويزمزموا عليه ثم يمسحون ارجلهم في مثل هذا اليوم ليعلمهم التواضع ، المقريزى ، الخطط ، ١/٦٦١ .

(٢) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ١ ، ق ١ ، ص ٢١٣ .

(٣) نقلا عن المقريزى ، م . س . ، ١/٢٦٩ .

(٤) النوروز القبطي ، هو اول السنة القبطية وهو من مواسم اللهو عند اقباط مصر ، عنه انظر المقريزى ، م . س ، ١/٢٦٧ - ٢٦٩ .
عبد المنعم ماجد ، نظم الفاطميين ورسومهم ، ٢/١٣٢ - ١٣٣ .
وهو من مواسم الفرص التي اتخذوها لاعياد العام الجديد ، على ابراهيم حسن ، مصر في العصور الوسطى ، القاهرة ص ٥٢٧
وكان العامة بمصر ينتخبون في النوروز رجلا يسمونه امير النوروز يطلى وجهه بالدقيق او بالحبر ويلبس ثوبا احمر او اصفر ، ويسير مخترقا الشوارع على حمار ، ومعه جمع كبير من الناس يتسلطون على المارة ويطلبون منهم رسم رتبة ومن لا يدفع يرش بالماء الممزوج بالاقذار . آدم متز ، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجرى ، ترجمة محمد عبد الهادى ابو ريده بيروت ، ط١ سنة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م ، ٢/٢٩٣ . الامين عوض الله ، الحياة الاجتماعية ، ص ٣٥ .

ومن التقاليد الاجتماعية التي اختفت في عهد صلاح الدين عادات التنزه التي كانت عند الخلفاء الفاطميين الذين كان ميلهم لحياة الترف والرفاه سببا في ان يقيموا العديد من المنشآت الخاصة بنزههم مثل تلك التي كانت في جزيرة الروضة والقرافة (١) ، علاوة على البساتين الجيوشية (٢) ، وهي منشآت كان من عادة الخلفاء الفاطميين الخروج اليها في كل يوم سبت وثلاثاء (٣) . فمن المؤكد ان مثل هذه التقاليد اختفت في عهد صلاح الدين الذى عرف عنه الميل للزهد والبعد عن الترف (٤) ، لذلك لم يؤثر عنه سوى الخروج الى بركة الجب (٥) للصيد

---

(١) المقريزى ، الخطط ، ١/٤٦٥ .

(٢) المقريزى ، م.س ، ١/٤٨٧ ، والبساتين الجيوشية بستانان كبيران احدهما يمتد من خارج باب الفتوح حتى المطرية والاخر من خارج باب القنطرة حتى الخندق وسميت بذلك نسبة لأمير الجيوش بدر الجمالي لأنها من جمله حبسه على ذريته ، ن.م.س. ويذكر علي باشا مبارك بأنه يدل في عصره على موضع هذان البستانان الاراضي التي في المزارع والبساتين الممتدة من المنطقة الواقعة من امام بوابة الحسينية الى الدمرداش ، والمطرية وصولا الى الخليج القاهرى . علي باشا مبارك ، الخطط التوفيقية ، ٢/٦٧ .

(٣) المقريزى ، م.س ، ١/٤٩٥ .

(٤) سعيد عاشور ، مصر والشام ، ص ١٢٢-١٢٣ هاملتون جب ، صلاح الدين الأيوبي ، ترجمة يوسف ايبش ، بيروت ص ١٩٩ .

(٥) بركة الجب او جب عميرة بركة تقع شمالي القاهرة على مسيرة ست ساعات منها وعرفت في العصر المملوكي ببركة الحاج لنزول قوافل الحجاج عندها . انظر عنها ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ليدن ، ص ١٤٩ ، وهشام عجمي ، قلاع الازنم والوجه وضبعا دراسة معمارية حضارية رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة أم القرى ١٤٠٦هـ ، ص ١٥ .

ولعب الاكره [١][٢] ،ولا تذكر المصادر انه قد كان له منشآت خاصة بنزهته كتلك التي عند الفاطميين .

ولقد كان للتغير الاجتماعي في عصر صلاح الدين دور هام في سيادة بعض المظاهر الاجتماعية الجديدة ، فنتيجة للحروب الصليبية ظهرت في ذلك الوقت الاحتفالات الخاصة بالانتصارات الحربية [٣] ، فكانت المدينة الكبرى تزين عندما تنتصر الدولة الصلاحية على احد خصومها ، ففي سنة ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م عندما تمكن صلاح الدين من ضم ميافارقين [٤] الى حكمه زينت بهذه المناسبة مصر والقاهرة [٥] .

----

(١) المقريزى ، خطط ، ١٦٤/٢ ، موءلف مجهول ، تاريخ العصر القاهرة ، ورقة : ١٩٧ .

(٢) الاكرة : عبارة عن كرة تصنع من مادة خفيفة مرنه اشبه بالفلين ونحوه وتلقى في الميدان فيتسابق الفرسان الى التقافها بعصا معقوفة تعرف بالصولجان او الجوكان .
جرجي زيدان ،تاريخ التمدن الاسلامي ،بيروت ٦٩٨/٢ .

(٣) عبد اللطيف حمزة ،الحركة الفكرية في مصر ص ٦٠ .

(٤) من أشهر مدن ديار بكر ،وقيل هي قاعدتها ،وتقع بين الجزيرة وأرمينية عنها انظر : الواقدى : محمد بن عمر (ت ٢٠٧هـ/ ٨٢٢ م) فتوح الشام ،بيروت ٩٥/٢ . ابن شداد : عزالدين محمد بن على (ت ٦٨٤ هـ/ ١٢٨٥م) ،الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، تحقيق : يحيى عبادة ، دمشق ١٩٧٨م جـ ٣ ،ق ١ ، ص ٢٦٠ . أبو الفداء ، عماد الدين اسماعيل بن محمد ابن عمر ، تقويم البلدان ، تحقيق دينور والبارون ماكوكين دى سلان ، باريس ١٨٤٠م ص ٢٧٨ .

(٥) صاحب حماه ، مضمار الحقائق ،ص ٢٢٢ .

كذلك سادت في ذلك الوقت عادة لعب الأكرة ،فصلاح الدين كان من عادته الخروج الى "بركة الجب" للصيد ولعب الأكرة هناك كما سبق بيانه ، وهذه العادة ربما اكتسبها صلاح الدين من سيده الملك العادل نور الدين زنكي الذى كان مغرما بممارسة هذه اللعبة ،والتي يذكران من اسباب غرامه بها هو روح الفروسية التي تتميز بها هذه اللعبة ، والتي كانت مفيدة للخيل في المعارك ، فمن هذه اللعبة تتعود الخيل (... سرعة الانعطاف والطاعة لراكبها في الحرب ..)(١)

ونتيجة للحروب الصليبية تزايد الاهتمام بسير السلف واخبارهم ، علاوة على ظهور العناية بالشعر خاصة الحماسي منه(٢) ، لذا فمن المؤكد انه قد ساد في ذلك الوقت ظاهرة عقد الحلق لقراءة الاخبار والسير وانشاد الاشعار في الأسواق كما يشير الى ذلك المقريزى عند حديثه عن سوق بين القصرين(٣) الذى يعود تاريخ ظهوره الى عصر صلاح الدين.(٤)

---

(١) ابن واصل ،مفرج الكروب ،ص ٢٦٦.

(٢) محمد سيد الكيلاني ،الحروب الصليبية واثرها في الادب العربي ص ٥١ ، ٣٠٠.

(٣) المقريزى ،الخطط ،٢/٢٨. الخاصكي : آق بغا (دوادار السلطان قانصوه الغورى) ،التحفة الناضرة بذكر رسوم خطوط القاهرة ،مخطوط بالمكتبة الوطنية بباريس ،ومنه نسخة مصورة بمعهد البحوث بجامعة ام القرى بمكة المكرمة ، تحت رقم (١٤٢٧ ت) لوحة : ٣٦.

(٤) ص : ٤٢٨.

ومن العادات الاجتماعية التي سادت في القاهرة في ذلك الوقت ، عادة شراء الأطعمة المطبوخة من الاسواق ، وهذه العادة يبدو انها ظهرت في عصر صلاح الدين نتيجة تحول الاماء الطباخات اللواتي كن في القصور الفاطمية الى العمل في اسواق الطعام (١) ،بعد ان اخلى صلاح الدين القصور من ساكنيها و تخلص من محتوياتها ،واطلق ما فيها من اماء بالبيع والهبة والعتق (٢).

ونظرا لما كان يتمتعن به الاماء من مهارة في الطبخ ،ولهن فيه صناعة عجيبة (٣) فمن المؤكد ان ذلك ادى الى اقبال الناس على شراء ما يعملنه من اطعمة ،فأصبح سكان القاهرة لا يأكلون الا من الأسواق ،وذلك على اختلاف درجاتهم (٤) ،بل ان الوزراء انفسهم كانوا يمارسون هذه العادة ،فكانت تشترى لهم الاطعمة المطبوخة من الاسواق (٥).

كما دخلت الى القاهرة في عصر صلاح الدين عادات جديدة في مجال الزى ،فاصبح الجنود في العصر الايوبي يلبسون الاقبية

---

(١) ابن سعيد الاندلسي ، علي بن موسى بن حمد بن عبد الملك (ت اواخر ق ٧ هـ/ ١٣م) ، النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة (القسم الخاص بالقاهرة من كتاب المغرب في حلى المغرب)، تحقيق حسين نصار ،القاهرة ١٩٧٠م ،ص ٢٩.

(٢) المقريزى ،الخطط ، ١/ ٤٩٦.

(٣) ابن سعيد الاندلسي ،م.س ،

(٤) العبدرى ،الرحلة المغربية ،ص : ١٢٨.

(٥) مؤلف مجهول ، تاريخ المصر القاهرة ،ورقة : ٣٣.

التتاريـة [(١)] والكوتات [(٢)] الصفراء التي توضع على الرأس بدون عمامة ، اضافة الى المنطقة [(٣)] في وسط الجسم ،وذكر القلقشندى ذلك بقوله : (... فـأما ما به تغطية رؤوسهم فقدتقدم انهم كانوا في الدولة الايوبية يلبسون كلوتات صفر بغير عمائم ،وكانت لهم ذوائب شعر يرسلونهـا خلفهم ... اما ثياب ابدانهم فيلبسون الاقبية التترية والتكلاوات فوقهـا ثم القباء الاسلامي [(٤)] فوق ذلك يشد عليه السيف من جهة اليســار

---------- ----------

(١) القباء من الملابس الخارجية ،وهو عبارة عن رداء يقفل من الامام بأزرار واكمام ، سناء بلال ، الملابس في العصرين القبطي والاسلامي ، ط ١ ١٩٨٢م ص ٣٩ ، والقباء التتارى من اصل اجنبي سمي بذلك لأنـه بدلا من عمل الشقة المستقيمة العادية للأقمصة التي كانت تستخدم في العصر الفاطمي فانه جعل لها كمران تلف الصدر من اليسار الى اليمين . وكان القباء يصنع عادة من الصوف والاطلس الحرير أو القطن البعلبكي ، وألوانه هي :الابيض يزين أحيانا بالأزرق والاحمر. ل .أ. ماير ،الملابس المملوكية ، ترجمة صالح الشيتي مراجعـة وتقديم عبد الرحمن فهمي ،القاهرة ص ٤٠-٤١ .

(٢) الكلوتـه : هي غطاء للرأس ،وهي اخف من الشربوش ،وكانت فـي بادىء الأمر صغيرة الحجم تصنع من الصوف الملطي يحيط بحافتها شريط عريض مزخرف . ل . فاير ،م.س ص ٥١ ، ٥٢ .

(٣) المنطقة : وتعرف ايضا بالحياصة ،وهو حزام يلبسه العسكريون ،يصنع من معدن ثمين - الذهب أو الفضة - ل .ماير ،م.س ص ٤٧ - ٤٨ ، السيد الباز العريني ،المماليك ، بيروت ص ٢٢٤ . سناء بـلال ، م.س ،ص ٥٩ .

(٤) يذكر ماير بأن هذا القباء لا يختلف عن الاقبية التاتريه على عكس ما ظنه كاثرمير ودوزى اللذان يريا ان هذا الرداء له طريقة عربية مميـزة في التفصيل ،ل . ماير ،م.س ص ٤٢ .

والصولق [(١)] والكزلك [(٢)] من جهة اليمين .. [(٣)] ، وهذا النوع من الزى ورثه بنو ايوب عن زنكيوا الموصل [(٤)] .

ولقد ترتب عن هذه التغيرات الاجتماعية العديد من المظاهر العمرانية اهمها ما يلاحظ بشكل عام على أن الحياة الاجتماعية في القاهرة بدأت تزخر بالنشاط والحيوية [(٥)] نتيجة الأمن والاستقرار الذى يعد ضروريا لأى نمو حضارى وعمراني [(٦)] . وهذه الظاهرة لا بد وأنها أثرت في ازدهار النشاط العمراني الذى شهدته القاهرة في عهد صلاح الدين [(٧)] ،علاوة على ان المستوى الحضارى لانسان القاهرة قد تزايدت درجته وارتفع مقداره [(٨)]

---

(١) الصولق : جيوب من الجلد البلغارى كبيرة الحجم يسع الواحد منها اكثر من نصف ويبه غلة يغرز فيها منديل طوله ثلاثة اذرع ، وتكون الصولق ضمن الكمران اللذان يلبسهما الجندى فوق القباء .
المقريزى ،الخطط ، ٢/ ٩٨ ،ل . ماير ، م.س ، ص ٥٠ - ٥١ .

(٢) الكزلك : وهي عادة تطلق في اقليم مصر على السكين الصغيرة ولم يرد لها أى تعريف فيما اطلعت عليه من مصادر ومراجع.

(٣) القلقشندى ،صبح الاعشي ٤/ ٣٩-٤٠ .

(٤) القلقشندى ،م.س ، ٤/ ٥-٦ .

(٥) حسن الباشا ، القاهرة ص ٢٩١ . شحاته ابراهيم ،القاهرة ، ص ١١١ .

(٦) Suzan Jane , Conquest and Fasion, P. 95.

(٧) ص : ٢٨٧ .

(٨) حسن الباشا وآخرون ،القاهرة ، ص ٢٩١ . سعيد عاشور ، مصر والشام ، ص ١٣٤ .

يشير الى ذلك ما يذكره عبداللطيف البغدادى عن حمامات هذه المدينة عند زيارته لها في تلك الفترة ،حيث يقول (... واما حماماتهم فلم اشاهد في البلاد اتقن منها وصفا ولا اتم حكمة واحسن منظرا و مخبرا..)[(١)] فكان يستخدم في بنائها الرخام بجّمامه والوانه المختلفة ، بل انه يشير ايضا الى مدى الاهتمام في بناء العمائر والاهتمام باساساتها ومرافقها المختلفة[(٢)] ، الأمر الذى يؤكد على ان هذه الامور كانت من المظاهر التي تميزت بها القاهرة في ذلك الوقت والذى لفت انتباه هذا الرحال .

ولقد كان لاختفاء بعض المناسبات الفاطمية دورا عمرانيا ايضا اذ ان اختفاء هذه المظاهر الاجتماعية كان له دور كبير في تغير الوظيفة العمرانية لبعض المساحات الخالية من البناء في القاهرة الفاطمية ،فلقد ربط الفاطميون العديد من المناسبات التي كانت في عصرهم برسوم ونظم[(٣)] كان الغرض منها اظهار حكمهم بنوع من القوة والفخامة والاجلال ،وذلك لكسب ولاء رعاياهم ، بالاضافة الى منافسة الخلافة العباسية و محاولة التفوق عليها في هذا المجال.[(٤)]

----

(١) عبد اللطيف البغدادى ،ابو محمد عبد اللطيف بن يوسف بن محمد ابن علي عاش في القرن ٦ هـ/ ١٢ م. وعاصر عهد الناصر صلاح الدين ،الافادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر ،المجلة الجديدة ص ٥٣ ، زكي حسن ، الاعمال الكاملة ، ١١٦/٨ .

(٢) ن.م.ص .

(٣) عبد المنعم ماجد ، نظم الفاطميين ورسومهم ، ٣٩/٢ .

(٤) سناء بلال ، الملابس في العصرين القبطي والاسلامي ، ص ٣٤ .

لذلك كان في بعض الاعياد الفاطمية ما يطلق عليه بـ (المواكب)[(١)] حيث كانت تصطف الحاشية والجنود يتقدمهم الخليفة في ترتيب معين ليسيروا وفق مراسيم محدده موضوعة مسبقا[(٢)] وتطالعهم الناس بشغف وشوق اثناء سير هذه المواكب في الشوارع[(٣)] . ومن المؤكد ان هذه المواكب كانت تقتضي أن تكون شوارع المدينة الرئيسية التي تسير فيها واسعة . اذ ان المشتركون فيها عادة ما يكونون بعشرت الالاف كما يشير الى ذلك ناصر خسرو أثناء حديثه عن موكب فتح الخليج ،[(٤)(٥)] وان كان هذا العدد تراجع

---

(١) وتعرف ايضا "بالمواسم" و" بالركوب" وكلها تدل على خروج الخليفة ورجال الدولة والجيش في موكب رسمي يلبسوا فيه الملابس الفاخرة مصطحبين الالات الملوكية ،وذلك في ايام محددة من السنة ،وهي على نوعين : المواكب الكبيرة والتي تعرف (بالمواكب العظام) ،والمواكب الصغيرة وتعرف (بالمختصرة) . عبدالمنعم ماجد ، نظم الفاطميين ورسومهم ، ٢/ ٤٥-٤٦ .

(٢) عبد المنعم ماجد ،م.س ، ٢/ ٤٦.

(٣) عبد المنعم ماجد ،م.س ، ٢/ ٩١.

(٤) بلغ عدده حسبما يذكر ناصر خسروا اكثر من (٢٠٠) الف وان يبدو على هذا الرقم المبالغة ،انظر ناصر خسرو ،سفرنامه ، ص ٩٤ . عبد المنعم ماجد ، م.س ، ٢/ ٤٨.

(٥) يعتبر فتح الخليج من المناسبات الرئيسية للنزهة بالنسبة لسكان المدينة . ابن دقماق ،الانتصار ،ق ١ ، ص ١١٥ ، لذلك كان الفاطميون يحتفلون به احتفالا زائدا ، وكان لهم منظرة تعرف (بالسكرة) تشرف على السد الذى يفتح في وقت فيضان النهر ليدخل الماء الى خليج القاهرة ،وكان الفاطميون يسيرون في موكب خاص بذلك وله زيه خاصة . القلقشندى ،صبح الاعشى ، ٣/ ٥١٤ - ٥١٧ . عبدالمنعم ماجد ،م.س ، ٢/ ١٠٧-١٠٩ . الامين عوض الله ، الحياة الاجتماعية ص ٣٣-٣٤ .

كثيرا في اواخر العصر الفاطمي عما كان عليه . فابن الطوير عند حديثه عن موكب أول العام[(١)] يذكر بأن عدد الذين يشتركون في هذا الموكب (.. تزيد على اربعة الاف في الوقت الحاضر وهم اضعاف ذلك)[(٢)] ،وترتيب هذه المواكب يتطلب ايضا شوارع واسعة ،فحرس الخليفة الخاص والذين كان عددهم يصل الى الف فرد كانوا يحيطون بالخليفة كالجناحين الممتدين عن يمينه وشماله[(٣)] ، علاوة على تلك المساحات التي يحتاجها المتفرجون من عامة الشعب والذين كانوا يصطفون في الشوارع ايضا للتفرج على مثل هذه المواكب . كما استغلت رسوم هذه المناسبات بعض الرحاب والميادين، ففي موسم اول العام كان يجتمع في ميدان بين القصرين[(٤)] في صبيحة يوم الاحتفال من القاهرة والفسطاط من ارباب الرتب من حملة الأقلام والسيوف انتظارا لخروج الخليفة[(٥)] ، كما يحتفل في هذا الميدان بالموالد :

---

(١) كان الفاطميون يحتفلون ببداية العام الهجرى حيث يكون لهم موكب يجتمع فيه رجال الدولة من ارباب السيف والقلم. المقريزى ،الخطط (١/٤٤٥ - ٤٥٠ ، القلقشندى ،م.س ، ٣/٤٤٩- ٥٠٥ . عبد المنعم ماجد ،م.س ، ٢/٤٤٩- ٥٠٥.

(٢) المقريزى ،م.س ، ١/٤٥٠.

(٣) المقريزى ،م.س ، ١/٤٤٩. القلقشندى ، صبح الاعشي ، ٣/٥٠٣ عبد المنعم ماجد ،نظم الفاطميين ورسومهم ، ٢/٨٩.

(٤) عن هذا الميدان انظر ص : ٣٦٥- ٣٦٦.

(٥) المقريزى ،م.س ، ١/٤٤٨.

كمولد النبي صلى الله عليه وسلم (١) ،والاحتفال بليالي الوفود الأربع (٢) ، في حين ان الميدان الذى يعرف بالمنحر (٣) كان مخصصا لكي تتم فيه مراسيم النحر التي كان يقوم فيها الخليفة في المناسبات الخاصة بذلك كالنحر في عيد الغدير (٤) وعيد الاضحى (٥) في حين ان رحبة العيد (٦) كان يصطف فيها الجنود انتظارا لخروج الخليفة لصلاة العيدين (٧).

---

(١) المقريزى ،م.س ، ١/٤٣٣ . والاحتفال بالموالد للنبي عليه الصلاة والسلام او غيره من الصالحين من الامور التي لا اصل لها في الاسلام وهي ليست من منهج السلف وهي من المناسبات التي ابتدعها الخلفاء الفاطميون في مصر . انظر ابن محفوظ ،الابداع في مضار الابتداع ص ٢٥٠-٢٥١ .

(٢) وهذه الليالي هي اول ليلة من رجب وليلة النصف منه وأول ليلة من شعبان والنصف منه ولا يكون فيها موكب للخليفة وانما لقاضي القضاة الذى يذهب الى ميدان بين القصرين ويطل الخليفة من منظرة تطل على الميدان ثم تقام الخطبة . انظر القلقشندى ، م.س ، ٣/٤٩٧-٤٩٨ . الامين عوض الله ،الحياة الاجتماعية ،ص ٢٩-٣٠ .

(٣) عن موقع المنحر انظر ص : ٣٦٦ .

(٤) وهذا العيد من بدع الشيعة واصله يقوم على اساس ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال في غدير خم (.. من كنت مولاه فعلى مولاه ..) فاعتبر الشيعة ذلك دليلا على احقية علي رضي الله عنه بالخلافة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم ،المقريزى ،الخطط ، ١/٣٨٨ .

(٥) المقريزى ،م.س ، ١/٤٣٦ .

(٦) عن موقع الرحبة انظر ص : ٣٦٧ .

(٧) الخاصكي ،التحفة الفاخرة /لوحة ٦٣ . مؤلف مجهول ، تاريخ المصر القاهرة ، ورقة : ٥٥ .

وكما سبق ان اشرنا فان غالبية المناسبات الفاطمية قد اختفت في عهد صلاح الدين باستثناء بعضها ذات المردود الاقتصادى ،حيث شارك صلاح الدين في الاحتفال بتخليق المقياس (١) وفتح الخليج . فقد قام بالمشاركة بهذه المناسبة في عام (٢) ٥٧٧ هـ وفي فتح خليج ابي المنجا (٣) الذى حافظ الايوبيون على الاحتفال بفتحه كما كان عليه الحال في العصر الفاطمي (٤) ، فان هذه المواكب على الرغم من بقائها لم تظل على ما كانت عليه في العصر الفاطمي من فخامة وضخامة ،اذ تراجع مستواها عما كانت عليه كثيرا (٥) ،اذ ان الدولة الصلاحية لم يكن لديها الاستعداد للانفاق على مثل هذه المظاهر المترفة التي لا يجنى من ورائها طائلا ،خاصة وانها كانت تحمل لواء مجاهدة الصليبيين في الشام ،الأمر الذى يتطلب

---

(١) المقياس منشأة يحدد بها مقدار وفاء النيل و مبلغ الزيادة ،ولذلك فانه يتخذ من مصر مناسبة يعبر فيها عن الفرح والسرور . وكان للفاطميين في ذلك رسوم واحتفالات . ويدهن المقياس في ذلك اليوم بالزعفران والمسك . انظر القلقشندى ،صبح الاعشي ، ٢/ ٥١٢- ٥١٤ ، ٤/ ٤٧ .

(٢) المقريزى ،السلوك ، جـ١ ،ق ١ ،ص ٧٣ .

(٣) هذا الخليج من خلجان الشرقية من اعمال الديار المصرية امر بفتحه الوزير الفاطمي الافضل بن امير الجيوش الا انه نسب الى المشرف عليه وهو رجل يهودى يدعى بأبى المنجا ،المقريزى ، الخطط ، ١/ ٤٨٧ .

(٤) المقريزى ،م.س ، ١/ ٤٨٨ .

(٥) سعيد عاشور ،مصر والشام ، ص ١٣٣ ،حسنين ربيع ،النظم المالية في مصر ، ص ٦٠ .

توجيه الاموال تجاه هذه الجهود (١) ،لذا فان اختفاء مثل هذه التقاليد وتراجع مستوى ما بقي منها قد أثر بدون شك على الوظيفة العمرانية للأماكن التي كانت تشغلها من شوارع فسيحة ورحاب وميادين ،ولذلك فقد جرى استغلال مثل هذه الأماكن ليبنى عليها المنشآت والدور (٢) ،حيث لم يعد لوجودها خالية من البناء أى حاجة .

ولقد كان لتغير عادات النزهة ايضا دور في أن تستغل المنشآت التي خصصها الفاطميون لنزهتهم لأغراض اخرى فجرى تحويل العديد منها الى مواضع للسكنى .(٣)

ومن المؤكد ان ظهور عادة شراء الاطعمة من الاسواق وتغيرالزى قد اثرت على اسواق المدينة حيث ازدهرت اوضاع هذه الاسواق بظهور اسواق جديدة واتساع الاسواق القديمة (٤) وكان لانتشار لعبة الأكره دورافي ظهور ميادين جديدة خارج أسوار القاهرة .(٥)

ولقد كان للتغيير الاجتماعي دور في اضافة منشآت جديدة الى المدينة ، فرعاية التصوف ادى الى بناء الخانقاوات (٦) للمتصوفة ،وهي منشآت تدخل الى المدينة لأول مرة (٧) . في حين تزايدت عمارة الأربطة (٨) للمتصوفة حيث اخذت في الانتشار في اجزاء المدينة المختلفة بعدما كانت قاصرة في وجودها على القرافة .(٩)

---

(١) عبد اللطيف حمزة ،م.س ،ص٩ه .

(٢) ص : ٣٧٩ - ٣٨٠ .

(٣) ص : ٣٤٩ - ٣٥١ .

(٤) ص : ٤٢٤ .

(٥) ص : ٤٥٨ - ٤٥٩ .

(٦) عن الخانكاه انظر ص : ٤٨٢ هامش (٦) .

(٧) ص : ٤٨٢ - ٤٨٣ .

(٨) عن الرباط انظر ص : ٤٩٦ هامش (٩) .

(٩) ص : ٤٩٦ .

الفصل الثالث

العوامل السياسية والعسكرية

نظرا لكون العوامل السياسية والعسكرية تعتبرمن العوامل التي لها دور رئيسي في نشأة المدن وتطورها [(١)] ،فلقد كانت لهذه العوامل أيضا تأثيرا كبيرا على التطور العمراني للقاهرة في عهد السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي ،ففي هذه الفترة أخذ دور هذه المدينة في المجالين السياسي والعسكرى يبرز بشكل كبير ،مما ادى الى تطور في بعض نواحيها العمرانية ، كنوع من التكيف مع وظيفتها السياسية والعسكرية المستجدة .

و من ابرز مظاهر التأثير السياسي والعسكرى على القاهرة حينئذ يمكن ملاحظته في ثلاث جوانب رئيسة هي :

أ - أهمية القاهرة سياسيا :

ان الأهمية السياسية لأى مدينة ترتبط بعدد من العناصر التي تظهر من خلالها وتعمل على ترسيخ الدور الذى تقوم به هذه المدينة كوظيفة و بالتالي كقيمة موضوعية . ومن ابرز هذه العناصر وأشدها تأثيرا الناحية الجغرافية ، فالموقع أحد أهم العناصر التي تكسب المدينة صفة من الصفات ،سواء سياسية أوعسكرية أو تجارية ... الخ [(٢)] . لذلك فان دراسة موقع القاهرة والبعد الجغرافي لها ، يعد من الأمور الضرورية لاكتشاف أهمية هذه المدينة .

---

(١) ص : ٥٩ - ٦٣ .

(٢) جمال حمدان ،جغرافية المدن ،ص ٢٨١- ٢٨٢ .

والحقيقة فان أهمية القاهرة جغرافيا لا تكمن فيما يمتلكه موقعها من أهمية أو خصائص معينة [١]، فهذه السمات الجغرافية - لموقع القاهرة - لا يوجد لها أى بعد جغرافي يمكن الاستفادة منه هنا . بيد أن ذلك لا ينفي عن القاهرة أى سمات جغرافية ذات دلالات مفيدة للناحية السياسية . ونظرا لكون القاهرة عاصمة للاقليم المصرى فقد اكسبها صفة سياسية مهمة نبعت من موقع مصر الجغرافي .

فمصر تقع على الطرف الشمالي الشرقي من القارة الافريقية ، وتتصل في الوقت نفسه مع الطرف الجنوبي لاسيا لتكون جزءا من المنطقة التي يتداخل فيها الماء واليابس بشكل كبير [٢]، حيث يوجد البحر المتوسط ، والبحر الأحمر ، وخليج السويس ، والخليج العربي ، ولقد تميزت هذه المنطقة على الدوام بأنها أهم مركز لحركة التجارة العالمية منذ أقدم العصور [٣] . الأمر الذى جعل مصر مهيأة للاتصال ببقية مناطق العالم القديم [٤].

ولقد أكسب هذا الموقع مصر أهمية سياسية كبرى اذ يعتبر بعض المختصين بدراسة الجغرافيا السياسية أن مصر هي المركز الأساسي في

---

(١) سبق الاشارة الى اهمية موقع الفسطاط التجارى والعسكرى ، انظر ص ٦٢-٦٣.

(٢) جمال حمدان ، شخصية مصر ، ٦٩١/٢.

(٣) انظر فيما يذكره نقولا زيادة عن طرق التجارة في العصور الوسطى التي كانت ترتكز حينئذ في هذه المنطقة أو على أطرافها . نقولا زيادة ، الطرق التجارية في العصور الوسطى ، مجلة تاريخ العرب والعالم ، العددان ٥٩ - ٦٠ ، ١٤٠٤/١٩٨٣م / ص ١٢-٢٢.

(٤) ص : ٢٧٠.

التأثير السياسي في المنطقة [١] . وهو تأثير يتسع ويضيق بحسب الأوضاع السياسية المختلفة التي مرت بها هذه البلاد عبر تاريخها الطويل [٢] . فمثلما كانت القوى المتحكمة في منطقة الهلال الخصيب خطرا داهما يهدد مصر على الدوام ، فان مصر كانت أيضا على نفس درجة الخطورة تجاه هذه المنطقة [٣] ، ولعل ذلك ما يفسر الهلع الشديد الذى أصاب القوى الصليبية عندما تمكنت القوات الزنكية بقيادة الناصر صلاح الدين من احكام قبضتها على هذا الاقليم [٤] .

ان هذه المكاسب التي تحققت للبلاد المصرية من خلال موقعها تزداد اهمية اذا ما أخذنا في الاعتبار خصائص التكوين الجغرافي لهذه البلاد فمصر بنهرها الذى يخترق أراضيها الجافة تعتبر بقعة خضراء في وسط صحراوى . فعلى امتداد الساحل الجنوبي للبحر المتوسط ، ولمسافة ألف ميل من الصحراء ، لا يوجد نطاق معمور بشكل كبير سوى وادى النيل ، الذى يمتد على طول ذلك النهر العظيم [٥] ، والذى حول مصر الى بلاد تملك قوة اقتصادية ضخمة ممثلة (.. في وفرة انتاجها وشراء غلاتها ..) [٦] فاعتبرت

---

(١) جمال حمدان ، شخصية مصر ٢/ ٦٩٠ .

(٢) جمال حمدان ، م.س ، ٢/ ٧٠١ وانظر ايضا في حدود مصر ، عبد الفتاح وهبة ، الجغرافيا التاريخية ، ص ٢٢٤- ٢٢٥ .

(٣) جمال حمدان ، م.س ، ٢/ ٦٩٣- ٦٩٥ .

(٤) ص : ٢٠٦ - ٢١٠ .

(٥) جمال حمدان ، م.س ، ٢/ ٦٩١ .

(٦) ن.م.س .

مصر عند المسلمين (... معظم دار الاسلام ،وحلو به بيت مالهم ..) .[١]
والبلاد التي لا يحتاج اهلها الى غيرهم ، بينما غيرهم يحتاج اليها .[٢] فاذا
أضفنا الى الاعتبارات السابقة ،أهمية مصر كمنطقة تمركز بشرى ضخم ، نظرا
لوجود النهر الذى جعلها على الدوام مهوى أفئدة الجماعات البشرية المهاجرة ،[٣]
ولوقوعها عند اطراف قارتين كبيرتين - افريقيا وآسيا - حيث عادة ما تكون
اطراف القارات منطقة جذب سكانيبي .[٤] فان كل الاعتبارات الجغرافية
السابقة - الموضع ،الاقتصاد ،السكان - أدت الى أن تكتسب هذه البلاد
اهمية سياسية على مستوى المنطقة على أقل تقدير ،الأمر الذى دفع بأحد
قادة لويس الرابع عشر الى القول بأنه لا يوجد بين اجزاء المعمورة جميعها
بلد يمكن السيطرة من خلاله على العالم وبحاره سوى مصر .[٥]

ولا شك في أن مثل هذه الخصائص التي تتمتع بها هذه البلاد ،
ستكون مجسدة بشكل أو بآخر في العاصمة التي تدير شئونها ،وبالتالي
فان مصر من ناحية - الجغرافيا السياسية - هي القاهرة أيضا .

بيد أن أهمية القاهرة سياسياليست قاصرة على هذه الناحية ، فعلى
الرغم من القيمة المكتسبة من الوضع الجغرافي فان أهمية هذه القيمة لا تظهر
الا من خلال الدور الانساني فيها ، فجغرافية المكان لا تبرز أهميتها الا من

---

(١) أبو شامة ،الروضتين ، جـ ١ ،ق ٢ ،ص ٤٣٥ .
(٢) ابن مماتى ،قوانين الدواوين ، ص ٧٧-٧٨ .
(٣) جمال حمدان ، شخصية مصر ، ٦٩٣/٢ .
(٤) جون كلارك ،جغرافية السكان ،ص ٤٣ .
(٥) جمال حمدان ،م.س ،٦٩٤/٢ .

خلال علاقة الانسان بالمكان. لأن هذه العلاقة هي التي تبرز أهمية المكان وشخصيته.(١)

ولذلك فان الظروف التاريخية هي احدى أهم الجوانب التي يمكن من خلالها التعرف على أهمية القاهرة في فترة من الفترات . فالظروف التاريخية التي مرت بهذه المدينة في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي ،تعتبر من الجوانب الهامة التي يمكن من خلالها التعرف على اهمية القاهرة في تلك الفترة.

ولقد أدرك بنوأيوب أهمية مصر خاصة بعدما تعرفوا على هذه البلاد ومقدراتها من خلال الحملات المتعاقبة عليها كقادة لجيش نور الدين زنكي . حيث تنقل المصادر عن أسد الدين شيركوه عم صلاح الدين الأيوبي،(٢) ما يفيد بأنه كان راغبا في الاستيلاء على هذه البلاد والتمكن منها(٣) لما تمتلكه من خصائص جغرافية اذ قال أسد الدين لاصحابه (.. قد علمتم رغبتي في هذه البلاد ومحبتي لها وحرصي عليها ولا سيما وقد تحققت أن عند الفرنج منها ما عندي ..)(٤)

ومن المؤكد أن هذا الوضوح في الرؤيا حيال مصر يعني الكثير بالنسبة للدولة الأيوبية ، هذه الدولة التي يعتبر بعض المؤرخين أن بداية ظهورها كان منذ أن تولى صلاح الدين منصب الوزارة في عام

---

(١) ص : ٨٠.

(٢) عنه انظر ص : ٢١ هامش (٢)

(٣) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٣٨ ،ابن خلكان ،وفيات الاعيان ١٤٧/٧ ،ابن سعيد الاندلسي ،النجوم الزاهرة ، ص ١٣٩.

(٤) أبو شامة ،الروضتين ، ج ١ ،ق ٢ ،ص ٤٣٥.

(٥٦٤هـ/ ١١٦٨م) في عهد الخليفة الفاطمي العاضد .(١)(٢)

فلقد كان ميلاد هذه الدولة ايذانا بتحول تاريخي للموقف السياسي للقاهرة التي بدأت بالدخول في مرحلة سياسة جديدة ، تختلف عما كانت عليه في أواخر العصر الفاطمي . ففي أواخر هذا العصر تدهورت قيمة هذه المدينة بشكل كبير ، يدل على ذلك حريق الفسطاط(٣) ،الذى لم يجد الفاطميون بدا منه لهدم قدرتهم في الدفاع عنها ، ضد المحاولة التي قام بها الصليبيون للاستيلاء عليها(٤) ،وهذه الحادثة ذات دلالة واضحة على مدى التردى الذى وصلت اليه الدولة الفاطمية وقتئذ حيث اضطرت الى التضحية بأحد اهم أقسام المدينة الكبرى (مصر - القاهرة) .

ولذلك فان وصول الأيوبيون الى السلطة في القاهرة كان ايذانا بوقف هذا التردى السياسي الذى كانت المدينة تعاني منه اذ تطور الموقف السياسي للمدينة من خلال تغير الدولة وظهور موقف جديد يقوم على أساس ديني أخلاقي ،يهدف الى توحيد العالم الاسلامي(٥) في ظل سيادة واحدة

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ، ١/ ١٧١ ،ابن ظهيرة ، الفضائل الباهرة ص ٤٢ .

(٢) عن الخليفة الفاطمي العاضد انظر ص : ١٣٠ هامش (٦) .

(٣) عن هذا الحريق ،انظر ص : ٣٠٧-٣٠٨ .

(٤) ص : ٣٠٧ .

(٥) سعيد عاشور ، مصر والشام ، ص ٤٧ ، محمد ماهر حمادة ، الوثائق السياسية والادارية (للعهود الفاطمية والاتابكية والأيوبية دراسة ونصوص) بيروت ط . الاولى ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م ، ص ٦٩ .

هي الخلافة العباسية التي كان صلاح الدين يكن لها الولاء الشديد [١] ، وهذا التوحيد يستهدف ايجاد جبهة قوية موحدة قادرة على مقاومة الوجود الصليبي في بلاد الشام والقضاء عليه [٢] . وهذه السياسة ورثها صلاح الدين الأيوبي عن سيده نور الدين زنكي [٣] الذى كان يعمل جاهدا على تحقيق اهدافها [٤] . فصلاح الدين الأيوبي كان رجلا مؤمنا بالله وبعقيدة الاسلام متمسكا بمبادئه . التي حرص على أن يمارس سياسته من خلالها . [٥]

وتذكر الروايات التاريخية أنه عندما آلت اليه الأمور في البلاد المصرية ، بتوليه منصب الوزارة وقع في صدره ما يدفعه نحو مجاهدة الصليبيين ، فشعر بأنه أصبح ملزما بمهمة تحرير الأراضي الاسلامية وانقاذها من أيديهم [٦] ،

---

(١) هاملتون جب ، صلاح الدين الأيوبي ، ص ١٩٢ - ١٩٣ .

(٢) محمد ماهر حماده ، الوثائق السياسية والادارية ، ص ٦٩ ، هاملتون، جب ، م.س، ص ١٩٢ .

(٣) عنه انظر ص : ٣٧ هامش (٤) .

(٤) سعيد عاشور ، مصر والشام ، ص ٩ - ١٠ ، جمال الدين الرمادى ، صلاح الدين الايوبي ، القاهرة ١٩٥٨م ، ص ١٤ ، جمال الدين الشيال تاريخ مصر الاسلامية ، (العصران الأيوبي والمملوكي ، القاهرة ١٩٦٧م ص ١١ .

(٥) هاملتون جب ، م.س، ص ١٩٣ - ١٩٥ .

(٦) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٤١ ، أبو شامة ، الروضتين ، جـ١ ، ق ٢ ، ص ٤٠٦ .

فأقبل على الجد (١) وأخذ يعد العدة نحو تحقيق هذا الهدف الذى سيطر على توجهاته وسلوكه.

ولذلك نجد أنه كان حريصا على توحيد الجبهة الاسلامية ،ورفع راية الجهاد ،بل ان طموحه تعدى ذلك الى مواصلة الفتح الاسلامي في بلاد الشرك والكفر ، فابن شداد ينقل عن صلاح الدين رغبته في مواصلة الفتح في (.. جزائرهم ، أتتبعهم فيها حتى لا ابقي على وجه الأرض من يكفر بالله أو أموت ..). (٢)

مما تقدم يمكن أن نصل الى تفسير أشد وضوحا ،لما قام به صلاح الدين الأيوبي من تحركات سياسية وعسكرية تهدف اعادة توحيد الجبهة الاسلامية ،تلك الحركات التي بدأت أبعادها تتضح بعد قضاء صلاح الدين على الخلافة الفاطمية في عام (٥٦٧هـ/ ١١٧١م).

وعلى الرغم من أننا لا نستطيع أن ننفى وجود الدافع الشخصي لدى الناصر صلاح الدين ،كدافع اسهم بفاعلية في هذه التحركات ، الا أنه من المؤكد أنها لم تكن الدافع الرئيسي أو الوحيد . فما تذكره بعض المصادر من أسباب ودوافع لتبرير ما قام به صلاح الدين من ضم لبلاد اليمن في عام (٥٦٩هـ/١١٧٣م) ، من أنه أراد بذلك أن يجد له ولأسرته ملجأ يلوذ به فيما لو هاجمه

---

(١) ابن شداد ،م.س ،ص ٤٠ ، ابن سعيد الأندلسي ،النجوم الزاهرة ص ١٤٠-١٤١.

(٢) ابن شداد ،م.س ، ص ٢٢.

نور الدين زنكي [١] ، الذى أصبح بينه وبين صلاح الدين شيئا من الجفاء والوحشة لأن الأخير ظن بأن صلاح الدين لم يكن على ولاء له وأن الأيوبيين يريدون اقامة ملك خاص لهم في مصر [٢] . وأيا كان الأمر فاننا لا يمكن أن نجزم بأن هذا هو الدافع الرئيسي الوحيد الذى أدى ببني أيوب الى القيام بهذا العمل ، لأن من المؤكد أن وراء ضم اليمن أسبابا أخرى من أهمها رغبة صلاح الدين في توحيد القوى الاسلامية ، وهو ما أشار اليه صلاح الدين في احدى رسائله للخليفة المقتفى [٣] العباسي [٤] ، أضف الى ذلك أن هذه الخطوة يمكن أن تعبر أيضا عن مدى رغبة واصرار صلاح الدين فى القضاء على ذيول التشيع والمفاسد التي نشرها أتباع

---

(١) ابن الاثير ، ابو الحسن على بن محمد الشيباني (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م تحقيق نخبة من العلماء ، بيروت ط. الثانية ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م. ١٢٢/٩ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ٢٣٧/١ . الباز العريني مصر في عصر الأيوبيين ص ٤٠ .

(٢) ابن الاثير ، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل ، تحقيق عبد القادر احمد طليمات ، القاهرة ص ١٥٨ أبو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٥١٨ - ٥١٩ . ابن واصل ، م.س ، ٢٢١/١ على بيومي ، قيام الدولة الايوبية ، ص ١٥٦ .

(٣) هو ابو محمد الحسن بن المستنجد يوسف بن المقتفى محمد (٥٦٦هـ / ٥٧٥ ١١٧٠-١١٧٩م) اشتهر بالعدل والاحسان والجود . عنه انظر ابن دقماق ، الجوهر الثمين ، ص ١٧٠- ١٧١ ، ابن العماد شذرات الذهب ، ٢٥٠/٤- ٢٥١ .

(٤) محمد ماهر حمادة ، الوثائق السياسية والادارية ، ص ٢٥٤ .

الفاطميين في تلك البلاد (١) ،فلقد كان (... باليمن ما علم من ابن مهدى الضال ، وله اثار في الاسلام ،وثار طالبه النبي عليه السلام ،لأنه سبى الشرائف الصالحات ... ،وكان ببدعه قد دعا الى قبرأبيه وسماه كعبة ،وأخذ أموال الرعايا المعصومة وأباحها ، ... فأنهضنا اليه أخانا (٢) بمسكرنا بعد أن كلفنا له نفقات واسعة وأسلحة رائعة ،وسار فأخذناه ، ولله الحمد ، وأنجح الله فيه القصد ، ...) (٣)

والى جانب ذلك فاننا ينبغي ألا نهمل أهمية ضم اليمن من الناحية الاقتصادية حيث أن نجاح صلاح الدين في ذلك سيمكنه من السيطرة الكاملة على البحر الأحمر ،الذى كان يعتبر في ذلك الوقت أحد أهم الشرايين التجارية في العالم. (٤)

وكذلك الحال بالنسبة لتوسعات صلاح الدين في بلاد الشام ،والتي قام بها على حساب أسياده من بني زنكي ،وهو التحرك الذى قام به بعد وفاة نور الدين زنكي في عام (٥٦٩هـ/١١٧٣م) (٥)

---

(١) جمال الدين الشيال ، تاريخ مصر الاسلامية ،ص ٣٦ ، جميل حرب ، الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، ص ٨٣.

(٢) يقصد بذلك شمس الدولة توران شاه أخو صلاح الدين ،ابن الاثير الكامل ، ٩ / ١٢٢.

(٣) ورد هذا النص ضمن الخطاب الذى بعث به صلاح الدين الى الخليفة المقتفى العباسي ،محمد ماهر حمادة ،الوثائق السياسية والادارية ، ص ٢٥٧.

(٤) جمال الدين الشيال ،م.س ،ص ٣٧ ،جميل حرب ،م.س ،ص ٩٦.

(٥) على بيومي ،قيام الدولة الأيوبية ، ص ٢٠١-٢٠٢.

وعلى الرغم من تحفظ بعض المؤرخين تجاه هذا السلوك [١]، فمن الواضح أن ما قام به صلاح الدين لم يكن ناجما عن طموح شخصي ومطامع ذاتية، بقدر ما هو ناجم عن الرغبة في تحقيق الاهداف السامية لرفع شأن الاسلام وضمان نصرته وهو شأن يعلو على كل شأن [٢]. اذ أنه بعد وفاة نور الدين أخذت هذه الدولة في التدحرج نحو الهاوية، حيث ورث أمورها ابن قاصر [٣]، اخذ الأمراء الاقطاعيون المحيطون به يوجهون الامور حسب أهواءهم ومصالحهم الشخصية.، غير مبالين بالاخطار التي تواجه الأمة [٤] والتي كان من أكثرها الحاحا الوجود الصليبي [٥].

وهكذا فان تحرك صلاح الدين نحو ضم بلاد الشام كان يهدف الى توحيد الجبهة الاسلامية وهو هدف أساسي عنده.

---

(١) لاحظ ما يذكره ابن تغرى بردى عن اخذ صلاح الدين لبلاد الشام من الملك الصالح اذ يعتبر ذلك انتقاضا على النعمه. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ٦/ ٩٠.

(٢) محمد ماهر، الوثائق السياسية والادارية، ص ٢٦٣.

(٣) ابن شداد، النوادر السلطانية ص ٥٠، ابن خلكان، وفيات الاعيان ٧/ ١٦٥-١٦٦، ابن تغرى بردى، م.س، ٦/ ٢٤.
هاملتون جب، صلاح الدين الايوبي، ص ١٨٨.

(٤) على بيومي، قيام الدولة الأيوبية، ص ٢٠٥، هاملتون جب، ن.م.س، الباز العريني، مصر في عصر الأيوبيين، ص ٤٢-٤٣.

(٥) ابن كثير، البداية والنهاية ١٢/ ٢٨٧، سعيد عاشور، مصر والشام ص ٣٣، كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، ترجمة نبيه امير فارس، منير البعلبكي، بيروت ط. السابعة ١٩٧٧م ص ٣٥٤.

ان هذا الموقف السياسي الذى اتخذته الدولة الصلاحية ، كأخذ ينعكس في شكل قوة متنامية عسكريا واقتصاديا[١] ،وبشكل متناسق وكأن الامر يبدو من أوله الى اخره مخططا له ، فمنذ أن امسك صلاح الدين بمقاليد الامور كوزير للخليفة العاضد ،في سنة ٥٦٤هـ/ ١١٦٨م وحتى وفاته في عام ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م والدولة الأيوبية تتنامى وتتطور أوضاعها بشكل سريع ، فشملت مساحات واسعة من الاراضي تمتد من نهر الفرات شرقا وتنتهي في أطراف بلاد المغرب غربا ، علاوة على الحجاز واليمن في الجنوب.[٢]

ولتحقيق الاهداف التي تبناها هذا الفاتح العظيم ، فقد عمل منذ توليه الوزارة ،على توطيد مركزه وتطوره في بلاد مصر ، فعمل على تقوية أتباعه واضعاف أتباع الفاطميين ،فأخذ من أولئك اقطاعاتهم وقام بتوزيعها على رجاله بل وزاد في اقطاعاتهم[٣] . وفضلا عن ذلك فقد عمل على نشر العدل وبذل الأموال للناس مما ادى الى شغف العامة به[٤] . بيد أن تزايد نفوذ صلاح الدين الأيوبي لم يظهر بشكل جلي الا بعدما تمكن من القضاء على ثورة العبيد السودان (٥٦٤هـ/ ١١٦٨م وهي ثورة كانت تستهدف القضاء على حكمه[٥] ولقد أدى قضاء صلاح الدين على تلك الثورة الى ضعف الخلافة الفاطمية ، فأصبح الخليفة العاضد[٦] خالى

---

(١) Suzan Jane , Conquest and Fasion, p. 95.

(٢) ابن اياس ،بدائع الزهور ،ج ١ ،ق ١ ،ص ٢٤٩.

(٣) ابن الاثير ،الكامل ، ١٠٣/٩ ،أبو شامة ،الروضتين ، ج ١ ،ق ٢ ص ٤٥٠ ،المقريزى ،الخطط ،٣٥٨/١.

(٤) المقريزى ،م٠س ، ٢ /٢٣٣.

(٥) عن هذه الثورة انظر ص : ٢١٤-٢١٥.

(٦) عنه انظر ص : ١٣٠ هامش (٦) .

الوفاض أمام صلاح الدين الأيوبي (١) ، ووصل الأمر الى منع الخليفة العاضد من سائر موارده ، واخذ في الاستيلاء على كافة ممتلكاته (٢) حتى قيل أن صلاح الدين لم يبق لهذا الخليفة الفرس التي كان يركبها . (٣)

وقد تزايد نفوذ صلاح الدين بوصول أقربائه اليه (٤) ، ضمن التدفق البشرى على مصر ، حيث قدم في عام ٥٦٥هـ/ ١١٦٩م الى مصر من بلاد الشام ، عدد كبير من اقرباء صلاح الدين منهم والده واخوته ، علاوة على اصدقائه ومن يعز عليه وعدد كبير من التجار . (٥)

ولما قضى صلاح الدين على الخلافة الفاطمية في عام ٥٦٧هـ/ ١١٧١م أخذ في توسيع نفوذه فقام في سنة ٥٦٨هـ/ ١١٧٢م بارسال حملة

---

(١) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ١/ ١٧٨ ، الخاصكي ، التحفة الفاخرة لوحة : ٢ ، مؤلف مجهول ، تاريخ المصر القاهر ، ورقة ٢ .

(٢) المقريزى : م ٠ س ، ١/ ٣٥٨ .

(٣) ابن واصل ، م ٠ س ، ١/ ١٧٩ ، المقريزى : ن ٠ م ٠ س .

(٤) العيني ، ابو محمد بدر الدين بن أحمد بن موسى ت ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م ، السيف المهندس في سيرة الملك المؤيد ، شيخ المحمودى تحقيق فهيم محمد شلتوت ، القاهرة ١٩٦٧م ص ١٩٢ .

(٥) ابن الاثير ، الكامل ، ٩/ ١٠٦ ، ابو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ص ٤٦٥ ، ابن واصل : م ٠ س ، ١/ ١٨٥ . ويذكر ابن كثير ، بأنه قد وقد مع هوءلاء جيش كثيف ارسله نور الدين الى صلاح الدين ابن كثير ، البداية والنهاية ، ص ٢٦٠ .

الى بلاد النوبة بقيادة أخيه شمس الدين توران شاه [١] فاتجهت الى أسوان [٢] ثم استولت بعد ذلك على ابريم. [٣] [٤]

و من الواضح أن من اهداف هذه الحملة التعرف على المنطقة واكتشاف بعض الامتدادات الاقليمية لمصر، غير أن هذه الحملة سرعان ما عادت الى مصر بعدما تبين عدم الجدوى من السيطرة على تلك المنطقة [٥]، فضلا عن رغبته في عدم احداث مشاكل فيها بعد أن جرى صد محاولة للهجوم على مصر من هذه الجهة قام بها أهل هذه البلاد. [٦]

---

(١) الملك المعظم شمس الدولة توران شاه بن نجم الدين أيوب كان أسن من اخيه صلاح الدين، اشتهر بالسخاء والكرم والشجاعة انظر ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ٨٧/٦، ابن العماد، شذرات الذهب، ٢٥٥/٤-٢٥٦.

(٢) اسوان: مدينة كبيرة باقصى جنوب مصر تشرف على النيل من شرقيه وتشتهر بزراعة التمور. انظر: الاصطخرى: المسالك والممالك، ص ٤٠. ياقوت، معجم البلدان ١٩١/١-١٩٢.

(٣) ابو شامة، م.س، جـ١، ق ١، ص ٥٣٠ - ٥٣١، ابن كثير، م.س ٢٧٠/١٢، سعيد عاشور، مصر والشام، ص ٢٨. على بيومي، قيام الدولة الايوبية، ص ١٨٥.

(٤) ابريم: حصن كان قاعدة لبلاد النوبة، ابن الاثير، م.س، ١١٨/٩، ابن كثير، ن.م.س.

(٥) ابن الاثير، م.س، ١١٨/٩-١١٩، ابو شامة، الروضتين، جـ١، ق ٢ ص ٥٣١، ابن واصل، مفرج الكروب، ٢٢٩/١، ابن كثير، ن.م.س.

(٦) ابو شامة: ن.م.س.

وقد جهز صلاح الدين في عام ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م حملة كبيرة وجهها الى بلاد الحجاز واليمن بقيادة أخيه شمس الدولة أيضا (١)، وقد سبقت الاشارة الى اهدافها الدينية والسياسية والاقتصادية (٢) ونتج عن هذه الحملة خضوع بلاد الحجاز واليمن لنفوذ الأيوبيين منذ تلك الفترة. (٣)

وكان لوفاة نور الدين زنكي في اواخر عام ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م أثرا كبيرا في خطط صلاح الدين الأيوبي، حيث توجهت انظاره نحو بلاد الشام بصفة عامة وأملاك الدولة الزنكية بصفة خاصة، نظرا لأهمية هذه البلاد في مواجهة القوى الصليبية (٤)، علاوة على ان الدولة الزنكية أضحت عرضة للانقسام (٥)، فالصليبيون وجدوا في ذلك فرصة للتقدم نحو دمشق، فقاموا في نفس العام بتوجيه حملة عسكرية نحو بانياس (٦) القريبة من دمشق.

---

(١) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص ٤٦، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٧/١٦٥.

(٢) ص: ١٧٥-١٧٧.

(٣) جمال الدين الشيال، تاريخ مصر الاسلامية، ص ٣٩. سعيد عاشور، مصر والشام ص ٢٨.

(٤) كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، ص ٣٥٤.

(٥) سعيد عاشور، مصر والشام، ص ٣٢-٣٣، هاملتون جب، صلاح الدين الأيوبي، ص: ١٢٢-١٢٣.

(٦) هذا الموقع هو في الاصل نهر من انهار دمشق، كانت تحيط به القرى والمزارع بطبيعة الحال، ياقوت، معجم البلدان ١/٣٣٠، ويذكر ابن واصل ان به قلعة، ابن واصل، مفرج الكروب، ٢/٧

ولم يتراجعوا عن تحقيق ذلك ،الا بعدما تعهدت الدولة الزنكية بدفع مبلغ معين من المال ،وهددتهم باستدعاء صلاح الدين من مصر ، ان هم أصروا على خططهم (١) . كذلك فان حكام الموصل من أمراء البيت الزنكي ،والذين كانوا في أواخر عهد نور الدين زنكي تابعين له (٢) فانهم اخذوا يوسعون املاكهم على حساب الدولة الازنكية في البلاد الجزرية .(٣)

ولقد كانت تلك الاضطرابات سببا رئيسا في أن يتوجه صلاح الدين نحو بلاد الشام رافعا شعار الوصاية على الملك الصالح (٤) بن نور الدين (٥) الذى كان عمره احدى عشر سنة (٦) فتم لصلاح الدين ضم دمشق الى ادارته وذلك في سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م (٧) ودخل بعد ذلك في صراع مع ثلاثة

---

(١) ابن كثير ،الكامل ، ٩/١٢٧-١٢٨ ،ابو شامة ،الروضتين ، جـ١ ، ق ٢ ص ٥٨٩ . ابن واصل : ن.م.س.

(٢) اخضع نور الدين في اواخر عهده اتابكية الموصل الى حكمه . انظر ابن واصل : م.س ، ١/١٩١-١٩٣.

(٣) ابن الاثير ،الكامل ، ٩/١٢٧ ،التاريخ الباهر ص ١٧٥ ، ابو شامة الروضتين ، جـ ١ ،ق ٢ ، ص ٥٩٠ - ٥٩١ ، هاملتون جب ، صلاح الدين الأيوبي ،ص ١٢٧ ، جمال الدين الشيال ، تاريخ مصر الاسلامية ص ٤٣ .

(٤) هو الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين محمود ٥٦٩-٥٧٧هـ/ ١١٧٣-١١٨١م ولى الحكم بعد ابيه وكان عمره احدى عشر عاما ، توفى وعمره تسعة عشر سنة كان حليما كريما . عنه انظر : ابن العماد ،شذرات الذهب ٤/٢٨٥.

(٥) ابن شداد ،النوادر السلطانية ص ٥٠ ،ابن خلكان ،وفيات الاعيان ، ٧/١٦٦ ،الباز العريني ،مصر في عصر الايوبيين ص ٤٣ .

(٦) انظر هامش (٤).

(٧) ابن الاثير ،الكامل ، ٩/١٣٠-١٣١ ،

اطراف اساسية تكاتفت ضده هي : الزنكيون في حلب والموصل ،والقوى الصليبية في بلاد الشام ،وفرقة الحشاشين من الاسماعيلية ، اما الطرف الأول وهم الزنكيون في الموصل (١) وحلب (٢) الذين انتقل اليهم الملك الصالح بناءا على توصية بعض قادته (٣) فكان بينه وبينهم حروب ومفاوضات وهدن ،أطنبت بذكرها المصادر (٤) وهي ليست من شأن هذه الدراسة ،وقد انتهت الأمور بانتصار صلاح الدين حيث ضم اليه حلب ، وخضعت الموصل والبلاد الجزرية الى حكمه .(٥)

---

(١) المدينة المشهورة وهي احدى قواعد بلاد الاسلام بها سعة رقعة وكثرة خلق فهي باب العراق ومفتاح خراسان. انظر ابن خرداذبة المسالك ، ص ٩٣ ، ابن الفقيه الهمذاني ، مختصر كتاب البلدان ص ١٢١ ، ياقوت ،معجم البلدان ٥/٢٢٣ ، سعيد الديوه جي ، تاريخ الموصل ، ١/١٧٥ - ٢١٨ ، طلال رفاعي ،البريد ، ٦٠٩

(٢) مدينة عظيمة واسعة كانت قصبة جند قنسرين وهي من سكك البريد انظر ابن خرداذبة ،المسالك ، ص ٧٤ ، قدامة ،الخراج ٤٥٤ ، ياقوت ، معجم البلدان ٢/٢٨٢ - ٢٨٤.

(٣) ابن الاثير ،م.س ، ٢/١٢٦-١٢٧ ، ١٣٠-١٣١ ، هاملتون جب ،صلاح الدين الأيوبي ،ص ١٢٣-١٢٤.

(٤) ابن شداد ،النوادر السلطانية ، ص ص ٥٠-٥٢ ، ٥٤-٩٧ ، ٥٩-٦٧ ، ٧٠-٧١ . ابن خلكان ،وفيات الاعيان ، ص ١٦٦-١٧٢ جمال الدين الشيال ،تاريخ مصر الاسلامية ص ٤٧ - ٤٨ .

(٥) هاملتون جب ،م.س ، ص ١٢٧- ١٤١.

وبذلك يكون صلاح الدين الأيوبي قد ضمن جبهته الشمالية والشمالية الشرقية ،ولم يعد يتخوف من الاخطار التي كانت تهدده من هذه الجهات [١] ، بل انه بتوحيده هذه المناطق فانه زاد من قوته العسكرية ونجم عن ذلك ان أصبح لدى صلاح الدين الأيوبي اكبر حشد عسكرى عرفه الصليبيين خلال تلك الفترة ،وهو ما عبر عنه احد امرائهم بقوله (.. لقد رأيت عسكر الاسلام قديما وحديثا وما رأيت مثل هذا العسكر الذى مع صلاح الدين كثرة وقوة ..)[٢]

أما القوى الثانية التي واجهها صلاح الدين في بلاد الشام فكانت القوى الصليبية التي اربكها وزاد من مخاوفها توسع حدود الدولة الايوبية وامتدادها من مصر لتشمل الحجاز واليمن من الجنوب وبلاد الشام ووجدت في تنامي هذه القوة خطرا حقيقيا يتهدد وجودها [٣] . ولذلك فقد حاولت أن تمنع فرصة تنامي هذه القوة بمحاولة التحالف مع الزنكيين ضد صلاح الدين الأيوبي اذ أنه عندما قام صلاح الدين في عام ٥٧٠هـ/١١٧٤م بمهاجمة حلب بهدف ضمها قام الصليبيون بمهاجمة مدينة حمص [٤] وحاصروها

---

(١) هاملتون جب ، صلاح الدين الأيوبي ،ص ص ١٣٢ ، ١٤١ .

(٢) ابن الاثير ،الكامل ، ١٧٧/٩ .

(٣) ابن الاثير ،م.س ، ١٣٩/٩ .

(٤) بلد مشهور كبير موجود بين دمشق وحلب في نصف الطريق ، ابن خرداذبة ،المسالك ، ص ٩٨ ، قدامة ،الخراج ، ص ٤٢٧ ، ابن جبير ،الرحلة ، ص ٢٣١-٢٣٣ ، ياقوت ،معجم البلدان ، ٣٠٢/٢ .

الأمر الذى اضطر صلاح الدين معه الى الانسحاب والتوجه نحو هذه المدينة لفك الحصار عنها .[(١)]

وعلى أية حال فلقد دخل الصليبيون مع صلاح الدين في مناوشات متلاحقة كما عقدوا معه الهدنة مرات عديدة قبل أن يحقق الله على يديه الانتصار العظيم في حطين عام ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م .[(٢)]

أما الجبهة التالية التي دخل معها صلاح الدين في صراع عسكرى وسياسي ، فهم الحشاشون الاسماعيلية ،الذين حرصوا على التحالف مع الزنكيين بهدف القضاء على صلاح الدين الأيوبي .

ولقد قام الحشاشون بمحاولتين لقتل صلاح الدين الأيوبي ، وحصلت اولاهما خلال محاصرته لمدينة حلب في عام ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م[(٣)] وتذكر المصادر بأن هذه المحاولة قد حصلت نتيجة اتفاق سرى عقد بينهم وبين الزنكيين في حلب ، حيثبذل الزنكيون لهم الاموال لتحقيق هذا الغرض غير أن المحاولة باءت بالفشل[(٤)] ، وأما المحاولة الثانية فقد جرت في السنة التالية ٥٧١هـ/ ١١٧٥م اثناء محاصرة صلاح الدين لقلعة اعزاز وكان مصيرها الفشل كسابقتها .[(٥)]

----

(١) ابو شامة ،الروضتين ، جـ١ ،ق ٢ ، ص ٦١١ ، ابن كثير ،البداية والنهاية ،١٢/٢٨٩ .

(٢) هاملتون جب ، صلاح الدين الايوبي ،ص ١٤١ ، ١٤٩ .

(٣) وكانت المحاولة تقوم على اساس ان يتسلل بعض الاسماعيلية ويقتلوا صلاح الدين في معسكره ،للمزيد انظر ابن الاثير ،الكامل ،١٩/١٣٢ .

(٤) ابو شامة ، م.س ، جـ١ ،ق ٢ ، ص ٦١٠-٦١١ .

(٥) ابن واصل ،مفرج الكروب ، ٢/٤٤-٤٥ .

ومن الواضح أن لدى هذه الطائفة الاسماعيلية موقفا حاقدا تجاه صلاح الدين ، الذى قضى على دولة الشيعة في مصر وحارب التشيع ومذاهبه في كل مكان .(١)

وأمام هذه المواقف التي تبناها الحشاشون ،فان صلاح الدين قام بتوجيه ضربة قوية لهم في عام ٥٧٢هـ/ ١١٧٦م ،فهاجم حصونهم وكاد ان يقضي عليهم لولا انهم استعانوا ببعض أقاربه الذين توسطوا لدى صلاح الدين ليدخل في صلح معهم(٢) ،ولعل صلاح الدين قدر بأن المصلحة تكمن في مهادنتهم ، وبذلك فقد تمكن الناصر من السيطرة على القوى الاساسية التي واجهته في المنطقة .

وبشكل عام فان هذه التطورات علاوة على الامكانيات التي تمتع بها الاقليم المصرى ،أدت الى أن تتبوأ القاهرة مركز الصدارة كعاصمة لدولة من اكبر دول العالم الاسلامي في ذلك الوقت ، ومن أهمها على الاطلاق نظرا لما قامت به من دور يهدف الى توحيد العالم الاسلامي . وطرد الصليبيين من معظم الاراضي التي احتلوها ، حيث لم يبق للصليبيين في

---

(١) لاحظ ماذكرناه عن موقف صلاح الدين من التشيع والتحول الديني في مصر ص : ١٣٩-١٤٢ .

(٢) استعان الحشاشون بخال صلاح الدين الأيوبي شهاب الدين محمود الحارس الذى كان جارا للحشاشين الاسماعيلية لأنه كان حاكما لمدينة حماه التي تقع بجوار حصونهم وتذكر بعض المصادر ان هؤلاء الاسماعيلية مارسوا مع خال صلاح الدين نوعا من التهديدات حيث هددوه بقتله هو واهله . ابن الاثير : الكامل ، ١٣٩/٩ . ابن واصل ، مفرج الكروب ٤٧/٢-٤٨ . ابن كثير ،البداية والنهاية ، ٢٦٥/١٢ .

عهد صلاح الدين سوى شريط ساحلي ضيق.(١)

ومن أبرز الدلائل على ذلك هو أن زعيم هذه الدولة قد خص بعناية الكثير من مؤرخي السير في عصر الحروب الصليبية(٢)، الذين أفاضوا بالحديث عن اهدافه السامية وبشخصيته العظيمة وأخلاقه الكريمة. وبطبيعة الحال فان ذلك سينعكس على وضع القاهرة نفسها، التي تحولت ابتداء من هذا التاريخ الى عاصمة الصمود، ومقر قيادة حركة الجهاد الاسلامي ضد هجمات أعداء هذا الدين وهذه الأمة. ولذلك كان لا بد أن تكتسب السمات العمرانية التي تعبر عن هذا الوضع، فأخذ صلاح الدين بتحويل القاهرة الى عاصمة جديرة بدولة عظيمة فقام بتحصينها حيث بنى لها سوراً كبيرا يوفر الحماية لمساحة شاسعة من المدينة الكبرى(٣)، علاوة على قلعة حصينة تبنى في هذه المدينة لأول مرة(٤)، كذلك زودها بمنشآت دينية تعليمية ضخمة فمدرسته الواقعة بجوار قبر الامام الشافعي، كانت أشبه ما تكون ببلد مستقل بذاته.(٥)

---

(١) لم يبق للصليبيين بعد انتصار صلاح الدين عليهم سوى مدينة صور وطرابلس وانطاكية وغيرها من المراكز الثانوية. سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ٨٠٧/٢.

(٢) احمد بدوى، الحياة العقلية، ص ٢٥٣.

(٣) ص: ٤٩٥.

(٤) ص: ٤٦٩.

(٥) ص: ٤٧٨.

ب - موقف الصليبيين من القاهرة :

تمثل الحروب الصليبية منعطفا خطيرا في التاريخ الاسلامي ، لما ترتب عنها من نتائج سياسية واجتماعية في حياة المسلمين ،اذ أن دخول الصليبيين الى بلاد الشام وانتصارهم على المسلمين وتأسيسهم لمجموعة من الامارات فيها أوجد ردود فعل مختلفة عند المسلمين أخذت في نهاية الأمر تتطور في شكل مواجهة للعدوان الصليبي ،ترتب عنها تغيرات في الخارطة السياسية للمنطقة بشكل عام.

وعلى أية حال فان دراسة موقف الصليبيين من القاهرة يمكن فهمه من الموقف العام لهم تجاه الاقليم المصرى ،حيث أن القاهرة تمثل مركز القيادة الذى يدار منه امر البلاد وبالتالي فان الموقف الصليبي العام تجاه مصر يتبلور فيه ذات الموقف تجاه عاصمتها القاهرة.

ويمكن القول بان الموقف الصليبي تجاه مصر خلال تلك الفترة قد مر بثلاث مراحل تاريخية كانت تنصب جميعها في هدف واحد وهو الاستيلاء على أرض الكنانة.

اذ أن الصليبيين ادركوا منذ أن وطئت اقدامهم أرض بلاد الشام ، أهمية مصر من الناحيتين الجغرافية والاقتصادية وان كان هذا الادراك قد أخذ يتطور بشكل عميق بمرور الأيام ،يدل على ذلك المراحل التاريخية الثلاث التي مر بها الموقف الصليبي تجاه مصر .

وأولى هذه المراحل التاريخية تبدأ بدخول الصليبيين بلاد الشام وتنتهي بدخول القوات الزنكية الى مصر وتمكنها من بسط الهيمنة الزنكية عليها في عام ٥٦٤ هـ/ ١١٦٨م فلقد تزامن الدخول الصليبي

الى بلاد الشام ،مع سوء الأوضاع الداخلية للدولة الفاطمية حيث كانت الدولة الفاطمية تعاني من الضعف في ذلك الوقت(١) ،ولذلك لم تكن قادرة على مواجهة الهجمة الصليبية على بلاد الشام(٢) ،مما أدى الى أن يوصف الموقف الفاطمي تجاه هذه الهجمة بالسلبية وعدم المبالاة.(٣)

وما كاد الصليبيون أن يوطدوا اقدامهم في بلاد الشام ،حتى بدأت انظارهم بالتوجه ناحية مصر بهدف الاستيلاء عليها ،فكانت اولى خطط غزو مصر قد أعدت من قبل أول ملوك بيت المقدس ، جودفرى دى بواين ، غير أن تلك الخطة لم يكتب لها النجاح ،لوفاته في سنة ٤٩٤هـ/١١٠٠م قبل أن يبدأ في تنفيذها.(٤)

ويبدو أن أخاه وخلفه ، بلدوين الأول ،قد عقد العزم على تنفيذ تلك الخطة ،ذلك انه قام في سنة ٥١٠هـ/ ١١١٦م بحملة استطلاعية تمكن فيها من الاستيلاء على أيلة(٥) وقطع سيناء متجها نحو الأراضي

---

(١) سعيد عاشور ،مصر والشام ،ص ٩ ، احمد بيلى ، حياة صلاح الدين الايوبي ،القاهرة ،ط. الثانية ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م ص ٤٢ قدرى قلعجي ، صلاح الدين الايوبي ، بيروت ص ١٦١.

(٢) احمد الصاوى ،المجاعات في العصر الفاطمي ص ١٨٥.

(٣) احمد رمضان ، شبه جزيرة سيناء في العصور الوسطى ، ص ٩٨.

(٤) سعيد عاشور ،م.س ، ص ١٠.

(٥) مدينة مطلة على ساحل البحر الاحمر ،مما يلي بلاد الشام ومصر ، وهي آخر الحجاز ،يجتمع في هذه المدينة حجاج الشام ومصر والمغرب وبها التجارة الكثيرة واهلها اخلاط من الناس.

===

الواقعة شرق الدلتا [١] ،ويظهر أن حالته الصحية قد تدهورت فتراجع نحو العريش [٢] ، حيث وافته منيته ، وهوفي طريق عودته الى فلسطين ، في سنة ٥١٤ هـ/ ١١٢٠م [٣] .

ولقد توقفت بعد ذلك الحملات الصليبية على مصر لفترة ليست بالقصيرة اذ لم تذكر المصادر أي غزوات ضدها حتى منتصف القرن السادس ٦هـ/ ١٢م وان كان ذلك لا يعني بأن الصليبيين قد تخلوا عن فكرة الاستيلاء على مصر ،وانما اقتضت مصلحتهم تأجيلها لبعض الوقت ،لكي يتفرغوا لمواجهة القوى الاسلامية المتنامية في بلاد الشام ممثلة بالدولة الزنكية [٤] خاصة وانهم قد ادركوا بأن الدولة الفاطمية أضحت تتآكل من الداخل [٥] ، وبالتالي فان تاخير غزوها سيجعل السبيل اليها امرا ميسورا .

=== البكرى ،ابوعبدالله عبدالله بن عبد العزيز الاندلسي (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) ،معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع ، تحقيق مصطفى السقا ،بيروت ١/ ٢١٦ ، ياقوت ،معجم البلدان ،٢/ ٢٩٢ .

(١) سعيد عاشور ،الحركة الصليبية ، صفحة مشرقة من تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى ، ١/ ٣٣٠ .

(٢) مدينة جليلة على طرف الشام بينه وبين مصر ،عنها انظر : الاصطخرى المسالك ، ص ٣٨ ، ياقوت ،م.س ، ٤/ ١١٣-١١٤ .

(٣) ابن ظافر ،جمال الدين بن على ت ٦١٣هـ/ ١٢١٦م اخبار الدول المنقطعة ، تحقيق اندريه فريه ،القاهرة ١٩٧٢م ص ٩٠ ، ويذكر سعيد عاشور ان هذا الامر تم في سنة (٥١٢هـ/ ١١١٨م) ، سعيد عاشور ، مصر والشام ، ص ١٠ .

(٤) على بيومي ،قيام الدولة الايوبية ص ٧١ .

(٥) سعيد عاشور ،م.س ،ص ١١ .

وتقدم المصادر المعتمدة معلومات عن استيفاء الصليبيين في حدود منتصف القرن السادس ٦هـ/ ١٢م لجباية سنوية من الدولة الفاطمية ، غير انها لا تورد اسباب ذلك ولا تقدم تحديدا واضحا للفترة التي بدأ الفاطميون بدفع تلك الأموال ،ومن المرجح أن يكون ذلك قد حصل خلال النصف الأول من القرن الخامس ،كما يشير الى ذلك ابن القلانسي في ثنايا حديثه عن حوادث سنة ٥٥٠هـ/ ١١٥٥م (١).

ويظهر أن التنافس والصراع بين الوزراء في اواخر العصر الفاطمي أدى الى عودة اهتمام الصليبيين مرة اخرى بمصر ،لذلك استأنفوا محاولاتهم للتدخل في شؤونها مدفوعين بعاملين رئيسيين : اولهما الأزمة التي حصلت بين الوزير الفاطمي ضرغام (٢) وملك بيت المقدس ، حول الجزية التي كان على مصر أن تدفعها اليه سنويا ،وقد كان من نتائج تلك الأزمة أن سار الملك بلدوين في اوائل سنة ٥٥٩هـ/ ١١٦٣م الى مصر ليفرض على الوزير الفاطمي اعادة دفع الجزية مرة أخرى (٣) ، وقد تصدى الجيش المصري بقيادة ضرغام للجيش الصليبي غير أنه عجز عن ايقاف

---

(١) ابن القلانسي ،ذيل تاريخ دمشق ص ٣٣١.

(٢) هو الملك المنصور أبو الاشبال ضرغام بن سوار اللخمي (٥٥٨هـ/ ٥٥٩هـ) وزر للخليفة العاضد الفاطمي عنه انظر : ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ٢/ ٤٤٢.

(٣) حسنى ابراهيم ،تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسوريا وبلاد العرب ،القاهرة ط. الرابعة ١٩٨١م ص ١٩٠ ،ويذكر سعيد عاشور ان هذا الامر تم في سنة ٥٥٨هـ/ ١١٦٢م ، سعيد عاشور ، مصر والشام ص ١٢.

زحفهم ،وازاء ذلك تراجع الوزير بجيشه وامر بفتح سدود النيل الذى كان وقت فيضانه ،فاغرق البلاد مما عرقل امكانية التقدم الصليبي ودفع الملك بلدوين الى الانسحاب نحو فلسطين (١) ،وقد قام الوزير الفاطمي بعد هذه التجربة المريرة بمهادنة الصليبيين بل ووافق على استئناف دفع الجزية السنوية وعلى زيادة مقدارها (٢) مما يسر له تحقيق اغراضه في عقد تحالف عسكرى أمنى مع الملك الصليبي ،بسبب ما علمه من ان منافسة الوزير السابق شاور (٣) ، والذى هرب منه الى الشام ، قد اخذ يستحث نور الدين في الدخول الى مصر وان الاخير قد وافقه على ذلك (٤) .

أما العامل الثاني الذى دفع الصليبيين نحو التوجه مرة أخرى الى مصر بعد استقرار الأمر فيها لصالح حليفهم فهو توجه نورالدين زنكي نحو مصر وخطورة ذلك على مصالحهم وأمنهم (٥) .

ولقد بدأت عوامل الجذب تؤثر في موقف نور الدين زنكي تجاه مصر منذ أوائل القرن السادس الهجرى (الثاني عشر الميلادى) من خلال

---

(١) ن . م.س .

(٢) حسنى ابراهيم حسن ،ن.م.س .

(٣) ابو شجاع شاور بن جبر بن فؤاد السعدى ، وزر للخليفة العاضد وقد كان عامله على الصعيد الاعلى ت ٥٦٤هـ/ ١١٦٨م ، ابن خلكان ،وفيات الاعيان ، ٢/٤٣٩ - ٤٤٨ .

(٤) حسن ابراهيم حسن ، م.س ، ص ١٩٠ .

(٥) سعيد عاشور ، مصر والشام ،ص ١٢ .

الاتصالات التي كان يجريها الوزير الفاطمي علي بن السلار [١] معه ، والتي بدأت منذ أن كان الاخير واليا على الاسكندرية [٢] ،ثم تطورت بعد أن ولي الوزارة في عام (٥٤٤هـ/ ١١٥٠م ، اذ سعى خلال تلك الفترة - وقد ادرك اطماع الصليبيين في مصر - الى اقامة نوع من التحالف فيما بينه وبين نور الدين من اجل توجيه ضربات عسكرية الى الصليبيين ، لمنعهم من غزو مصر ، فأوفد اسامة بن منقذ [٣] الى الملك العادل نورالدين ،طالبا منه القيام بمهاجمة طبرية [٤] من جهته ، ليقوم الوزير بالمسير

---

(١) هو ابو الحسن علي بن السلار ، المنعوت بالملك العادل (٥٤٤ - ٥٤٨ هـ / ١١٤٩ - ١١٥٣م) وزر للخليفة الظاهر العبيدى (٥٤٤ - ٥٤٩هـ/ ١١٤٩ - ١١٥٤م) عنه انظر : ابن خلكان ، وفيات الاعيان ٢/ ٤١٦ - ٤١٩ .

(٢) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ١٨٤ .

(٣) ابو المظفر اسامة بن مرشد بن علي بن مقلد الكناني ت ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م ، من اكابر بني منقذ اصحاب حصن شيزر ،كان عالما شاعرا ذا خطوة عند الامراء والملوك ، عنه انظر : ابن خلكان ، م س ١/ ١٩٥-١٩٩ .

(٤) بليدة على البحيرة المعروفة بطبرية وهي في طرف جبل ،وجبل الطور مطل عليها ، فتحها شرحبيل بن حسنة رضي الله عنه سنة ١٣هـ/ ٦٣٤م عنها انظر : ابن خرداذبة ،المسالك ص ٧٨ ، قدامة ، الخراج ، ص ٢٦٢ ، ياقوت ،معجم البلدان ،٤/ ١٧ ، طلال رفاعي ،البريد ، ٢/ ٦٢٩

في نفس الوقت الى غزة[(١)] وعسقلان[(٢)] . الا أن نور الدين تمنع عن القيام بمثل ذلك العمل[(٣)] ،حيث ان أقدامه في الشام لم تتوطد بعد بالشكل الكافي في تلك الفترة ،اذ أنه لم يتمكن من ضم دمشق الى حوزته الا في عام ٥٤٩ هـ / ١١٥٤م[(٤)] .

ولقد عملت تلك الاتصالات على أن يكون اكثر ادراكا لما وصلت اليه احوال الدولة الفاطمية من ضعف ،والانتباه الى مدى ما بلغته الاطماع الصليبية تجاه هذه البلاد[(٥)] .

وبتزايد الانقسامات الداخلية في الدولة الفاطمية ،مع ازدياد الضعف فيها[(٦)] ، بدأت بعض الزعامات في الساحة المصرية بالالحاح في طلب

---

(١) تقع هذه المدينة في اقصى الشام ناحية مصر وعلى جادتها وفي طرف البادية قرب البحر ،عنها انظر : ابن خرداذبة ،م٠س ،ص ٨٠ ، المقدسي ،احسن التقاسيم ، ص ١٧٧ ياقوت ، م٠س ٢/٢٠٢٠

(٢) تقع هذه المدينة بالشام في اعمال فلسطين على ساحل البحر بالقرب من غزة ،وبيت جبرين ،وكان يقال لها عروس الشام ، عنها انظر ،ياقوت ،م٠س ، ٢/١٢٢٠

(٣) اسامة بن منقذ ،الاعتبار ، ص ٠٧

(٤) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ١٨٣ ،وعن ضم نور الدين لدمشق انظر : ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ١٠٦-٠١٠٨

(٥) حسن ابراهيم حسن ،م٠س ، ص ١٨٢٠

(٦) محمد جمال الدين سرور ،الدولة الفاطمية ص ١٢٧٠

المساعدة من نور الدين الذى يظهر في أوضاعه العامة في بلاد الشام قد استقرت مما دفعه الى الاستجابة لتلك النداءات ،ويدلنا على ذلك أن الخليفة المقتفى بأمر الله [١] العباسي قد فوضه في السنة التي ضم فيها دمشق ٥٤٩هـ/ ١١٥٤م على حكم الساحل ومصر معا [٢].

ولقد كانت اولى المحاولات التي قام بها نور الدين للتدخل في شؤون مصر ، عندما وفد اليه الوزير الفاطمي شاور ،فهذا الوزير الذى تمكن من الوصول الى سدة الوزارة بالقوة في عام ٥٥٨هـ/ ١١٦٣م لم يلبث أن خلع عنها في نفس السنة من قبل ضرغام الذى كان احد القادة العسكريين في القاهرة ،حيث قام بثورة ضد شاور ،انتهت باقصائه ووصول الاخير الى سدة الوزارة [٣] ،وقد هرب شاور بعد ذلك الى الشام ، مستنجدا بنور الدين زنكي ،الذى استجاب لدعوته [٤] ، ولعله رغب في أن يكون اكثر الماما بالاوضاع في مصر ، وقد وجه نور الدين زنكي حملة

---

(١) هو ابو عبدالله محمد بن المستظهر بالله احمد ٥٥٣-٥٥٥هـ/١١٥٨-١١٦٠م ،كان قوى البأس اعاد للخلافة العباسية شيئا من هيبتها عنه انظر : ابن واصل ،مفرج الكروب ، ١/ ١٣١- ١٣٣.
ابن ايبك ،كنز الدرر ، ٧/ ١١٠ ابن دقماق ،الجوهر الثمين ، ص ١٦٧ - ١٦٨.

(٢) المقريزى ،اتعاظ الحنفاء ، ٣/ ٢٢٣.

(٣) ابن خلكان ،وفيات الاعيان ، ٢/ ٤٤٤ ،جمال الدين سرور ، الدولة الفاطمية ص ١٢٧ ، علي بيومي ،قيام الدولة الايوبية ، ص ٩٩.

(٤) ابن شداد ،النوادر السلطانية ص ٣٦ ، ابن خلكان ، ن ٠م ٠س
ابن واصل ،مفرج الكروب ، ١/ ١٣٨ ، علي بيومي ،ن٠م٠س ،
اسمت عثيم ،الدولة الايوبية ص ١٦.

الى مصر بقيادة أسد الدين شيركوه يصاحبه الوزير السابق شاور في اوائل عام ٥٥٩هـ/ ١٠٦٤م [١] حيث اصطدمت بالقوات المصرية عند بلبيس [٢] ، وألحقت بها الهزيمة ،غير انها سرعان ما تجمعت مرة اخرى تحت اسوار القاهرة [٣] لتدور فيما بينها وبين القوات الزنكيية معارك استمرت عدة أيام وقد تمكن شاور خلال ذلك من الاستيلاء على الفسطاط [٤] ولينتهي الأمر بقتل الوزير المتغلب ضرغام بعد ان تفرقت عنه الانصار [٥] ، ويظهر انه كان سيء السيرة كما يذكر عمارة اليمني [٦] وبذلك تمكن شاور من العودة الى منصب الوزارة مرة أخرى ،في حين أن اسد الدين شيركوه قد عسكر بالقوات الزنكية خارج القاهرة في انتظار ان يفي شاور بوعوده الى نور الدين بعد ان ساعده في استعادة الوزارة ،وكان قد وعدم بتقديم جزية سنوية مع التكفل بجميع

---

(١) ابن كثير ،البداية والنهاية ١٢/ ٢٤٨.

(٢) مدينة تقع شمالي القاهرة على مسافة عشر فراسخ ، ومنها يكون الطريق الى بلاد الشام ،فتحها عمرو بن العاص سنة ١٨ و ١٩ هـ .
عنها انظر ، ياقوت ،معجم البلدان ، ١/ ٤٧٩.

(٣) ابن الاثير ،الكامل ، ٩/ ٨٥.

(٤) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ،ص ١٩٠

(٥) ابن الاثير ،ن.م.س ، ابو شامة ،الروضتين ، جـ١ ،ق ٢ ، ص ٣٣٣
ابن كثير ،ن.م.س .

(٦) عمارة اليمني ، ابو محمد نجم الدين عمارة الحكمي ت ٥٦٩ هـ/١١٧٣م .
النكت العصرية في اخبار الوزارة المصرية ،تحقيق هرتويغ درنبرغ ، شالون ١٨٩٧م ص ٧٤ .

نفقات الحملة (١) ،بيد أنه لم يلتزم بما وعد ولم يرسل سوى مبلغ بسيط (٢)
، وقد أدى ذلك الى تأزم الامور بين الوزير وأسد الدين ،وسرعان ماتطورت
الى ما ينذر بالخطر ،فقد صمم أسد الدين على استيفاء الجزية حتى لو اضطر
الى استعمال القوة ،وقد خطط لتحقيق ذلك بان تراجع عن اسوار القاهـرة
وأن يستقر ببلبيس ليستجمع قواته وليتهيأ لما يستجد من الظروف (٣) . وفي
سبيل توفير الأموال اللازمة له ومن اجل الضغط على شاور فانه وضع يـده
على اقليم الشرقية من بلاد مصر (٤) ،وبعد أن اطمأن الى سلامة وضعه فانه
باغت القاهرة بسلسلة من الهجمات المتتالية في محاولة منه للضغـط
على الوزير شاور ودفعه للالتزام بتعهداته (٥) . غير أن شاور على ما يظهر
صمم على الاستعداد لتحمل حصار طويل (٦) ،كما أنه اخذ في الوقـت
نفسه يراسل الفرنجة ويقدم لهم الوعود ، ويخوفهم من نتائج استيـلاء
الزنكيين على مصر وأخطار ذلك عليهم (٧) ،وقد استجاب ملـك

---

(١) ابن الاثير : الكامل ، ٩/ ٨٥ ، ابن كثير ،البداية والنهاية ، ١٢/ ٢٤٧-٢٤٨ ، علي بيومي ،قيام الدولة الايوبية ص ١٠٥ .

(٢) علي بيومي ، م.س . ص ٢٠٩ .

(٣) ابو شامة ،الروضتين ، ج ١ ،ق ٢ ،ص ٢٣٥ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ١/ ١٣٩ .

(٤) ن . م س .

(٥) علي بيومي ،م.س ، ص ١١٠ .

(٦) ن .م.س .

(٧) ابن الاثير ، م.س ، ٩/ ٨٥ ،ابو شامة ،م.س ، جـ١ ،ق ٢ ص ٢٣٥ ابن واصل ،م.س ، ١/ ١٣٩ .

بيت المقدس عموري ،باعداد حملة عسكرية أرسلها الى مصر على عجل [(١)] ، وقد تحالفت هذه القوات الصليبية مع القوات المصرية بقيادة شاور ضد قوات الزنكيين ،وحاصرتهم في بلبيس لمدة ثلاثة اشهر ،ودارت بين الطرفين معارك عديدة انتهت بالاتفاق على عودة الجيش الزنكي والصليبيين الى بلادهم [(٣)] . وهذا ما كان يرجوه شاور خاصة وأن نور الدين انتهز فرصة رحيل عموري بجيشه عن فلسطين ، فأخذ في مهاجمة الصليبيين في بلادهم واسترد عدة مواضع منهم [(٤)] . مما اضطر عموري الى الموافقة على الانسحاب من البلاد مقابل انسحاب القوات الزنكية [(٥)].

وقد ترتب على هذه الحملة أن اصبحت القوات الزنكية اكثر الماما بأحوال مصر واكثر شغفا في الاستيلاء عليها ، لما تعنيه من أهمية اقتصادية وعسكرية ،ووضح هذا الاهتمام بشكل جلي عند أسد الدين

---

(١) ابن كثير ،البداية والنهاية ١٢/٢٤٨.

(٢) ابو شامة ، ن.م.س ،ويذكر ابن كثير بان الحصار دام ثمانية اشهر ابن كثير ، ن.م.س .

(٣) على بيومي ، قيام الدولة الايوبية ص ١١١.

(٤) ابن واصل ،مفرج الكروب ،١/١٤٠ ، الحنبلي ،احمد بن ابراهيم ت ٨٧٦هـ/ ، شفاء القلوب في مناقب بني ايوب ، تحقيق ناظم رشيد ، بغداد ١٩٨٧م ص ٢٧.

(٥) ابن الاثير ، الكامل ، ٩/٨٥ ،على بيومي ،قيام الدولة الايوبية ، ص ١١١.

شيركوه قائد هذه القوات ، الذى اصبح راغبا في امتلاك مصر [١] ، وهكذا بدأت الاستعدادات الزنكية لضمها ، والتي ما ان علم شاور بها حتى بادر باعادة الاتصال بالصليبيين ليضمن مساعدتهم له [٢].

ولقد توجهت الحملة الزنكية الثانية صوب مصر ، في أوائل عام ٥٦٢هـ/ ١١٦٧م ، ودخلت هي والقوات الصليبية التي انجدت شاور الى مصر في وقت واحد تقريبا [٣] ، لتدور بين الطرفين معارك عنيفة كان من ابرزها معركة البابين [٤] في الصعيد ، حيث تمكنت القوات الزنكية من ايقاع هزيمة نكراء بالقوات الصليبية والمصرية ، رغم تفوق الأخيرة عليها في العدد والعدة [٥]. بيد أن هذا الانتصار لم يكن كافيا بالقدر الذى يمكن القوات الزنكية من التوجه نحو القاهرة ، ذلك انها لم تكن تملك القوات الكافية لتحقيق هذا الغرض [٦] ، وعوضا عن ذلك فان أسد الدين شيركوه بادر بالتوجه على رأس جيشه نحو الاسكندرية [٧] عبر الطريق الصحراوى ، وقد تمكن من السيطرة

---

(١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٢٧٠ ، ابو شامة ، الروضتين ، جـ١ ، ق ٢ ، ص ٣٦٣ ، حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ١٩١ .

(٢) حسن ابراهيم حسن ، ن . م . س.

(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ٩/ ٩٥ ، على بيومي ، قيام الدولة الايوبية ، ص ١١٦ .

(٤) البابين قرية تقع جنوب المينا . ابن واصل ، مفرج الكروب ، ١/ ١٥٠ هامش (١).

(٥) ابن واصل ، م.س . ١/ ١٥٠-١٥١ .

(٦) حسن ابراهيم حسن ، م.س ، ص ١٩٢ .

(٧) مدينة مشهورة على البحر وهي ثغر من ثغور الاسلام وميناء تجارى هام ،

===

عليها دون مقاومة تذكر ، ولما اطمأن الى استقرار أوضاعه فيها سلم مسؤولية حكم المدينة والدفاع عنها الى ابن اخيه صلاح الدين الأيوبي ، تاركا معه بعض قواته في حين أنه عاد الى الصعيد لجباية الخراج.(١)

ولم تكن مهمة صلاح الدين في الاسكندرية سهلة اذ أنه ما أن ابتعدت قوات عمه أسد الدين في وجهتها نحو الصعيد ،حتى بادرت القوات المصرية الصليبية المشتركة الى التوجه صوب الاسكندرية بهدف القضاء على صلاح الدين ومن معه من القوات الزنكية برا وبحرا فقد تولت القوات المصرية الصليبية حصارها من البر(٢) في حين قام الاسطول الصليبي بمحاصرتها من جهة البحر(٣) . وقد واجه صلاح الدين الأيوبي من الحصار مشقة بالغة غير أنه ما ان علم أسد الدين شيركوه باخبار الحصار حتى بادر بالاسراع لنجدة ابن اخيه وتخفيف الحصار عنه.(٤)

وقد وجد أسد الدين شيركوه أن قواته قد وهنت ومزقها القتال وأنه لا بد من العودة الى الشام للراحة والاستعداد(٥) ، وقد واتته الفرصة

=== اهتم خلفاء المسلمين وامراؤهم بتحصينها . عنها انظر ياقوت ، معجم البلدان ، ١/١٨٢-١٨٨ ،المقريزى ، الخطط ، ١/١٤٤-١٧٢

(١) ابن الاثير ،الكامل ،٩٠/٩٥ ، ابو شامة ،الروضتين ، جا ١، ق ٢ ، ص ٣٦٥ - ٣٦٦ ،حسن ابراهيم حسن ،ن٠م٠س .

(٢) ابن واصل ،مفرج الكروب ، ١/١٥١ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١٢/٢٥٢ - ٢٥٣.

(٣) على بيومي ، قيام الدولة الايوبية ،ص ١٢٢ - ١٢٣.

(٤) ابو شامة : م٠س ،جا ١ ،ق ٢ ،ص ٣٦٦.

(٥) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٣٨.

حيث وافق على اقتراح الوزير الفاطمي بالصلح ومقابل أن يعود الى الشام فان شاور سيدفع له خمسين الف دينار.(١)

أما الصليبيون فلقد استقر الأمر بينهم وبين المصريين على عقد اتفاق محالفة وحماية يتم بمقتضاه أن تدفع الدولة الفاطمية لملك بيت المقدس الصليبي جزية سنوية مقدارها (١٠٠) مائة الف دينار(٢) مع الابقاء على حامية عسكرية تمنع عودة القوات الزنكية الى مصر مرة أخرى.(٣)

ويتضح من هذا الاتفاق الصليبي المصرى، أن مصر اضحت تحت حماية الصليبيين وهي اقرب الى قبضتهم من ذى قبل. اذ أن وجود حامية لهم في هذه البلاد يعني أن الصليبيين اصبح لهم تأثير مباشر على شئون مصر. خاصة وأن هذه الحامية قد اخذت في جمع المعلومات عنها، فكتبوا أسماء القرى جميعها وعرفوا مقدار غلتها(٤) و(.. اطلعوا على العورات، وكشفوا المستورات ..)(٥) الأمر الذى زاد من مطامع الصليبيين واصرارهم على احتلال مصر، وقد دفع ذلك امراءهم الى ممارسة الضغوط على ملك بيت المقدس عمورى، من اجل القيام بعمل عسكرى لغرض احتلال مصر،(٦)

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ٩٦/٩، على بيومي، قيام الدولة الايوبية، ص ١٢٣.

(٢) ابن الاثير، ن م س، ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٥٣/١٢.

(٣) ابن واصل، مفرج الكروب، ١٥٢/١. على بيومي، م س، ص ١٢٤.

(٤) ابو شامة، الروضتين، ج ١، ق ٢، ص ٤٣٠. الحنبلي، تسرويح القلوب، ص ٣٢.

(٥) ابو شامة، ن م س.

(٦) ابن الاثير، الكامل، ٩٩/٩.

خاصة وأنه كان بين المصريين من يستحثهم على هذا العمل عداوة للوزير شاور [١] . غير أن عموري تحفظ على ذلك الرأي وخالفه ، وكان يرى بأنه من الافضل الاكتفاء بابقاء الوضع على ما هو عليه في تلك الفترة على الاقل ، اذ كان يخشى من أنه في حالة قيام الصليبيين بمهاجمة مصر أن يؤدي ذلك الى تدخل نور الدين زنكي ووقوع البلاد في يده ، الأمر الذي قد يترتب عنه نتائج خطيرة بالنسبة للوجود الصليبي في بلاد الشام [٢] ، حيث ان اتحاد الجبهة المصرية والشامية سينتج عنه زوال الوجود الصليبي .
بيد أن هذا الرأي لم يجد اذنا صاغية لدى الأمراء الصليبيين الذين أصروا على رأيهم فما كان من الملك عموري الا أن اذعن لهم [٣] وبدأ في التخطيط والاعداد للحملة [٤] حيث اتصل عموري بصهره الأمبراطور البيزنطي مانويل كومنين ، بهدف عقد حلف فيما بينهما لغرض الاستيلاء على مصر ، وتحديد ما يمكن أن تقدمه بيزنطة من مساعدات في هذا المجال .

ويبدو أن الامبراطور قد وافق على الموضوع [٥] غير أن هذه المساعدات

---

(١) ابو شامة ، الروضتين ، جـ١ ، ق ٢ ، ص ٣٨٩ ، الحنبلي ، ترويح القلوب ، ص ٣٢ .
(٢) ابن الاثير ، ن . م . س .
(٣) ن . م . س .
(٤) ن . م . س ، ابو شامة ، م . س ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ٣٨٩ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٢ / ٢٥٥ .
(٥) على بيومي ، قيام الدولة الايوبية ، ص ١٢٩ .

الموعودة لم تصل [(١)] ،فما كان من عمورى الا أن جمع في اوائل عام ٥٦٤هـ (جمعا عظيما من اجناس الفرنج واقطعهم مصروسار يريد اخذ مصر ..) [(٢)] دون أن يظهر ذلك حتى تأخذ حملته وقع المفاجأة على المصريين ،ولعله أراد أن يأمن من ردود الفعل الزنكية أيضا .

الا أن الوزير شاور أدرك خطورة الوضع ،واخذ في اعداد العدة وترتيب الامور لتحمل ويلات الهجوم وما قد يترتب عليه من حصار [(٣)] ،وفعلا استطاعت القاهرة أن تقاوم الصليبيين بفضل تحصينها الجيد ، وبسبب ارتفاع الروح المعنوية لدى المدافعين الذين خشوا أن يفعل الصليبيون بهم كما فعلوا بأهل بلبيس ،قبل مقدمهم الى القاهرة حيث ارتكبوا في المدينة مجزرة بشعة ، تذكر المصادر أنه لولا ذلك لتمكن الصليبيون من حكم مصر [(٤)] ،وقد قام الصليبيون كذلك باستخدام أسطولهم بهدف الاستيلاء على الساحل ودعم هجومهم البرى. [(٥)]

---

(١) المقريزى ،الخطط ، ٣٣٨/١.

(٢) ابن الأثير ، ن.م.س ،ابو شامة ،م.س جـ١ ، ق ٢ ص ٣٩٠.

(٣) على بيومي ،م.س ، ص ١٣١.

(٤) ابن الأثير ، الكامل ، ٩٩/٩ ، ابو شامة ،الروضتين ، جـ ١ ،ق٢ ص ٣٩٠ ،ابن واصل ، فرج الكروب ، ١٥٧/١ ، الحنبلي ،ترويح القلوب ، ص ٣٣ ،حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ١٩٤.

(٥) على بيومي ، م.س ، ص ١٣٦.

بيد أن هذا الغزو الصليبي قد حقق النتائج العكسية التي تخوف منها عمورى ، حيث ترتب عن المحاولة الصليبية نتائج أثرت على أوضاع المنطقة بأسرها ، فكان من نتائجها المباشرة أنها أدت الى بسط النفوذ الزنكي على مصر ، ومن ثم فانها أدت بشكل غير مباشر الى قيام الدولة الأيوبية .

ذلك أن الخليفة الفاطمي العاضد (١) بعث الى نور الدين زنكي برسالة موءثرة بطيها خصلات من شعور نساء القصر وهو يستغيث فيها طالبا منه المبادرة الى انقاذ مصر من براثن الصليبيين (٢) ، وان لم يكن نور الدين بحاجة الى وصول هذه الرسالة لكي يبادر الى التدخل (٣) ، ذلك أنه لم يكن يوافق من حيث المبدأ على فكرة خضوع مصر للحكم البيزنطي ، لذلك فانه بادر بارسال حملة قوية لمساعدة المصريين ، وحماية مصر من خطر الاختلال يذكر ابن دقماق بأن تعداد أفرادها بلغ عشرة الاف فارس وخمسين ألف راجل (٤) . وقد انتهى الأمر بانسحاب الملك عمورى وجنده الى فلسطين

----

(١) عنه انظر ص : ١٣٠ هامش (٦)

(٢) ابو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٣٩١ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٢/٢٥٥ . ويذكر ابن واصل ان الذى ارسل هذه الرسالة الوزير شاور ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ١/١٥٨ . والراجح ان كل من الخليفة والوزير قد بادرا بارسال الرسائل الى نور الدين ، انظر ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ٥/٣٥٠ .

(٣) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٣٨ ، ولاحظ ما يذكره أبوالمحاسن من ان نور الدين ارسل قواته الى مصر قبل ان تصله رسائل الاستغاثة منها ، ابن تغرى بردى ، ن م س .

(٤) ابن دقماق ، الجوهر الثمين ، ص ٢١٨ .

المحتلة ، بعد أن وجدوا انفسهم غير قادرين على مواجهة القوات الاسلامية .[(١)]

وبمقتل شاور على يد بعض قادة الجيش الزنكي ، بتدبير اشترك فيه القائد صلاح الدين الأيوبي[(٢)] ،تولى أسد الدين شيركوه الوزارة للخليفة الفاطمي العاضد[(٣)] ، وبذلك انتهت المرحلة الأولى من مراحل الموقف الصليبي تجاه القاهرة .

أما المرحلة الثانية من الموقف الصليبي تجاه القاهرة ،فانها تبدأ بنهاية المرحلة الأولى ،وتتميز بانها أشد خطورة من الأولى ، نظرا لما ترتب عنها من تطور في موقف الصليبيين تجاه مصر ،نظرا لتغير الأوضاع فيها . فبعدما كانت مصر لعبة في يد الصليبيين ، يفرضون عليها الجزية ويشنون عليها الحملات بهدف الاستيلاء عليها وهم أكثر اطمئنانا بقدرتهم في تحقيق هذا الغرض ،فان بسط النفوذ الزنكي على هذه البلاد ، قد أربك الصليبيين في الشام حيث أنهم خافوا وأيقنوا بأن في ذلك هلاكهم[(٤)] ، مما دفعهم الى طلب العون من أوروبا فبعثوا (.. جماعة من القسوس والرهبان يحرضون الناس على الحركة ..)[(٥)] لنجدة اخوانهم الصليبيين في المشرق

---

(١) حسن ابراهيم حسن ،تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ١٩٥ - ١٩٦ .
سعيد عاشور ،مصر والشام ، ص ١٨ .

(٢) ابن خلكان ،وفيات الاعيان ، ٧ / ١٥٠ ، ابن تغرى بردى ،م.س ، ٥/ ٣٥١ .

(٣) ابن شداد ،النوادر السلطانية ، ص ٤٠ ،ابن خلكان ،م.س ، ابن كثير ،البداية والنهاية ، ١٢ / ٣٥٦ .

(٤) ابن الاثير ،الكامل ، ٩ / ١٠٥ ، ابن خلكان ،م.س ، ٧ / ١٥٢ .

(٥) ابو شامة ،الروضتين ،جـ١ ،ق ٢ ،ص ٤٥٦ .

مستغلين المشاعر الدينية لتهييج مشاعر الناس بالتباكي على مصير بيت المقدس، الذى أصبح قاب قوسين من أن يؤول الى ايدى اصحابه المسلمين.[١]

ان هذا التحول يعني بأن الموقف الصليبي تحول من طمع ورغبة في الاستيلاء على مصر، الى خوف من التطورات التي حدثت في مصر لما يترتب على ذلك من نتائج تهدد مستقبل وجودهم.

ولقد ترتب عن هذا التحرك الصليبي في أوروبا أن وصلت المساعدات الضخمة (... بالمال والرجال والسلاح ..)[٢]، خلافا لما ذكره الدكتور سعيد عاشور من أن عمورى ملك بيت المقدس قد فشل في الحصول على المساعدات،[٣] الا أنه يبدو أنها لم تكن كافية، لذا فقد اتجه عمورى صوب البيزنطيين ليتحالف معهم لغزو مصر، ويظهر أنه نجح في هدفه هذا حيث أعد الامبراطور البيزنطي مانويل أسطولا ضخما توجه الى عكا للاتفاق مع الصليبيين على الخطة التي ينبغي تنفيذها وقد كان من نتائجها أن تم عقد التحالف واتفق الطرفان على بدء هجومهم على مصر في أوائل عام ٥٦٥هـ/ ١١٦٩م.[٤]

ولقد كانت خطة الهجوم ترتكز على محورين أساسيين، يعتمد أولهما على مهاجمة دمياط[٥] برا وبحرا من قبل قوات الفرنجة، لكي يجعلوها

---

(١) ابن الاثير، الكامل، ٩/١٠٥.

(٢) ابو شامة، الروضتين، ج ١، ق ٢، ص ٤٥٦.

(٣) سعيد عاشور، مصر والشام ص ٢١.

(٤) ن. م. س.

(٥) مدينة قديمة، بين تينيس ومصر، وتقع على فرع من افرع النيل بالاضافة الى البحر، وهي من ثغور الاسلام، حظيت بالاهتمام والتحصين، وتشتهر بصناعة الحرير، عنها انظر: ياقوت، معجم البلدان ٢/٤٧٢-٤٧٥.

نقطة ارتكاز ينطلقون منها للاستيلاء على بقية البلاد.[(١)]

وهذا ما أشار اليه ابن الاثير ، حيث ذكر أن الغرض من مهاجمة هذه المدينة هو أن تكون (.. ظهر يملكون به الديار المصرية..)[(٢)].

أما المحور الثاني من الخطة ،فقد قام على اساس ان صلاح الدين سيضطر الى توجيه جهوده العسكرية للدفاع عن دمياط مما سيتيح الفرصة لاتباع الفاطميين للقيام بالانقلاب على صلاح الدين ومهاجمة جيوشه من الخلف.[(٣)]

غير أن صلاح الدين أدرك أبعاد هذه المؤامرة حسبما ذكر المقريزى عند حديثه عن غزو الفرنجة لدمياط حيث أشار الى أن صلاح الدين (.. اتهم في هذه النوبه عده من أعيان المصريين بممالأة الفرنج ومكاتبتهم وقبض عليهم الملك الناصر وقتلهم..)[(٤)] بالاضافة الى أن المصادر تورد بأن صلاح الدين عندما كتب الى نور الدين يطلبه المدد لصد الهجوم الصليبي على دمياط ،فانه تخوف من احتمال قيام أتباع الفاطميين بالغدر ومهاجمته من الخلف ، فيما لو توجه بنفسه وكامل قوته للدفاع عن هذه المدينة.[(٥)]

---

(١) نظير حسان سعداوى ،التاريخ الحربي المصرى في عهد صلاح الدين الايوبي ،القاهرة ص ١٧ - ١٨.

(٢) ابن الاثير ،الكامل ، ٩ / ١٠٥.

(٣) ابن واصل ،مفرج الكروب ، ١ / ١٨١.

(٤) المقريزى ،الخطط ١ / ٢٥١ ،ويذكر حسان سعداوى ان مؤامرة ثورة العبيد كانت مرتبطة بالهجوم على دمياط ،انظر حسان نظير سعداوى ، م.س ،ص ١٧ ،وعن ثورة العبيد انظر ص : ٢١٣-٢١٥

(٥) ابن الاثير ، م.س.

وعلى أية حال فان مصير هذه الحملة باء بالفشل [١] ،كما أن اضرارها على الصليبيين في الشام كانت كبيرة جدا ، اذ استغل نور الدين توجه الصليبيين نحو مصر ،فهاجمهم من الشرق وأمعن تقتيلا وتخريبا في المناطق التي يحتلونها مضيفا /الى خسارتهم في دمياط خسائر أخرى [٢] . وهذه هي المرحلة الثانية من الموقف الصليبي ازاء القاهرة .

أما المرحلة الثالثة والأخيرة فانها تبدأ بعد نهاية المرحلة الثانية ، وفي هذه المرحلة اصبحت الهجمات ضد مصر تأتي من أوروبا مباشرة ،مما يعكس مدى اهميتها في خطط الأوربيين ،خاصة بعدما تمكن صلاح الدين الأيوبي من القضاء على الخلافة الفاطمية في عام ٥٦٧هـ/ ١١٧١م ، وبعد أن داوم على مناوشة الصليبيين من الجبهة الجنوبية الغربية فشن عليهم عددا من الحملات المتعاقبة [٣] .

ولقد أدى ذلك لأن يدرك الأوروبيون مدى خطورة وضع الدولة الأيوبية في ذلك الوقت على بني جلدتهم في الشام. فعمدوا الى مهاجمته من أوروبا مباشرة ،ففي أوائل عام ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م قام اصطول صقلي ضخم بمهاجمة ميناء الاسكندرية [٤] في موعد تواطؤوا فيه مع بعض أتباع

---

(١) ابن سعيد ،النجوم الزاهرة ،ص ١٤١ ،سعيد عاشور ،مصر والشام ص ٢٢ - ٢٣ . الباز العريني ،مصر في عصر الايوبيين ، ص ٣٦٠ .

(٢) ابن الاثير ،الكامل ،٩٠/ ١٠٥ ، ابن واصل ،مفرج الكروب ،١/ ١٨١ ، ابن كثير ،البداية والنهاية ١٢/ ٢٦٠ .

(٣) هاملتون جب ، صلاح الدين الايوبي ،ص ١٢٠ .

(٤) ابن الاثير ،م.س ،٩٠/ ١٢٩ ،ويذكر ابن واصل ان الهجوم في اواخر العام السابق ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م ،ابن واصل : م.س ،٢/ ٩ ،ويبدو أن الهجوم بدأ في اواخر ٥٦٩ هـ واستمر حتى اوائل عام ٥٧٠هـ .

الفاطميين الذين قاموا في اواخر عام ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م بثورة في الصعيد تمكن صلاح الدين من القضاء عليها .(١)

ولقد آل مصير الحملة البحرية الصقلية على الاسكندرية الى الفشل الذريع ، فغنم المسلمون من اعدائهم مغانم كثيرة (٢) واستمرت هذه المرحلة الى ما بعد عهد صلاح الدين الأيوبي ،اذ شهدت مصر بعد عهد صلاح الدين اتجاه الحملات الصليبية نحو مصر مباشرة من أوروبا ويعكس هذا الأمر مدى تطور النظرة الصليبية نحو مصر ،كما أنه يعكس اهمية مصر ، والتي اضحت بفضل الأيوبيين مركز المقاومة الاولى ضد الوجود الصليبي في العالم الاسلامي .(٣)

أما عن الاثار العمرانية التي نجمت عن الموقف الصليبي تجاه القاهرة فقد كانت متعددة الجوانب ،اذ أن الاحداث التي مرت بها هذه المدينة كان لها دور كبير في التأثير على الوضع العمراني للقاهرة الكبرى ، حيث تأثرت خريطة المدينة ببعض الأحداث التي ارتبطت بهذا الموقف ، كما حدث للفسطاط التي احرقت في عام ٥٦٤ هـ / ١١٦٨م على يد الوزير شاور ،بسبب أنه لم يكن قادرا على الدفاع عنها ، حينما حاول الصليبيون الاستيلاء عليها (٤) ،ولقد ترتب على هذا الحريق احدى الظواهر الجغرافية في المدينة وهي ظاهرة "الأكوام" ،والتي سبق الحديث عنها.(٥)

---

(١) ص : ٢٢٢ .

(٢) ابن شداد ،النوادر السلطانية ص ٤٩ . سعيد عاشور ،مصر والشام ص ٣٢ .

(٣) سعيد عاشور ،الحركة الصليبية ، ٢/ ٩٢٠ - ٩٢٣ .

(٤) ص : ٣٠٧ .

(٥) ص : ١١٠ - ١١١ .

كذلك فان وجود الخطر الصليبي في الشام كان من الدوافع الرئيسية التي جعلت صلاح الدين يقوم بتنفيذ مشروعه التحصيني الكبير لمدينة القاهرة[1].

ولا شك بأن هذة الخطر الصليبي كان من العوامل الرئيسة التي دفعت بصلاح الدين نحو تشجيع الهجرة الى مصر[2]، اذ أن زيادة الكثافة السكانية في هذه البلاد سيساعد الى حد بعيد على زيادة قدرتها نحو مقاومة الهجمات الصليبية . وبطبيعة الحال فان مثل هذه الهجرات ستنعكس على المدينة بشكل أو بآخر في ازدياد سكانها ، وبالتالي زيادة في نشاطهم العمراني الذى يمكن ملاحظته في جانب من جوانب تلك المساحات الخالية من البناء ، التي جرى تعميرها في القاهرة الكبرى في عهد الناصر صلاح الدين[3].

جـ - الفتن والحوادث الداخلية :

ومن العوامل التي أثرت على الأوضاع العمرانية للمدينة خلال تلك الفترة ، الفتن والحوادث الداخلية ، ونظرا لحرص صلاح الدين على تثبيت الأمن والاستقرار في البلاد والعودة بها الى مذهب السلف من أهل السنة والجماعة[4] فقد واجهه وضعا أمنيا سيئا في داخل اقليم مصر .

---

(١) احمد فكرى ، مساجد القاهرة ومدارسها ، ٢/ ٧-٨ ، ٢٢ ، بول كزانونفا ، تاريخ ووصف قلعة القاهرة ص ٣٢ .

(٢) ص : ٥٠٨ - ٥١١ .

(٣) ص : ٣٦٤ - ٣٩٤ .

(٤) ص : ١٣٩ - ١٤٢ .

اذ كانت البلاد تعاني في أواخر العصر الفاطمي من انتشار الفوضي والاضراب.(١)
فلقد شهد أواخر هذا العصر قتالا عنيفا بين الولاة والقادة ، من أجل الوصول الى سدة الوزارة (٢) ، ونشأ عن هذا الوضع أن البلاد عاشت في حالة من الفوضى والاضطراب الداخلي الذى أدى الى التعجيل بنهاية الحكم الفاطمي (٣) كما أدى أيضا الى جذب الزنكيين والصليبيين للتدخل بشكل مباشر في شوؤن مصر ، حيث لجأ بعض الوزراء الى الاستعانة بالقوى الخارجية للمحافظة على مناصبهم (٤) ،بل ان طوائف الجند الفاطمي كانوا في تلك الفترة عناصر تخريب وفوضى ،فطائفة الجند السودان كان خطرهم (.. عظيما لامتداد أيديهم الى أموال الناس وأهليهم ..).(٥)

كذلك كانت الفتن المسببة في قتل وزير واعتلاء آخر تسوءدى الى نهب الدور والأسواق والدكاكين (٦) . وهذه ظاهرة تحولت في أواخر العصر الفاطمي الى (... عادة مستقرة وشيئا معهودا ..).(٧) بل ان هذه الاضطرابات أثرت على الأوضاع السكانية في المدينة ،التي من المؤكد أنها أصيبت بنقص سكاني ذريع ،حيث أودت هذه الحوادث بحياة

---

(١) احمد الصاوى ،المجاعات في العصر الفاطمي ، ص ١٨٥ .
(٢) على بيومي ،قيام الدولة الايوبية ،ص ٣٠ ٥ .
(٣) حسن ابراهيم حسن ،تاريخ الدولة الفاطمية ،ص ١٨٠ .
(٤) جمال الدين سرور ،الدولة الفاطمية ص ١٢٧ ،على بيومي ،م٠س ص ٩٤ ، اسمت غنيم ،الدولة الايوبية ،ص ١٥ .
(٥) المقريزى : الخطط ، ١٩/٢ .
(٦) المقريزى ، اتعاظ الحنفاء ، ١٤٣/٣ .
(٧) ن٠م٠س .

الكثيرين من القادة والأمراء وذوى الرأى في البلاد [١] ، ولا شك والحالة كهذه أن يكون أثرها على السكان كبيرا .

وباعتلاء صلاح الدين الأيوبي كرسى الوزارة ،دخلت البلاد في مرحلة جديدة من الفتن والحوادث الداخلية ،فعلى الرغم من أن صلاح الدين قد تمكن من فرض ارادة الأمن في عموم البلاد [٢] ،الا أن أوضاع العصر الفاطمي ما كانت لتنتهي بسهولة،خاصة وأن الفاطميين لا يمكن أن يقبلوا بالوجود الزنكي لديهم ،اذ أنهم أدركوا أن هذا الوجود يمثل تهديدا خطيرا لحكمهم .

ويؤكد ذلك ما تذكره الروايات التاريخية عن حادثة احراق جامع عمروبن العاص ،والتي تمت أثناء حريق الفسطاط في عام ٥٦٤هـ/١١٦٨م ، فعلى الرغم من أن هذا الحريق كان يهدف الى منع استيلاء الصليبيين على هذه المدينة ،فان مؤتمن الخلافة جوهر [٣] برر حرق هذا الجامع بقوله أنه لا يريد أن (.. يخطب فيه لبني العباس ..) [٤]. لذلك فقد كان من الطبيعي أن يلجأ الفاطميون الى مقاومة الوجود الزنكي في مصر .

---

(١) المقريزى ،م.س ، ١٤٩/٣، ١٥١، ٢٦٢، ٢٦٤ ،وانظر الى ما يذكره ابو شامة عن دور الوزير ضرغام في اضعاف الدولة الفاطمية بقتله الأمراء . ابو شامة ،<u>الروضتين</u> ،جـ١ ،ق٢ ،ص٢١٧ .

(٢) ص : ١٤٦-١٤٧ .

(٣) لم اعثر له على ترجمة في المصادر المعتمدة. بيد انه من الواضح انه هو الذى قتله صلاح الدين في نفس العام لاشتراكه في مؤامرة ضده بالتعاون مع الصليبيين . انظر ،المقريزى : <u>الخطط</u>، ٢/٢ ، ٣٠ ، الخاصكي ، <u>التحفة الفاخرة</u> ،لوحة ٢ .

(٤) المقريزى ،م.س ، ٣٢٠/٢ .

فأقدمت الادارة الفاطمية على التآمر ضد صلاح الدين الأيوبي عن طريق الاتصال بالصليبيين والتخطيط والتنسيق معهم . فتكاد المصادر التاريخية أن تجمع على أن رأس هذه المؤامرة هو مؤتمن الخلافة جوهر (١) ، وان كان من الواضح أن الخليفة الفاطمي العاضد هو الذى كان يقف وراءها ويوجهها كما يشير الى ذلك ابن تغرى بردى. (٢) وعلى أية حال فان صلاح الدين قد تمكن من اكتشاف تلك الاتصالات الحاصلة فيما بين مؤتمن الخلافة والصليبيين، (٣) فقام بقتل الأخير بعدما تمكن من الامساك به خارج القصر (٤) ، الأمر الذى أشعل شرارة الفتنة في القاهرة ، فاجتمع عدد كبير من أفراد الجيش الفاطمي يقدر عددهم بخمسين الفا من الأمراء وطوائف الجند السوداني وغيرهم. اتجهوا نحو دار الوزارة يريدون الفتك بصلاح الدين ، حيث التحمت قواتهم مع قوات الناصر في معارك عنيفة دارت رحاها في داخل القاهرة ، في المنطقة الممتدة من ميدان بين القصرين حتى باب زويله ، حيث حاصرت قوات صلاح الدين المتمردين عند هذا الباب ، بعدما تمكنت من سحق

---

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ١٠٣/٩ ، ابو شامة ، الروضتين ، جـ١ ، ق ٢ ، ص ٤٥٠ - الفتح البنداري ، سنا البرق ، ص ٤٢ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٢٥٧/١٢ ، المقريزي ، م.س ، ٢/٢ .

(٢) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ٣٥٤/٥ ، وانظر أيضا ، حسان نظير سعداوى ، التاريخ الحربي المصرى ، ص ١٨ .

(٣) ابو شامة ، م.س ، جـ١ ، ق ٢ ، ص ٤٥٠ - ٤٥١ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ١٧٥/١ ، الفتح البنداري ، ن.م.س .

(٤) ابن كثير ، م.س ، ٢٥٨/١٢ .

هجماتهم الأولى ،وليمنتهى الأمر باخراج المتمردين الى خارج القاهرة.(١)

ولقد كان لهذا الانتصار أثره الكبير على تقلص النفوذ الفاطمي ممثلا في الخليفة العاضد في حين أن قوة صلاح الدين تزايدت عن ذى قبل بشكل كبير (٢) . وبالرغم من ذلك التحول في النفوذ والقوة فان محاولات الفاطميين أو أتباعهم للقضاء على صلاح الدين الأيوبي لم تنقطع حتى بعد أن قضى صلاح الدين على خلافتهم في عام ٥٦٧هـ/ ١١٧١م ، اذ استمرت حركات التمرد والتآمر ضد الدولة الأيوبية بعد هذا التاريخ لفترة طويلة ،في محاولة لاعادة الحياة للدولة الفاطمية . ففي عام ٥٦٩ هـ / ١١٧١م اكتشف صلاح الدين مؤامرة تستهدف اعادة احياء الخلافة الفاطمية ، كان من أركانها جماعة من أعيان المصريين ومنهم الشاعر عماره اليمني (٣) ، وقد قام هؤلاء بالاتصال ببعض اعداء صلاح الدين في الخارج ،حيث أجروا اتصالات بالصليبيين في الشام وصقلية ، علاوة على الاسماعيلية الحشاشين ،

---

(١) ابو شامة ،الروضتين ، جـ١ ،ق٢ ، ص ٤٥١ - ٤٥٢ ،المقريزى ،الخطط ٢/ ٣ . الخاصكي ،التحفة الفاخرة ،لوحة ٢ ، مؤلف مجهول تاريخ المصر القاهرة ،ورقة ٢

(٢) ص : ١٨٥ - ١٨٦.

(٣) هو نجم الدين ابو محمد عمارة بن ابي الحسن علي بن ديوان الحكمى اليمني ،شاعر مشهور . ولد باليمن وتعلم بها ، ثم انتقل الى مكة حاجا ،حيث اتصل بأميرها قاسم بن فليته ،الذى سيره الى مصر رسولا الى الخليفة الفائز الفاطمي ٥٤٩هـ/ ٥٥٥هـ - ١١٥٤ / ١١٦٠م فمدح الفاطميين ، فقربوه اليهم ومضى عندهم الى اواخر عهدهم . عنه انظر : عمارة اليمني ، النكت المصرية ص : ٧- ٤١ ، ابن خلكان وفيات الاعيان ، ٣/ ٤٣١ - ٤٣٦ ،شوقي ضيف ،تاريخ الادب العربي ، القاهرة ص ١٥٤ - ١٥٧.

وقد انتهت المشاورات فيما بينهم على اقامة جبهتين متحدتين ، تقومان بمهاجمة صلاح الدين في وقت واحد.(١)

الا أن صلاح الدين تمكن من اكتشاف بعض خيوط المؤامرة ،وذلك عن طريق احد الاجناد الذى دسه صلاح الدين فيما بينهم (٢) ، والذى يبدو أنه كان أحد افراد جهاز الاستخبارات المتطور الذى كان يمتلكه صلاح الدين الأيوبي.(٣)

وكان من نتيجة ذلك اقدام صلاح الدين على القضاء على أركان تلك المؤامرة وصلبهم في ميدان بين القصرين في القاهرة.(٤) وان كان من المرجح أن ذيول تلك المؤامرة لم تكتشف تماما ، اذ من المؤكد أن ثورة الكنز التي حدثت في صعيد مصر في أوائل عام ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م وكانت تهدف الى اعادة الدولة الفاطمية ،لم تكن سوى جزء ا منها.(٥) ومرتبطة بهجوم الاسطول الصقلي على الاسكندرية التي حدثت في أواخر عام ٥٦٩هـ/١١٧٣م كما سبق وأن أشرنا اليه.(٦)

---

(١) سعيد عاشور ،مصر والشام ،ص ٢٩ - ٣٠.

(٢) ابن خلكان ،وفيات الاعيان ، ٣/ ٤٣٥. ويذكر ابو شامة ان الذى نم عن هؤلاء الثائرين هو الفقيه نجم الدين ابن نجيه الواعظ ،انظر : ابو شامة ،الذيل على الروضتين ، تراجم رجال القرنين السادس والسابع، تحقيق ، محمد زاهد ،بيروت ط. الثانية ١٩٧٤م ص ٣٥.

(٣) ستيفن رنسيمان ،تاريخ الحروب الصليبية ،ترجمة السيد الباز العريني بيروت ٢/ ٦٧١.

(٤) القلقشندى ،صبح الاعشي ، ٣/ ٥٢٨. وعن ميدان بين القصرين انظر ص:

(٥) ابن الاثير ،الكامل ، ٩/ ١٣٠ ،ابن كثير ، البداية والنهاية ١٢/ ٢٨٧- ٢٨٨ ،المقريزى ،السلوك ، ج ١ ،ق ١ ص ٥٧ ،حسان نظير سعداوى التاريخ الحربي المصرى ،ص ٢٧.

(٦) ص : ٢٠٩ - ٢١٠.

ولقد كان مصير هذه المؤامرة الفشل حيث تم القضاء على ثورة الكنز سريعا [١] ، بيد ان بقايا الفاطميين لم تردعهم الهزائم المتلاحقة ، والاجراءات التي اتبعها صلاح الدين ضدهم ، فقاموا بتكرار المحاولة ، وواصلوا العمل من أجل العودة بالحكم الفاطمي الى الوجود ، ففي عام ٥٧٢ هـ/ ١١٧٦ م حدثت فتنة كبيرة في مدينة قفط [٢] بسبب ان دعيا من بني عبد القوى ادعى بانه احد ابناء الخليفة العاضد ، فاجتمع حوله عدد من أهل المدينة لاعادة الدولة الفاطمية [٣] فعاجل صلاح الدين هذه الحركة بارسال حملة قوية بقيادة أخيه الملك العادل [٤] حيث تمكنت من القضاء عليهم [٥] .

وتذكر المصادر كذلك بأنه قد جرت في عام ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م محاولة هامشية أخرى ، اذ دخل القاهرة اثنا عشر رجلا شاهرين سيوفهم ورافعين شعار الدولة العلوية [٦] صائحين (... يآل على ، يآل على ..) [٧] .
ويظهر انهم قد تصوروا بأن الناس سوف يجتمعون حولهم ، وكانوا يهدفون القيام بثورة ضد صلاح الدين الأيوبي ، الذى كان مشغولا في ذلك الوقت

---

(١) ابو شامة ، الروضتين ، جـ١ ، ق ٢ ، ص ٦٠١ .
(٢) مدينة بالصعيد كانت في عصر الفراعنة عاصمة الاقليم ، واشتهرت في العصر الاسلامي بصناعة السكر وبها معدن الزمرد . المقريزى : الخطط ١/ ٢٣٢ - ٢٣٣ .
(٣) المقريزى ، م.س ، ١/ ٢٣٣ .
(٤) عنه انظر ص : ٢٣٠ هامش (٧) .
(٥) المقريزى ، ن.م.س .
(٦) ابن الاثير ، الكامل ، ٩/ ١٩٧ ، ابو شامة ، الروضتين ، ٢/ ١٣٨ .
(٧) المقريزى ، السلوك ، جـ١ ، ق ١ ، ص ١٠١ .

بمحاربة الصليبيين في فلسطين [١] ، الا أنه لم يتحقق أى غرض من اغراضهم .

ولقد استمرت محاولة اعادة الدولة الفاطمية حتى أواخر عصر صلاح الدين الأيوبي ، اذ يشير المقريزى الى محاولة ثم اكتشافها في سنة ٥٨٨ هـ/ ١١٩٢ م حيث قام أحد أحفاد الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله [٢] بمحاولة الدعوة للدولة الفاطمية ، يبدو أنه قد اشترك معه فيها بعض أقرباء الوزير شاور ، فقبض عليهم وأودعوا السجن [٣].

ولقد ترتب عن هذه الحوادث والفتن مظاهر عمرانية شتى ، ذات ابعاد انشائية عمرانية أو سكانيه ، فثورة العبيد نتج عنها اختفاء بعض الحارات في المدينة حيث اختفت بعض الحارات بشكل نهائي بينما كان اختفاء الأخرى رمزيا [٤] ، ومن المؤكد أن هذه الثورات قد اسهمت بشكل أساسي في تبنى صلاح الدين للمشروعات التحصينية في القاهرة ، اذ لا شك في أن بناء قلعة القاهرة لكي تكون مقرا للسلطان [٥] ، انما كان

---

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ١٩٧/٩ ، ابو شامة ، الروضتين ، ١٣٨/٢ .

(٢) هو عبد المجيد بن محمد بن المستنصر العبيدى ٥٢٤ - ٥٤٤هـ/ ١١٣٠ - ١١٥٤ م ، عنه انظر ، ابن دقماق ، الجوهر الثمين ، ص ١١٢ - ١١٣ ، ابن العماد ، شذرات الذهب ١٣٨/٤ .

(٣) المقريزى ، السلوك ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ١١٠ - ١١١ .

(٤) ص : ٣٩٨ - ٤٠٢ .

(٥) ص : ٤٧٢ .

يهدف الى توفير مكان آمن يهدف الى حماية السلطة في حال حدوث ثورة من الثورات .

كذلك كان لهذه الحوادث دورا في احداث التغير السكاني في القاهرة ، اذ قام صلاح الدين بتهجير الكثير من أتباع الشيعة الى خارج القاهرة عقب هذه الثورات .(١)

---

(١) ص : ٥٠٦ - ٥٠٨ .

الفصل الرابع

العوامل الاقتصادية والإدارية

أولا : العوامل الاقتصادية :

تشكل العوامل الاقتصادية دورا هاما في نشأة المدن وتطورها الحضرى والعمراني [(١)] ، لذلك كان لهذه العوامل في عهد صلاح الدين دورا مؤثرا في تطور القاهرة ونموها .

وبنظرة فاحصة للناحية الاقتصادية في نهاية العصر الفاطمي نلاحظ أن مصر كانت تعاني من أزمة اقتصادية حادة يدل عليها ما ورد في سجل تعيين أسد الدين شيركوه [(٢)] كوزير للخليفة الفاطمي العاضد [(٣)] ، جاء فيه (والأموال فهي سلاح العظائم ومواد العزائم وعتاد المكارم وعماد المحارب والمسالم ، وأمير المؤمنين يؤمل ان تعود بنظرك عهود النضارة وان يكون عدلك في البلاد وكيل العمارة ... ، ... فاعمر اوطانهم التي اخربها الجور والأذى) [(٤)] .

كما يتفق الباحثون على أن من أسباب الأزمة النقدية التي عانت منها البلاد سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م كان سببها تدهور الأوضاع الاقتصادية اواخر حكم الفاطميين [(٥)] .

وعلى أية حال فقد عمل صلاح الدين على التصدى لهذه الأزمة الاقتصادية باتباع سياسة حكيمة في معالجتها [(٦)] . فوجه اهتماما

---

(١) ص ٦٣-٦٩ .
(٢) عنه انظر ص ٢١ هامش (٢) .
(٣) عنه انظر ص ١٣٠ هامش (٦)
(٤) القلقشندى ، صبح الاعشي ، ١٠/٨٩ .
(٥) حسنين ربيع ، النظم المالية ص ٩٤ - ٩٥ ، عطيه القوصى ، تجارة مصر في البحر الاحمر (منذ فجر الاسلام حتى سقوط الخلافة العباسية) القاهرة ص ١٤٤ - ١٤٥ .
(٦) عطية القوسي ، م.س ص ١٤٤ .

كبيرا نحو الشئون الزراعية والتجارية ، مما ادى الى تحسن كبير في أوضاع هذه المجالات لتخرج البلاد مما كانت عليه من تدهور اقتصادى [1] ، كما يشير الى ذلك القاضي الفاضل في خطاب وجهه الى صلاح الدين وهو في الشام عام ٥٨٦هـ/ ١١٩٠م جاء فيه أن (... البلاد ليست الآن كعهدها في انقطاع أسفارها ووقوف معايشها وكساد اسواقها وانكسار تجارتها ..) [2].

ولكي نبين أثر العوامل الاقتصادية على الأوضاع العمرانية للقاهرة الصلاحية لا بد من التركيز على ابرز جوانب اقتصاديات المدينة ذات الصلة بالنواحي العمرانية وهي كالتالي :

أ - زيادة تراكم الثروة في القاهرة الصلاحية :

لقد كان عصر الناصر صلاح الدين مرحلة تحول كبير في مجال زيادة الثروة والرخاء الاقتصادى بمصر بشكل عام ، حيث تحسنت أوضاع الموارد الاقتصادية المختلفة بصورة اكبر عما كانت عليه في العصر الفاطمي ، على الأقل في اواخره كما سبق ان أشرنا .

وبطبيعة الحال فان القاهرة الصلاحية سوف تتأثر كثيرا بمظاهر التحسن الاقتصادى هذه والى حد بعيد جدا بحكم انها عاصمة البلاد ، التي عادة ما تكون - العاصمة - ملتقى الانشطة الاقتصادية في الدولة [3] . وان كان عصر الناصر صلاح الدين قد زاد من مقدار الفرص المتاحة لتراكم الثروة في القاهرة ، بما أحدثه من تعديلات وتطورات على الأوضاع الزراعية

---

(١) انظر ما يلي .

(٢) ابو شامة ، الروضتين ، ٢/١٧٧ .

(٣) ابن خلدون ، المقدمة ، ١/٣٤٣ ، ٣٦٣ ، ٣٦٩ .

التي تعتبر من أهم الركائز الاقتصادية في مصر.[١]

فعلى الرغم من أن الدولة الاسلامية كانت تجني على الدوام الكثير من الفوائد المالية من الزراعة نتيجة تطبيق نظام الخراج[٢]، مما يعني بدوره أن الكثير من هذه الموارد ستنصب في العاصمة . فان عصر الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي كان سببا رئيسيا في زيادة تراكم

---

(١) عبد الفتاح وهبة ،الجغرافيا التاريخية ،ص ٢٨٦.

(٢) احمد العسال ، فتحي أحمد عبد الكريم ، النظام الاقتصادى الاسلامي (مبادئه واهدافه) ص (٦١ - ٦٢ ، قطب ابراهيم ، النظم المالية في الاسلام،ص ٨١ - ٨٢ ،والخراج نظام أول من طبقه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يقوم على أساس انه يحق للامام ان لا يقسم الاراضي المفتوحة بين الفاتحين وانما يفرض عليها مقدار من المال وتبقى في أيدى اهلها تحت حكم الاستغلال ، للمزيد انظر: ابو يوسف ،يعقوب بن ابراهيم ت ١٨٣هـ ،الخراج ، بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م ، ص ٢٣ - ٤٧ ، ابن رجب الحنبلي ، ابي الفرج عبد الرحمن بن احمد ت ٧٩٥ هـ / ١٣٩٢م ، الاستخراج في احكام الخراج ، تحقيق محمد ابراهيم الناصر ، رسالة ماجستير في الحضارة الاسلامية ، مكة المكرمة ، جامعة أم القرى ،كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م ص ٨٢ - ٢٧١ ، ويذكر حسنين ربيع ان المعادن في مصر وهي الذهب والشب والنطرون تخضع لحكم الخراج معتمدا في ذلك على ما يذكره ابن مماتي من أن هذه المعادن تستخرج من اراضي مصر ، وان كان الاخير لا يذكر ولا يشير الى ذلك . انظر حسنين ربيع ،النظم المالية في مصر ،ص ٤٥ وانظر فيما يذكره ابن مماتي في هذا الصدد ،ابن مماتي ،قوانين الداويين ص ٨١ ، والحقيقة فان الخراج ينطبق فقط على الزراعة حسبما تشير المصادر بذلك ،انظر الماوردى ، الاحكام السلطانية ، ص ١٤٦ ،القلقشندى ،صبح الاعشى ، ٣/٤٤٨.

الثروة في القاهرة عن طريق الزراعة نتيجة للتوسع في تطبيق نظام الاقطاع[١] ، الذى ساهم الى حد بعيد في زيادة الثروات المتراكمة لدى رجال الدولة وجندها عما كان عليه الحال في العصر الفاطمي ، اذ تذكر المصادر التاريخية ،ان الوزير الفاطمي شاور[٢] لما أراد في

---

(١) الاقطاع من اقطع قطيعة ،اى قاطعه من الارض ،تفرد عن بقية الاراضي يطلق عليها " قطعة " ، الزبيدى ،تاج العروس ٤٧٤/٥ .
مادة (ق . ط . ع) ،والاقطاع على ضربين :
١ - اقطاع تمليك بان يقطع الامام اراضا لنفر او اكثر فيتملكوها ،
٢ - واقطاع استغلال واستغلال الارض دون امتلاك رقبتها .
انظر ،الماوردى ، م.س. ص ١٩٠ ، الزبيدى ، ن.م.س ،احمد عبدالله خياط ،الاقطاع في الدولة الاسلامية حتى نهاية العصر العباسي الاول . رسالة ماجستير في الحضارة الاسلامية ،جامعة أم القرى ، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية . ١٤٠٠هـ/١٤٠١هـ/ ١٩٨٠-١٩٨١م ص ٥٢ - ٦٤ .

ولقد عرف الاقطاع منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم استمر في عهد الراشدين والامويين والعباسيين والفاطميين ،وكانت القطائع تقطع في مصر ولكن على نطاق ضيق .
المقريزى ، الخطط ، ٨٥/١ ، ٩٥-٩٧ ، ابراهيم على طرخان ، النظم الاقطاعية في الشرق الاوسط في العصور الوسطى ،ص ١٠-١٢ ، حسنن ربيع ،م.س . ص ص ١٣ ،٢٥- ٢٦ ، ولم يتوسع في تطبيق نظام الاقطاع بمصر الا في عصر صلاح الدين الأيوبي ، انظر ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .

(٢) عنه انظر ص ٣٧ هامش (٥) .

عام ٥٦٤هـ/ ١١٦٨م ان يدفع فدية للصليبيين مقابل عدم استيلائهم على القاهرة [١] ،لم يستطع تجميع المبلغ المطلوب من سكانها لانهم كانوا من الجند ورجال الدولة [٢] . في حين انه بحلول حكم الأيوبيين ،أصبح الامراء والاجناد رمزا للغنى والثروة ،فمن أسباب عظمة القاهرة وفخامتها في ذلك العصر ،كونها مأوى لهذه الفئة من الناس [٣] ،الذين كان لانتقالهم الى الفسطاط في عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب [٤] سببا في نمو روح الاغتناء وتمركز الثروة فيها [٥] . فالأجناد اصبحوا أداة مهمة من أدوات الاستهلاك تلاحقهم الأسواق اينما حلوا [٦] .

ومن المؤكد أن السبب في ذلك يعود لكون رجال الدولة وعلى الأخص العسكريين منهم اصبحوا يتمتعون بمداخل كبيرة جدا ،حيث بلغ مقدار الدخل السنوى في العصر المملوكي لأكابر امراء الجيش بالديار

---

(١) عن محاولة استيلاء الصليبيين على القاهرة ومصر باكملها انظر ص٢٠٢-٢٠٦ .

(٢) ابن الأثير ،الكامل ، ٩/ ١٠٠ ،المقريزى : اتعاظ الحنفاء ، ٣/ ٢٩٨-٢٩٩ .

(٣) ابن سعيد الاندلسي ،الاغتباط في حلى مدينة الفسطاط ، من كتاب المغرب فى حلى المغرب ،تحقيق زكي محمد حسن واخرون ، جـ١ (من القسم الخاص بمصر) القاهرة ،١٩٥٣م ص ١١ ، النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة ، ص٢٧ . المقريزى ،الخطط ، ١/ ٣٤٢ .

(٤) عنه انظر ص ٨٩ هامش (١) .

(٥) ابن سعيد الأندلسي : ن.م.س ،

(٦) ن . م . س .

المصرية ،ما مقداره مائتي (٢٠٠) الف دينار حبشية[(١)] للواحد منهم ،وربما زاد عن ذلك في بعض الاحيان[(٢)] ،الأمر الذى ترتب عنه ان يصبح لدى بعضهم ثروات ضخمة جدا ،توازى ما تملكه مدينة صغيرة بأكملها.[(٣)]

ومن الواضح أن هذا الدخل كان لا يختلف كثيرا عما كان عليه الحال في العصر الأيوبي ، الذى يعتبر العصر المماليكي امتدادا له في تنظيماته وحضارته.[(٤)]

---

(١) وهو دينار مسمى فرضى استعمل في تقدير عبره الاقطاعات لافراد الجيش و القلقشندى ،صبح الاعشى ، ٣/٤٤٢ ،وتختلف قيمته الحقيقية في العصر الايوبي بحسب عناصر الجيش اذ كان يساوى دينارا حقيقيا بالنسبة للاجناد من الاتراك والاكراد والتركمان ، في حين انه يساوى نصف دينار لكتائب الكنانية والعساقلة ،وربع دينار لرجال الاسطول ، وثمن دينار للعربان .
ابن مماتي ،قوانين الدواوين ، ص ٣٦٩ ،وانظر ايضا حسنين ربيع ،النظم المالية ص ٦٤ .

(٢) القلقشندى ، ن.م.س ،١٤/٥٠ ، وهذا الرقم يقل بمقدار (١٠٠) الف دينار عن مقدار رواتب الجند والموظفين بأجمعهم في أوائل العصر الفاطمي حيث بلغت (٣٠٠) الف دينار ،عبد المنعم ماجد ، نظم الفاطميين ، ١/١٢٥ ،احمد السيد الصاوى ، المجاعات في العصر الفاطمي ، ص٢٥٣ ، بيد أن هذه المداخيل تزايدت بعض الشيء في اواخر العصر الفاطمي بتزايد نفوذ رجال الدولة وعلى الاخص العسكريين على حساب نفوذ الخليفة ، وان لا توجد ارقام واضحة تحدد مقدار هذه الزيادة بشكل عام ، انظر أحمد الصاوى ،م.س. ص ٢٥٣-٢٦٣.

(٣) Lapidus - Ram , Muslim Cities in the later middle ages , p. 50 .

(٤) Suzan Jane , Conquest and Fasion , p. 101.

ان السبب في زيادة مداخيل رجال الدولة من العسكريين على هذا النحو ،هو التغير الذى حصل في نظام الدولة نفسها عنه عما كان عليه في العصر الفاطمي . ذلك ان الدولة الايوبية دولة ذات روح حربية عسكرية ،استمدت اصولها من الدولة الزنكية ومن قبلها دولة آل سلجوق (١) . وهذه الدول كانت السلطة فيها تستمد قوتها من اولئك القادة العسكريين (٢) الذين كان يتبعهم عدد كبير من الجند - ذوى الولاء الشديد لامرائهم - كل بحسب درجته ومقدار غناه ، حيث يعمد الواحد منهم الى شراء عدد كبير من الارقاء ، يجرى اعدادهم وتدريبهم وفق نظام عسكرى صارم (٣) . وبالتالي كان لزاما ان يحظى مثل هؤلاء القادة وجندهم بالكثير من الاموال والثروات لكي ترتبط مصالحهم بالسلطة ، ويدافعوا عنها ويحافظوا عليها . فذلك كان حالهم في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي حيث كانوا على سعة رغد من العيش ، وكانوا لا يقبلون بأى حال من الأحوال أن تنتقص ايراداتهم الكبيرة أو ان لا يحظوا بالشيء الوافر من ثروات البلاد (٤) .

---

(١) هاملتون جب ،صلاح الدين الأيوبي ، ص ١٨٥ - ١٨٧ ،ولاحظ مايذكره العبادى عن التأثيرات العسكرية للدولة السلجوقية على الايوبيين ، وأن الاولى كانت هي ومن تفرع عنها من دول اقامها مماليكهم دول حربية الطابع ،احمد مختار العبادى ،قيام دول المماليك الاولى في مصر والشام ، بيروت ١٩٦٩م ص ص : ٧٣ ، ٧٦ .

(٢) هاملتون جب ، دراسات في الحضارة الاسلامية ،ترجمة احسان عباس واخرون بيروت ط الثالثة ١٩٧٩م ص ١٢٧-١٢٨ ،ولاحظ مايذكره العبادى عن نفوذ امراء الاقطاعات في العصر السلجوقي وفي العصر الايوبي ايضا ،العبادى ، م.س ،ص ص ٧٧ ، ٨٧-٩٣ .

(٣) هاملتون جب ،صلاح الدين الايوبي ص ١٨٦ .

(٤) ابو شامة ،الروضتين ، ج١ ،ق ٢ ،ص ٥٥٩ .

ان هذا التحول في أساسيات قوة السلطة وما يترتب عنه ماليا سيؤدى بطبيعة الحال الى زيادة الأعباء المالية المترتبة على الدولة ، بما قد يفوق قدرتها على الصرف على هؤلاء الأمراء والاجناد ،ولذلك فلقد قام الوزير السلجوقي نظام الملك (١) باشاعة نظام الاقطاع العسكرى ، بحيث يكون لكل منهم ما مقدار راتبه اقطاعا (٢) ،الأمر الذى يدفعهم نحو السعى لزيادة مداخيلهم ،عن طريق عمارة الأراضي الزراعية والاهتمام بشئونها وتحسين احوالها . (٣)

---

(١) ابو علي الحسن بن علي بن اسحاق بن العباس المقلب بنظام الملك ،من اشهر وزراء الاسلام وله الكثير من التنظيمات والاعمال منها نشر المدارس وغيرها . وزر للسلطانين السلجوقيين ألب ارسلان ٤٥٥ - ٤٦٥ هـ / ١٠٦٣ - ١٠٧٢م وملك شاه ٤٦٥ - ٥٤٨ هـ/ ١٠٧٢ - ١٠٩٢م . مات مقتولا في سنة ٤٠٨هـ/ ١٠١٧ م عنه انظر : العماد الاصفهاني ،تاريخ دول آل سلجوق باختصار الفتح البندارى ،تحقيق لجنة احياء التراث العربي في دار الاوقاف الجديدة ،بيروت ط. الثالثة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م ص ٥٨ - ٦٠ ، ابن خلكان ،وفيات الاعيان ٢/ ١٢٨-١٣١ .

(٢) عزام باشا : النظام الادارى في الدولة العباسية في العصر السلجوقي ٤٣٢ - ٤٨٥هـ / ١٠٤٠- ١٠٩٢م ،بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الحضارة الاسلامية في كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ،جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ١٤٠٦هـ ص ص ٣٠١ ، ٣٠٤ .

(٣) العماد الاصفهاني ،م.س ،ص ٦٠ ،العبادى ،قيام دولة المماليك الأولى ،ص ٧٥ ،حسنين ربيع ،النظم المالية ، ص ٢٦ .

ونظرا لأن الدولة الأيوبية ، تعتبر امتدادا للدولة الزنكية (١) ، التي بدورها وريثة لدولة بني سلجوق في نظامها وادارتها (٢) ، فلقد قام صلاح الدين الأيوبي بتعميم نظام الاقطاع العسكرى في مصر ، بحيث أصبح جل أراضيها الزراعية اقطاعا للسلطان وامرائه وجنده (٣) ، فضلا عن اقطاعات العربان (٤) . فحتى كبار رجال الدولة حصلوا على اقطاعات كبيرة ، يدل على ذلك اقطاعات البيت الأيوبي نفسه . فوالد صلاح الدين الأيوبي نجم الدين ايوب (٥) كان اقطاعه يشمل عدد من اقاليم الديار المصرية (٦) . في حين أن اقطاع شمس الدولة توران شاه (٧) كان يشمل قوص (٨) واسوان (٩) وعيذاب (١٠)(١١) .

---

(١) القلقشندى ، صبح الأعشى ٤/٥ ، حسنين ربيع : ن . م . س .

(٢) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ٥/٢٧٩ ، ابراهيم طرخان ، النظم الاقطاعية ، ص ٣٠ ، العبادى ، م . س ، ص ٧٣ .

(٣) المقريزى ، الخطط ، ١/٩٧ ، ابراهيم طرخان ، م . س ، ص ٣٢-٣٣ .

(٤) حسنين ربيع ، م . س ، ص ٢٧ .

(٥) عنه انظر ص ٢٤ هامش (١) .

(٦) وهي الاسكندرية والبحيرة ودمياط ، ابراهيم طرخان ، النظم الاقطاعية ص ٣٦ - ٣٧ ، حسنين ربيع ، النظم المالية ، ص ٢٧ .

(٧) عنه انظر ص ١٨١ هامش (١) .

(٨) مدينة تقع جنوبي الفسطاط على الشاطئ الشرقي للنيل ، وتبعد عنها مسيرا اثنا عشر يوما وتعد قصبة الصعيد وأهلها على ثراء واسع ، ويشتغلون بالتجارة ، عنها انظر : ياقوت : معجم البلدان ٤/٤١٣ ، المقريزى ، الخطط ، ١/٢٣٦ - ٢٣٧ .

(٩) عنها انظر ص ١٨١ هامش (٢) .

(١٠) ابراهيم طرخان ، م . س ، ص ٣٧ ، حسنين ربيع ن . م . س .

(١١) هي بليدة على البحر الاحمر ، تعد ميناء تجاريا هاما لتجارة القادمة من على هذا البحر ، عنها انظر ، ابن جبير ، الرحلة ، ص ٤٥ - ٤٨ ، ياقوت ، ن . م . س ، ٤/١٧١ .

وهو الاقطاع الذى حظى به بعد انتصار الصلاح عن ثورة العبيد في عام ٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م [١]، بل ان اقطاع شمس الدولة أخذ في التزايد، فأضيف اليه في عام ٥٦٦هـ/ ١١٧٠م عدة أقاليم مصرية اخرى [٢] وأقطع أيضا ما يفتحه الله على يديه من البلاد [٣]، لذلك فان غالب اراضي اليمن كانت اقطاعات لشمس الدولة بعد ان فتحها في سنة ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م [٤].

ولقد كان لهذه الاقطاعات ايرادات ضخمة على اصحابها، يدل على ذلك العبره المتحصلة عنها للدولة. فضواحي الاسكندرية كانت عبرتها في عام ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م ما مقداره (٨٠٠٠٣٨) دينارا [٥]، كذلك كانت عبره قوص واسوان وعيذاب في عام ٥٦٥هـ/١١٦٩م مامقداره (٢٦٦) الف دينار [٦] وبلغت غلة اقطاع أخي صلاح الدين الملك العادل [٧]

---

(١) ابراهيم طرخان، النظم الاقطاعية، ص ٣٧.

(٢) وهي مدينة من اعمال الجيزة وسحنود وغيرها. حسنين ربيع، النظم المالية، ص ٢٧.

(٣) ن.م.س.

(٤) ابراهيم طرخان، ن.م.س.

(٥) المقريزى، الخطط، ١/ ٨٧.

(٦) حسنين ربيع، ن.م.س.

(٧) هو الملك العادل سيف الدين ابو بكر بن ايوب ٥٩٦- ٦١٥هـ/ ١١٩٩-١٢١٨م، ملك مصر بعد وفاة الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين ٥٨٩ - ٥٩٥هـ/ ١١٩٣-١١٩٨م الذى ورثه ابن ناصر، واضطربت احوال الدولة، كان مشهورا بالحكم والمكر والدهاء، عنه انظر، ابن الاثير، الكامل، ٩/ ٢٢٦-٢٢٧. الحموى، ابن الفضائل محمد بن علي الحموى (عاش في القرن ٧هـ/١٣م) التاريخ المنصورى،

===

بمصر فقط ما مقداره (٧٠٠) الف دينار كل سنة[(١)] . الا أن أهمية الزراعة كرافد للثروة لم تقتصر اهميته في عهد الناصر صلاح الدين على زيادة مداخيل رجال الدولة عن طريق تطبيق نظام الاقطاع فحسب ،بل ان الزراعة أسهمت الى حد بعيد في تراكم الثروة وزيادتها نتيجة لتطورها و تحسن أوضاعها في عهد صلاح الدين الأيوبي ،يدل على ذلك التحسن الذى طرأ على بعض الاقاليم الزراعية في هذه البلاد ، اذ ازدهرت الزراعة في اقليم الفيوم[(٢)] خلال تلك الفترة[(٣)] ، الأمر الذى زاد من مقدار المداخيل و بالتالي من مقدار الثروة المتحصلة ،حيث زاد مقدار الجباية الخراجية المتحصلة للدولة بمقدار الضعف تقريبا عنها في أواخر العصر الفاطمي . فابن ظهيرة القرشي يذكر بانها استقرت في عهد صلاح الدين الأيوبي عند (٤٦٥٣٠١٩) دينارا[(٤)] في حين ان آخر احصائية يوردها المقريزى

=== تلخيص كشف البيان في حوادث الزمان ،تحقيق أبو العيد دودو دمشق ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م ص ٧٦ ،ابن دقماق ،الجوهر الثمين ، ص ٢٣٢ - ٢٣٣ ، ابن تغرى بردى ،النجوم الزاهرة ، ٦/ ١٦٠- ١٧٣ ،ابن العماد ،شذرات الذهب ، ٥/ ٦٤-٦٥ .

(١) ابراهيم طرخان ،النظم الاقطاعية ، ص ٣٩ .

(٢) من اخصب اقاليم مصر الزراعية وهي ولاية غربية بينها وبين الفسطاط مسيرة اربعة ايام وعاصمته اسمها الفيوم أيضا ، واشتهر في العصر الاسلامي بزراعة الرز والكتان . عنه انظر ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٤/٢٨٦- ٢٨٨ ، محمد رمزى ،القاموس الجغرافي ، ق ٢ ،جـ ٣ ،ص ٩٦ .

(٣) مصطفى المنصورى ،تاريخ الفيوم ، القاهرة ١٩٢٩م ص ١٩ .

(٤) ابن ظهيرة ،الفضائل الباهرة ،ص ١٢٦ .

عن مجموع ايرادات الخراج في اواخر العصر الفاطمي ،قد بلغت ما مقداره (٢٢٠٠٠٠٠) دينارا وذلك في عام ٥٤٠هـ/١١٤٥م [١] ثم تراجع الايراد بعد ذلك عن هذا المبلغ حيث (.. لم يجبها هذه الجباية أحد حتى انقرضت الدولة الفاطمية ..) [٢].

ومن الواضح أن هذا التطور في مقدار الجباية يعكس الزيادة في المساحة المزروعة في عهد صلاح الدين الأيوبي اذ نلاحظ ان عدد القرى قد تزايد في تلك الفترة بمقدار الضعف تقريبا عنها عما كانت عليه في اواخر العصر الفاطمي ، حالها حال الجباية الخراجية ،فتذكر المصادر ان عدد القرى التي احصاها ابن مماتي في مصر قد بلغت في ذلك الوقت [٣] (٤٠٠٠) قرية ، بينما كانت عددها في اواخر العصر الفاطمي لا يتجاوز الألفي قرية الا بقليل ، حيث كان يتراوح فيما بين (٢١٢٨) [٤] و (٢٠٨٢) [٥] قرية . بل انه من المرجح انه قد جرى في عهد صلاح الدين ، استغلال غالبية الاراضي الصالحة للزراعة ان لم تكن جميعها ، نظرا لان مقدار الجباية الخراجية الذى استقر حينئذ عند مبلغ يزيد عن (٤٫٥) مليون دينار

---

(١) المقريزى ،الخطط ، ١/١٠٠.

(٢) ن.م.س .

(٣) المقريزى ،م.س ، ٢/١٦٠ ، الزبيدى ،تاج العروس ،٣/٥٤٣، مادة : م.ص.ر .

(٤) محمد رمزى ،القاموس الجغرافي ، ق ١/١٨.

(٥) عطية مصطفى مشرفة : نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين ،القاهرة ١٩٤٨م ص١٨ ، عبد المنعم ماجد ، امرأة مصرية تتزعم مظاهرة في عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمي ،بحث منشور في المجلة التاريخية المصرية ، ١٩٧٧ ،المجلد ٢٤ ص ٣٦ . احمد الصاوى ، المجاعات في العصر الفاطمي ، ص ٢٢٢.

يدل على ان المساحة المزروعة قد شملت معظم الاراضي القابلة للزراعة في مصر الاسلامية [(١)].

والحقيقة فان هذا التطور يعكس مدى عناية صلاح الدين بالشؤون الزراعية ، حيث وجه اهتماما كبيرا نحو متطلباتها من شق الترع والقنوات المائية واقامة الجسور وغير ذلك مما تتطلبه الزراعة ، ففي عام ٥٧٠هـ/١١٧٤م) صدرت الأوامر بحفر الترع واقامة السدود للاراضي الزراعية [(٢)] ، كما صدرت الأوامر سنة ٥٧٧هـ/١١٨١م الى كل من والي الغربية ووالي الشرقية بالاهتمام بامر الجسور والعناية بها وعمارتها [(٣)] ، كما أن هذا

---

(١) ان من ابرز الشواهد على ان هذا الرقم يدل على أن غالبية الاراضي أو كلها قد استخدمت في الزراعة لتحقيقه ، ما حدث في عهد الخليفة الاموى هشام بن عبد الملك ١٠٥- ١٢٥هـ/ ٧٢٢-٧٤٤م عندما كان عبدالله بن الحباب واليا له على خراج مصر ، فلقد قام الاخير بتوجيه الاهتمام والرعاية الى المشاريع الزراعية واجرى عمليا مسح للاراضي الزراعية وقام باجراء الاصلاحات اللازمة لها فكانت النتيجة أن بلغ الخارج في عام ١٠٧هـ/٧٢٦م ما مقداره (٤) ملايين دينار ، المقريزى ،م٠س ، ١/ ٩٩ ، مع العلم أن مستوى الفيضان بلغ في تلك السنة ١٨ ذراعا ، ابن تغرى بردى ، <u>النجوم الزاهرة</u> ، ١/ ٢٦١ ، وهذه هي الحدود القصوى للفيضان في تلك السنوات والتي يتحقق منها ارواء كامل للاراضي الزراعية في مصر انظر ص ٢٣٩- ٢٤٠.

(٢) جورجي زيدان ، <u>تاريخ مصر</u> ، ١/ ٣٢١-٣٢٢ ، وعن الترع والسدود انظر ص ٢٣٦ هامش (١ ، ٢).

(٣) المقريزى ، <u>السلوك</u> ، ج١ ، ق١ ، ٧٤ - ٧٥.

التطور يعكس مدى قدرة أهل البلاد على مواجهة احدى اهم المشكلات الزراعية التي واجهوها في ذلك الوقت ، التي نتجت عن ارتفاع مستوى الأرض الزراعية عن منسوب الفيضان النهرى ، الذى يعد العماد الأساسي للزراعة في مصر .

فنظرا لوقوع مصر بين خطي عرض (٢٤ - ٣١)° فان هذه المنطقة تتميز بقلة الأمطار وانعدامها في الغالب [١] ،الأمر الذى جعل غالبية اراضي مصر صحراء مقفرة باستثناء تلك المنطقة الواقعة على جانبي النهر والتي تعرف بوادى النيل [٢] ،حيث اعتمدت الزراعة على مياه هذا النهر . وتأثرت بأحواله وأوضاعه . [٣] فاعتماد الاراضي في مصر على مياه النيل ومستوى فيضانه الذى على اساسه كانت تتحدد مساحة الاراضي المروية والمزروعة وما يترتب عنه من نتائج اقتصادية على مستوى الدولة والشعب [٤] ، لذلك لجأ المصريون نحو قياس مستوى الفيضان

---

(١) ب . س . جيرار ،موسوعة الحياة الاقتصادية ،ضمن كتاب وصف مصر لعلماء الحملة الفرنسية ،ترجمة زهير الشايب ط. الاولى القاهرة ١/١٣ .

(٢) الاصطخرى ،المسالك والممالك ص ٤٠ ،ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، ٥/ ٣٣٥ ،جيرار : ن.م.س.

(٣) جيرار ،ن.م.س .

(٤) عبد الفتاح وهبة ،الجغرافيا التاريخية ، ص ٢٨٦ ، يبدأ منسوب المياه في هذا النهر بالارتفاع في بداية الصيف وتبلغ الزيادة اقصاها مع اعتدال الخريف اى ان مدة الزيادة هي ثلاثة أشهر على وجه التقريب . للمزيد انظر ابن مماتي ، قوانين الدواوين ، ص ٧٤ ،ياقوت الحموى ،م.س ، ٥/ ٣٣٤ - ٣٣٥ ، المقريزى ، الخطط ، ١/ ٥٥ ،جيرار ،ن.م.س .

عن طريق مقياس النيل ،الذى كان الغرض منه تحديد مستوى الفيضان النهرى [(١)] ، كما عرفت مصر أيضا نظام رى الحياض ،حيث قسمت الاراضي الزراعية الى مجموعة من الحياض تصل مساحة الصغير منها الى (٢٠٠٠) فدان [(٢)] والكبير الى (٥٠٠٠٠) فدان [(٣)] ، يتم اروائها عن

----

(١) عرفت مصر عددا من المقاييس بعضها يعود الى ما قبل الاسلام ، يبدو أن اخرها الذى بنته الروم فى قصر الشمع ،وبنى المسلمون عددا اخر من هذه المقاييس ،كان اهمها الذى امر الخليفة العباسي المتوكل ٢٣٢- ٢٤٠هـ/ ٨٤٦-٨٢٤ م ببنائه في عام ٢٤٧ هـ / ٨٦١م وجعل امر الاشراف عليه للمسلمين ،وهو يقع عند انف الجزيرة الجنوبي ، انظر : ياقوت الحموى ،معجم البلدان، ١٧٨/٥ ،ابن ظهيرة القرشي ،الفضائل الباهرة ، ص ١٧٨-١٧٩، محمد بن ابي الفتح الصوفي الشافعي ، الصفوة في وصف الديار المصرية ونظام الممالك الاسلامية ، مخطوط عن نسخة مصورة بالميكرو فيلم في مكتبة المتحف البريطاني رقم ٢٢٣٩ ، لوحة (١٠). ويتكون مقياس جزيرة الروضة من عامود من الرخام مثمن الاضلاع ومثبت في وسط بركة تقع على شاطيء هذه الجزيرة الجنوبي ، وكان هذا العامود مقسم الى اثنتين وعشرين ذراعا مقسمة الى اربعة وعشرين قسما تعرف بالاصابع الا ان الاثنا عشر ذراعا الاولى مقسمة الى ثمانية وعشرين اصبعا . للمزيد انظر ابن مماتي ،قوانين الدواوين ص ٧٦ ،ابن جبير ،الرحلة ، ص ٢٩ ،ياقوت الحموى ، ن م .س . القلقشندى ،صبح الاعشى ، ٢٨٩/٤.

(٢) الفدان وحدة قياس لمساحة الاراضي الزراعية ،وكان يساوى ابان الفتح الاسلامي ٦٢٠٩ مترا مربعا ثم اصبح في العصر المماليكي ٦٠٣٤ مترا مربعا اما في أواخر العصر العثماني فلقد كانت مساحته ٥٩٢٩ مترا مربعا ،محمد رمزى ،القاموس الجغرافي ، ق ١/ص ١٠.

(٣) عبد الفتاح وهبة ،الجغرافيا التاريخية ص ٢٨٧.

طريق التحكم بالفيضان من خلال الخلجان والترع [١] والجسور [٢] لذلك فانه عندما يأتي الفيضان تفتح هذه الخلجان والجسور ، لتبدأ الأراضي الزراعية بالامتلاء بهذه المياه ،مكونة سلسلة من البرك التي تتدرج في الارتفاع بعضها فوق بعض [٣] ، حتى تبدو جميع الاراضي الزراعية كانها بحيرة تتخللها القرى الواقعة فوق تلال مرتفعة ، والتي يكون

----

(١) تقوم الخلجان والترع بعملية توزيع المياه على مجموع الاراضي الزراعية وكانت الرئيسة منها تمتد الى عشرات الكيلومترات ، فقد اشارت المصادر الى الاكثر أهمية منها مثل خليج الاسكندرية ،والمنها والقاهرة وغيرها من الخلجان ، انظر المقريزى ،الخطط ١/ ٧٠ - ٧٢ ،القلقشندى ، صبح الاعشي ، ٤/ ٢٩٧- ٣٠١ ، جيرار ، الحياة الاقتصادية ، ص ١٤ ، عبد الفتاح وهبة ،م٠س ، ص ٢٨٧ - ٢٨٨ ٠

(٢) تقوم الجسور بمهمة توزيع المياه أيضا والتحكم في خروجها ودخولها ،علاوة على حفظ الاراضي من أخطار الفيضان وهي على نوعين الجسور الطولية وتقع بمحاذاة النهر وفروعه ، والعرضية وهي التي تمتد فيمابين الاراضي الصحراوية والنهر ، ولقد قسمت هذه الجسور الى قسمين جسور سلطانية وهي التي على السلطان الاهتمام بامرها لعموم نفعها ،وجسور بلدية وهي التي يهتم بها أهل الناحية ، للمزيد انظر ،ابن مماتي ، م ٠ س ، ص ٢٣٢- ٢٣٣ ،المقريزى ،م٠س ، ١/ ١٠١ ،القلقشندى ، م٠س ، ٤/ ٤٤٤ - ٤٤٥ ٠

(٣) عبد الفتاح وهبة ،م٠س ،ص ٢٨٩ ،جيرار ،م٠س ،ص ١٤- ١٥ ٠

الاتصال فيما بينها متعذرا الا بالقوارب أو من فوق الجسور.(١)

وبالنظر الى النصوص التاريخية التي توردها المصادر ، عن مدى تأثير مستوى الفيضان على الاراضي الزراعية في مصر الاسلامية ،يلاحظ بأن تأثير منسوب الفيضان على هذه الاراضي ،قد طرأ عليه عدد من التغيرات في العصور المختلفة ، بدءا من الفتح الاسلامي حتى اواخر العصر المماليكي ،ذلك ان حد الوفاء(٢) النافع ابان الفتح الاسلامي كان (١٦) ذراعا حيث ان النيل اذا بلغ فيضانه هذا المستوى ،فان ذلك يكفي لزراعة اراضي مصر بطريقة تؤدى الى أن يفيض من الغلات ما يكفي لمدة عامين.(٣) بيد أنه ابتداء من منتصف القرن الرابع (٤هـ/١٠م) تقريبا ، يلاحظ ان هناك اختلافا واضحا فيما ذكر عن حدود الوفاء(٤) ، اذ يذكر المسعودى انه اذا بلغ مستوى الفيضان (١٦) ذراعا ،فان ذلك يكفي لزراعة ثلاثة ارباع الاراضي الزراعية في مصر(٥) ،وأن (١٧) ذراعا تكون كاملة النفع ، في حين انه اذا بلغ الوفاء (١٨) ذراعا فان هذا يؤدى استبحار بعض الأراضي الزراعية وتلف المراعي(٦) ، كما يذكر المقريزى انه

----

(١) المقدسي ،احسن التقاسيم ص ٣٠٦ ،ياقوت الحموى ،معجم البلدان ٣٣٦/٥. عبد الفتاح وهبه ،الجغرافيا التاريخية ص ٢٨٩ ، جيرار، الحياة الاقتصادية ص ١٥.

(٢) يقصد بالوفاء هو زيادة النيل ومقدار فيضانه ،القلقشندى ،صبح الأعشى ٢٩٠/٤ - ٢٩١.

(٣) احمد الصاوى ،المجاعات في العصر الفاطمي ص ٢٢.

(٤) ن.م.س.

(٥) نقلا عن ن.م.س.

(٦) نقلا عن المقريزى ،الخطط ٥٩/١. احمد الصاوى ،ن.م.س.

الى ما بعد سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م كان الوفاء النافع هو (١٦) ذراعـــا ، واذا زاد عن ذلك ذراعا واحدا فان الخراج يزيد مئة (١٠٠) ألـــف دينار ،واذا بلغ (١٨) ذراعا كان ذلك الغاية القصوى ، فان زاد بمقدار ذراع اخرى اى (١٩) ذراعا فانه يؤدى الى نقص في الخراج بمقدار (١٠٠) الف دينار [١] ،نظرا لما يستبحر من الاراضي المنخفضة..[٢]

اما ابن مماتي فانه عندما تحدث عن الوفاء يذكر بانه كان يعتبر قديمـــا في حدود (١٦) ذراعا ،ويشير الى ان هذه الزيادة لم تعد بنفس المستوى في عصره [٣] ،ولكن دون ان يبين مقدار ما حصل من تغير ،واكتفى بالقـــول بانه قد (.. تغيرت الاحوال واختلفت أحكام الاعمال ..) [٤] ويلاحـــظ ان المقريزى عندما تحدث عن مستويات الفيضان في القرن السادس (٦هـ/١٢م) والتي سبق الاشارة اليها ،فانه يذكر ما يوازيها من مستويات في عصره ، بحيـث ان (١٦) ذراعا في الماضي أصبحت توازى ثمانية عشر (١٨) ذراعا من ناحية تأثيرها على الاراضي الزراعية [٥] ، وهكذا فقد كانت مستويات الفيضان في أواخر العصر المماليكي تنقسم الى ثلاثة أقسام هي : الحـد الادنى ويقع في حدود (١٦) ذراعا ،والمتوسط وهو في حدود (١٧) ذراعا ، أما العالي فيتجاوز (١٨) ذراعا ،وربما زاد في بعض المواسم عن (٢٠) ذراعا [٦] . وهذه المستويات من الفيضان لا تختلف كثيـــرا

---

(١) المقريزى ، الخطط ١/٦٠.

(٢) ن٠م٠س ٠

(٣) ابن مماتي ،قوانين الدواوين ص ٧٦.

(٤) ن٠م٠س ٠

(٥) المقريزى ،الخطط ١/٦٠ .

(٦) القلقشندى ،صبح الاعشى ٣/٢٩٦.

عما كان عليه الحال في عهد صلاح الدين الأيوبي ، اذ يذكر ابن جبير بأن مستويات الفيضان التي يكون فيها للنفع هى : (١٦) ذراعا كحد ادنى حيث لا خراج للسلطان اذا ما نقص الفيضان عن ذلك ، في حين ان (١٧) ذراعا تعتبر متوسطة ، اما اذا بلغ الماء (١٩) ذراعا (... فهي الغاية عندهم في طيب العام). (١) واذا زاد عن ذلك فانه قد يؤدى الى استبحار الاراضي على ما يبدو . ويعني هذا بان هناك فرقا في الحدود القصوى للمستويات النافعة من الفيضان في عصر صلاح الدين عنه في اواخر العصر المماليكي بمقدار ذراع كاملة تقريبا ، كذلك يعني بأن هناك فرقا في الحدود الدنيا لما كان عليه الحال في العصر الفاطمي - في أواسط هذا العصر على الأرجح - حيث كانت الحدود الدنيا للفيضان والتي لا ينتج عنها القحط خلال تلك الفترة هي (١٥) ذراعا (٢)، بينما نجدها في عهد الناصر صلاح الدين (١٦) ذراعا ، حيث لا يستحق السلطان الخراج على ما دون ذلك كما سبق أن أشرنا .

واجمالا ، فبالامكان القول بان هناك ثلاثة فترات تاريخية تغيرت فيها المقاييس التي يتحدد بموجبها مستوى الفيضان وما يترتب عنه من آثار زراعية وبالتالي اقتصادية ، وهي فترات يمكن تمييزها من خلال الحدود القصوى للمستويات النافعة من الفيضان ، فالفترة الاولى تمتد من صدر الاسلام وتنتهي في اوائل القرن السادس (٦هـ/١٢م) ، وهي التي اشار اليها المقريزى كما سبق ان ذكرنا . وفي هذه الفترة كان الفيضان

---

(١) ابن جبير ، الرحلة ص ٣٠ .

(٢) احمد الصاوى ، المجاعات في العصر الفاطمي ص ٢٧ .

يعتبر قد وصل الى اقصى مستوى له اذا بلغ (١٨) ذراعا ، فما دون ذلك يكون وفاء النيل قد نقص عن بلوغ المستوى الاقصى النافع كما يشير الى ذلك ناصر خسرو [١] . اما الفترة الثانية وهي التي تبدأ من اوائل القرن السادس (٦هـ/١٢م) ،وامتدت على ما يظهر الى ما بعد بداية القرن الثامن (٨هـ/١٤م) حيث تغير تحديد مستوى تأثير الفيضان كما يذكر القلقشندى [٢]، فمن المؤكد أن الحدود القصوى للمستوى النافع من الفيضان في هذه الفترة هي (١٩) ذراعا ،كما يتضح من خلال حديث ابن جبير الذى سبق الاشارة اليه [٣] . في حين ان الفترة الثالثة والتي كانت في اواخر العصر المماليكي ، فان الحدود القصوى للوفاء النافع الكامل هي في حدود (٢٠) ذراعا [٤] .

وتختلف التفسيرات التي تقدمها المصادر حول تحديد اسباب هذه الظاهرة ،فابن مماتي يعتبر ان السبب في تغير تحديد مستويات الفيضان النافع هو (... بلوغ العمارة الى حد اعتبر به هذا المقدار ..) [٥] مما يشير الى ان الوسائل التي كانت تستخدم في الرى [٦] كانت من الكفاية بحيث اذا بلغ مستوى الفيضان (١٦) ذراعا ،فان ذلك فيه النفع الكامل . بينما كان نقص الكفاية في هذه الوسائل ،السبب المباشر في عدم الوصول الى النفع الكامل اذا بلغ الوفاء في حدود الاذرع سالفة الذكر. ولعل

---

(١) ناصر خسرو ، سفر نامه ص ٨٣ .

(٢) القلقشندى ، صبح الاعشى ٣/ ٢٩٦ .

(٣) الصفحة السابقة .

(٤) الصفحة السابقة .

(٥) ابن مماتي ، قوانين الدواوين ص ٧٦ .

(٦) سبق الاشارة الى هذه الوسائل ،انظر ص ٢٣٦ هامش (١ ، ٢) .

ذلك هو ما قصده المقريزى حين ذكر ان فساد أحوال الجسور في وقته ، هو السبب المباشر في ان لا تبلغ مياه الفيضان كافة الاراضي الزراعية ، حتى لو بلغ مستوى الفيضان ما فوق (٢٠) ذراعا [١] . الا أن اختلال مستوى أنظمة الرى لم تكن السبب الوحيد الذى دفع الى ايجاد هذه الظاهرة فالقلقشندى يضيف سببا آخر لا يقل اهمية عن الأول ، وهو ارتفاع مستوى الاراضي الزراعية عن مستوى الفيضان نتيجة الارساب التي يحملها النهر معه ، عندما يعم هذه الاراضي وقت الفيضان فتأخذ الأراضي بالارتفاع التدريجي سنة بعد اخرى ، فيصبح من العسير وصول الماء اليها الا بعدما ان يصل الفيضان الى مستويات عالية جدا [٢] .

الا أن هذا الارتفاع يقابله ارتفاع في منسوب قعر النيل بسبب الارساب ايضا ، حيث لاحظ ول لكوكس (Willcocks) ان مستوى الفيضان كان يرتفع ايضا منذ أن انشيء مقياس الروضة في القرن الأول (١هـ/٧م) حتى القرن الثالث عشر (١٣هـ/٢٠م) بما مقداره ثلاثة اذرع . فكان يبلغ في القرن الاول (١هـ/٧م) سبعة عشر ذراعا ، وبلغ في القرن الثالث عشر (١٣هـ/٢٠م) عشرين ذراعا تقريبا [٣] . الا ان هذه الزيادة في مستوى قاع النهر لم تكن لتبلغ مستوى الزيادة نفسها في الاراضي الزراعية فهي أقل منها دائما [٤] أى أنها أدت الى الابطاء من الاضرار الناجمة

---

(١) المقريزى ، الخطط ١/٦٠.

(٢) القلقشندى ، صبح الاعشى ٣/٢٩٦.

(٣) Willcocks , Eygptian brigaton 1913 Vo. II, p.294

(٤) عبد الفتاح وهبة ، الجغرافيا التاريخية ص ٢٤٩.

عن الزيادة في ارتفاع مستوى الاراضي الزراعية عن مستوى الفيضان النهرى ، بحيث ان هذه الاضرار لم تظهر الا بعد مرور فترات تاريخية طويلة جدا ، ربما استغرقت عدة قرون. كما اتضح لنا أثناء الحديث عن الفترات التاريخية الثلاث ،التي ظهر فيها تغير في مدى تأثير مستوى الفيضان على الاراضي الزراعية.(١)

ونظرا لأن عهد صلاح الدين الأيوبي قد شهد تغيرا في منسوب المياه التي يتعين بموجبه حد الوفاء النافع(٢) فان هذا يدل على أن ذلك العهد قد شهد ظاهرة ارتفاع الاراضي عن مستوى الفيضان. خاصة اذا ما علمنا أن مستويات الفيضان لم تبلغ خلال معظم فترة حكم صلاح الدين الايوبي (٥٦٤-٥٨٩هـ/١١٦٨-١١٩٣م) الحدود القصوى كاملة النفع (١٩) ذراعا - وبالنظر الى ما يورده ابن تغرى بردى عن مستويات الفيضان خلال تلك الفترة ،يلاحظ بشكل عام ان معدلات الزيادة في مناسيب النيل في موسم الفيضان ،كان يغلب عليها المستوى المتوسط - (١٧) ذراعا - حيث بلغ مستواه فيما بين (١٧) ذراعا و (١٨) ذراعا في سنوات متفرقة أو متتالية ما يزيد على العقد من الزمان ، في حين انه بلغ مستواه فيما بين (١٦) ذراعا و (١٧) ذراعا ما مقداره سبع مرات ، اما المرات التي بلغ مستواه فيما بين (١٨) ذراعا و (١٩) ذراعا فلقد كان عددها ستة مرات(٣) مما يدل على أن هناك مساحات من الاراضي لم يكن يبلغها

---

(١) انظر ص ٢٣٩- ٢٤٠.

(٢) ص ٢٣٩.

(٣) انظر جدول (١) الذى تم اعتماده نقلا عن ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ٥/ ٣٨٢، ٣٨٤، ٣٨٦ ، و ٦/ ٦٦، ٦٩، ٧٣، ٧٦ ، ٨٠، ٨٢ ، ٨٤، ٨٦، ٨٨، ٩١، ٩٤، ٩٧، ٩٨، ١٠١، ١٠٤، ١٠٦، ١٠٩، ١١١، ١١٢، ١١٦، ١١٩.

جدول (١) يوضح مقدار الزيادة في فيضان النيل في عهد صلاح الدين الايوبي*

السنوات (٥٦٤ - ٥٨٨)	مقدار الزيادة في الفيضان	
	اصبع	ذراع
٥٦٤	١٢	١٦
٥٦٥	١٤	١٦
٥٦٦	٢١	١٦
٥٦٧	٢٠	١٧
٥٦٨	٢٨	١٨
٥٦٩	١٠	١٧
٥٧٠	١٩	١٧
٥٧١	١٠	١٦
٥٧٢	٢١	١٦
٥٧٣	٢١	١٧
٥٧٤	١٩	١٦
٥٧٥	٧	١٨
٥٧٦	١٦	١٦
٥٧٧	٥	١٨
٥٧٨	٢	١٧
٥٧٩	٢٣	١٧
٥٨٠	١٣	١٨
٥٨١	١	١٧
٥٨٢	١	١٧
٥٨٣	١٢	١٧
٥٨٤	١٣	١٧
٥٨٥	٢٢	١٧
٥٨٦	٤	١٨
٥٨٧	١٤	١٨
٥٨٨	١١	١٧

المجموع : ١٧-١٨ ذراع (١٢ مرة) ، ١٦ - ١٧ ذراع (٧مرات)
ما فوق ١٨ ذراع (٦ مرات).

الفيضان النهرى في كثير من السنين ،وهي مساحات كبيرة يوءكد ذلك انتشار زراعة قصب السكر في تلك الفترة [(١)] ،وهي زراعة صيفية لا تتم في الاراضي التي يغمرها الفيضان. وانما تكون في تلك التي تعتمد على الارواء الصناعي [(٢)].

ولا شك بان هذا يدل دلالة واضحة على ان الزراعة قد انتشرت ايضا في المناطق التي لم يكن يشملها ماء الفيضان ،والتي يبدو انها اهملت في اواخر العصر الفاطمي ،فكانت من الاسباب الرئيسة لتدني مقدار الجباية الخراجية التي سبق الاشارة اليها [(٣)] في حين انه في عصر صلاح الدين الأيوبي ،جرى استغلال هذه الاراضي وزراعتها بالأرواء الصناعي ، نتيجة تطبيق نظام الاقطاع الذى اوجد فئة قادرة - المقطعون - على الانفاق على الزراعة [(٤)] وبالتالي توسع المساحات المزروعة . وهي ظاهرة سيكون لها تأثيرها على الأوضاع الاقتصادية والثروة كما سبق ان ذكرنا .

---

(١) عبد الفتاح وهبة ،الجغرافيا التاريخية ص ٣٠٠ .

(٢) عبد الفتاح وهبة ،م.س ص ٢٩٥ ،ووسائل الارواء الصناعي مثل الساقية والشادوف والطنبور ،انظر منها : عبد الفتاح وهبة ، م.س.ص ٢٩١ ،جيرار ،الحياة الاقتصادية ص ١٩ .

(٣) ص ٢٣٢ .

(٤) ص ٢٢٨ ،ويلاحظ ان انتشار زراعة قصب السكر التي سبق الاشارة اليها تدل على ان هناك نفقات ضخمة وجهت نحو الزراعة اذ أنه يعد من المحاصيل الصيفية كما ذكرنا ، وهي محاصيل تحتاج الى نفقات باهظة نتيجة حاجة الارض في هذه الحال الى اعداد خاصة من تسميد وبذار وغيره علاوة على توفير وسائل الارواء الصناعي . انظر عبد الفتاح وهبة ،الجغرافيا التاريخية ص ٢٩٦ .

ومن الروافد التي أسهمت في زيادة الثروة وتراكمها في مصر في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي التجارة التي ازدهرت أوضاعها في تلك الفترة[(١)]، حيث نتج عنها زيادة كبيرة في مقدار الثروة المتراكمة في هذه البلاد[(٢)]. فمن المؤكد أن زيادة التبادل بين مصر ودول أوروبا في عهد الناصر صلاح الدين[(٣)]، قد أسهم الى حد بعيد في زيادة الموارد النقدية الذهبية التي تتحصل مصر عليها من تلك البلاد[(٤)]. ولا يعدوا أن يكون الأمر كذلك بالنسبة لموارد النقد الذهبي القادم من بلاد السودان وعلى الأخص الجانب الغربي منها[(٥)]، التي تزايد التبادل التجارى معها في تلك الفترة أيضا[(٦)].

ولا شك بأن زيادة موارد النقد هذه، هي التي أسهمت بشكل أساسي في أن تتمكن الدولة الصلاحية من سك عملات ذهبية جديدة رغم نضوب موارد الذهب من منابعه الموجودة في مصر في ذلك الوقت[(٧)]. اذ قام صلاح الدين

---

(١) ص : ٢٧٠ - ٢٧٨.

(٢) نعيم زكي ، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب (أواخر العصور الوسطى)، القاهرة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م ، ص ٢٩٦.

(٣) ص : ٢٧٣ - ٢٧٧.

(٤) القلقشندى : صبح الأعشى ٣/٤٣٧. موريس لومبارد ، الجغرافيا التاريخية للعالم الاسلامي ص ٣٠٤.

(٥) موريس لومبارد ، م.س. ص ٢٩٥.

(٦) ص : ٢٧٤.

(٧) يلاحظ انه منذ اواخر العصر الفاطمي انخفض استغلال الذهب في مناجم وادى العلاقي بالشرقية وانتهت سيطرة الدولة على هذا

===

في عام ٥٦٧هـ/١١٧١م بسك عملة ذهبية جديدة [(١)] تفريجا للأزمة النقدية التي واجهتها البلاد في تلك السنة [(٢)] واتبع ذلك الاصدار باصدار آخر في عام ٥٧٠هـ/١١٧٤م ليتلوه اصدار ثالث عام ٥٧٦هـ/١١٨٠م ، وكان صلاح الدين يتجه في ذلك نحو أوج قوته السياسية. [(٣)]

ولقد ترتب عن تراكم الثروات في القاهرة ، اثار عمرانية عدة ، من أهمها اسهام هذه الثروات في زيادة النشاط العمراني في القاهرة [(٤)] اذ أن الوفر المادى يدفع الناس نحو تأثل العقار وامتلاكه [(٥)] . لذلك فمن المؤكد أنه قد اندفع في ذلك الوقت العديد من افراد المجتمع القاهرى نحو امتلاك وبناء المنشآت والمباني ،فكان للمماليك الاسدية والصلاحية [(٦)] العديد من المنشآت والمباني في القاهرة الصلاحية ظلت تحمل أسمائهم ردحا من الزمن [(٧)] . خاصة وأن صلاح الدين الايوبي قد شجع على مثل هذه

=== الاستغلال . عبد الرحمن فهمي ، النقود العربية ماضيها وحاضرها القاهرة ١٩٦٤م ص ٧١ . والسبب في ذلك هو نضوب هذه المادة في هذه المصادر . انظر عطية القوصي ، تجارة مصر في البحر الأحمر ص ١٤٥ .

(١) المقريزى ،السلوك جـ١ ق ١ ص ٤٥ . حسنين ربيع ،النظم المالية ص ٩٧ .

(٢) حسنين ربيع ،ن.م.س.

(٣) ن . م . س .

(٤) عن هذا النشاط العمراني انظر ص :

(٥) ابن خلدون ،المقدمة ٣٦٨/١ .

(٦) المماليك الاسدية تنسب الى اسد الدين شيركوه ، اما الصلاحية فينسبون الى صلاح الدين الأيوبي . العبادى ، قيام دولة المماليك ص ٨٢ - ٨٣ .

(٧) العبادى ،م.س ،ص ٩٠ - ٩٢ .

الاعمال ، فقام ببيع العديد من المنشآت التي ورثتها دولته عن الفاطميين وأتباعهم [١] ،بالاضافة بيعه لمساحات من الاراضي في المدينة الكبرى ، اذ أن تقي الدين عمر [٢] اشترى جزيرة الروضة من بيت المال ليوقفها على مدرسته التي بناها في ذلك الوقت [٣] . كذلك فان تراكم الثروة ،سيسهم بطبيعة الحال في ايجاد مظاهر الرخاء الاقتصادى الذى تميزت به الحياة الاجتماعية في مصر في ذلك الوقت ،والذى ترتب عنه نتائج عمرانية هامة ، سنشير اليها فيما يلي .

ب : انتشار الرخاء الاقتصادى :

نظرا لأن الحياة الاجتماعية في مصر في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي ،قد تميزت بانتشار الرخاء والرفاه [٤] ،فمن المؤكد أن هذه المظاهر لن تكون موجودة لو لم يصاحبها رخاء في الاوضاع الاقتصادية ، كانعكاس لتحسين النشاط الاقتصادى وتراكم الثروة ،الذى سبق الاشارة اليه .

---

(١) الفتح البنداري ، سنا البرق الشامي ،ص ٦٠ ،المقريزى ،الخطط ٤٩٦/١ .

(٢) هو الملك المظفر تقي الدين عمر بن نور الدولة شاهنشاه بني أيوب المشهور بصاحب حماه (ت ٥٨٧هـ/١١٩١م) ،ابن أخي السلطان الناصر صلاح الدين الايوبي . وكان ينوب عنه في مصر أثناء غيابه . وظل كذلك الى سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م حيث ولاه صلاح الدين مدينة حماه واشتهر بها . عنه انظر ابن خلكان ، وفيات الاعيان ٣/٤٥٦-٤٥٧ .

(٣) ص : ٤٨٢ .

(٤) ص : ١٤٧ .

وبما أن هذا الرخاء والرفاه كان مظهرا اجتماعيا سائدا ،فان ذلك يدل على انه لم يكن قاصرا على الامراء من البيت الأيوبي وكبار رجال الدولة الذين كانوا يعيشون في هذه الحياة فحسب (١) ،بل تجاوز ذلك الى سائر أفراد الشعب ،حيث اخذت الكثير من الموارد المالية للبلاد بالتحول الى أيدى هذه الفئة من الناس .

فلقد امتاز العصر الأيوبي بكثرة النفقات المالية التي تطال وجوه البر وأعمال الخير المختلفة مما سيساعد بدون أدنى شك في وصول الكثير من الأموال الى سائر أفراد الشعب خاصة المحتاجين منهم (٢) ،وهذه الظاهرة تزعمها الأيوبيون انفسهم ،الذين وسمهم القاضي الفاضل بأنهم آفة على الأموال لكثرة ما ينفقون (٣) . فالناصر صلاح الدين اشتهر بالكرم وحبه لاعمال البر والخير (٤) بصورة لم يسبق لها مثيل في ذلك العصر وكان حريصا على أن تصل عطاياه الى سائر الناس على اختلاف درجاتهم (٥)؛

---

(١) هاملتون جب ،صلاح الدين الأيوبي ،ص ص ١٩٢ ، ٢٠٠ .

(٢) محمد عبد العزيز مرزوق ، الفن الاسلامي في العصر الأيوبي ، القاهرة ١٩٦٣ م ص ٦٣ .

(٣) جمال الدين بن نباته (ت ٧٦٢هـ/ ١٣٧٠م) مختارات من كلام القاضي الفاضل ،مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٣٨٨٢ ورقة ١٠ .

(٤) الاسحاقي ، محمد عبد المعطي بن أحمد (ت /) . لطائف اخبار القول فيمن تصرف في مصر من الدول ،مخطوط بمكتبة اسعد افندى ،باسطنبول رقم ٢٣٦٧ ورقة ١٦٤ .

(٥) ابن شداد ، النوادر السلطانية ص ٤٠ - ٤١ ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان ٧/ ١٥٢ .

بل ان رعايته كانت تصل الى الغرباء الوافدين الى بلاده من طلاب العلم وصوفيه وغيرهم [(١)] ، يهون عليه في ذلك نفقات بيوت الأموال [(٢)] التي لم يكن يحرص على ان يكون فيها احتياطات مالية ، فالاموال التي كانت لدى الخليفة الفاطمي العاضد [(٣)] وتلك التي جمعها عمه اسد الدين شيركوه [(٣)] قام صلاح الدين بانفاقها عندما آلت اليه مقاليد الامور [(٥)] . بل ان سياسته المالية هذه كانت سببا في احراج متولي الشؤون المالية في دولته ، فكان نوابه على المال (.. يخفون عليه شيئا من المال حذرا ان يواجههم مهم لعلمهم بأنه متى علم به أخرجه .) [(٦)] ولم يكن هذا المظهر الانفاقي قاصرا على صلاح الدين ، وانما تجاوزه الى رجال الدولة نفسها وأقربائه شمس الدولة توران شاه [(٧)] اشتهر بالكرم وكثرة الانفاق وسعة العطاء ، بل ان خصاله هذه جعلته يموت وهو مدان بمبالغ كبيرة قضاها عنه صلاح الدين . [(٨)]

----

(١) ن . م . ص .

(٢) ابن جبير ، الرحلة ، ص ٢٧ .

(٣) عنه انظر ص : ١٣٠ هامش (٦) .

(٤) عنه انظر ص : ٢١ هامش (٢) .

(٥) ابو شامة ، الروضتين جـ١ ق ٢ ص ٤٠٨ ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان ١٥٥/٧ .

(٦) ابن شداد ، النوادر السلطانية ص ١٧٠ .

(٧) عنه انظر ص : ١٨١ هامش (١) .

(٨) المقريزى ، الخطط ٣٨/٢ ، مؤلف مجهول ، تاريخ المصر القاهرة ورقة ٤٣ .

كذلك اشتهر تقي الدين عمر (١) بالسعي وراء اعمال البر والحسنات فكان (.. كثير الاحسان الى العلماء والفقراء وأرباب الخير) . (٢)

الا أنه من المؤكد أن ابرز الاسباب التي أدت الى زيادة انتشار الثروة بين أفراد المجتمع القاهرى في عصر صلاح الدين الأيوبي كان نتيجة تحول الدولة ورجالها الى مستهلكين رئيسيين من اسواق المدينة (٣) بعد ما أدخله صلاح الدين الايوبي من تغييرات على اوضاع الحواصل التي كانت موجودة في عهد الفاطميين .

فلقد كان للدولة الفاطمية العديد من المنشآت والصناعات المختلفة التي تقوم بتوفير الاحتياجات المتنوعة لهم ولعامتهم ورجال دولتهم . وكانت هذه المنشآت تعرف بحواصل الخلافة ،وهي تنقسم الى خمسة أقسام (٤) ، الأول منها هو الخزائن ،والتي بلغ عددها ستة عشرة صنفا ،كما ورد عرضا في نص للمقريزى عنها (٥) . اما القسم الثاني فهو حواصل المواشي ،الذى ينقسم الى قسمين رئيسيين ،اولهما الاسطبلات ومايجرى في مجراها ،

------------- ------

(١) عنه انظر ص : ٢٤٧ هامش (٢) .

(٢) ابن خلكان ،وفيات الاعيان ٣/ ٤٥٦ .

(٣) ص : ٢٦٧ .

(٤) زكي حسن ،الاعمال الكاملة (كنوز الفاطميين) ٤/ ١٦ .

(٥) وهي خزائن : الكتب والبنود ،والسلاح والتجمل ، والورق ، والسروج ، والفرش والامتعة والكسوات والادم والشراب ،والتوابل والخيم ،والجوهر والطيب والطرائف ،ودار التعبئة ، ودار افتوكين ،ودار العلم ، ودار الفطرة . المقريزى ،الخطط ١/ ٤٠٨ . وكان يشرف على هذه الخزائن كبار الاستاذين المحنكين وكل منهم باسم حامي او مقدم أو متولي . ويتبعهم جهاز ادارى ضخم من المشرفين والفراشين . انظر عبد المنعم ماجد ،نظم الفاطميين ورسومهم ٢/ ١٣ .

والثاني هو المناخات (١) ،وكانت تحوى على اعداد كبيرة من الجمال ، يقصر عنها الحد على حد تعبير القلقشندى (٢) . في حين ان القسم الثالث من حواصل الخلافة فهو مخازن الغلال وشوءون الانبات ،حيث كان للفاطميين عدد كبير من الاهراء لخزن الغلال ، التي كانت تتكدس فيها بكميات كبيرة (٣) ، وكانت هذه الاهراء تتوزع على مواضع عدة فكان بعضها يوجد في القاهرة واخرى في الفسطاط والمقسى (٤) ، بينما كانت شوءون الانبات تقع فيما بين الفسطاط والقاهرة ، وتحوى على الاتبان الخاصة باحتياجات المواشى الديوانية (٥) . والقسم الرابع هو الخاص بالبضائع ،وكان يحوى العديد من المواد الخام ،كالاخشاب والحديد والزفت وغيرها (٦) ، وكان المناخ يحوى على المنشآت التي كانت تخزن فيها هذه البضائع (٧) ، بينما كان القسم الأخير من هذه الحواصل مختصا بالأطعمة

----

(١) وهذا اللفظ ماخوذ من اناخة الابل أى بروكها ،ابن سيدة ، أبو الحسن على بن اسماعيل (ت ٤٢٨هـ/ ١٠٦٥م) المخصص ، تحقيق لجنة من احياء التراث العربي في دار الافاق الجديدة بيروت جـ٢ السفر ٧ ص ٩٣ .

(٢) القلقشندى ،صبح الاعشى ٣/ ٤٧٥ .

(٣) المقريزى ،الخطط ١/ ٤٦٤ - ٤٦٥ .

(٤) القلقشندى ،ن.م.س ،

(٥) المقريزى ، م.س ، ٢/ ٤٤٠ ،القلقشندى ،م.س ،

(٦) القلقشندى ، ن.م.س . عبد المنعم ماجد ،نظم الفاطميين ورسومهم ٢/ ٢٧ .

(٧) المقريزى ، م.س ٢/ ٤٤٤ .

والاسمطة (١) وما يرتبط بها ،وكان يتبعها المطابخ (٢) والطواحين (٣) ودار الفطرة (٤) (٥) .

لقد كان لهذه الحواصل مهمات متعددة الوجوه ، فهي تقوم بتوفير شروط حياة الترف التي كان يعيشها الفاطميون واتباعهم ،علاوة على دورها في سياسة الانفاق العام التي تتبعهـا الدولة . فبالنسبة لحياة الترف والرفاه ،فلقد كان من مهامها توفير احتياجات هذه الحياة ، التي بالغ فيها الفاطميون كثيرا ووصلوا بها الى حد لم تعرفه مصر الاسلامية

----

(١) ومفردها سماط وتجمع على سماطات وهي ما يمد من الطعام ، الزبيدى ،تاج العروس ٥/١٦٢ وكان لبني عبيد اسمطة تمد في شهر رمضان والعيدين . انظر القلقشندى ،م.س ٣/٥٢٣-٥٢٤ .

(٢) كانت هذه المطابخ تقع خارج القصر الخلافي ،وتتصل به عن طريق ممر تحت الارض ،وتقوم بتحضير اطعمة الخليفة والموظفين . عبد المنعم ماجد ، ن.م.س .

(٣) وهي تنقسم الى قسمين ، احداها لغلال القصر والاخرى للموظفين عبد المنعم ماجد ،ن.م.س.

(٤) القلقشندى ،م.س ٣/٤٧٦ .

(٥) كان يعد في هذه الدار ما يلزم العيد من حلوى وغيرها ، وبها تحفظ المواد الخاصة بذلك . المقريزى ،م.س ١/٤٢٥-٤٢٧ ، القلقشندى م.س ٣/٥٢٤-٥٢٥ ،عبد المنعم ماجد ،م.س ٢/٢٧-٢٨ .

في تاريخها [١] ،مع وجود ميل شديد الى اقتناء التحف وجميع الكنوز ،[٢] حيث يوءثر عن الخليفة المعز لدين الله الفاطمي [٣] بأنه لما دخل الى مصر قادما من المغرب جلب معه الكثير من الاموال والنفائس [٤] . لذلك فقد كان للخلفاء الفاطميين خزائن متخصصة لحفظ نفائسهم وتحفهم ،فخزانة الجوهر والطيب والطرائف [٥] يوجد فيها من الجوهر ما لم يكن يعرفه تجار البلاد أنفسهم [٦] . ولكي يكون الترف أكثر امعانا اقتنى الفاطميون الآنية المرصعة بالجوهر [٧] ،فكانت الخزانة سابقة الذكر تحوى على

---

(١) ص : ١٤٧.

(٢) زكي حسن ،الاعمال الكاملة ٤/ ٦.

(٣) هو ابو تميم معد بن المنصور اسماعيل بن القائم العبيدى - (٣٤٢ - ٣٦٥ هـ/ ٩٥٣ - ٩٧٥ م) من خلفاء الفاطميين ضمت مصر الى حكمهم في عهده وأسس القاهرة . عنه انظر : ابن حماد ،اخبار ملوك بني عبيد ص ٨٣. ابن سعد الاندلسي ،النجوم الزاهرة ص ٣٨ - ٤٥ ،ابن ميسر ،تاج الدين محمد بن على بن جلب زاغب (ت ٦٢٢هـ/ ١٢٧٨م) اخبار مصر ، (بانتقاء المقريزى) تحقيق ايمن فوءاد سيد ،القاهرة ص ١٥٩-١٦٨. ابن دقماق ، الجوهر النفيس ص ٢٠٠- ٢٠٢.

(٤) الامين عوض الله ،الحياة الاجتماعية ص ١٩.

(٥) وهي خزانة كبيرة بل عدة خزائن كما يعتبرها البعض جعلها الفاطميون لحفظ كنوزهم الثمينة وكان بها الجوهر والالات والاواني المذهبة وغيرها من نفيس التحف والصناعات المختلفة الانواع. انظر المقريزى ، الخطط ١/ ٤١٤- ٤١٦ ،زكي حسن ،م.س ٤/ ٤١-٥١ . عبد المنعم ماجد ، نظم الفاطميين ورسومهم ٢/ ١٧-٢٠.

(٦) زكي حسن ،م.س ٤/ ٤١-٤٢.

(٧) ثناء بلال ، الملابس في العصرين القبطي والاسلامي ص ٣٤٠.

السكاكين المذهبة والمفضضة والمرصعة بالجوهر (١) ،في حين أن خزانة الكسوات (٢) ،تحتفظ باجود الثياب وافخرها ،القادمة من دور الطراز في تينيس (٣) ودمياط (٤) والاسكندرية (٥) (٦) ،علاوة على ما يرد من ارجاء العالم المختلفة (٧) . بينما كان للفرش الفاخر الذى يوضع في قاعات القصور ، وخزانة تعرف بخزانة الفرش والامتعة ، تحوى على الفرش والستور التي يزدان بعضها بخيوط الذهب والفضة (٨) . كما أن الفاطميين

---

(١) المقريزى ،الخطط ١/٤١٤ ،زكي حسن ،الاعمال الكاملة ، ٤/٤٤ ،عبد المنعم ماجد ،نظم الفاطميين ورسومهم ٢/١٨-١٩.

(٢) هذه الخزانة كانت تحفظ فيها اجود الأقمشة والثياب ، وكانت على قسمين ،قسم خاص بالخليفة وقسم خاص باطلاقاته من الثياب والاقمشة . انظر المقريزى ،م٠س ١/٤٠٩ - ٤١٣ . القلقشندى صبح الاعشى ، ٣/٤٧٢ ،زكي حسن ،م٠س ٤/٣٥-٣٩ ، عبد المنعم ماجد ،م٠س ٢/١٥-١٧.

(٣) من اشهر مدن الدلتا في مصر وتقع في جزيرة يحيط بها النهر والبحر اللذان يكونان بحيرة حولها و تشتهر هذه المدينة بعمل القماش والاردية الملونة . المقدسي ،احسن التقاسيم ص ٢٠١ . ياقوت ، معجم البلدان ٢/٥١-٥٤.

(٤) عن دمياط انظر ص : ٢٠٧ هامش ٥ .

(٥) عن الاسكندرية انظرص : ٢٠٠ هامش ٧.

(٦) القلقشندى ،م٠س ٣/٣٧٢ ،عبد المنعم ماجد ،م٠س ٢/١٦.

(٧) زكي حسن ،م٠س ٤/٣٥.

(٨) المقريزى ،م٠س ١/٤١٦ - ٤١٧ ، زكي حسن ،م٠س ٤/٥٢-٥٣ ، عبد المنعم ماجد ،م٠س ٢/٢٠-٢١.

كانوا يوفرون في خزائنهم مستلزمات الرعاية الطبية ،فخزانة الشراب يوجد بها اصناف مختلفة من المعاجين والادوية (١) التي تلزم اطباء القصر لصرفها (... للجهات وحواش القصر) (٢) وكان من مهام الخزائن الخاصة بالاطعمة حفظ المواد الغذائية اللازمة للمطابخ (٣) التي تقوم باعداد اسمطة الخلفاء (٤) ،ولقد بلغ بالفاطميين الترف لدرجة أن كان لهم خزانة تعرف بدار التعبية ،مهمتها توفير الورد والازهار التي تزين قاعات القصور واجنحتها المختلفة ،علاوة على ما يحتاجه الجهات والحرم ، والامراء والوزراء وغيرهم من كبار رجال الحاشية والمستخدمين (٥) . كما كان من مهام هذه الحواصل أيضا توفير المستلزمات الخاصة بالمناسبات المختلفة مثل المواكب الرسمية الخاصة بالاحتفالات (٦) علاوة على الكثير من المستلزمات التي يحتاجها رجال الدولة . فخزائن الجوهر والطيب والطرائف (..كان بها الاعلام والجوهر التي يركب فيها الخليفة في الاعياد ويستدعي منها عند الحاجة ويعاد اليها عند الغنى ..) (٧) . ومن مهام

---

(١) علاوة على احتوائها على أنواع مختلفة من الاشربة والمربيات مختلفة الانواع التي تقدم في مجالس الخليفة ،المقريزى ،م.س ،١/٤٢٠ ، القلقشندى ،ن.م.س ،عبد المنعم ماجد ،م.س ٢/٢٣-٢٤.

(٢) المقريزى ،ن.م.س.

(٣) وكانت تحوى هذه الخزائن على العديد من اصناف المواد الغذائية من السكر والعسل والزيوت بأنواع مختلفة ،القلقشندى ،ن.م.س .

(٤) عن هذه الاسمطة انظر ص : ٢٥٢ هامش (١).

(٥) المقريزى ، الخطط ، ١/٤٢٢ . عبد المنعم ماجد ، نظم الفاطميين ورسومهم ٢/٢٤-٢٥.

(٦) عن هذه الاحتفالات انظر ص ١٥١ - ١٥٤.

(٧) المقريزى ،م.س ١/٤١٤.

خزائن الاسلحة وخزائن التجمل التي تتبعها [(١)] توفير الرايات والاسلحة التي تستخدم في المواكب كما يشير الى ذلك ابن الطوير أثناء حديثه عن موكب أول العام [(٢)] ،وكانت الاسطبلات [(٣)] توفر للحيوانات الخاصة بركوب الخليفة والامراء والخاصة ،اضافة الى تلك الخاصة بالمواكب حيث توزع كعوادى للمشاركين فيها [(٤)] ،كما كانت تقوم بتهيأة الحيوانات الخاصة بركوب أرباب الرتب العالية والمستخدمين من مدنيين وعسكريين [(٥)] .
فقاضي القضاة كان يقدم له من اسطبلات الخليفة بغلة يستخدمها في تنقلاته [(٦)] ،في حين أن كل جندى يعين في الجيش الفاطمي تثبت له

---

(١) عندما يتحدث القلقشندى عن هذه الخزائن يجعل كل واحدة منها خزانة مستقلة بذاتها والراجح انها صنف واحد ينقسم الى عدة اقسام بعضها لحفظ الاسلحة المستعملة في الحروب للقوات البرية والاسطول واخرى خاصة لحفظ الاسلحة الثمينة وما يستخدم منها في المواكب والحفلات ،انظر المقريزى : م٠س ١/٤١٧-٤١٨ ، القلقشندى ،صبح الاعشى ٣/٤٧٣ - ٤٧٤ ٠ زكي حسن ، الاعمال الكاملة ٤/٥٤-٥٨ ،عبد المنعم ماجد ،م٠س ١/٢٠-٢١٠

(٢) نقلا عن المقريزى ،م٠س ١/٤٤٦ ،ولاحظ ما يذكره القلقشندى عن استيفاء الاستعدادات الخاصة بهذا الموكب من حواصل الخلافة . القلقشندى ،م٠س ٣/٤٩٩-٥٠٠ وانظر ايضا زكي حسن ،م٠س ٤/٥٧٠

(٣) كان يوجد في القاهرة عدد من الاسطبلات ،من اهمها اسطبلا الخليفة وهما الطارمه والجميزة حيث كان يوجد بهما الف رأس من مواشي الركوب انظر عنهما المقريزى ،م٠س ١/٤٤٤ - ٤٤٥

(٤) المقريزى ،م٠س ١/٤٤٤ ،القلقشندى ،م٠س ٣/٤٧٤ ، عبدالمنعم ماجد ،م٠س ٢/٢٥٠

(٥) المقريزى ،م٠س ١/٤٤٤٠

(٦) المقريزى ،م٠س ١/٤٠٣ ،القلقشندى ، صبح الاعشى ٣/٤٨٢٠

فرص جيدة [١] بينما كان على خزانة السروج [٢] ،توفير أدوات الركوب الخاصة بكل ذلك [٣] كذلك كان على خزانة الاسلحة ، توفير ما يحتاجه الجيش منها ليخوض بها المعارك [٤] ، بل ان الاسلحة الشخصية التي لدى الامراء ورجال الحاشية كانت توزع لهم من هذه الخزانة كعوادى ،حيث يعاد اليها ما بحوزة أى منهم من الاسلحة بعد وفاته. [٥]
ومن المرجح ان الدولة الفاطمية كان توفير الأثاث وما يتعلق به لمنازل الوزراء والأمراء وكبار رجال الدولة ، فالمسبحي يذكر اثناء حديثه عن سكنى احد قادة الجيش الفاطمي في دار قرب القصر ،بأنه قد حمل الى داره (.. من بيت المال من الفروش والستور والالات كل قطعة طريفة معجزة ..) [٦] وهي مقتنيات لا بد وأن قامت بتوفيرها حواصل الخلافة عن طريق خزائنها ،ولا شك بأن الدار التي كانت مخصصة للوزراء كانت

---

(١) المقريزى ، م.س ،١/٤٠١.

(٢) كانت هذه الخزائن تحوى من السروج وغيرها من ادوات الركوب على ما لا تحتوى عليه مثلها مملكة من الممالك على حد تعبير بعض المؤرخين وكانت تحتوى على انواع عدة من هذه المقتنيات بعضها يمكن اعتباره من النفائس . انظر المقريزى ،م.س ١/٤١٨. القلقشندى ،م.س ٣/٤٧٢،زكي حسن ،الاعمال الكاملة ٤/٥٩-٦١.

(٣) المقريزى ،م.س ١/٤١٨ ،القلقشندى ،ن.م.س ،زكي حسن ، م.س ٤/٥٩.

(٤) المسبحى ، اخبار مصر ، ص ١٧٩ ،المقريزى ،م.س ١/٤١٧-٤١٨. عبد المنعم ماجد ، نظم الفاطميين ورسومهم ٢/٢٠-٢١.

(٥) زكي حسن ٤/٥٨.

(٦) المسبحى ، م.س ،ص ٢٠٠.

تخضع لنفس الاعتبارات [١] . ولم يكن انفاق الفاطميين على اتباعهم قاصرا على ما سبق ذكره من جوانب فحسب ، بل ان جزءا كبيرا من الاغذية كانت الدولة توفرها لموظفيها واتباعها ، بحيث لا يبقى لهم من الاحتياجات الغذائية اليومية سوى (.. اللحم والخضروات ..) [٢] كما يذكر ابن الطوير اثناء حديثه عن خزائن دار أفتكين [٣] ، التي كانت تحوى على الكثير من انواع المواد الغذائية [٤] . ولقد كانت "الاهراء" تطلق الأقوات (... لارباب الرتب والخدم وارباب الصدقات وارباب الجوامع والمساجد وجرايات العبيد السودان .. (و) جرايات رجال الاسطول ..) [٥].

---

(١) كان في القاهرة دار محددة لسكنى الوزير ، ولقد كانت في بادىء الامر في موضع دار الديباج ثم نقل الوزير الفاطمي امير الجيوش بدر الجمالي (٤٦٦ - ٤٨٧هـ/١٠٧٣-١٠٩٢م) سكنى الوزراء الى دار كبيرة بناها في حارة برجوان ، ليقوم ابنه الوزير الفاطمي الافضل (٤٨٧-٥١٥ / ١٠٩٤-١١٢١م) ببناء دار جديدة بجوار القصر الشرقي الكبير الى الشمال منه تجاه رحبه باب العيد عرفت بدار الوزارة الكبرى . واستمرت كذلك حتى اواخر الحكم الفاطمي حيث جعلها صلاح الدين بعد القضاء على دولتهم دارا للسلطنة . انظر المقريزى الخطط ١/٤٣٨-٤٣٩ ، ٤٦١ ، ٤٦٤ .

(٢) المقريزى ، م.س ١/٤٢٢ .

(٣) هذه الخزائن كانت دارا لاحد قواد الجيش الفاطمي ومن مماليك امير الجيوش بدر الجمالي ٤٦٦-٤٨٧ هـ/١٠٧٣-١٠٩٤م قتله الافضل ابن امير الجيوش ٤٨٧-٥١٥/ ١٠٩٤-١١٢١م في عام ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م بعد ما شق نزار عصا الطاعة عليه ، فجعلت داره من جملة الخزائن وكان بها يحفظ الشمع القادم من الاسكندرية برسم الوقودات بالاضافة الى العديد من انواع المواد الغذائية كالاعسال والسكر والقند الشيرج والزيت و الفستق ومايجرى في هذا المجرى . انظر المقريزى ، م.س ١/٤٢٢/٤٢٣ .

(٤) انظر الهامش السابق . (٥) المقريزى ، الخطط ١/٤٦٥ .

بل ان توفير الاغذية من قبل الدولة تجاوز مرحلة المواد الضرورية الى مرحلة توفير المواد الغذائية الثانوية من الحلوى وغيرها خاصة في المناسبات ، فدار الفطرة التي تحوى على المواد الخاصة بصناعة الحلوى (١) ، وتقوم في شهر رمضان بتوزيع المواد الخاصة بها ، علاوة على توزيع المصنوعة فيها (٢) . فكانت تتولى تقديمها لا رباب الرسوم من حملة السيوف والاقلام (٣). فيعم ذلك الكبير والصغير ويصل الى مختلف طبقات أتباع الفاطميين ولا يفوت أحد منهم شيء من ذلك على الاطلاق (٤) . كما كانت دار الفطرة تقوم بتوزيع الحلوى في المناسبات المختلفة . كالاحتفالات بالمولد النبوى (٥) وغيره ، فتوزع فيه الحلوى على ارباب الرسوم كقاضي القضاة وداعي الدعاة (٦) ، والخطباء والمدرسين بجوامع الفسطاط والقاهرة وغيرهم ممن لهم اسم ثابت في الديوان (٧) .

ولكي يتسنى للفاطميين سهولة توفير هذه الاحتياجات لهم ولاتباعهم عمدوا الى ايجاد تنظيمات حكومية مناسبة تتولى توفيرها ، فالخليفة المعز لدين الله العبيدى ، كان يجمع افضل الصناع ويلحقهم بخدمته في قصره

---

(١) المقريزى ، م.س ١/ ٤٢٥ .

(٢) المقريزى ، الخطط ١/ ٤٢٦ ، القلقشندى ، صبح الاعشى ٤/ ٥٢٥ ، الامين عوض الله ، الحياة الاجتماعية ص ٣٢ .

(٣) الامين عوض الله ، م.س ص ٣٨ .

(٤) المقريزى ؛ ن.م.س .

(٥) عن الاحتفال بالمولد النبوى انظر ص : ١٧٠ هامش (١) .

(٦) عن داعي الدعاة انظر ص : ١٣٦ هامش (٣) .

(٧) القلقشندى ، صبح الاعشى ٣/ ٤٩٨ - ٤٩٩ .

ليعملوا في صناعات الدولة (١) ،وكان يطلب الى عماله في الاقاليم ان يرسلوا اليه من يرون فيهم الصلاح للقيام بمثل هذه الاعمال (٢) كما احتوت كل خزانة من خزائن الخلافة على صناع يشتغلون فيها اذا كانت محتوياتها تتطلب ذلك (٣) ، فخزانة الكسوة كان يفصل بها كسوات الثياب التي توزع على الاتباع او يختص بها الخليفة لنفسه (٤) ،في حين كانت دار الديباج (٥) مخصصة لصناعة الحرير الديباج (٦) بينما كان من مهام خزانة السلاح صناعة الاسلحة كالسيوف والدروع وغيرها (٧) ، وان كان من المؤكد ان الاسلحة الثقيلة مثل المنجنيقات (٨)

---

(١) زكي حسن ،الاعمال الكاملة ٤/٧٩.

(٢) زكي حسن ، ن.م.س.

(٣) زكي حسن ،م.س ٤/٢٦.

(٤) المقريزى،الخطط ١/٤٠٩، ٤١٢ ،القلقشندى ، صبح الاعشى ٣/٤٧٢ ،عبد المنعم ماجد ، نظم الفاطميين ورسومهم ٢/١٦.

(٥) الديباج نوع من القماش ،واصله فارسي معرب كما ذهب سيبويه وهو على نوعين الرقيق حسن الصنعة ويعرف بالرفرف ،والخشن ويطلق عليه الاستبرق ،ابن سيدة ،المخصص ج١ السفر ٤ ص ٧٦.

(٦) المقريزى ،م.س ١/٤٦٤.

(٧) عبدالمنعم ماجد ،نظم الفاطميين ورسومهم ٢/٢٢-٢٣.

(٨) وهو عبارة عن الة خشبية لها دفتان قائمتان بينهما سهم طويل رأسه ثقيل وذنبه خفيف ،الذى تجعل فيه كفة المنجنيق التي يوضع فيها المقذوفات كالحجارة وزجاجات النفط والزرنيخ وغير ذلك ،ومنه الكبير والصغير وله انواع عدة أجودها العربي ومنها التركي والافرنجي انظر : الطرسوسي ،تبصرة ارباب الالباب ص ١٦-١٨. احمد محمد عدوان ،العسكرية الاسلامية في العصر المملوكي ،الرياض ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٥م ص ٦٤-٦٥ ، حسن ابراهيم حسن ،تاريخ المماليك البحرية القاهرة ،ط. الثالثة ١٩٦٧م ص ٣٥٧-٣٥٨.

والدبابات [١] كانت تصنع في المناخ ،والذى كان يحوى على العديد منها وبه اعداد كبيرة من الصناع ذوى الاختصاصات المختلفة من حدادين و نجارين ودهانين وفعلة وغيرهم ،يرجح بانهم كانوا يختصون بانتاج العديد من الصناعات وعلى الاخص الثقيلة منها [٢] . ومن مهام خزانة السروج ، صناعة أدوات الركوب المختلفة ،وكان بها عدد جم من أهل هذه الصنعة. [٣] أما خزائن دار افتكين ،فلقد كان من مهامها صناعة الشمع وتوفيره عند الحاجة في المناسبات وغيرها ، وقد اورد المقريزى انه سبك الشمع بها لاستخدامه اثناء الاحتفال بليالي الوفود الاربع [٤] وكان بخزانة البنود [٥] عدد كبير من الصناع حيث كان بها ثلاثة الاف صانع في عهد الخليفة الظاهر. [٦]

---

(١) وهي عبارة عن برج متحرك لها طوابق عدة في بعض الاحيان اولها يصنع من الخشب وثانيها من الرصاص وثالثها من الحديد والرابع يكون من النحاس ،ولها عجلات في اسفل ،يتجه بها الى الاسوار لثقبها ويكون في داخلها الجنود . انظر الطرسوسي ،م٠س ص١٨٠ احمد عدوان ،م٠س ص٦٣ ، حسن ابراهيم حسن ،م٠س ص٣٥٨

(٢) المقريزى ،م٠س ٤٤٤/١ .

(٣) المقريزى ،م٠س ٤١٨/١ ،زكي حسن ،الاعمال الكاملة ٥٩/٤ .

(٤) المقريزى ،الخطط ٤٦٧/١

(٥) كلمة فارسية معربة و يقصد بها هنا العلم الكبير وجمعه اعلام . قال الشاعر : * واسيافنا تحت البنود الصواعق * الجوهرى ، اسماعيل بن حماد ت ٣٩٣هـ/١٠٠٢م ،تاج اللغة وصحاح العربية تحقيق احمد عبد الغفور عطار ،القاهرة ١٤٠٢هـ/٢/٤٥٠ .

(٦) المقريزى ،م٠س ٣٥٥/١، ٤٢٣ .

ولكي يحافظ الفاطميون على استمرارية الصناعة وتطويرها ،فقد حرصوا على توفير المواد الخام المختلفة الانواع التي تتطلبها هذه الصناعات ، فحواصل البضاعة كانت تحوى على الاخشاب والحديد والزفت والقنب والكتان وغيرها من المواد [١] ، وكان موقعها في اواخر العصر الفاطمي بالمناخ ،كما يشير الى ذلك ابن الطوير [٢] ،بل من الواضح ان الدولة الفاطمية كانت تسيطرالى حد بعيد على تجارة المواد الخام التي تلزم هذه الصناعات، اذ انها مارست التجارة بانواع مختلفة من البضائع لتوفير هذه الاحتياجات ولجني الارباح أيضا [٣] . وبالتالي فان وجود الجمال في المناخات [٤] لا بد وان من جملة اهدافه خدمة الاغراض التجارية للدولة .

لقد كان عصر صلاح الدين الايوبي عصر تحول جذرى في اوضاع الحواصل التي كانت موجودة في العصر الفاطمي ،فعلى الرغم من بقاء هذه الحواصل كما يشير الى ذلك النصوص التاريخية فترد الاشارة عن المطابخ والاسطبلات السلطانية [٥] ،بيد أن هذا الابقاء لا يعني انها ظلت على

---

(١) المقريزى ، م٠س ١/ ٤٤٤ ،القلقشندى ،صبح الاعشى ٣/ ٤٧٥
عبد المنعم ماجد ،نظم الفاطميين ورسومهم ٢/ ٢٧ .

(٢) انظر المقريزى ،ن٠م٠س .

(٣) مارست الدولة الفاطمية التجارة بالغلال والصابون ،والخشب والحديد وغير ذلك انظر احمد الصاوى ،المجاعات في العصر الفاطمي ، ص ٩٧ - ٩٨ .

(٤) ص : ٢٥١ .

(٥) ابن مماتي ،قوانين الدواوين ،ص ص : ٣٥٠ ، ٣٥٤ .

اوضاعها التي كانت عليه في السابق ،اذ تراجع حجمها عن ذلك كثيـــرا
فالخزانات جرى القضاء على جهازها بشكل كامل تقريبا ، حيث جرى التخلص
من محتوياتها بعد القضاء على الدولة الفاطمية ٥٦٩هـ/ ١١٧٣ م . فأخذ
الناصر صلاح الدين منها ما يحتاجه لنفسه ،وجعل قسما اخر هبات وهدايا
نال منه اقرباؤه ورجال دولته الشيء الكثير ،وما بقي جرى بيعه ،وكـــان
من الكثرة لدرجة ان البيع استمر فيه لمدة عشر سنين (١) . ولم يبـق
من هذه الخزانات سوى خزانتين حسبما تذكر المصادر ،الأولى عرفـت
بالخزانة "السعيده" مهمتها توفير ما يحتاجه السلطان من اثاث وغيره (٢)
والثانية خزانة الاسلحة (٣) وهي خزانة لا بد وأن تبقى عليها الدولــة
لدواعي الحرب ،أو تثبيت الأمن اذا ما احتيج الى السلاح في ملمه من هذه
الملمات. ولقد نتج عن اختفاء الخزانات الفاطمية ان اختفى معظم الجهـاز
الصناعي الكبير الذى كان ينتجها ، حيث اختفت مصانع النسيج التي كانـت
للدولة الفاطمية ،اذ ان الدولة الأيوبية أصبحت توفر احتياجاتها من ملابس
الخلع والتشاريف ،التي ينعم بها السلطان على رجال دولته عن طريـق
السوق (٤) كذلك فان الخزانة المعدة لحياكة ملابس الخليفة في العصـر

---

(١) وكانت هذه المحتويات عبارة عن ذخائر وتحف واثاث ، ولا تذكـر المصادر بأن صلاح الدين قد وجد اموال كثيرة ، ابن الاثير ، الكامل ١١٢/٩ ،الفتح البندارى ، سنا البرق الشامي ص٥٩ ، ابو شامة ، الروضتين ، جـ١ ق ٢ ص ٥٠٧ ،المقريزى ، الخطط ٤٩٦/١ ، ابن اياس ،بدائع الزهور ،جـ١ ق ١ ص ٢٣٧-٢٣٨ .

(٢) ابـن مماتي ،قوانين الدواوين ص ٢٧١ .

(٣) ابن مماتي : م.س ،ص ٣٥٤ .

(٤) ص : ٤٢٩ - ٤٣٠ .

الفاطمي لم يعد لها وجود في عهد صلاح الدين الأيوبي ،اذ يلاحظ ان شعار دار الطراز [١] قد اختفى من على المنسوجات المصنوعة في مصر في عهد الأيوبيين [٢]. بل ان تحول دار الديباج الى منطقة سكنية في عصر صلاح الدين الأيوبي [٣] ،يعد دليلا قويا على اختفاء مصانع الدولة في هذا المجال . ومن المؤكد أن الصناعات التي كانت في المناخ قد انتهت في تلك المرحلة ايضا ،اذ لم يعد له وظيفة يقوم بها ، حيث يذكر ابن مماتي بأنه قد أضحى خاويا على عروشه [٤] ، الا ان الغاء مصانع الدولة لم يكن يشمل كل الصناعات ،انما شمل تلك التي يكون اختفائها او اضطراب أوضاعها ليس من الأمور المضرة بالدولة ،ولذلك فلقد حرصت الدولة على أن يكون لها مصانع للأسلحة [٥] نظرا لأهمية هذه الصناعة بالنسبة لها خاصة في تلك الفترة ،

---

(١) وهذا اللفظ "طراز" في الاصل مشتق من كلمة "ترازيدن" بمعنى التطريز والنسيج ،وهو يدل على ملابس الخليفة أو الامير أو رجال الحاشية ،ولا سيما اذا كان فيها شيء من التطريز ،وعليها أشرطة من الكتابة يرد فيها اسم الخليفة وغير ذلك من الكتابات كالادعية وموقع المصنع ،ودار الطراز هي مصانع تبنتها الدولة لصناعة النسيج ،حيث كان منها الخاص بالخليفة ورجاله ومن ينعم عليهم ، والعام الذى يباع منه في الاسواق ،انظر زكي حسن ،فنون الاسلام ص ٣٤٦ ، سعاد ماهر ، النسيج الاسلامي ١٩٧٧م ، القاهرة ص ٢٤-٢٨ ،نعمت اسماعيل سلام ،فنون الشرق الأوسط في العصور الاسلامية ،ط الثانية القاهرة ص ٩٥ .

(٢) سعاد ماهر ،م.س ،ص ٢٥ .

(٣) ص : ٣٦١ .

(٤) ابن مماتي ،قوانين الدواوين ،ص ٣٥٣ .

(٥) ابن مماتي ،م : س ، ص ٣٥٤ .

حيث حملت على عاتقها ازالة الوجود الصليبي من الشام (١) . وبطبيعة الحال فان حواصل البضاعة التي كانت تغذى هذه الصناعات قد تقلص حجمها أيضا ، فابن الطوير عندما يتحدث عن اوضاع المناخ في عصر صلاح الدين يذكر بأن الدولة الأيوبية استفادت كثيرا من محتوياته من المواد الخام التي كانت موجودة من العصر الفاطمي ، ولكنه لا يشير الى أنها لجأت الى المحافظة على وضعها السابق ، أى انها لا تعوض عما يؤخذ منه من بضائع ببضائع مماثلة (٢) ، الأمر الذى افقده وظيفته كما سبق أن ذكرنا .

ان هذا التغير الكبير الذى طرأ على الحواصل يعكس تغيرا في وظيفتها ، حيث تراجع حجم الدور الذى كانت تقوم به الى حد بعيد ، نتيجة اختفاء مظاهر الترف لدى السلطة نفسها ، فصلاح الدين الأيوبي كان يميل في حياته الخاصة والعامة الى الزهد والبعد عن الترف (٣) ، فضلا على ان الدولة نفسها لم تعد تعبر عن حكمها باظهار الترف ، يدل على ذلك ما طرأ على المواكب من تغيرات في مستواها ، حيث انخفض مستوى الفخامة كثيرا على ما كانت عليه في العصر الفاطمي (٤) ، كما أن الدولة نفسها لم تعد ملزمة بتقديم التزامات عينيه لرجالها وعلى الاخص العسكريين منهم ، الذين أصبح على امرائهم المقطعيين توفير كامل تجهيزاتهم واحتياجاتهم (٥) . لذلك اصبحت الالتزامات العينية التي تقدمها الدولة محدودة الى حد بعيد ، فالملابس لم تعد تقدم من قبل الدولة الا كخلع

----

(١) سبق الاشارة الى هذه السياسة واهدافها انظر ص : ١٨٠- ١٨١ .

(٢) انظر المقريزى ، الخطط ١/ ٤٤٤ .

(٣) ص : ١٥٥ .

(٤) ص : ١٦٥ .

(٥) حسنين ربيع ، النظم المالية ص : ٣٤ .

وتشاريف لكبار الموظفين ومن يرى السلطان أنه أهل لانعامه (١) كما حدث بالنسبة للقاضي الفاضل الذى خلع عليه صلاح الدين عندما ولاه الوزارة (٢). كذلك فان الدولة لم تعد توفر الاسلحة الشخصية الخاصة بافراد الجيش من امراء وجند وغيرهم ،على الرغم من ان لديها خزانة وصناعة للأسلحة ، فالامراء والاجناد عليهم توفير اسلحتهم بأنفسهم عن طريق شرائها من الأسواق (٣) ، وهو مظهر يمكن مشاهدته في اوائل عصر المماليك والذى يعتبر امتدادا لحكم الايوبيين في تنظيماته وحضارته (٤). ففي عهد الملك الظاهر بيبرس (٥) ، صدرت الأوامر سنة ٦٦٢هـ/ ١٢٦٧م باعداد العدة لاجراء تدريبات عسكرية ، فجرى الاهتمام لاعداد الترتيبات اللازمة لذلك ، فاتجه رجال الجيش الى سوق السلاح ، حيث كثر الازدحام عليه (... وارتفع سعر الحديد وأجر الحدادين وصناع الات السلاح) (٦). ومن المؤكد أن الدولة لم تعد ملتزمة منذ ذلك العهد بتقديم بهائم الركوب ،للموظفين ورجال الجيش ، اذ لا يخرج من الاسطبلات السلطانية الا ما هو بحكم العادة على سبيل الهبة والأعطية لاعتبارات يراها السلطان (٧).

---

(١) ويكون في كثير من الاحيان على سبيل الهبة والاعطية ،القلقشندى ، صبح الاعشى ، ٤/ ٥٢-٥٤.

(٢) ابن اياس ،بدائع الزهور جـ١ ق ١ ص ٢٣٨.

(٣) احمد عدوان ،العسكرية الاسلامية في العصر المماليكي ص ٥٣.

(٤) ص : ٢٢٦ .

(٥) عنه انظر ص : ٨٩ هامش (٤).

(٦) المقريزى ،السلوك جـ١ ق ٢ ص ٥١٣ .

(٧) القلقشندى ، م.س ، ٤/ ٥٤.

ان هذا التراجع في وظيفة ودور الحواصل ، جعل الدولة تلجأ الى الاسواق المحلية في المدينة بشكل متزايد لتوفير العديد من احتياجاتها ، اذ أن سوق الشرابيشي [١] الذى ظهر في عهد صلاح الدين الأيوبي [٢] ، كان يباع فيه ملابس الخلع والتشاريف التي ينعم بها السلطان [٣] ، بل ان الخزانة السعيدة كانت توفر احتياجاتها عن طريق السوق أيضا [٤].
كذلك فان تراجع التزامات الدولة العينية تجاه رجالاتها وعلى التخصيص العسكريين منهم [٥] ، جعلهم يتجهون نحو الاسواق لتوفير احتياجاتهم المختلفة ويدل على ظهور الاسواق التي تبيع احتياجات الجند من ملابس وزى وسلاح في تلك الأثناء [٦].

ولقد ترتب على هذه التغيرات تطور في الطبيعة الاستهلاكية في القاهرة ، اذ ان الدولة ورجالها يعدان أداة استهلاك مهمة وكبيرة جدا [٧] ، مما يعني أن الكثير من الموارد المالية ستتجه نحو الاسواق و من يوجد بها من مجموعات بشرية عاملة من تجار وعمال وصناع وغيرهم فأدى ذلك بطبيعة الحال الى توجيه المزيد من الثروات باتجاه فئات الشعب . الذين يشتغلون في هذه المجالات وما يرتبط بها من نشاطات اقتصادية [٨].

---

(١) الشربوش : هو غطاء الرأس يوضع عليها بغير عمامة ويشبه التاج ويبدو انه مثلث الشكل ، ولقد اختص الامراء بلبسه ، ماير: الملابس المملوكية ص ٥١ .

(٢) ص: ٤٢٩ - ٤٣٠ .

(٣) المقريزى ، الخطط ٢/ ٩٨ ، الخاصكي ، التحفة الفاخرة ، لوحة ٧٤ مؤلف مجهول ، تاريخ المصر القاهرة ورقة ١١٨

(٤) ابن مماتي ، قوانين الدواوين ص : ٣٣٠ .

(٥) ص : ٢٦٥ .

(٦) ص : ٢٦٦ .

(٧) ابن خلدون ، المقدمة ١/ ٣٦٩ .

(٨) ن . م . س .

الأمر الذى سيزيد من مقدار توزيع الثروة بين فئات الشعب المختلفة . فتزايد الانفاق في القاهرة بشكل عام . يؤكد ذلك ازدهار الفنون الصناعية خلال ذلك العصر ،فاخذت الاشكال الزخرفية تميل للدقة والرقة في اساليب الزخرفة والتشكيل كما هو ملاحظ في القطعات الخشبية [(١)] التي زاد الاقبال عليها في ذلك العصر ، رغم ندرة هذه المادة في مصر في ذلك الوقت [(٢)] كذلك ازهرت المنتجات الصناعية الشعبية ،فالخزف المحزوز تحت الطلاء [(٣)]، وهو خزف شعبي ظهر بمصر في اواخر العصر الفاطمي [(٤)] ،يلاحظ بأن استخدامه شاع في العصر الأيوبي [(٥)] ، مما يعكس تطورا في الاستهلاك الشعبي العام ،اذ ان الصناعات لا تزدهر ولا تتطور الا بزيادة الطلب عليها كما يذكر ابن خلدون [(٦)] . بل ان مما اسهم في زيادة الرفاه ونمو الاستهلاك في ذلك العصر هو ما قام به صلاح الدين الأيوبي من الغاء المكوس . حيث قام اولا باسقاط متأخرات سابقة حتى عام ٥٦٤هـ/١١٦٨م بلغت قيمتها مليون دينار ومليوني اردب : غلة وابطل هذه الضرائب من

---

(١) م.س ،ديماند ، الفنون الاسلامية ،ترجمة احمد عيسى ،مراجعة احمد فكرى ،ط. الثانية ١٩٥٨م القاهرة ص ١٢٢ . احمد فكرى ، مساجد القاهرة ومدارسها ١٦/٢ .

(٢) محمد عبد العزيز مرزوق ، الفن الاسلامي في العصر الايوبي ص ٢٩ .

(٣) هذا النوع من الفخار وزخارف محفورة ومحزوز في طينة الاناء تحت طلاء ذى لون واحد . انظر زكي حسن ،الاعمال الكاملة ، ١٧٤/٤ .

(٤) احمد الصاوى ،المجاعات في العصر الفاطمي ،ص ٤٠٣ .

(٥) زكي حسن ،ن.م.س.

(٦) ابن خلدون ،المقدمة ١/ ٢، ٣٦٠-٣٦١، ٣٦٩ .

الدواوين [١] ،ثم اتبع ذلك باسقاط ما كان يتأدى من الحجاج بالحجاز من المكوس ايضا [٢] . كذلك ابطل سنة ٥٦٧هـ/ ١١٧١ م ما كان يستأدى في مصر والقاهرة على السلع والمنتجات المختلفة وكان جملة ذلك كل سنة مائة (١٠٠) الف دينار [٣] ،بالاضافة الى ما يستخرج بالاعمال القبلية والبحرية وهو بنفس المقدار ايضا [٤] ،الأمر الذى سينعكس بزيادة الاستهلاك ونموه نتيجة اتجاه الاسعار نحو الانخفاض [٥] ،حيث ان فرض المكوس يدفع التجار الى رفع قيمة السلع المباعة بمقدار ما يؤخذ منهم ،وهو ما أشار

---

(١) لاحظما ينقله ابو شامة عن ابن أبي طي في هذا الصدد ،ابو شامة الروضتين ،جـ١ ق ٢ ص ٤٤٣ ، وانظر ايضا المقريزى ،الخطط ١٠٥/١ .

(٢) ن٠م٠س٠ ويذكر ابن جبير ان مقدار الضريبة على الحاج الواحد كانت ٧٫٥ دينارا مصرية . ابن جبير ،الرحلة ص ٣٠ .

(٣) ابو شامة ،م٠س ، جـ١ ق٢ ص ٥٢٢ - ٥٢٣ . ويذكر ابن جبير بانها كانت مفروضة على كل ما يباع ويشترى حتى ان شرب الماء كان المكس يؤدى عليه ،في حين ان القلقشندى يذكر بأنها كانت مفروضة على ٧٢ جهة الا انه بالنظر الى انواع المنتجات والسلع كما وردت عند المقريزى يدل على انها كانت تزيد على ٨٠ جهة . انظر ,ابن جبير ،م٠س ،ص ٣١ . المقريزى ، الخطط ،جـ١ /٤ ١٠-١٠٥ ،القلقشندى ،صبح الاعشى ٤٦٦/٣ .

(٤) ابو شامة ،م٠س ،جـ١ ق ٢ ص٤٤٣ ، احمد الصاوى ،المجاعات في العصر الفاطمي ص ٢٤٨ .

(٥) عبدالله عبد الغني غانم ، النظرية في علم الانسان الاقتصادى ، دراسات للاتجاهات النظرية في الانثروبولوجيا الاقتصادية ،الاسكندرية ١٩٨٤م ص ١٢٥ ، وانظر ايضا : التسعير والصرف مقال في مجلة

The Tasrif and Tasir Calculations Cir Mesiaral mes oporomian Fiscal operation, JES HO, 1, 1964 , pp. 46-56

اليه القاضي الفاضل الذى ذكر بأن فرض المكوس سيجعل (... المتعيشين من ارباب الدكاكين يزيدون في اسعار مأكولات العامة بمقدار ما يؤخذ منهم).(١)

ان انتشار الرخاء الاقتصادى بين فئات الشعب في قاهرة صلاح الدين انعكس على النواحي العمرانية فيها فنمت وازدهرت ،حسبما يقرره ابن خلدون الذى يعتبر أن الرخاء الاقتصادى عامل هام في استبحار العمران في المدينة .(٢)

بيد أن ابرز المؤثرات لهذه الظاهرة تتجلى في الاسواق التي ازدهرت اوضاعها بشكل عام فضلا عن ظهور العديد من الأسواق الجديدة عامة و متخصصة .(٣)

ج - ازدهار التجارة :

اكتسبت مصر بحكم موقعها خصائص جعلتها تتمتع بسمات تجارية وذلك انها تمتلك المنافذ المفتوحة على العالم في ذلك الوقت(٤) ،نظرا لكونها جزءا من قلب ذلك العالم وملتقى لقارتي اسيا وافريقيا مما جعل اراضيها ترتبط بمسالك الشرق والغرب .(٥)

---

(١) انظر المقريزى ،الخطط ١/ ١٠٥ .

(٢) ابن خلدون ،المقدمة ١/ ٣٦١، ٣٦٩ .

(٣) انظر ص : ٤٢٤ - ٤٣٧ .

(٤) ابن ظهيرة ،الفضائل الباهرة ص ١٠١ .

(٥) محمد فاتح عقيل ،اهمية الموقع الجغرافي لسواحل مصر ، بحث منشور ضمن كتاب البحرية المصرية القاهرة ص ١٥ ،حسنين ربيع ،النظم المالية ص ٢٤ .

وبحلول عصر صلاح الدين الايوبي شهدت التجارة في مصر نشاطا ملحوظا وقويا ، كما تشير الى ذلك النصوص التاريخية ،فلقد ازدهرت التجارة في كافة المدن والاقاليم المصرية . فمدينة القاهرة كانت التجارة بها مفعمة بالحركة والنشاط فعندما يتحدث القاضي الفاضل عن حوادث عام ٥٨٧هـ/ ١١٩١ م ،يذكر بأن سواحل المدينة كانت تزخر بالسفن الحاملة للبضائع ،حيث كان هناك اعداد كبيرة منها تقف على ساحل المقس(١) علاوة على تلك التي عند باب القنطرة(٢) . كذلك كان الحال بالنسبة للموانى فميناء الاسكندرية(٣) كان يغص بالنشاط التجارى ، فتزاحم السفن على ارصفة ميناءه . ففي شتاء عام ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م كان يوجد في هذا الميناء سبع وثلاثون سفينة قادمة من أوروبا ،وهو عدد لن تكون له اهمية كبيرة اذا ما قورن بمكان السفن التي كانت تصل الى هذا الميناء في فصلي الصيف والخريف(٤) . وكذلك حال ميناء عيذاب(٥) ومدينة قوص(٦) ،اللتان كان النشاط التجارى بهما مزدهرا كما يؤكد ابن جبير ،حيث يذكر عندما يتحدث عن قوص بأنها ذات اسواق متسعة ، بها كثير من الخلق بسبب اتساع حال التجارة فيها(٧) ،اما ميناء عيذاب فلقد قال عنه بأنه

---

(١) عن المقس انظر ص : ٨٤ هامش (٢) .

(٢) المقريزى ،الخطط ٢/ ٢٤ ،الخاصكي ، التحفة الفاخرة ، لوحة ٢٩ ، مؤلف مجهول ، تاريخ المصر القاهرة ،ورقة ٢٨

(٣) عنها انظر ص : ٢٠٠ هامش (٧) .

(٤) الباز العريني ، مصر في عصر الايوبيين ص ٢٠٢ ،حسنين ربيع النظم المالية ص ٥١ - ٥٢ ، عقية القوصى ،تجارة مصر ص ١٤٨ .

(٥) عنها انظر ص : ٢٢٩ هامش (٣) .

(٦) عنها انظر ص : ٢٢٩ هامش (٤) .

(٧) ابن جبير ،الرحلة ص ٤٠ .

من احفل مراسى الدنيا ،لأن المراكب الحاملة لسلع الهند واليمن تحط رحالها فيه ، علاوة على تلك التي تحمل ركب الحجيج [(١)].

ولقد كان هذا الازدهار التجارى يعكس نمو المبادلات في مصر على الصعيدين الداخلي والخارجي . فعلى الصعيد الداخلي ازدهرت التجارة بين اطراف الدولة الصلاحية نفسها ، فالسفن الكثيرة التي كانت عند ساحل القاهرة في عام ٥٨٧هـ/ ١١٩١ م ،كانت تحمل الكثير من منتجات الريف المصرى من اغذية وغيرها [(٢)] . ومن المؤكد ان توسع الدولة الصلاحية وضمها لبلاد الشام والحجاز وغيرها من الاقاليم [(٣)] ،قد أسهم الى حد بعيد في زيادة التبادل التجارى بين هذه الاقاليم ،حيث يذكر ابن جبير اثناء حديثه عن مدينة قوص بأن بها عدد من تجار اليمن [(٤)] ، الذين سيقومون هم وغيرهم من تجار الاقاليم الاخرى بنقل المنتجات المختلفة فيما بينها . فمن المؤكد انه في تلك الفترة كان يسفر من القاهرة العديد من المنتجات المصنعة التي تشتهر بها ،فكان يصدر منها الى الشام الانطاع المستحسنة [(٥)] علاوة على الكمرنات [(٦)] المختلفة الأنواع وحقائب الجلد

---

(١) ابن جبير ،م٠س ص ٤٥ ٠

(٢) المقريزى ،الخطط ٢/ ٢٤ ،الخاصكي ،التحفة الفاخرة ،لوحة ٢٩ ٠

(٣) انظر ص : ١٨١ - ١٨٤٠

(٤) ابن جبير ،الرحلة ص ٤٠

(٥) الانطاع جمع نطع وهو البساط من الجلد ،ابن سعيد الاندلسي ، النجوم الزاهرة ص ٢٩ هامش (١) ٠

(٦) الكمر والكمران ، حزام يلبسه السلاطين والامراء والجنود فوق اقبيتهم ن٠م٠س ،هامش (٢) ٠

وغيرها من المصنوعات[١] ولا شك بان الازدهار الزراعي الذى شهدته مصر حينئذ ، قد أوجد الكثير من الفوائض الغذائية التي ستجد طريقها الى الحجاز والشام[٢] ،وغيرها من أقاليم الدولة ،فصلاح الدين فرض للحجاز ميرة مجزية (.. من العين والغلة أشياء يطول شرحها)[٣] ،وكان لازدهار زراعة قصب السكر في ذلك الوقت[٤] دورا كبيرا في أن يكون من أهم الصادرات الزراعية المصرية[٥] .

أما بالنسبة للصعيد الخارجي ،فمن الواضح ان البلاد قد شهدت نموا في العلاقات التجارية الخارجية في عهد صلاح الدين الأيوبي ،تحت تأثير بوادر الازدهار التجارى الكبير جدا الذى شهدته التجارة العالمية في القرن السادس (٦هـ/١٢م)[٦] . فنمت العلاقات التجارية بين أوروبا والدولة الأيوبية في ذلك الوقت ، فعقد في عام ٥٦٩ هـ/١١٧٣م معاهدات تجارية بين صلاح الدين الأيوبي ،ومدن تجارية اوروبية كبرى هي البندقية وجنوا وبيزا[٧] .

---

(١) ابن سعيد الاندلسي ،م.س ،ص ٢٩ .

(٢) عبد الفتاح وهبة ،الجغرافيا التاريخية ،ص ٣٢٤-٣٢٥ ،وعن الازدهار الزراعي انظر ص ٢٣١ - ٢٣٣ .

(٣) أبو شامة ،الروضتين ، جـ١ ق ٢ ص ٤٤٣ ،وانظر أيضا ابن جبير ،الرحلة ص ٣١ .

(٤) ص : ٢٢٤ .

(٥) سعيد عاشور ،مصر والشام ص ١٢٩ .

(٦) نعيم زكي ،طرق التجارة الدولية ص ٢٩٦ ، يلاحظ لوفران ان هذا الازدهار تزامن مع استقرار الاوضاع داخل اوروبا نفسها ،نتيجة قيام سلطات مركزية اكثر قوة وتماسكا وازدهار حركة الاتصالات ، انظر جورج لوفران ،تاريخ التجارة ، ترجمة هاشم الحسيني ،بيروت ص ٣٩ .

(٧) عطية القوصي ،تجارة مصر ، ص ١٤٧ .

كما تذكر المصادر انه بعد أن انتهت حالة الحرب بين المسلمين والصليبيين بعقد الصلح المشهور "بصلح الرملة "(١) ٥٨٨هـ/١١٩٢م ، فان ذلك أدى الى ازدهار التبادل التجارى بين المسلمين والصليبيين ، فحمل كل منهم بضائعه ومتاجره لبيعها في بلاد الطرف الاخر(٢) ويعد وجود تجار من بلاد الهند والحبشة في مصر حينئذ(٣) ، دليلا واضحا على وجود نشاط قوى في العلاقات التجارية بينها وبين هذه البلاد والمناطق المحيطة بها ،والحقيقة فان نمو العلاقات التجارية تبدى اكثر ما تبدى في ازدهار تجارة النقل عبر مصر خاصة تجارة البهار حيث أصبح البحر الأحمر عصبا لها خلال تلك الفترة نتيجة لدخول الصليبيين الى بلاد الشام الأمر الذى أثر على الطرق التجارية القادمة عبرها من العراق ،فأخذت هذه التجارة بالاتجاه نحو هذا البحر.(٤) فعمل الصليبيون في بادىء الأمر على السيطرة عليها ،وذلك باستيلائهم على ميناء

---

(١) هذا الصلح الذى عقده الناصر صلاح الدين مع ريتشارد قلب الأسد ملك الانكليز وهو ينص على ان يكون للصليبيين المنطقة الساحلية من صور الى يافا بما فيها قيسارية وحيفا وارسوف. وتكون اللد والرملة مناصفة بين المسلمين والصليبيين وتبقى عسقلان بيد المسلمين ،ودخل في هذا الصلح الاسماعيلية (الحشاشون) وصاحب انطاكية وطرابلس . عنه انظر ابن واصل مفرج الكروب ، ٢/٤٠٢ - ٤٠٣ ،سعيد عاشور ،الحركة الصليبية ٢/٨٦٢ - ٨٦٣ ، بسام العسلي ،صلاح الدين ص ١٧٥.

(٢) ابن تغرى بردى ،النجوم الزاهرة ٦/٤٧-٤٨.

(٣) ابن جبير ،الرحلة ص ٤٠.

(٤) هاملتون حبيب ،صلاح الدين الأيوبي ،ص ٣٣ - ٣٤.

أيلة [(١)] سنة ٥١٠ هـ/١١١٦م [(٢)] ، الذى كان من موانيء تجارة العبور بين الشرق والغرب قبيل دخول الصليبيين الى بلاد الشام [(٣)] ، فأدى هذا التحرك الصليبي الى قيام مدن التجارة الاوروبية بمقاطعة تجارة العبور القادمة عبر مصر في اواخر العصر الفاطمي ،واتجهوا - دعما لبني عقيدتهم - نحو الحصول على امتيازات تجارية لدى الدويلات الصليبية في الشام [(٤)] ،بيد أن هذا الوضع لم يستمر طويلا اذ سرعان ما عادت هذه التجارة الى الاعتماد مرة اخرى على الطريق التجارى العابر لمصر [(٥)] ، فسعت مدن التجارة الاوربية نحو عقد معاهدات تجارية مع صلاح الدين الأيوبي كما سبق أن ذكرنا ،لأنها وجدت نفسها قد خسرت كثيرا بسبب حركة المقاطعة هذه [(٦)] . علاوة على قيام صلاح الدين الأيوبي بالسيطرة على المنافذ التجارية المطلة على البحر

---

(١) عنها انظر ص ١٩٠ هامش ٥.

(٢) ص : ١٩٦ .

(٣) احمد رمضان،شبه جزيرة سيناء ،ص ١٨-١٩.

(٤) عن ذلك انظر عطية القوصي ،تجارة مصر ،ص ١٣٧ - ١٤٢ ،ومن الواضح ان هذه المقاطعة ادت الى تدهور الأوضاع الاقتصادية في أواخر هذا العصر لان هذه التجارة كانت عصب قوة الاقتصاد المصرى . انظر جوستاف فون جرو نباوم ، انجازات العصر الفاطمي ، ضمن ابحاث الندوة الدولية ١/٣٦٣.

(٥) كان هذا الطريق يمر من خلال عدد من المحطات بدءا من عدن مرورا بعيذاب ،ثم تحمل القوافل البضائع الى قوص تحمل عبر النيل الى البحر الابيض المتوسط . انظر نعيم زكي ،طرق التجارة الدولية ،ص ص ١٢٧-١٣٧.

(٦) عطية القوصي ،تجارة مصر ص ١٤٠.

الأحمر ،فقام في عام ٥٦٦هـ/ ١١٧٠م باستعادة أيلة(١) ،ليتلوه بعد ذلك في سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٧م بضم بلاد اليمن(٢) وصولا الى ميناء عدن(٣) الذى يعد نقطة الوصل الرئيسة بتجارة الشرق في ذلك الوقت(٤) . وبذلك يكون صلاح الدين قد احكم قبضته على أحد أهم طرق التجارة العالمية في عصره . الأمر الذى دفع بمدن التجارة الاوروبية نحو عقد المعاهدات التجارية معه رغم قرارات التجريم التي اصدرتها البابوية ،خاصة وأن صلاح الدين قد شجع هذه المدن نحو ممارسة التجارة مع بلاده(٥) فأخذت تجارة العبور تزدهر عبره بشكل فاق ما كان عليه الحال في عهد الفاطميين(٦) .وعلى الأخص تجارة البهار ، الذى يذكر ابن جبير بأن القوافل القادمة من عيذاب كانت تحمل كميات كبيرة منه حتى ليخيل لمن رآه بأنه (.. يوازى التراب قيمة)(٧) .

---

(١) ابن الاثير ،الكامل ٩/ ١١٠ ،أبو شامة ، الروضتين ، جـ١ ،ق٢ ، ص ٤٨٦ ،محمد بهادر المؤمنى ،مختصر تاريخ العيني المسمى فتح النصر في تاريخ ملوك مصر ، مخطوطة في مكتبة اياصوفيا باسطنبول رقم ٣٣٤٤ ورقة ٧ .

(٢) عن هذا الضم انظر ص ١٨٢ ، ويعتبر القوصي ان من جملة الاهداف التي دفعت صلاح الدين لضم اليمن هو الاهمية التجارية . انظر عطية القوصي ،تجارة مصر ص ١٥٨ .

(٣) تقع هذه المدينة على ساحل بحر العرب وهي مرفأ الشرق بشكل عام ومن اقدم اسواق جزيرة العرب ،عنها انظر ،ياقوت ،معجم البلدان ، ٨٩/٤ ،ابراهيم المحقق ،معجم المدن والقبائل اليمنية ،صنعاء ١٩٨٥ م ص ٢٧٩ .

(٤) نعيم زكي ،طرق التجارة الدولية ص ١٣٦ - ١٣٧ .

(٥) عطية القوصي ،تجارة مصر ص ١٤٦ - ١٤٧ .

(٦) عطية القوصي ،م.س ،ص ١٧١ .

(٧) ابن جبير ،الرحلة ص ٤٣ .

ان هذا الازدهار التجارى ،ادى بطبيعة الحال الى زيـــادة المبادلات في السلع ، خاصة مع أوروبا ،التي اصبح أهلها في تلك الفترة مقبلين على المنتجات الصناعية المختلفة للعالم الاسلامي ، بعد ان زادت معرفتهم بها نتيجة احتكاكهم المباشر بالحضارة الاسلامية في فترة الحروب الصليبية.[١] لذلك فان منتجات مصرية لا بد وان تجد لها اسواقا رائجة في تلك البلاد ، كذلك فان القاهرة كانت في تلك الفترة ملتقى للبضائع المختلفة ، التي تجلب اليها من شرق العالم وغربه وشماله وجنوبه وبكميات هائلة.[٢]

ولقد كان لازدهار التجارة دورا عمرانيا كبيرا في القاهرة ، اذ أنها أدت الى ظهور العديد من المنشآت التي تخدم هذه التجارة ،حيث ظهرت الفنادق المختصة لنزول التجار[٣] ، اذ ان نمو المبادلات التجارية سيترتب عنها كثرة في الداخلين والخارجين من والى مدن مصر ،فكثرة الخلق في مدينة قوص انما كانت بسبب ازدهار حركة التجارة[٤] . ومن المؤكد أن الكثير من التجار الشاميين كانوا يفدون الى القاهرة في ذلك الوقت ، اذ أن فندق سرور الذى بني حينئذ[٥] ، كان مختصا لنزول أعيان التجار القادمين من الشام.[٦]

---

(١) سعيد عاشور ، مصر والشام ، ص ١٣٠ ،أ.هـ. كريستس ، الفنون الاسلامية الفرعية وتأثيرها في الفنون الاوروبية ،بحث منشور في كتاب تراث الاسلام ، ترجمه زكي حسن ١٩٣٦م القاهرة ،ص ص ١٩ ،٩٨.

(٢) ابن سعيد الاندلسي ،النجوم الزاهرة ص ٢٩.

(٣) عن الفنادق وهذه الفنادق انظر ص : ٤٩٣ - ٤٩٥.

(٤) انظر ص : ٢٧١.

(٥) عن هذا الفندق انظر ص : ٤٩٤ .

(٦) المقريزى ،الخطط ٢/٩٢.

كذلك ساهم النمو التجارى على ازدهار اسواق المدينة ،اذ ان المنتجات الريفية التي كانت تنصب بكميات هائلة في اسواق القاهرة[(١)] ،كانت تعرض للبيع على الارصفة وكانت من الكثرة لدرجة أن الماشي يلقى صعوبة في السير في الطرقات[(٢)] ،علاوة على ما يوجد في اسواق القاهرة (.. من الاخباز واللحوم والالبان والفواكه ما قد ملاها ..)[(٣)] في منظر يبهج للعين وما روءى قبله مثله على حد تعبير القاضي الفاضل[(٤)] . ومن الموءكد ان هذه الأسواق قد ازدهرت فيها المعروضات القادمة من بلاد الفرنجة من الجلود والفراء والجوخ وغيرها[(٥)] ، وذلك بعدما سمع صلاح الدين لبعض هوءلاء بالسكنى في اطراف القاهرة ،فعمدوا الى جلب منتجات بلادهم[(٦)] ، حتى ان بعضهم كان يمارس البيع في شوارع القاهرة ،كما يشير الى ذلك الشيزرى[(٧)] . وهذا الازدهار لا شك انه ادى الى ظهور العديد من المنشآت الاقتصادية[(٨)] في مدينة القاهرة ، اذ يلاحظ أن ابن مماتي عندما يضرب مثالا بالمنشآت التي تقام على الساحات التي توءجرها الدولة داخل المدينة فانه يضرب المثال بالقياسر[(٩)] ،مما يعني ان هناك الكثير من المنشآت من هذا النوع التي تبنى في مثل هذه الأماكن.

---

(١) ص : ٢٧٢.

(٢) المقريزى ،م.س ، ٢/ ٢٤.

(٣) ن.م.س.

(٤) ن.م.س.

(٥) موءلف مجهول ،تاريخ المصر القاهرة ،ورقة ١٢٤ .

(٦) جورجي زيدان ،تاريخ مصر، ١/ ٢٢٤.

(٧) الشيزرى ،نهاية الرتبة ، ص ٥٥ .

(٨) عن هذه المنشآت انظر ص ص ٤٩٣ - ٤٩٦ .

(٩) ابن مماتي ،قوانين الدواوين ،ص ٣٥٧ .

ثانيا : العوامل الادارية :

نظرا لما للادارة من دور مهم في ظهور المدن وتطورها (١) ،فلقد كان لبعض التغيرات الادارية في عهد صلاح الدين الأيوبي دورا عمرانيا موءثرا .

والحقيقة فلقد كان لظهور الايوبيين دورا مهما في احداث تطورات ادارية رئيسية ،تأثر بها الجهاز الادارى في العصر الفاطمي ،فيذكر القلقشندى بأن الدولة الأيوبية عندما ورثت حكم الفاطميين (..خالفتها في كثير من ترتيب المملكة وغيرت غالب معالمها) (٢) ،اذ أن قدوم الايوبيين من مشرق العالم الاسلامي حمل معه روحا جديدة في الادارة كان مصدرها خلافة العباسيين (٣) . ولقد تعددت أوجه التغيير التي ادخلها بنو أيوب في الادارة ،فكان من ابرزها : ظهور مناصب ادارية جديدة مثل منصب نائب السلطنة (٤) ، الذى يعكس ظهوره ضرورة خروج السلطان من البلاد نتيجة الحروب الصليبية ،فكانت الحاجة الى وجود من ينوب السلطان أثناء

---

(١) ص : ٥٩ - ٦٣ .

(٢) القلقشندى ، صبح الاعشى ، ٤/ ٥٠

(٣) حسن الباشا ،الالقاب الاسلامية في التاريخ والوثائق والاثار ،القاهرة ١٩٧٨م ص ٧٧ .

(٤) وهو بمثابة السلطان في حكمه ما دام السلطان غائبا ،ولذلك يطلق عليه السلطان الثاني كما يحلو لبعض الموءرخين ،انظر ابن فضل الله العمرى ،التعريف بالمصطلح الشريف ،القاهرة ١٣١٢هـ ص ٦٥ - ٦٦ القلقشندى ، م . س ، ٣/ ١٦-١٧ ،على ابراهيم حسن ، المماليك البحرية ص ٢٧٥ - ٢٨٧ .

غيابه [١] ، كذلك تراجع في هذا العصر حجم الجهاز الادارى ونفوذه .
حيث تراجع نفوذ الوزراء عنه عما كان عليه الحال في اواخر العصر الفاطمي فأصبح الوزراء وزراء تنفيذ [٢] ،علاوة على ان بعض المؤسسات الادارية اخذت في الاختفاء مثل ديوان التحقيق [٣] الذى اختفى في عهد الناصر صلاح الدين الايوبي [٤] ، بيد أن مثل هذه التغيرات الادارية لا تعني كثيرا بالنسبة للبحث ، اذ لا يمكن تلمس مجالات تأثير عمراني واضحة تعكس هذا التطور ، لكن هذا لم يلغى دور العامل الادارى في احداث

---

(١) عبد اللطيف حمزة ،الحركة الفكرية في مصر ،ص ٤٨ . على ابراهيم حسن ، م.س ، ص ٢٧٥ .

(٢) عبد اللطيف حمزة ، م.س ،ص ٤٧ ،ولقد تزايد نفوذ الوزراء في اواخر العصر الفاطمي واصبحوا وزراء تفويض يتصرفون بشئون الدولة دون الرجوع للخليفة ،على ابراهيم حسن ،حسن ابراهيم حسن ، النظم الاسلامية ،القاهرة ١٩٦٢ ، ص ١٣٤ .
وتنقسم الوزارة في النظم الاسلامية الى نوعين ،وزارة تنفيذ ووزارة تفويض، حيث يكون حكمه في الاولى الوساطة بين الامام والناس ، ولا يستبد برأيه في تصريف الأمور وانما يعرضها على الامام ويتلقى اوامره ،اما الثانية فهي ان يعهد الامام للوزير النظر في امور الدولة دون الرجوع اليه ولا يبقى للخليفة بعد ذلك الا ولاية العهد ،وعزل من يوليهم الوزير . انظر ،الماوردى ،الاحكام السلطانية ص ٢٢ - ٢٩ ،على ابراهيم حسن ،حسن ابراهيم حسن ؛م.س ،ص ١٢١ ،عبد المنعم ماجد ،نظم الفاطميين ورسومهم ،١/ ٨١ - ٨٥ .

(٣) وموضوع هذا الديوان مراجعة عمل الدواوين ،وهو يتبع "نظار الدواوين" ويلتحق به . انظر : القلقشندى ،صبح الاعشى ، ٤٨٩/٣ . عبد المنعم ماجد ،م.س ،١/ ١١٢ .

(٤) ابن ميسر ، اخبار مصر ،ص ٧٧ .

تطورات عمرانية على القاهرة الصلاحية ،فلقد كان لبعض مجالات النشاط الادارى تأثيرات عمرانية عليها في ذلك الوقت ،من ابرزها :

أ - التخطيط والتنظيم :

على الرغم من أن هناك من لا يستطيع ان يعتبر التطورات العمرانية الكبرى التي احدثها الناصر صلاح الدين الايوبي على القاهرة ، هي من وحي التخطيط والتنظيم . نظرا لعدم وجود نصوص تاريخية تشير الى ذلك بشكل مباشر[1] ،فان هذا الاعتبار لا شك بأنه غير صحيح . اذ من المؤكد أن هذه التطورات قد استمدت بعض جوانب وجودها من رؤيا تخطيطية ، فالمسلمون كان لديهم تصورات واضحة المعالم تجاه انشاء المدن وتخطيطها واضفاء الصفة التنظيمية لمرافقها المختلفة[2] .

وبالتالي لا بد وان القت هذه التصورات بظلالها على مظاهر التطور العمراني الذى شهدته القاهرة في عهد الناصر صلاح الدين ،فمن المؤكد أن الناصر قد كان راغبا في احداث تغيرات عملية على المدينة . يدل على ذلك التطورات العمرانية المقصودة التي جرى القيام بها خلال تلك الفترة . فلا شك بأن الدولة الايوبية قد ادركت الدور العمراني الذى سوف تقوم به مشروعاتها التحصينية - السور والقلعة -[3] من حيث التأثير على توزيع

---

(1) Janet Abu - Lughod , Cairo , P. 27.

(٢) ص : ٧٧ - ٧٨ .

(٣) عنها انظر ص ص ٤٦٩-٤٧٤ ، ٤٨٤ ، ٤٩٣ .

النشاط العمراني في المدينة الكبرى بشكل عام[١] . كذلك يلاحظ بأنها كانت حريصة على أن يشغل العمران المنطقة الواقعة فيما بين الفسطاط والقاهرة[٢] ،بحيث تكون الاجزاء الغربية منها مشغولة بالمنتزهات والبساتين[٣]، بينما خصصت الشرقية للاحياء السكنية[٣] . ومن الواضح ان صلاح الدين الايوبي كان يهدف الى ادخال القاهرة في طور عمراني جديد ، باباحتها لسكنى جميع طوائف الشعب[٥] ،وبما احدثه من تغيرات عمرانية على منشآتها حيث جرى تحويل العديد منها الى احياء سكنية[٦] ، وذلك بهدف طمس معالم الفاطميين ،اذ ان الدولة الجديدة تحب ان تخفي معالم الدولة السابقة لها[٧].

ومن التنظيمات العمرانية التي ادخلها صلاح الدين على القاهرة في تلك الفترة التخصص في الاسواق ،بحيث يكون لاهل كل سلعة من السلع سوق متخصصة بها ، فالتخصص في الاسواق لم يكن معروفا بشكل واضح في مصر قبل عصر صلاح الدين الأيوبي ، وانما كان قاصرا على مدن المشرق الاسلامي ، دون مغربه[٨] . في حين انه منذ عهد صلاح الدين

---

(١) عن دور السور في توزيع النشاط العمراني في بعض اجزاء المدينة الكبرى انظر ص ص ٣١٢ - ٣١٤ ، ٣٢١ ، ٣٣٠ .

(٢) ص : ٣٠٢ .

(٣) ص : ٣٢١ .

(٤) ص ٣٢٢ .

(٥) كانت السكنى في القاهرة الفاطمية مقصورة على الخليفة ورجال الدولة والجيش ،عن ذلك انظر ص ص ٥١٢ ، ٥١٦ .

(٦) ص : ٣٤٢ - ٣٦٤ .

(٧) ص : ٧٨ .

(٨) بدروشاليتا : الاسواق ،ضمن كتاب المدينة الاسلامية ص ١٠٩ .

اصبحت ظاهرة التخصص معروفة في اسواق القاهرة ، يدل على ذلك الاسواق التي ظهرت في تلك الفترة حيث كان غالبها من هذا النوع [(١)] ، ويعد هذا الاتجاه استجابة للدعوة التي أطلقها الشيزرى بالتخصص في اسواق السلع ، والبضائع المختلفة ،حيث يذكر بأن على المحتسب أن (.. يجعل لأهل كل صنعة منهم سوقا يختص بهم ،وتصرف صناعتهم فيه ، فان ذلك لقصادهم أرفق ،ولصنائعهم أنطق) [(٢)] . وهذه الدعوة لا بد وأن الشيزرى قد أتى بها من مشرق العالم الاسلامي ،حيث قضى شطرا من حياته في بلاد الشام [(٣)] .

ب - انتقال مركز الحكم والادارة :

ومن العوامل الادارية التي ترتب عنها مظاهر عمرانية جديدة تغيير موضع مركز الحكم والادارة ،ففي عصر صلاح الدين الأيوبي أصبح مركز الحكم والادارة في دار الوزارة الكبرى [(٤)] والتي تحول اسمها منذ ذلك العصر الى دار السلطنة ، بعد أن اتخذها صلاح الدين مقرا لسكناه [(٥)] . فأدى ذلك للتأثير على وضع القصر الشرقي الكبير [(٦)] الذى كان مقرا للخليفة ولد واوين الدولة [(٧)] حيث تحول الى منطقة سكنية - خطط واحياء - بعد

---

(١) ص : ٤٢٤ .

(٢) الشيزرى ، نهاية الرتبة ،ص ١١ .

(٣) الشيزرى ،م.س ،المقدمة ص "ك ".

(٤) عن هذه الدار ،انظر ص : ٢٥٨ هامش : (١) .

(٥) المقريزى ، الخطط ،١/ ٤٣٠ .

(٦) عن هذا القصر انظر ص ٣٢٣ ،هامش (٣) .

(٧) المقريزى ، م.س. ١/ ٣٨٣، ٣٩٧ .

الباب الثاني

مظاهر التطور العمراني

أن أجريت عليه التعديلات المناسبة (١) . كذلك تأثرت الساحات والشوارع المحيطة به ، فجرى البناء على اجزاء منها (٢) بعد ان فقدت أهميتها بفقدان القصر لأهميته ،كما يشير الى ذلك المقريزى اثناء حديثه عن ميدان بين القصرين (٣) اذ يذكر بأن هذا الميدان لم يبتذل ويبنى عليه الا بعدما تغيرت معالم القصور الفاطمية بتغير ساكنيها (٤).

---

(١) ص : ٣٥٤.

(٢) عن هذه الساحات والشوارع والبناء عليها انظر ص ص : ٣٦٥-٣٧٠ ، ٣٧٩- ٣٨٠

(٣) عن هذا الميدان انظر ص : ٣٦٥ - ٣٦٦.

(٤) المقريزى ،م.س ، ٢/ ٢٨.

تمهيد

في ضوء العوامل التي سبق ذكرها في الباب الأول ،يتضح أن القاهرة قد شهدت في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي متغيرات حضارية عميقة المدى ،الأمر الذى كان له أكبر الأثر في أن تشهد المدينة في تلك الأثناء ازدهارا عمرانيا واسع النطاق ، حيث لم يعد هناك فيها موضع قابل للاستغلال الا ويجرى استغلاله ،كما ذكر عبد اللطيف البغدادى.(١)

ومن الواضح ان هذا الازدهار قد أدى الى وقف حالة التدهور العمراني التي شهدته المدينة في اواخر العصر الفاطمي . اذ من المؤكد أن تدهور الاوضاع الامنية وانتشار الفوضى والاضطراب(٢) علاوة على تردى النشاط الاقتصادى(٣) ،والتناقص السكاني فيها(٤) ،في تلك الاثناء . قد أدت الى تراجع مستوى العمران في القاهرة ، فأخذت بعض الأحياء السكنية الواقعة خارجها بالاختفاء ، فمن المرجح ان ما يذكره ابن عبد الظاهر عن حارة الحسينية(٥) من انها كانت موجودة في العصر الفاطمي ،كمساكن لبعض الأجناد ، ثم يذكر تارة أخرى أنها تنسب الى جماعة من الأشراف الحسينيين قدموا من الحجاز في عهد الملك الكامل(٦) وسكنوا بها ،ليس تناقضا كما يعتبره المقريزى.(٧) وانما كان بسبب اختفاء العمران في هذه الحارة في أواخر العصر الفاطمي ،وعودته اليها في عهد الكامل .

---

(١) عبد اللطيف البغدادى ، الافادة والاعتبار ص ٢٥.

(٢) ص : ٢١٢.

(٣) ص : ٢٢١.

(٤) ص : ٢١٢-٢١٣.

(٥) عرفت هذه الحارة بطائفة من الجند الفاطمي يطلق عليهم الحسينية المقريزى ،الخطط ،جـ٢/ ٢٠ ولا تزال حتى الوقت الحاضر مشهورة بمكانها .

(٦) عنه انظر ص : ٨٨ هامش (٣).

(٧) المقريزى ، م.س ،جـ٢/ ٢١.

بل ان هذا الاختفاء بلغ ذروته بحريق الفسطاط عام (٥٦٤هـ/ ١١٦٧م) حيث اختفت اجزاء كبيرة منها وتحولت الى اكوام.[(١)]

وبالاضافة الى وقف التدهور العمراني ، فلقد ادى ازدهار النشاط العمراني في عهد الناصر صلاح الدين الى ان تتخذ المدينة أوضاع عمرانية جديدة تختلف عما كانت عليه في السابق ،كما سيتضح لنا فيما يلي من فصول هذا الباب .

---

(١) ص : ١١٠-١١١.

الفصل الأول

التخطيط المادي

يعبر التخطيط العام للمدينة عن طبيعة تكوينها الحضارى والمادى معا ،فأهمية الجامع عند المسلمين ، هي التي جعلتهم يتجهون في تخطيطهم للمدن نحو جعله النقطة المركزية الوسيطة[(١)] . لذلك فلقد أدت التحولات الحضارية والعمرانية التي شهدتها القاهرة في عهد الناصر صلاح الدين ، لأن تتجه المدينة نحو اتخاذ تخطيطا يختلف عما كانت عليه في السابق[(٢)] ، سارت تطوراتها العمرانية على هداه فيما تلى من عصور ولمدة تصل الى سبعة قرون تقريبا[(٣)] . ومن أبرز مظاهر التطور التي أثرت على تخطيط القاهرة في تلك الأثناء هي :

أ - توسع القاهرة :

شهدت القاهرة في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي ،توسعا عمرانيا هائلا ، شمل مجالاتها الانسانية ،والمادية ويتمثل ذلك في التوسع الوظيفي[(٤)] . فبالاضافة الى محافظة القاهرة على دورها كمركز للادارة والحكم ، فان وظيفتها أخذت في تلك الاثناء بالاتجاه نحو مزيد من التعقيد ، بتوسع مجالات النشاط الانساني فيها . فمن الناحية السكانية توسع محتواها البشرى كيفا وكما . فمن الناحية الأولى ،تخلصت القاهرة من محتواها السكاني الطبقي ، وأبيحت لسكنى كافة أفراد الشعب[(٥)] . أما

---

(١) ص : ٥١ - ٥٢ .

(٢) عبد الفتاح وهبة : جغرافية العمران ، ص ، ص : ٢٦٥ ، ٢٦٧ .

(٣) أحمد فكرى ، مساجد القاهرة ، جـ٢/٧ .

(٤) المقريزى ، الخطط ،جـ١/٣٤٨ .

(٥) ص : ٥١٢ .

بالنسبة للثانية فلقد صارت القاهرة مركز التكتل للكثافة السكانية في المدينة الكبرى بعد أن كانت الفسطاط تمثل ذلك[(١)] . كما أنها توسعت اقتصاديا اذ بدأ العديد من أوجه النشاط الاقتصادى بالظهور فيها ، في شكل أسواق وصناعات جديدة مستحدثة في حين انتقل اليها أيضا اسواق وصناعات من الفسطاط كي تلبي احتياجات لم تكن المدينة تعرفها في السابق.[(٢)]

وبطبيعة الحال فان مثل هذه التغيرات الوظيفية قد دفعت المدينة نحو تكيفات يظهر مداها في مزيد من النمو العمراني والحضرى.[(٣)] وتتمثل في متغيرات أصابت بنيتها ،وأقسامها ومرافقها ،التي بدأت تظهر فيها جميعا مظاهر تطور عمراني كبير جدا.[(٤)] ذلك أن هذه التغيرات هي التي أدت بالبعض ان يعتبر القاهرة لم تتحول الى مدينة بالمعنى الحقيقي ،الا في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي .[(٥)] في حين أنها لم تكن في العصر الفاطمي سوى حصن[(٦)] ، يقطنه الخليفة وجنده وحرمه ،ويحتمي به من الملمات والنوائب[(٧)] . وبالاضافة الى

---

(١) ص : ٥١٢ - ٥١٣.

(٢) صص ٤٢٥ - ٤٣٠ ، ٤٣٢ - ٤٣٤.

(٣) ابن خلدون ،المقدمة ،ج ١/٢٧٩ ، ٣٦٠ -٣٦١.

(٤) انظر الحديث عن البيئة فيهذا الفصل ،وانظر الفصل الثاني والثالث من هذا الباب .

(٥) حسن الباشا وآخرون ،القاهرة ، ص ٢٩ ، عبد الفتاح وهبة ، جغرافية العمران ، ص ٢٦٥.

(٦) فريد شافعي ، العمارة العربية الاسلامية ،ص : ١٠٨.

(٧) المقريزى ، الخطط ، جـ١/٣٦٤.

التوسع الوظيفي ،فلقد أخذت حدود المدينة بالتوسع أيضا ، والمقصود بالحدود هنا هو الحدود الادارية للمدينة او النطاق الاداري لولايتها.(١)

وعلى الرغم من أن المقريزى يقدم أوصاف مفصلة عن حدود المدينة ،الا أنه من الواضح أن هذه الأوصاف توضح النطاق الادارى لها في عصره وما مثل من تطورات عمرانية خلال العقود المختلفة ،(٢) حيث تميزت حدود القاهرة بعدم الاستقرار والثبات عند منطقة بعينها ، ففي بعض المراحل تكون عرضة للزيادة ،بينما تكون في أخرى عرضة للنقصان. فعندما يتحدث ابن عبد الظاهر عن الحدود الفاصلة فيما بين الفسطاط والقاهرة ،يشير الى حدوث تعديلات فيها . حيث يذكر أن حالها استقر في عصره - على أن تكون في خط تصورى - ممتدة فيما بين السبع سقايات (٣) الى مسجد السيدة زينب عرضا (٤) ، في حين

---

(١) لاحظ ما يذكره ابن دقماق أثناء حديثه عن الحمراء القصوى بأنها الحد الفاصل بين ولايتي مصر والقاهرة . ابن دقماق ،الانتصار، ق ١/ ٩١ .

(٢) تحدث المقريزى عن حدود القاهرة في أكثر من موضع حيث أشار اليها صراحة وأثناء حديثه عن ظواهر هذه المدينة ، وقدم تفصيلا دقيقا لها أثناء حديثه عن أجزاء المدينة الكبرى في عصره ، انظر : المقريزى ، جـ١ / ٣٦٠ - ٣٦١ ، ٣٦٣- ٣٦٤ ،جـ٢/ ١٠٨ - ١١١ .

(٣) السبع سقايات هي خط السبع سقايات ،ويقع بالحمراء القصوى شرقي الخليج المصرى ،ويقع في المنطقة التي تحد في الوقت الحاضر ،من الشرق بشارع السد الجواني عند جامع السيدة زينب ،ومن الشمال والغرب شارع الخليج المصرى . ومن الجنوب جنينة قامش . للمزيد انظر : المقريزى ،الخطط ،جـ١/ ٣٤٣ ، جـ ٢ / ١٣٥ ، عبد الرحمن زكي : موسوعة مدينة القاهرة ،ص ١٠٠ .

(٤) القلقشندى ،صبح الاعشى ،جـ٣/ ٣٤٤ .

أنها كانت قبل ذلك تمتد من المجنونة [١] الى المسجد المذكور [٢] .
وهذا يشير الى حدوث تعديلات في الحدود بين المدينتين ، والى أنها توسعت في احداها على حساب الأخرى ، اذ أن انتقال الحدود من المجنونة الى السبعسقايات، يشير الى أن حدود القاهرة في هذه الجهة توسعت نحو الجنوب ،وكان هذا التوسع بطبيعة الحال على حساب حدود الفسطاط [٣] .

ومن الواضح أن هذا التغير في حدود المدينة يخضع لاعتبارات عمرانية فعندما يتزايد النشاط العمراني فيها ،فان حدودها تنمو وتتسع تبعا لذلك . فجزيرة الفيل [٤] لم تكن في العصر الايوبي تتبع القاهرة ،وانما كانت منفصلة عنها ،كما يشير الى ذلك ابن مماتي [٥] .

---

(١) المجنونة قنطرة يدخل الماء من تحتها من الخليج الى بركة الفيل وسميت بالمجنونة نسبة الى الامير المملوكي المعروف بالطبيرسي كان قد عمرها وكان يعتريه شيء من الجنون نسبت اليه . المقريزى ،الخطط ،جـ٢/١٦٢ . ويدل على موضعها في العصر الحديث المنطقة الواقعة بجوار جامع ذى الفقار بك الشهير بجامع فيطاس ، للمزيد انظر : على باشا مبارك ، الخطط التوفيقية ،جـ٣ / ١٠٣ ، عبد الرحمن زكى ،موسوعة مدينة القاهرة ، ص : ٢٢٠ - ٢٢١ .

(٢) المقريزى ،م.س ،جـ١ / ٣٦٠ .

(٣) انظر خويطة رقم (٢٣) .

(٤) عن هذه الجزيرة انظر ص : ٩٦ .

(٥) ابن مماتي ،قوانين الدواوين ،ص ١٢٦ .

في حين أنها دخلت في العصر المملوكي ضمن حدود المدينة ، حيث جعلها المقريزى من أقسام المدينة الكبرى ، وذلك أثناء حديثه عن هذه الاقسام في عصره (١) .

ولا شك أن هذا التحول يعكس التوسع العمراني للقاهرة في تلك الفترة ، حيث تحولت الجزيرة الى منطقة عمرانية ، تصل المنشآت والمباني فيما بينها وبين القاهرة (٢) .

وبالنظر الى الاعتبار السابق ،فانه من المؤكد أن حدود القاهرة في العهد الفاطمي كانت قريبة جدا من أسوارها . وان كانت المصادر لا تقدم معلومات واضحة في هذا المجال (٣) . أما في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي ،فلا شك أن التوسع الوظيفي الذى سبقت

---

(١) المقريزى ،الخطط ، جـ١ / ٣٦١ .

(٢) المقريزى ،م.س ،جـ٢/ ١٨٥ - ١٨٦ ،مؤلف مجهول : تاريخ المصر القاهرة ،ورقة : ٢١٧ .

(٣) لا تقدم المصادر معلومات عن حدود القاهرة في العصر الفاطمي . وان كان بالامكان القول بأنها كانت محدودة جدا ، فمن الملاحظ أنها في أوائل العصر الفاطمي لم تكن تصل في الناحية الشمالية الى الخندق ، اذ انه لما أسكن المعز لدين الله العبيدى (٣٤١- ٣٦٥هـ/ ٩٥٢ - ٩٧١م) بعض أتباعه في هذه القرية ،جعل عليهم واليا وقاضيا مما يشير الى انها لم تكن تتبع ادارة المدينة في تلك الفترة وان كان يبدو أن الحدود شهدت بعض التوسعات المحدودة ففي عهد الآمر بأحكام الله (٤١٤ - ٥٢٤ هـ/ ١١٠٢ - ١١٣٠م) عندما عمر بن أبي التبان غربي الخليج كان والي القاهرة ينيب فيه عنه نائبا ،أى أنه أصبح ضمن حدود المدينة ،وبالتالي فان ذلك يشير الى توسع المدينة من الناحية الغربية . انظر:المقريزى م.س ،جـ٢/ ١١٤ - ١١٥ ، ١٣٨ .

الاشارة اليه ، علاوة على التوسع المادى [١] ،قد دفع حدود المدينة للتوسع بشكل كبير جدا ، اذ أن الحد الغربي لها ، قد أخذ بالتمدد وصولا الى شاطىء النيل ،مشتملا بذلك المنطقة الواقعة غربي الخليج [٢] ، ففي تلك الاثناء تزايدت الروابط بين القاهرة وهذه المنطقة حيث شملها سور القاهرة ، الذى أمر الناصر صلاح الدين ببنائه في عام (٥٧٢هـ/ ١١٧٦ م) [٣] ،علاوة على تعدد المباني والمنشآت فيها وصولا الى الساحل [٤] . كذلك فان الحدود الشمالية للمدينة أخذت بالتوسع أيضا ،وامتدت حتى بركة الجب [٥] . فعندما يتحدث ابن مماتي عن هذه البركة يذكر أنها تعتبر في وقته من جملة ضواحي القاهرة [٦] ، مما يشير الى أن حدود المدينة قد وصلت الى هذه البركة منذ تلك الفترة نتيجة تطور العلاقة العمرانية فيما بينها وبين القاهرة حينئذ ، ففي عهد الناصر صلاح الدين أضحت هذه البركة من أفضل متنزهاته [٧] ،علاوة على كونها مركزا لتجمع الجيوش وعرضها ،

---

(١) ص : ٢٩٨ - ٢٩٩.

(٢) المقريزى ،الخطط ،جـ ٢/ ١٠٩.

(٣) ص : ٢٩٩.

(٤) ص : ٣٨٦ - ٣٨٨.

(٥) المقريزى ، ن.م.س ، ولقد سبق الاشارة الى هذه البركة .ويدل عليها في الوقت الحاضر ناحية البركة بمركز شبين القناطر ، محمد رمزى ،القاموس الجغرافي ، ق٢/ جـ١/ ٣١.

(٦) ابن مماتي ، قوانين الدواوين ، ص : ١١٠.

(٧) ص : ٤٣٩.

اذا ما خرجت من المدينة برسم الجهاد [(١)] ، ومن المؤكد أيضا أن الحدود الجنوبية للمدينة قد شهدت في تلك الأثناء توسعات شبيهة بتلك التي حدثت لحدودها الغربية والشمالية ، فهذه الناحية طرأت على حدودها تغيرات ذكرها ابن عبد الظاهر وسبق الاشارة اليها [(٢)]. من المؤكد أن بدايتها كانت في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي حيث أن القاهرة أخذت تنمو في تلك الأثناء - من الناحية السكانية وبالتالي العمرانية - على حساب مدينة الفسطاط [(٣)]، الأمر الذى لا بد وأنه سينعكس على حدودهما من حيث الزيادة والنقصان بشكل متبادل ، وان كانت المصادر لا تقدم نصوص يمكن من خلالها التعرف على مدى التطورات التي شهدتها حدود المدينة في هذا الجانب خلال ذلك العصر . اما بالنسبة للحدود الشرقية للقاهرة ، فانه ليس بالامكان تلمس تطورات بارزة طرأت عليها في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي ، حيث يبدو أن وجود جبل المقطم في هذه الناحية [(٤)] ، قد حد بشكل كبير من حدوث تطورات ملموسة في هذا المجال في تلك الأثناء .

واذا كنا قد تعرضنا لحدود القاهرة ،فانه يكون من الأجدى أيضا التطرق الى حدود الفسطاط ، نظرا لكونها جزء رئيسي من المدينة الكبرى . فعلى الرغم من قلة المعلومات التي تقدمها المصادر

---

(١) ص : ٤٥٨ - ٤٥٩.

(٢) ص : ٢٩٢ - ٢٩٣.

(٣) ص : ٥١٢ - ٥١٣.

(٤) فتحى الحديدى ، القاهرة ، ص ٧٠.

عنها [١] ، فانه بالامكان تلمس بعض المتغيرات التي طرأت على حدودها في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي . حيث أخذت هذه الحدود بالتراجع والانكماش . كما يدل على ذلك انفصال بعض الأقسام التي كانت في العصر الفاطمي تعد جزءا منها ، فالجيزة التي تقع على الضفة الغربية للنيل ،كانت في العصر الفاطمي تتبع الفسطاط ،وتعد من جملتها ، كما يذكر ناصر خسرو [٢] ،وأشار اليه الطبيب الحسن بن رضوان (ت ٤٥٣ هـ/ ١٠٦١م) . الذى ذكر الجيزة كقسم من أقسام المدينة الكبرى [٣] . بينما يلاحظ أنها في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي لم تعد هذه المنطقة تتبع الفسطاط ،أوتعد جزءا منها . فابن جبير عندما يتحدث عنها يصفها بأنها قرية ، ولا يذكر بأنها تتبع الفسطاط [٤] الأمر الذى لا شك بأنه يعبر عن انفصال هذا القسم عن المدينة ،حيث أصبح في العصر الأيوبي كوره ادارية منفصلة بذاتها [٥] . ومن الواضح أن هذا الانفصال قد أدى لأن تتراجع حدود المدينة من الناحية الغربية ، وتصبح نهايتها عند الشاطيء الشرقي لنهر

---

(١) كل ما يرد في المصادر من معلومات عن حدود الفسطاط هي تلك التي ذكرها المقريزى عن حدود المدينة في عصره وهي حدود من المرجح أنها تقل عما كان عليه الفسطاط في عهودها الأولى . انظر عبد الفتاح وهبه ، الجغرافيا التاريخية ،ص ٤٠٥.

(٢) ناصر خسرو ،سفر نامه ،ص : ١٠٤.

(٣) نقلا عن المقريزى ،الخطط ،جـ١ / ص ٣٣٩.

(٤) ابن جبير ، الرحلة ،ص ٢٩.

(٥) عبدالعال الشامي، مدن مصر وقراها عند ياقوت ،ص : ٤٥.

النيل [١] . ويبدو أن هذا الانكماش قد تكرر أيضا في الناحية الجنوبية الشرقية من المدينة ، حيث أن المناطق العمرانية التي تقع في هذه الناحية أخذت بالتحول الى مقبرة عرفت بالقرافة الكبرى [٢] ، فكان ذلك ان اعتبرت القرافة الكبرى الحد الشرقي للمدينة منذ تلك الفترة على ما يبدو [٣] . والراجح أن مثل هذه التغيرات تنطبق على بقية حدود الفسطاط . فلا شك أن تمدد حدود القاهرة الجنوبية قد أدى بدوره لتراجع الحدود الشمالية للفسطاط ، نظرا لاشتراك حدود المدينتين في هذه الجهة [٤] .

ومن الواضح أن التراجع في حدود الفسطاط ، انما يعكس حالة الانكماش العمراني الذى اصيبت به المدينة بعد حريق شاور عام (٥٦٤هـ / ١١٦٨م) حيث هجرها الكثير من سكانها باتجاه القاهرة [٥] ، وتحولت أجزاء كبيرة منها الى أكوام [٦] .

ولم يكن توسع القاهرة قاصرا على النواحي سابقة الذكر ، بل أخذت رقعتها المادية بالتوسع من خلال السور الذى أمر

---

(١) المقريزى ، الخطط ، جـ ١ / ٣٤٣ ، عبد الفتاح وهبه ، الجغرافيا التاريخية ، ص ٤٠٦ .

(٢) عنها أنظر ص : ٤٦٢ ، هامش (٤) .

(٣) المقريزى ، ن . م . س ، عبد الفتاح وهبة ، ن . م . س .

(٤) ص : ٢٩٦ .

(٥) ص : ٥١٢ - ٥١٣ .

(٦) ص : ١١٠ - ١١١ .

الناصر صلاح الدين ببنائه في عام (٥٧٢هـ / ١١٧٦م)[١] حيث امتدت المدينة ناحية الغرب وصولا الى ساحل النيل ،واتجهت شرقا لمسافة ليست بالكبيرة وصولا الى برج الظفر ،ثم امتدت جنوبا حتى قلعة الجبل . وليتوغل السور بعد ذلك ليضم عواصم مصر الاسلامية القديمة ،وهي الفسطاط ،والعسكر ،والقطائع[٢] ، بحيث يدار (... عليها سورا واحدا من الشاطيء الى الشاطيء)[٣] .

وتشير مظاهر التوسع هذه على أن حركة النشاط والنمو العمراني قد أضحت ترتكز في القاهرة ،وأن هذا الارتكاز كان على حساب الفسطاط ، أى أن هذه الحركة أصبحت تتجه من الأولى الى الثانية - من القاهرة الى الفسطاط - مما يعد انقلابا لما كانت عليه الحال في العصر الفاطمي اذ كانت هذه الحركة تتجه من الفسطاط الى القاهرة ، حيث أن الثانية كانت تعتبر من جملة الأولى ، فعندما يتحدث المقدسي عن الفسطاط حينئذ[٤] يذكر بأنها عاصمة مصر ، ومقر الخلافة ،

---

(١) عن هذا السور انظر ص : ٥٨٤ - ٥٩٣ .

(٢) أحمد فكرى ،مساجد القاهرة ، جـ٢/٩ - ١٠ ،أنظر خريطة رقم (٢) .

(٣) أبو شامة ، الروضتين ، جـ١ / ق ٢/ ٦٨٧ ، الفتح البندارى ، سنا البرق الشامى ، ص١١٩ .

(٤) زار المقدسي مصر في عهد العزيز بالله العبيدى (٣٦٥هـ/-٣٨٦/ ٩٧٦ - ٩٩٦ م) . المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٨-٩ . طلال رفاعي ،البريد ،جـ٤٤٧/١ ، كراتشوفسكى ، تاريخ الأدب الجغرافي جـ١٠٩/١ .

وادارة الدولة الفاطمية (١) ، رغم أن يشير في ذات الوقت الى نفس الخصائص أثناء حديثه عن القاهرة (٢) ، وهذا يدل بلا شك على أن القاهرة ،كانت تعتبر في أوائل العصر الفاطمي جزءا من الفسطاط (٣) ومن الواضح أن هذا الاتجاه قد قاومه الفاطميون خشية أن تذوب عاصمتهم بالانضمام الى الفسطاط ،وتختفي دلالتها الرمزية (٤) . ولذلك فلقد عمدوا منذ عهد الخليفة الحاكم بأمر الله (٥) على منع الاتصال العمراني فيما بين المدينتين ،وذلك بجعل حدود لمجال النمو العمراني من الفسطاط تجاه بالقاهرة ،فبني في تلك الأثناء بناءا يحدد هذا المجال ،اطلقت عليه المصادر لفظ " الباب الجديد " (٦) والذى كان

---

(١) المقدسي : م . س ، ص : ١٩٧.

(٢) المقدسي : م.س . ص : ٢٠٠.

(٣) يلاحظ بأن الفسطاط كانت تلتهم العواصم التي اقيمت بجوارها وهي العسكر والقطائع ،وذلك نتيجة اتجاه المدينة نحو التوسع شمالا . القلقشندى : صبح الاعشى ،جـ٣/ ٣٣٢ . عبد الرحمن زكي ، الفسطاط ، وضاحيتاها العسكر والقطائع ، ص : ٨٣ ، شحاته ابراهيم ،القاهرة ، ص٤٠ ، عبد الفتاح وهبة ،الجغرافيا التاريخية ،ص ٤١٢.

(٤) سبق الاشارة الى أن الدولة قد تؤسس عاصمة تعبر به عن حكمها ، ص : ٦٠.

(٥) عنه انظر ص : ١٢٠ هامش (٣).

(٦) المقريزى ، الخطط ، جـ١/ ٣٦٣ - ٣٦٤ ، جـ٢/ ١٠٠،١٠٩ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٣/ ٣٥٠ . على باشا مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٢ / ١٥٣ . ومن المؤكد ان هذا الباب هو الذى وصفه ابن جبير ،ويذكر بأنه عبارة عن برجين يعلوهما تمثالين أحدهما يتجه للشرق والآخر للغرب . ابن جبير : الرحلة ، ص ٥٦.

يقع بالقرب من الجامع الطولوني الى الشمال منه [(١)] . فأصبحت امكانية البناء في هذه المنطقة متاحة من حد هذا الباب والمواضع التي تقع الى الجنوب منه ، حيث أخذت الأحياء الجديدة التي بنيت حينئذ بالظهور في هذه المنطقة كما يذكر المقريزى بقوله (... اتصلت العمائر من الباب الجديد الى الفضاء الذى هو الآن خارج المشهد النفيس..) [(٢)]، ولتحقيق تنفيذ هذه السياسة التي تبناها هذا الخليفة ،فلقد جرى في تلك الفترة أيضا ازالة الأحياء السكنية التي تقع فيما بين هذا الباب وسور القاهرة الجنوبي ،أى الأحياء التي تقع شمالي الباب المذكور ، فمن المؤكد أن حارة الروم [(٣)] التي جرى ازالتها في عام (٣٩٩هـ/١٠٠٨م) [(٤)] انما هي حارة الروم البرانية التي كانت تقع في هذه المنطقة في تلك الأثناء [(٥)].

ومن الواضح أن هذه السياسة العمرانية ، ظل معمولا بها لفترة يصعب تحديد نهايتها على وجه الدقة ، وان كان من المؤكد أنها استمرت الى أوائل القرن السادس (٦هـ/١٢م) فالأحياء التي

---

(١) يدل على موقع هذا الباب المنطقة الواقعة فيما بين حارة الوالي حسن وحارة درب الأغوات على باشا مبارك ،ن.م.س.

(٢) المقريزى : م.س ،جـ٢/١٠٠.

(٣) تنسب هذه الحارة الى طبقة من الجند القادمين مع جوهرالصقلى ، ولقد بنت الروم حارتين احداهما داخل القاهرة وأخرى خارجها انظر : المقريزى ، م.س ،جـ٢/٨ . فتحي الحديدى ،القاهرة ، ص : ٢١.

(٤) المقريزى ، ن.م.س.

(٥) وذلك قبل أن تضاف الى توسعة القاهرة التي جبت في أواخر القرن الخامس (٥هـ / ١١م) على باشا مبارك ، م.س ،جـ٢/٢٠٣.

أنشئت فيها في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله [١] ، كانت تقع بجوار الباب المذكور وتمتد منه جنوبا الى الفسطاط [٢] ،ولم يحدث أن بنى فيما بين الباب وسور القاهرة الجنوبي ،الا قبيل سقوط الفاطميين بقليل. [٣]

لقد أثرت هذه المتغيرات على تخطيط المدينة الكبرى ، التي أضحى لها قلعة تشرف على كافة أرجائها ، علاوة على وجود السور الذى تحكم في توجهات النمو والتوسع العمراني فيها ، والذى أدى بدوره الى أن تدخل مصر والقاهرة في مرحلة دمج فعلى [٤] ، خاصة وأن الناصر صلاح الدين حرص على أن يزيل الفوارق التي كانت سائدة فيما بينهما ،و يملأ الفراغ القائم بينهما بالعمران. [٥] فأدى ذلك كله الى ظهور شوارع جديدة ،تتكيف مع هذه التوسعات [٦] ،علاوة على احداث تعديلات ببعض الشوارع القديمة عن طريق توسعة بعضها وزيادة أمتداد البعض الآخر. [٧]

---

(١) هو الآمر بأحكام الله أبو علي منصور بن المتعلى بن المستنصر العبيدى (٤٩٥ - ٥٢٤هـ/ ١١٠٢ - ١١٣٠م) ولي الحكم وهو ابن خمس سنوات وقتلته احدى فرق الباطنية التي ظهرت في عهده وهم النزارية ، كان سيء السيرة ظلوما . عنه أنظر : ابي سعيد : النجوم الزاهرة ،ص ١٣-١٥. ابن ميسرة أخبار مصر : ١١٠- ١١١ ،ابن دقماق ، الجوهر الثمين ص ٢١١-٢١٢.

(٢) ص : ٣١٧- ٣١٨.

(٣) ص : ٣١٩ - ٣٢٠.

(٤) من المؤكد أن هذا السور واتصال المباني فيما بين المدينتين هو الذى أدى لأن تصيران بلدا واحدا كما يذكر المقريزى . المقريزى م.س ، جـ١/ ٣٦٥ ،وانظر أيضا ، حسن الباشا وآخرون ،القاهرة ، ص ٢٤.

(٥) احمد فكرى ،مساجد القاهرة ،جـ٢ / ٧.

(٦) ص : ٤١٤- ٤١٦.

(٧) ص : ٤١٨- ٤٢٠.

ب : البنيــــة :

ومن المظاهر التي ظهر فيها تغيرات أساسية في تخطيط المدينة في البنية ،التي تعرضت في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي لمتغيرات أساسية كما سيتضح لاحقا مع العلم ان هذه المتغيرات لم تكن تنطبق على كافة أجزاء المدينة الكبرى بصورة متجانسة ،وانما كانت مظاهر التغير تختلف من منطقة لأخرى ،لذلك فان متابعتها تستوجب أن يتم التناول لكل منطقة على حده ، وبالنظر الى هذه المتغيرات فانه يمكن من خلال دراسة تأثيراتها الأساسية تقسيم المدينة الكبرى الى أربعة أقسام رئيسة تبين من خلالها أوجه التغير التي طرأت على بنيتها ،وذلك من خلال مقارنتها بما كانت عليه في أواخر العصر الفاطمي .

أولا :الفسطاط :

على الرغم من أن أجزاء كبيرة من هذه المدينة قد تعرض للتلف والتخريب أثناء الشدة المستنصرية [١] في أواسط العصر الفاطمي [٢] ، فان استتباب الأمور على يد الوزير بدر الجمالي [٣] قد أعاد للمدينة

---

(١) سبق الاشارة الى هذه الشدة ،انظر ص : ١٠٧ .

(٢) المقريزى ،الخطط ، جا/ ٣٣٥ - ٣٣٧ . عبد الرحمن زكي ، الفسطاط ، ٣٣ .

(٣) هو أمير الجيوش أبو النجم بدر الجمالي (٤٦٦ - ٤٨٧هـ/ ١٠٧٣ - ١٠٩٤م) ، مملوك أرمني ترقى في الخدمة العسكرية وتقلب في الولايات كان آخرها نيابة عكا قبل أن يلي الوزارة للمستنصر العبيدى (٤٢٧ - ٤٨٧هـ / ١٠٣٦ - ١٠٩٤م) فأنقذ البلاد مما كانت فيه من فوضى واضطراب صاحبت الشدة المستنصرية . للمزيد أنظر : المقريزى ،م.س ،جا/ ٣٨١-٣٨٢ . ابن تغرى بردى ،النجوم الزاهرة ، ٥/ ١٤١ .

الشيء الكثير من حيويتها وعمرانها [١] ، ولم تفقد سوى بعض الأجزاء الشرقية منها والتي تحولت الى أكوام منذ تلك الفترة [٢] . ويمكن القول بأن هذا المظهر قد استمرت عليه حتى أواخر العصر الفاطمي ، وان كان يبدو أنها واجهت بعض مظاهر التدهور العمراني ، مع تردى الأوضاع الأمنية والاقتصادية في تلك الفترة [٣] والتي عادة ما يوءثر وجودها على النشاط العمراني بشكل عام . وبالنظر الى ما توفره المصادر من نصوص عن هذه المدينة في تلك الأثناء يمكن التعرف على بنيتها من خلال تقسيمها الى قسمين رئيسيين ،الأول وهو الذى يحيط بالجامع العتيق [٤] ، وهذا القسم كان الوزير الفاطمي شاور قد شرع في بناء سور حوله ، قبل أن يتعرض للحرق في عام ٥٦٤هـ/ ١١٦٨م اذ ذكر المقريزى هذا السور قائلا ((وكان شاور قد شرع في بناء سور على مدينة مصر واستعمل فيه الناس فلم يبق أحد من المصريين الا وعمل فيه . وحفر من ورائه خندقا فلم يكمل من ناحية النيل ، وعمل في السور ثمانية أبواب أحدها بدار النحاس [٥] على ساحل البحر

---

(١) المقريزى ، م٠س ، جـ١/٣٣٧٠

(٢) ن٠م٠س ، وانظر خريطة رقم (٣)٠

(٣) سبق الاشارة الى هذه الأوضاع الأمنية والاقتصادية ،أنظر : ص ص ٢١٨، ٢٢٧٠

(٤) أنظر خريطة رقم (١٣)٠

(٥) هذه الدار بناها وردان الرومي مولى عمر بن العاص رضي الله عنه وحولت في عهد معاوية رضي الله عنه مقرا للديوان . ابن دقماق الانتصار ، ق ١/٦ ،وهي تقع غربي الجامع العتيق ناحية الساحل القديم . Casanova , Paul , de Reconstitution , p. 43 plan 1.

هدم في سنة (...)[1] وخمسين وستمائة وآخر بجانب كوم البواص[2] ،
وثالث على سكة سوق وردان[3] سقط سنة احدى وستين وستمائة ،
وباب في طريق زين العابدين[4] ، وباب عرف بباب الصفا[5] ،

---

(١) سقط بمقدار كلمة لم يتمكن المحقق من تحديدها . المقريزى ،اتعاظ الحنفاء ،جـ٣ / ١٩٦ ،هامش (١).

(٢) لم أعثر على اشارة تدل على موقع هذا الكوم فيما اطلعت عليه من مصادر ومراجع .

(٣) ينسب هذا السوق الى وردان الرومي مولى عمرو بن العاص رضي الله عنه . ابن دقماق ، م.س ، ق١/٣٢ . ويقع الى الشمال من جامع عمر بن العاص .
Casanova , Paul , de Reconstitution , p.43, plan 1.

(٤) من الواضح ان هذا الطريق يقع بالقرب من مسجد زين العابدين الذى يقع فيما بين جامع ابن طولون والفسطاط . المقريزى ، الخطط ،جـ٢ / ٤٣٦ . عبد الرحمن زكي ، موسوعة مدينة القاهرة ص٣٤٣ ، ويجعل كزانوفا هذا الباب هو باب الصفا الذى سنشير اليه لاحقا ، وهذا مخالف لما أورده المقريزى .
أنظر : Casanova, Op. Cit.

(٥) يضع كزانوفا هذا الباب في موضع خاطىء كما سبق أن أشرنا أن باب زين العابدين غير باب الصفا كما هو واضح من النص. ويبدو أن هذا الباب يقع الى الشمال الشرقي من باب زين العابدين على شارع القصبة "الطريق العظمى" حيث كان يوجد مدخل الفسطاط الرئيسي . ابن دقماق ،م.س ،ق١/٢٨ ، المقريزى ،م.س ،جـ١ / ٣٤٧ . وعن الطريق العظمى ، أنظر ص : ٤١٧ .

وباب بحرى مصلى الأموات [١] سقط قبيل سنة خمسين وستمائة ، وباب عند اقمنه الجبر [٢] مما يلي درب السريه [٣] ، وباب لقنطرة بنـــو واثل [٤] وتحته قنطرة بني واثل التي تصب في بركة الشعيبة..) [٥] [٦]

أما القسم الثاني فهو الذى سماه ابن دقماق بمدينه باب لهون قـــد ذكر انها كانت كبيرة جدا ويوجد بها أربعمائة حمام [٧] . ومن الواضح أن هذا القسم يقع جنوبي الأول ويمتد حتى يشمل الرصد [٨]

---

(١) لم أجد تحديدا لهذا المصلى ، لعله يقع بالقرب من الدرب الذى عرف بدرب المعاصر ، وبدرب الوداع أيضا حيث كانت تخرج منه الجنائز لدفنها القرافة ،وبالتالي يكون موقع هذا الباب الى الشمال الشرقي من جامع عمروبن العاص . انظر ابن دقمـــاق ، الانتصار ، ق ٢٨/١ ،

Casanova, Paul , de Reconstitution, p.42, plan 1.

(٢) لم أجد اشارة تدل على هذا الموضع ، قد يكون ناحية الساحـــل حيث أن صناعة الجير تحتاج الى الماء كما هو معروف .

(٣) لم أجد فيما اطلعت عليه من مصادر اشارة لهذا الدرب .

(٤) سبق الاشارة الى هذه القنطرة ،وهي تقع جنوبي الفســـطاط ناحية الساحل ، انظر : Casanova, Op.cit.

(٥) عن هذه البركة أنظر ص : ١١٨.

(٦) المقريزى ،اتعاظ الحنفاء جـ٣ / ٢٦٩.

(٧) ابن دقماق . الجوهر الثمين ، ص ٢١٧- ٢١٨.

(٨) انظر خريطة رقم (٣) ولقد سبق الاشارة الى هــــذا الرصد ،انظر ص : ١٠٢ ،هامش (٦).

فاسم المدينة ينسب الى حصن باب ليون (١) الذى يقع على هذا الرصد ، في الطرف الجنوبي منه (٢) . ولقد تعرضت الفسطاط قبل سقوط الدولة الفاطمية لحريق هائل عام (٥٦٤ هـ / ١١٦٨م) ترتب عنه أن أصيبت المدينة بأضرار بليغة . وكان ذلك بسبب قصد الصليبيين مصر للاستيلاء عليها (٣) ، ونظرا لعدم قدرة شاور على الدفاع عن المدينة (٤) ، فانه أمر سكانها باخلائها وأضرم فيها النار (٥) التي استخدم فيها عشرين ألف قارورة نفط واستمر الحريق مشتعلا في منشآتها على ما يزيد عن خمسين يوما (٦) . وتختلف المصادر في تحديدها للآثار الناجمة عن هذا الحريق ، فابن دقماق يشير الى أن الجزء الذى أحرق وأتلف هو مدينة باب ليون سابقة الذكر (٧) أى أنه بذلك يستثنى القسم المحيط بالجامع العتيق ، وهذا مخالف لما ذكره المقريزى ،

---

(١) هذا الحصن بناء يعود الى ما قبل الاسلام ، وتذكر بعض الروايات انه هو قصر الشمع ، والأرجح أنه بناء غير القصر المذكور ، يقع على الرصد . انظر المقريزى ، الخطط ج١/٢٧٨ - ٢٨٨ ، ج٢/٤٥٢ ، القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج٣ / ٣١٩ - ٣٢٠ ، فؤاد فرج المدن المصرية ج٤ / ٢٩٠ .

(٢) Casanova, Paul , de Reconstitution , plan 1.

(٣) ص : ٢٠٢-٢٠٤

(٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج٩ / ٩٩ ، صفى الدين عبد المؤمن ، مراصد الاطلاع ج ٣ / ١٠٣٦ ، عبد الرحمن زكى ، القاهرة ، ص ٤ .

(٥) ابو شامة ، الروضتين ، ج١ / ق٢/ ٤٣٢ . المقريزى ، م . س . ج١/ ٢٨٦ .

(٦) المقريزى ، م.س ، ج١ / ٣٣٩ .

(٧) ابن دقماق ، الجوهر الثمين ، ٢١٧ - ٢١٨ .

من أن غالب منشآت المدينة قد دمر نتيجة الحريق .[١] ويفهم أيضا مما ذكره ابن جبير في حديثه عن هذه المدينة أثناء زيارته لها حيث ذكر أن غالب مبانيها ومنشآتها قد أعيدت عمارته ، بعدما كان قد تعرض للتلف نتيجة هذا الحريق[٢] . ويبدو أن ابن دقماق أراد باشارته عن مدينة باب ليون أن يشير الى أكثر الاجزاء تضررا في المدينة ، حيث أن هذا القسم هو الذى أخذ بالتحول الى أكوام منذ تلك الفترة . ويقع خارج السور الذى أحاط به الناصر صلاح الدين المدينة ، كما سيتضح لنا لاحقا . ومن الواضح أن هذا الحريق كاد أن يأتي على الفسطاط نهائيا ،لولا أن تداركتها عناية بني أيوب . فمنذ أن ولي أسد الدين شيركوه الوزارة[٣] ، أظهر الحرص على اعادة عمارتها ، فاجتمع بأعيانها الذين كانوا قد انتقلوا الى القاهرة ابان الحريق ، وطلب اليهم العودة الى مدينتهم[٤] ،الا أنهم اعتذروا اليه بعدم قدرتهم حيث أن هذا الحريق قد أودى بأموالهم مما اضطره الى وعدهم بتقديم المساعدة ،وتوفير أسباب العون لهم ،من أجل اعادة عمارة مدينتهم ، كما يتضح من حديثه لهم حيث قال (...لا تقولوا هذا ، وعلى باذن الله حراستكم ،واعادتها اليكم بما كانت عليه وأحسن ،فاستدعوا مني

---

(١) المقريزى ،الخطط ، جا / ٢٨٦ .

(٢) ابن جبير ،الرحلة ص ٢٩ .

(٣) عنه أنظر ص : ٢١ هامش (٢) .

(٤) ابن الاثير ،الكامل ج٩ / ٩٩ ،ابو شامة ،الروضتين ،جا / ق٢ / ٤٣٢ ، المقريزى ،الخطط ج١ / ٢٨٦ .

كل مالكم فيه راحة ، فهي بلادى ،وربما أسكن فيها بينكم ،..) .[(١)]

الا أن الأمر لم يطل بأسد الدين شيركوه الذى توفى بعد توليته الوزارة ببضع أسابيع[(٢)] ، فواصل المهمة من بعده ابن أخيه صلاح الدين الذى وجه اهتماما كبيرا نحو الفسطاط[(٣)] ، فقام باصلاح جوامعها ومنشآتها الرئيسية ، وبنى بها المدارس[(٤)] وتوج أعماله هذه بضمها مع القاهرة في سور واحد ، يضمن من خلاله توفير الحماية لهما[(٥)] .

فترتب على هذا الاهتمام أن أخذ العمران يعود الى المدينة بشكل تدريجي[(٦)] . لكن اعادة التعمير هذه لم يشمل المدينة بأكملها ، حيث أن أجزاء كبيرة من المدينة لم تعد العمارة اليها ، كما يشير الى ذلك ابن جبير أثناء حديثه عنها حيث يقول (.. وبمدينة مصر آثار من الخراب الذى أحدثه الاحراق الحادث بها وقت الفتنة عند انتساخ دولة العبيديين وذلك سنة أربع وستين وخمسمائة ،وأكثرها الآن مستجد والبنيان بها متصل ، وهي مدينة كبيرة والآثار القديمة حولها ، وعلى مقربة منها ظاهره تدل على عظمة اختطاطها فيما سلف)[(٧)] . كذلك فان المصادر

---

(١) المقريزى : اتعاظ الحنفاء ، جـ٣ / ٣٠٣.

(٢) ص : ٣٧-٣٨.

(٣) عبدالرحمن زكي ،الفسطاط وضاحيتاها ، ص ٣٤.

(٤) ص ص ٤٧٦ - ٤٧٧ ، ٥٠٣ - ٥٠٤.

(٥) الفتح البندارى ،سنا البرق ،ص ١١٩ وعن هذا السور أنظر ص : ٤٨٤ - ٤٩٣.

(٦) المقريزى ،الخطط ، جـ١ / ص ٣٣٩.

(٧) ابن جبير ،الرحلة ، ص ٢٩.

تذكر أن هذا الحريق أدى الى اختفاء العديد من منشآتها ، مما يشير الى عدم اعادة تعميرها ، فهناك العديد من المساجد التي اختفت ودرست ولم يعد يوجد لها أثر على الاطلاق (١) علاوة على بعض منشآت المرافق التي تعرضت لنفس المصير أيضا مثل أوقاف الأزهر وقد أشار الى ذلك ابن عبد الظاهر أثناء حديثه عن أوقاف الجامع الأزهر في الفسطاط التي اختفت وجهلت مواقعها نتيجة هذا الحريق. (٢)

ان وجود هذا المظهر منذ تلك الأثناء ، يشير الى أن المدينة قد طرأ عليها تعديل في بنيتها حيث أن السور الصلاحي لم يضم أجزائها كاملة ، وانما ضم الأجزاء الغربية الشمالية منها ، والتي يقع فيها الجامع العتيق (٣) . في حين أن الأجزاء الجنوبية الشرقية منها أضحت خارج السور (٤) ،اذ أن مدينة باب ليون التي كانت تمثل معظم هذه المنطقة أضحت خارج هذا السور (٥) ،وبالتالي فمن المؤكد أن غالبية الأجزاء التي لم تعمر من الفسطاط حينئذ ،كانت تقع في هذه المنطقة ، فأخذت خرائبها وأطلالها تتحول الى أكوام من جهة (٦) ،ولتضاف الى مقبرة المدينة من جهة أخرى (٧) ، بينما أخذت المواضع الواقعة داخل السور

---

(١) السخاوى ، تحفة الاحباب ،ص : ٢٩٩.

(٢) ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ،ص : ٢٧٨-٢٧٩.

(٣) عبد الرحمن زكي : الفسطاط وضاحيتاها ،ص ٣٨ وانظر خريطة رقم (١٢).

(٤) انظر خريطة رقم (١٢).

(٥) ابن دقماق ،الجوهر الثمين ،٢١٧ - ٢١٨.

(٦) ن.م.س وانظر أيضا فيما يذكره المقريزى من أن أكوام الفسطاط تمتد الى الرصد وبركة الحبش . المقريزى ، الخطط ،جـ١/ ٣٤٣

(٧) ص : ٤٦١-٤٦٤.

بالتحول الى محور النشاط العمراني للمدينة ، فمن الواضح أن بدايات تعميرها كانت في المنطقة المحيطة بالجامع العتيق (١) . ثم أخذت بالتوسع نحو المواضع القديمة الواقعة داخل السور ، حيث عمرت الاحياء القديمة الواقعة شمالي الجامع العتيق + فعندما يتحدث المنذرى عن الشيخ الفقيه ابراهيم بن اسماعيل الهاشمي (٢) ،المتوفى بالفسطاط سنة (٥٨٩هـ / ١١٩٣ م) يذكر بأنه (.. أم بالناس في الصلوات المدة الطويلة بمسجد الزبير بن العوام (٣) ، بمصر حتى صار يعرف بالمسجد المذكور .) (٤) الامر الذى يدل على عودة النشاط العمراني في المنطقة التي يقع فيها المسجد فالمساجد تعمر بعمارة ما حولها (٥) ،علاوة على أنه يشير الى عودة العمران في المناطق الواقعة شمالي الجامع العتيق ، فخط مسجد ابن الزبير الذى ينسب الى المسجد المذكور ، يقع في هذه المنطقة ،بالقرب من سوق وردان (٦) . و من المؤكد أن المواضع

---

(١) المقريزى : الخطط ،جا١ / ٣٣٩ . ولقد ترتب عن ذلك اعادة عمارة الاحياء المحيطة بهذا الجامع . انظر ص : ٣٩٥.

(٢) عنه أنظر : المنذرى ،ابو محمد زكي الدين ،عبد العظيم (ت ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨م) التكملة لوفيات النقلة " تحقيق بشار عواد معروف ، الطبعة الثانية ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١ م ،بيروت جـ١/ ١٨٥.

(٣) لم اعثر فيما اطلعت عليه من مصادر ومراجع على اشارة عن هذا المسجد و تاريخ نشأته . قد يكون نسبه الى الصحابي الجليل الزبير بن العوام رضي الله عنه فهو ممن شهدوا فتح مصر وكانت له دار بالفسطاط ، القلقشندى ، صبح الأعشى ،جـ٣/ ٣٢٩.

(٤) المنذرى ، نم.س.

(٥) المقريزى : م.س ،جـ٢/ ٣١٢.

(٦) ابن دقماق ،الانتصار ق٢ / ٤١ ،ولقد سبق الاشارة الى هذا السوق وموقعه . انظر ص : ٣٠٥ ها مش (٣) .

الواقعة شرقي الجامع العتيق فيما بينه وبين السور قد عمرت في تلك الاثناء اذ أنها لم تتحول الى أكوام الا في أوائل العصر المماليكي ، حيث بدأالهجران الفعلى لها منذ ذلك الوقت (١) . ولم يكن تأثير السور قاصرا على تحديد المواضع التي أعيد تعميرها ،وانما تحكم أيضا في توجيه مسارات النمو والتوسع في المدينة (٢) ،فنظرا لأن السور قد حدد من امكانيات التوسع في الأجزاء الجنوبية والجنوبية الشرقية من المدينة ،على عكس ما كان سائدا في العصر الفاطمي (٣) ،بعدما أن اقتطع المدينة من هذه الجهات . (٤) فلقد أخذت امكانيات النمو والتوسع في المدينة تبحث عن جهات أخرى ،فاتجهت نحو الغرب حيث ساحل النيل . خاصة وأن فرصة البناء عليه أصبحت مواتيه منذ عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي (٥) ، فجرى انشاء المباني والأسواق والمصانع في هذه المنطقة (٦) ، حتى وصل الأمر الى البناء على الجزر المتكونة من الطرح النهرى (٧) ،علاوة على عودة السكنى في جزيرة الروضة (٨) التي فقدت أهميتها كمنطقة سكنية خلال العصر

----

(١) القلقشندى ،صبح الأعشى ،جـ٣ / ٣٣٤ .

(٢) انظر خريطة رقم (١٣) .

(٣) ص : ٣١٥ - ٣١٦ .

(٤) ص : ٣١٠ .

(٥) ص : ٩٨ .

(٦) ص : ٤٣٦ .

(٧) ص : ٣٨٨ - ٣٨٩ .

(٨) ص : ٣٩١ .

الفاطمي (١) . فأدى ذلك الى أن يتحول محور الارتكاز للنشاط العمراني من شرقي المدينة الى غربيها ، يدل عليه انتقال شارعها الرئيسي من الجهة الأولى الى الثانية (٢) ،علاوة على أن الاجزاء الشرقية منها استمرت فيما تلى من عهود عرضه للخراب لمصلحة الغربية منها ،فكانت هناك حركة انتقال عمراني شبه دائمة على ما يبدو من المواضع القديمة شرقي الجامع العتيق الى الجديدة غربي .هذا الجامع (٣) ، التي أضحت هي الأجزاء المعمورة فعلا من الفسطاط في أواخر العصر المماليكي (٤) وما تلاه من عهود (٥) .

وبالاضافة الى التوسع ناحية الغرب ، فلقد أصبح بامكان الفسطاط الاتجاه نحو منطقة التوسع الطبيعي لها (٦) ،وهي الناحية الشمالية ، فأخذت المباني تتجه ناحية القاهرة ،وصولا الى القلعة ،والخليج ،

---

(١) من الواضح أن اتخاذ الفاطميين للجزيرة كموضع نزهة خاصة بهم ، قد حد من سكناها من قبل عامة الناس ،لذلك يلاحظ المقدسي قلة سكانها ، في حين أن ناصر خسرو يشير الى خلوها من السكان وان بقايا النشاط السكنى فيها لا تزال ماثلة حتى وقته . انظر : المقدسي ،احسن التقاسيم ،ص ٢٠٠ ،ناصر خسرو ، سفر نامة ،ص : ١٠٤ .

(٢) انظر ص : ٤١٦ - ٤١٧ .

(٣) المقريزى : الخطط ،جـ١/٣٣٩ . القلقشندى ،صبح الأعشى ، جـ٣ / ٣٣٤ .

(٤) ن.م.س.

(٥) لا يزال الخراب ماثلا في الفسطاط شرقي الجامع العتيق حتى الوقت الحاضر . انظر خريطة الاثار الاسلامية ، خريطة رقم(١٦/ب) .

(٦) سبق الاشارة الى المناطق السهلية شمالي الفسطاط أعطت المدينة فرصة التوسع فيها . انظر ص : ٩٨ .

والجامع الطولوني ، اذ أن الدور التي بنيت فيما بين الفسطاط وهذه المواضع سنة (٥٨١ هـ / ١١٨٥م) [١]، تعد دليلا قويا على أنها قد اتجهت نحو تحقيق هذا الغرض . الذى يعد تغيرا لاتجاهات النمو والتوسع التي كانت سائدة في المدينة خلال العصر الفاطمي . فنظرا لقيام الفاطميين بمنع المدينة من التقدم باتجاه الشمال [٢]، ولعدم توفر امكانية التقدم ناحية الغرب باتجاه الساحل في تلك الفترة أيضا . [٣] فلقد أخذت المدينة بالتوسع ناحية الجنوب والجنوب الغربي [٤]،حيث الرصد والمنطقة التي عرفت في عصور لاحقة بالقرافة الكبرى [٥]، فهذه المواضع على الرغم من أنها شغلت ببعض خطط الفسطاط الأولى [٦]،الا أنه من المؤكد أن أهلها قد أخذوا بالانتقال عنها بعد ذلك ليشغلوا المواضع الخالية من البناء فيما بين الخطط الواقعة بالقرب من الجامع العتيق ، حيث أضحت المدينة في أواخر الحكم الأموى ترتكز في هذه المنطقة [٧]،وأقصى امتداد في جنوبيها من المؤكد أنه لم يكن

---

(١) ص : ٣٨٩ - ٣٩٠.

(٢) ص : ٣٠٠ - ٣٠٢.

(٣) ص : ٩٧ - ٩٨.

(٤) انظر خريطة رقم (٣).

(٥) ص : ٤٦٢.

(٦) هناك من خطط الفسطاط الاولى ما كان موقعها على الرصد وبجوار بركة الحبش ،وفي موضع القرافة الكبرى . المقريزى : الخطط ،جـ١/ ٢٩٨ ،جـ٢ / ٤٤٤ ، عبد الرحمن زكي : الفسطاط وضاحيتاها ، ص : ١٧ - ١٨ ، فؤاد خوج : المدن المصرية جـ٤ / ٣٤٠.

(٧) عبد الفتاح وهبة : الجغرافيا التاريخية ٤٠٩.

يتجاوز قصر الشمع [(١)] ، الذى يقع الى الشمال من الرصد [(٢)] . وهذا وضع ظلت المدينة محافظة عليه حتى عهد الفاطميين ، اذ أن اتجاهات النمو والتوسع للفسطاط خلال تلك الحقبة من الزمن كانت تتجه شمالا ، كما يشير الى ذلك بناء المسكر والقطائع في هذه الناحية [(٣)] . ولم يظهر الاهتمام بالناحية الجنوبية الا منذ العصر الفاطمي ، يدل على ذلك أن المعز لدين الله العبيدى [(٤)] عاتب جوهرا الصقلي [(٥)] باني القاهرة لأنه لم يجعلها على الرصد [(٦)] . الأمر الذى يشير الى الاهتمام كما سبق أن ذكرنا ، و أن هذه المنطقة لم تكن معمورة في تلك الفترة ،

---

(١) ن.م.س . وهذا القصر يعود الى ما قبل الاسلام وكان مقر الحكم المحلى لمصر في تلك الأثناء . القلقشندى ، صبح الأعشى جـ٣ / ٣١١ - ٣٢٠ ، فؤاد فرج : المدن المصرية ، جـ٤ / ٢٨٨ .

(٢) Casanova, op. Cit. plan, 1

(٣) عبد الفتاح وهبه ، م.س . ص ص : ٤١٠ ، ٤١٣ ، حسن الباشا وآخرون : القاهرة ، ص : ٤٤ .

(٤) سبقت الاشارة الى ترجمته ، ص ٢٥٧ هامش (٣) .

(٥) جوهر الصقلي مملوك رومي للمعز لدين الله العبيدى - (٣٤١-٣٦٥هـ/٩٥٢-٩٧٥م) كان يكنى بأبي الحسن ولقب بقائد القواد ، كان قائد الجيش الذى دخل به الفاطميون مصر. توفي سنة (٣٨١هـ/٩٩١ م) . للمزيد أنظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ١ / ٣٧٥ - ٣٨٠ ، المقريزى : الخطط جـ١ / ٣٧٧ - ٣٧٩ .

(٦) القلقشندى ، م.س ، جـ٣ / ٣٥١ .

ولذلك فلقد توجهت جهود الفاطميين نحو بنائها ، فبنوا فيها من القصور والجوامع والمساجد (١) ، وسكنها بعض أفرد الأسرة الفاطمية (٢) . وطوائف من جندهم الذين نسبوا اليها (٣) ،فكان لذلك انعكاسه على ازدهار العمران فيها ،والذى استمر حتى عشية حريق الفسطاط ،كما يشير الى ذلك ابن دقماق في حديثه عن مدينة باب اليون التي كانت تقع في هذه المنطقة (٤) . وهذا فيما يتعلق بالفسطاط والتطورات التي طرأت على بنيتها في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي .

ثانيا : المنطقة الواقعة فيما بين الفسطاط والقاهرة :

ويمكن تقسيم هذه المنطقة الى قسمين رئيسيين ،أولهما يقع فيما بين الفسطاط والباب الجديد (٥) ،ويشغل معظم أجزائه العسكر والقطائع ،كما تشير التوقيعات على الخرائط بذلك (٦) . ولقد تعرض

---

(١) السخاوى ، تحفة الاحباب ،ص : ١٨٠ .

(٢) ن.م.س .

(٣) ص : ٤٤٦ - ٤٤٧ .

(٤) ص : ٣٠٦ - ٣٠٧ .

(٥) انظر خريطة رقم (٣)

(٦) انظر خريطة رقم (٦) تقع العسكر شمالي الفسطاط وهي تمتد من الكوم الخارج جنوبا -وان كان السخاوى يعد الكوم من جملتها - الى قناطر السباع - ميدان السيدة زينب حاليا - ومن قنطرة السد غربا - شارع السد والدبوره حديثا - الى تلال المقطم شرقا . أما القطائع فتقع الى الشمال من العسكر فيما بين الجبل الذى عليه قلعة الجبل وجامع ابن طولون وهذا طولها من الشرق الى الغرب ،اما عرضها فيمتد من الارض الصفراء -

===

هذا القسم في العصر الفاطمي لتحولات واسعة النطاق ،اذ العسكر والقطائع تعرضتا للتلف والتخريب الشديدين أثناء الشدة المستنصرية، مما نتج عنه أن تحولتا الى أطلال وأكوام [١] يعتقد بعض الباحثين انه مظهر استمر فيهما عقودا عديدة تجاوزت العصر الفاطمي [٢]. وهو ما تنفيه الشواهد التاريخيه ،اذ من الواضح أن أجزاء كبيرة قد أعيدت عمارتها مرة أخرى في أواخر العصر الفاطمي ، حيث يقول المقريزى في هذا الشأن أنه (.. لما كانت الشدة العظمى في خلافة المستنصر [٣]، وخربت القطائع والعسكر صارت مواضعها خرابا الى خلافة الآمر بأحكام الله [٤] فعمر الناس حتى صارت مصر والقاهرة لا يتخللهما خراب وبنى للناس في الشارع [٥] من الباب الجديد الى الجبل عرضا حيث قلعة الجبل الآن وبنى حائط يستر خراب القطائع والعسكر فعمر من الباب طولا الى باب الصفا بمدينة مصر حتى صار المتعيشون والمستخدمون يصلون العشاء الآخرة بالقاهرة ويتوجهون الى سكنهم في مصر ولا يزالون في

=== جنوبي جامع ابن طولون - الى ميدان الرميله - المنشية في شارع العطارين . في ذلك انظر : المقريزى ، الخطط ،جـ١/ ص ص ٣٠٥ ، ٣١٣ ،السخاوى : تحفة الأحباب ،ص ١٢٨ ،حسن الباشا وآخرون ،القاهرة ص ١٨ ، ٢٠ ،عبد الرحمن زكي ،القاهرة ص ٥ - ٦.

(١) المقريزى ، م.س ،جـ١/ ٣٣٧.

(٢) عبد الرحمن زكي ،الفسطاط وضاحيتاها ،ص ٣٣. حسن الباشا وآخرون ،القاهرة ،ص ٥٥. عبد الفتاح وهبه ،الجغرافيا التاريخية ص ٤٢١.

(٣) عنه انظر ص : ١٠٧ هامش (٢).

(٤) عنه انظر ص : ١١٠ هامش (٥).

(٥) الشارع : المقصود به الطريق العظمى عنه انظر ص : ٤١٩-٤٢١.

ضوء وسرج وسوق موقوده من الباب الجديد خارج باب زويله الى باب الصفا ...) [١]، وبالنظر الى النص السابق يتضح أن هناك عملية بناء واسعة النطاق قد جرت في المنطقة في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله، وأنها شملت القطائع والعسكر، حيث لم يعد هناك خراب بين الفسطاط والقاهرة، اضافة الى أن المباني اتجهت ناحية الجبل وهي منطقة تعد من جملة القطائع. [٢] بيد أن هذا البناء لم يشمل المنطقة كلها حيث بقي منها أجزاء لم يجرى عمارتها مرة أخرى، فسترت بحائط. ويبدو أن هذه الأجزاء هى الواقعة الى الجنوب الشرقي من المنطقة، فهي تبعد عن الفسطاط والقاهرة، في حين أن البناء كان يرتكز في المواضع القريبة منهما، وهو ما يتضح من خلال التوقيعات على الخرائط. [٣]

وعلى الرغم من أن المصادر لا تقدم نصوص يمكن من خلالها معرفة ما اذا استمر وضع المنطقة على ما هو عليه حتى نهاية حكم بني عبيد، أم أنها تعرضت لتطورات أخرى، حيث لا تتجاوز في حديثها عهد الآمر بأحكام الله. فانه من المؤكد أن الوضع العمراني لم يستمر متواصلا فيها. اذ أخذ سكانها بالانتقال الى القسم الثاني من المنطقة، والذى يقع فيما بين الباب الجديد وسور القاهرة الجنوبي. [٤] وقد وظل هذا القسم خاليا من البناء منذ عهد الخليفة الحاكم بأمر الله العبيدى، واستمر كذلك الى ما بعد عهد خلفه الآمر بأحكام الله، حيث أن المصادر تشير الى أن البناء في هذه المنطقة لم يكن يتجاوز في ذلك الأثناء شمالي

---

(١) المقريزى، الخطط، جـ٢ / ١٠٠.

(٢) المقريزى : م.س، جـ١ / ٣١٣.

(٣) انظر خريطة رقم (٥).

(٤) انظر خريطة رقم (٣).

الباب الجديد [١] ،كذلك فان المستخدمون الذين يعملون في القاهرة كانوا لا يسيرون في سوق وسرج موقوده الا من الباب الجديد وما هو في جنوبه وصولا الى باب الصفا بمصر [٢] ، أى ان المواضع الواقعة شمالي هذا الباب لم يكن فيها ما يدل على وجود العمران على الاطلاق حتى عهد الآمر بأحكام الله ، في حين يلاحظ أن حارة المنصورية [٣] التي أحرقها الناصر صلاح الدين الأيوبي سنة (٥٦٤ هـ / ١١٦٨م) [٤] كانت تقع بجوار سور القاهرة الجنوبي وشمالي الباب الجديد [٥] ،الأمر الذى يدل على أن هذه المنطقة قد عمرت في أواخر العصر الفاطمي ، ومن الواضح أن هذه الأحياء التي نشأت هنا انما كانت بديلة لتلك التي تقع خلف منطقة الباب المذكور ،يدل على ذلك انتقال أسماء مواضع بعض الحارات من المنطقة الواقعة بجواره الى منطقة قريبة من سور القاهرة الجنوبي ، فحارة اليانسية [٦] عندما خططت في بادئ الأمر كانت تقع بالقرب من ذلك الباب وقباله بركة الفيل [٧] . بينما يلاحظ أن على باشا مبارك

---

(١) المقريزى ،الخطط ،جـ٢/ ٢٠ ، ١٠٠ ،الخاصكي ، التحفة الفاخرة ،لوحة : ٨٨.

(٢) المقريزى ،م.س جـ٢/ ١٠٠.

(٣) هذه الحارة تنسب الى بعض طوائف الجند من العبيد السودان . المقريزى : م.س ،جـ٢/ ١٩ مؤلف مجهول ،تاريخ المصر ، القاهرة ،ورقة : ٢٢.

(٤) ص : ٣٩٩.

(٥) يدل على ذلك موقع الحارة الحالي ،وهو حارة الغربية ،على باشا مبارك ،الخطط التوفيقية ،جـ٣/ ٢٣٣ - ٢٣٤ ،وخريطة رقة (٣).

(٦) تنسب هذه الحارة لطائفة من الجند الفاطمي يعرفوا باليانسية ، المقريزى ، م.س ،جـ٢/ ١٦.

(٧) المقريزى ، م.س ،جـ٢/ ١٠٠.

عندما يحدد موقع هذه الحارة في عصره بناء ا على اشارة من المقريـــزى فانه يجعلها قريبة جدا من سور القاهرة الجنـوبي وتبعد كثيرا عـــن الباب والبركة (١) . وهذا يدل بدون ريب على أن سكان الحارة قــد انتقلوا من موقعهم القديم الى موقع جديد بالقرب من سور المدينة (٢) ، مما يشير الى حدوث عملية انتقال شاملة حدثت في تلك الأثناء من جنوب الباب الى شماله (٣) . وهذا يعد أمرا طبيعيا لا سيما اذا علمنا ما كـان يتهدد المنطقة من اخطار في اواخر العصر الفاطمي ،اذشهدت اضطرابات وفوضى عظيمة (٤) ، اضافة الى وجود أطماع خارجية ،تمثلت بشكل أساسي في الخطر الصليبي (٥) ، لذلك عمد السكان القاطنين خارج المدينة الى الاقتراب من أسوارها ،طلبا للحماية ،وسرعة اللجوء الى داخلها ، أمـــام أى نوع من التهديدات .

ان العرض السابق يقودنا الى تصور واضح عما كانت عليه بنيـــة المنطقة الواقعة فيما بين الفسطاط والقاهرة في أواخر العصر الفاطمي ،بحيث يمكن القول بأن العمران كان يرتكز في المناطق الملاصقة لسور القاهـــرة الجنوبي . ويعتبر عهد الناصر صلاح الدين مرحلة تغير حقيقـــــــي

---

(١) بناءا على تحديد عـلى باشا يكون موقع الحارة ناحية الـدرب الاحمر أى بالقرب من الضلع الجنوبي الشرقي لسور القاهرة الفاطمية . انظر على باشا مبارك ،الخطط التوفيقية ،جـ٢ / ٢٧٩ -٢٨٠ .

(٢) خريطة رقم (٦) .

(٣) خريطة رقم (٧) .

(٤) عن هذه الاضطرابات انظر ص : ٢١١-٢١٣ .

(٥) انظر ص : ١٨٩-٢٠٦ .

وملموس في بنية هذه المنطقة ،لرغبته الأكيدة في ملئها بالعمران حتى يتصل ما بينها وبين الفسطاط .(١) وهي رغبة أسهم في تحقيقها بناء تحصينات القاهرة . اذ أن هذه المنطقة أصبحت داخل السور وأقرب أجزاء المدينة الكبرى من القلعة(٢) . وذلك يعد من عوامل الجذب العمراني ، فبناء السور عمل على نشر العمران في المنطقة بشكل عام ،فآلاف المنازل بنيت فيها عندما تقرر البدء ببناء سور الفسطاط عام (٥٨١ هـ / ١١٨٥م)(٣).

كذلك فان بناء القلعة أسهم في امتصاص المباني والمنشآت الى ناحيتها.(٤) لذلك فلقد أخذت المنطقة تتشكل بطريقة أخرى تختلف عما كانت عليه في السابق ،وأخذ بالانقسام الى قسمين رئيسيين أيضا . أولهما الواقع غربي الشارع الأعظم(٥) ،أى على يمين الخارج من باب زويلة بامتداد يصل الى الفسطاط،فهذه المنطقة تحولت الى موضع نزهة تطغى عليها البساتين(٦) ، التي أخذت بالامتداد غربي هذا الشارع حتى مصر(٧) ، والتفت حول البرك الواقعة فيها(٨) ، التي بدأت البساتين والمتنزهات بتطويقها ،كما حدث لبركة الفيل.(٩) ان هذا التحول ترتب

---

(١) ص : ٣٠٢.

(٢) خريطة رقم (٧).

(٣) ص : ٣٨٩ - ٣٩٠.

(٤) ص : ٣٨٩.

(٥) عن هذا الشارع انظر ص : ٤١٩-٤٢١ وخريطة رقم (٧).

(٦) انظر خريطة رقم (١٥).

(٧) ص : ٤٤٥.

(٨) عن هذه البرك انظر ص : ١١٨-١١٩.

(٩) ص : ٤٤٩ - ٤٥٠.

عنه احداث تغير في التكوين العمراني للمنطقة . فبعض البساتين والمتنزهات نشأت على أنقاض حارات الجند الفاطمي التي كانت تقع فيها [(١)] ،أما القسم الثاني فيقع بمحاذاة الأول من الناحية الشرقية للشارع الاعظم ،على يسار الخارج من باب زويلة . ولقد استحوذت مواضعه على النشاط السكني الذى قام في هذه المنطقة في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي ، فقربها من قلعة الجبل جعلها مرغوبة للسكنى ،فأخذت المنشآت والدور القادمه من الفسطاط والقاهرة بالاتجاه نحوها [(٢)] ، ومن المؤكد أن النشاط الكسني في الشارع الاعظم ،قد كان يميل نحو هذه المنطقة [(٣)] ، حيث أن الجانب الأيمن من هذا الشارع كانت تقع عليه البساتين كما سبق أن ذكرنا . ولقد ترتب عن هذه التطورات اجراء بعض التعديلات العمرانية في بعض أجزاء هذا القسم ،فالمقابر الفاطمية الواقعة فيها ،توقف عن استخدامها للدفن منذ ذلك الحين ،وبدىء في تحويلها الى مناطق سكنية [(٤)] . وهذا فيما يتعلق ببنية المنطقة بشكل عام.

---

(١) ص : ٤١١ .

(٢) انظر خريطة رقم (٩) .

(٣) ص : ٣٩٦ .

(٤) ص : ٤٦٠ - ٤٦١ .

ثالثا ـ القاهرة الفاطمية :

كان التكوين العمراني لهذه المنطقة في العصر الفاطمي يتميز بالبساطة ويخلو من التعقيد[(١)] ،فلقد كان تخطيطها يتكون من شارع رئيسي يخترقها من الشمال الى الجنوب[(٢)] ، وفي وسطها كان يوجد أهم منشآت المدينة . وهما القصران الشرقي الكبير[(٣)] ،والغربي الصغير[(٤)] ،ويحيط بهما بعض منشآت المرافق والخدمات[(٥)] ،ثم تتوزع أحياء المدينة التي يسكنها الجند في بقية أجزاء المدينة[(٦)] .وكان يتخلل هذه المنشآت والمباني مساحات خالية من البناء[(٧)] ، من الواضح

---

(١) انظر خريطة رقم (١٨) التي توضح بساطة تخطيط المدينة في تلك الأثناء ،نقلا عن

P. Ravisse Essai Sur Chistoire et sut la topographie du Caire d' apres Makrizi (polois des khaliges Fatimites). Meinobres . pubries par les membres de la mission archesloglque Franceise alse au Caire Paris 1887 plan 2.

(٢) ص : ٤٢٠ .

(٣) بني هذا القصر عشية تأسيس القاهرة ليكون مقرا للخلفاء الفاطميين وكان يحتل مساحة واسعة من المدينة ،ويقع في وسطها مع ميل الى الناحية الشرقية منها ، للمزيد انظر : المقريزى ، الخطط ، جـ١ / ٣٨٤ . حسن الباشا وآخرون ،القاهرة ، ص ٣٣-٣٥ .
R avisse op. cit. p. 479- 480 plan 2.

(٤) بنى هذا القصر في عهد العزيز بالله العبيدى (ت٣٨٦هـ / ٩٩٦ م) ليكون مقرا لابنته ست الملك . وكان يقع قبالة القصر الشرقي من الناحية الغربية . المقريزى : م.س ،جـ١/٤٥٧ . عبد الرحمن زكي ، موسوعة مدينة القاهرة ،ص٢٠٧ .

(٥) انظر خريطة رقم (١١) . وعن هذه المنشآت انظر ص : ٣٤٦-٣٦٣

(٦) المقريزى ،م.س ، جـ١/ ٣٦١ .

(٧) عن هذه الساحات وانواعها انظر ص : ٣٦٥ - ٣٧٦ .

أنها كانت تحتل مساحات كبيرة من المدينة ،اذ أن الفاطميين كانوا حريصين على أن يكون جزء كبير من مدينتهم عبارة عن ساحات خالية من البناء .(١)
وعلى الرغم من أن هذه الساحات قد جرى البناء على بعضها في أواخر العصر الفاطمي (٢) ، بيد أن هذه الظاهرة لا يمكن احتسابها كمرحلة تطور عمراني شهدتها المدينة في تلك الفترة ، حيث أن عملية البناء هذه كانت شاذة ومحدودة ،نظرا لأن استغلال هذه المساحات بالبناء عليها ، لم يظهر بشكل ملموس الا بعد العصر الفاطمي .(٣)

لقد تعرضت القاهرة في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي لتعديلات تكاد تكون جذرية أثرت على بنيتها ،وجعلت خطتها تتخذ شكلا جديدا يختلف عما كانت عليه في السابق .(٤) ففي تلك الأثناء أخذت قوى التطور والنمو العمراني والمتمثلة أساسا في النشاط السكاني والاقتصادى . بالارتكاز في القاهرة ،كما يشير الى ذلك التوسع الوظيفي الذى طرأ على المدينة حينئذ .(٥) فهذا التوسع سيترتب عنه نشوء احتياجات عمرانية جديدة أخذت تتمثل بشكل أساسي في ظهور أحياء وأسواق جديدة (٦) وقد تزامن مع ذلك ظهور حركة لاعادة توزيع مراكز الثقل في المدينة حيث شهدت منشآت

---

(١) ص : ٣٦٥ .
(٢) ص : ٣٨٢ .
(٣) ص : ٣٨٢ - ٣٨٣ .
(٤) انظر خريطة رقم (١١) ورقم (١٠) .
(٥) ص : ٢٩٠ - ٢٩١ .
(٦) ص . ص : ٣٣٢ - ٣٩٤ ، ٤٢٦ - ٤٣١ .

الحكم والادارة والخدمات والمرافق ،حركة تبديل لمواقعها . فمركز الحكم والادارة انتقل من موضع الى آخر . فبعدما قضى الناصر صلاح الدين على الخلافة الفاطمية عام (٥٦٩ هـ / ١١٧٣م) ، لم يتخذ قصر الخلافة الفاطمي مقرا له (١) ،وانما جعل مقره في "دار الوزارة الكبرى". (٢) التي عرفت منذ ذلك الحين ب "دار السلطنة" (٣) . وهذا يعني بدوره أن مقر الحكم انتقل من وسط المدينة حيث يقع قصر الخليفة . الى الشمال الشرقي من المدينة حيث تقع "دار الوزارة الكبرى". (٤) كذلك كان الحال بالنسبة لمنشآت الخدمات والمرافق فالمارستان انتقل موقعه الى الشمال من موقعه السابق ،حيث أسس الناصر صلاح الدين مارستانا جديدا على أجزاء من القصر الشرقي الكبير (٥) ،بدلا من الفاطمي القديم الذى كان يقع جنوبي القصر الكبير . (٦) كذلك كان الحال بالنسبة لمؤسسات التعليم والثقافة ، التي شهدت عملية تغير لبعض مواقعها ، رغم محافظة بعضها لدوره التعليمي (٧) . فدار العلم (٨) ،

---

(١) المقريزى ،الخطط ،جـ١ / ٣٨٤ .

(٢) سبق الاشارة اليها انظر ص : ٢٥٨ هامش (١) .

(٣) المقريزى ،م.س ،جـ١/ ٤٣٨ .

(٤) انظر خريطة رقم (٢٩) ويدل على موقع هذه الدار الآن حارة المبيضة : على باشا مبارك ،الخطط التوفيقية ،جـ٢/ ٢٠٧ .

(٥) ص : ٤٩٩ - ٥٠٠ .

(٦) خريطة رقم (١٤) وعن موقع هذا المارستان انظر ص :٣٤٧ هامش(٣)

(٧) يدل احتفاظ الأزهر بدوره التعليمي على بقاء الجوامع كمؤسسات تعليم وان كان التعليم قد تغير من شيعي الى سني بطبيعة الحال ، انظر ص : ١٣٣ - ١٤٠ .

(٨) وهذه الدار هي الجديدة أنشأها المأمون البطائحي وزير الآمر بأحكام الله العبيدى في حين أن القديمة أسست منذ عهد

===

و مكتبة القصر[(١)] جرى الغاء دورهما الوظيفي ،حيث تحولت الدار الى حى سكني[(٢)] ، بينما جرى بيع مقتنيات المكتبة من الكتب[(٣)] لتضاف قاعاتها للمارستان الصلاحي[(٤)] . ولتظهر المدارس كبديلة لهما ، فأنشأت الدولة الصلاحية في القاهرة العديد منها[(٥)] ،والتي انتشرت في سائر أرجاء المدينة ،وكافة نواحيها ،كما يشير بذلك التوقيع على الخرائط لمواقع هذه المدارس[(٦)] . ومن منشآت المرافق التي تشير المصادر الى تبديل مواقعها الاصطبلات، حيث يدل اختفاء الاصطبلات الفاطمية الرئيسة ، وظهور اصطبلات جديدة بدلا منها[(٧)] ،على حدوث تغير في مواقع هذه المنشآت ،ففي العصر الفاطمي كانت هذه الاصطبلات تقترب من

=== الحاكم بأمر الله ، وأغلقت في وزارة الافضل بن بدر امير الجيوش. وكانت هذه الدار تعنى بالمسائل الفلسفية ظاهرا بينما كان غرضها الحقيقي نشر التشيع والدعوة له . للمزيد انظر المقريزى ،الخطط جـ١ / ٤٤٥ ، الامين عوض الله ، الحياة الاجتماعية ،

(١) كان يوجد بالقصر مكتبة كبيرة تحتوى على الكتب بمختلف انواعها يقال بأن عددها يتجاوز المليون كتاب . المقريزى : م٠س ، جـ١/ ٤٠٨ - ٤٠٩ ، زكي حسن ،الاعمال الكاملة ،جـ٤/ ٢٧-٣٢٠

(٢) ص : ٣٥٧٠

(٣) ابن الاثير ،الكامل ،جـ٩/ ١١٢ ،أبو شامة ،الروضتين ،جـ١/ ٢٧٠

(٤) ص : ٤٩٩٠

(٥) ص : ٤٧٧- ٤٨١٠

(٦) خريطة رقم (١٠)٠

(٧) ص : ٣٣٨٠

وسط القاهرة . كما يدل على ذلك مواقعها [(١)] ، في حين أن الاصطبلات الجديدة اخذ موقعها يتجه نحو أطراف القاهرة ،اذ أن بعضها أنشىء في مواضع مخازن الغلال الفاطمية [(٢)] ، التي كانت تقع بالقرب من أسوار القاهرة ،كما يشير الى ذلك المقريزى أثناء وصفه لأجزاء المدينة في تلك الفترة اذ أشار الى وجودها بالقرب من سور القاهرة الجنوبي ، في المنطقة الواقعة فيما بين باب زويلة باب سعاده . [(٣)]

ولقد ترتب عن المتغيرات السابقة أن أخذت بنية القاهرة بالتغير والتطور لتتخذ بنية جديدة تختلف عما كانت عليه في السابق . فأخذت معالمها القديمة بالاختفاء التدريجي ، نتيجة تحول ساحاتها الواسعة ومنشآتها الرحيبة الى أسواق وأحياء سكنية [(٤)] ،والذى يدل في نفس الوقت على أن المدينة بدأت تتجه نحو التكدس بالمباني وتراجع قيمة الفراغ فيها ، فترتب عن ذلك كله أن اضطربت خطتها القديمة وبدأت بالتغير ،حيث تغير النطاق العمراني لأحيائها القديمة وأخذ بعضها بالتوسع في المناطق السكنية الجديدة [(٥)] ،في حين أن البعض الآخر تراجع نطاقه العمراني [(٦)] ، كذلك فان اعادة توزيع مراكز الثقل فيها

---

(١) خريطة رقم (١١) وعن مواقع هذه الاصطبلات انظر ص ص ٣٥٢، هامش (٣ ، ٥) ، ٣٦٢ .

(٢) ص : ٣٣٨ .

(٣) المقريزى : الخطط ،جـ١/٣٦٣ .

(٤) ص : ٣٤٢ - ٣٨٥ .

(٥) ص : ٤٠٣ - ٤٠٧ .

(٦) ص : ٤٠٧ - ٤٠٨ .

وظهور الاحياء الجديدة ،أثر على خطة شوارعها ،فتغير مواقع المنشآت تطلب ظهور شوارع جديدة تؤدى اليها [١] اضافة الى أن ظهور الاحياء الجديدة قد تطلب وجود شوارع جديدة أيضا [٢] ،فاذا أضيف مجموع ذلك الى الشوارع القديمة . دل على أن شوارع القاهرة أخذت تتجه نحو مزيد من التشعب والتعقيد ،وهذا فيما يتعلق بالتغيرات الاساسية في بنية القاهرة .

رابعا : المنطقة الواقعة غربي الخليج :

في الحقيقة لم تشهد هذه المنطقة تطورا عمرانيا حقيقيا الا ابتداءا من عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي ،حيث لم تكن امكانياتها في العصر الفاطمي متاحة للاستغلال العمراني الكامل نظرا لوجود الخطر النهرى المتمثل في الفيضان الذى كان يشمل المنطقة في تلك الأثناء [٣] ، لذلك فان جهودهم قد انصبت في بادئ الأمر على قرية المقسى [٤] ، فأنشأوا بها دارا لصناعة السفن [٥] ،وجامعا [٦] ،وبستانا يعرف

---

(١) ص : ٤١١٠

(٢) ص : ٤١١-٤١٦٠

(٣) ص : ١٠٤-١٠٥٠

(٤) سبق الاشارة الى تعريف المقسى انظر ص : ٨٤ هامش (٢).

(٥) أسس هذه الدار في اوائل العصر الفاطمي وان كان قد اختلفت الروايات التاريخية فيما اذا كان تأسيسها في عهد المعز لدين الله او ابنه العزيز بالله. الا انه يبدو ان هذه الدار لم يستمر وضعها طويلا ، حيث تختفي أخبارها منذ عهد الحاكم بأمر الله ،المقريزى الخطط ،جـ٢ / ١٩٥ - ١٩٦٠

(٦) عن هذا الجامع أنظر ص : ٩٤ هامش (٣).

بالدكة (١) ، فهذه القرية (٢) كانت بمنأى عن خطر الفيضان ، حيث جرت العادة أن تبنى القرى المصرية على تلال مرتفعة تقيها هذا الخطر. (٣)

وفي اواخر العصر الفاطمي ،أصبحت الامكانيات في استغلال أجزاء من هذه المنطقة أكثر توفرا ، فبدئ منذ عهد الآمر بأحكام الله بالبناء على الأجزاء الشرقية منها ، والمطلة على ساحل الخليج الشرقي ، فبنى على المنطقة التي عرفت ببر ابن التبان (٤) ، منشآت النزهة والبساتين والدكاكين وظهرت فيها الشوارع (٥) . ومن الواضح أن توفر الامكانيات هذه انما بيعكس تباعد خطر الفيضان عنها ، نتيجة تباعد الشقة بين شاطئ الخليج وساحل النهر ، الذى كان ينحرف باتجاه الغرب نتيجة الطرح النهرى المتوالي سنة بعد أخرى (٦) مما أدى الى تخفيف تأثير الفيضان وخطره عن الأجزاء الشرقية منها . أما في عصر صلاح الدين فان تأثير الفيضان على المنطقة أضحى معدوما (٧) ،ولذلك أصبحت

---

(١) لم تشر المصادر الى تاريخ تأسيس هذا البستان وبه منظره وكان الخلفاء يدخلون اليه بعض الأحيان اذا انتهيى من مراسيم فتح الخليج . المقريزى : م٠س ،جـ١/ ٤٧٩ - ٠٤٨٠

(٢) ظل المقسى طوال العصر الفاطمي قرية ، ولم يتحول الى جزء من القاهرة الا بعد هذا العصر . انظر: محمد رمزى : التعليقات في النجوم ، جـ٤ /ص ٥٣ هامش (١).

(٣) ص : ٠٢٣٦

(٤) ينسب هذا المكان الى رئيس المراكب المصرية في عهد الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ/ ٩٩٦-١٠٢٠م) كان أول من عمر في هذا المكان . المقريزى ،الخطط ،جـ٢/ ١١٤ ويدل على موقعه في الوقت الحاضر المباني التي على بر الخليج الغربي قبالة ميدان باب الخرق . على باشا ،الخطط التوفيقية ،جـ٣/ ١٠٦،وانظر خريطة رقم (٣).

(٥) المقريزى ، الخطط ،م٠س ،جـ٢/ ١١٤-٠١١٥

(٦) ص : ٨٣ - ٠٨٤

(٧) ص : ٩٦ - ٠٩٧

امكانيات الاستغلال للمنطقة متوفرة ،اضافة الى أن تباعد الساحل كان له أكبر الأثر على قيمة موقع القاهرة ،ولذلك كان عليها أن تتكيف مع هـذه التغيرات الموضوعية ،فلجأت المدينة نحو اقامة روابط بينها وبين هذه المنطقة ، تمثلت بشكل أساسي في مد سور يربط بينها وبين الساحل (١) اضافة الى شوارع تصل فيما بينهما. (٢) مما هيأ بشكل فعال في توسع النشاط العمراني في هذه المنطقة (٣) ،فاتصل العمران فيما بين المقسى والقاهرة ، وأخذت منشآت النزهة والبساتين والدور والاسواق والشوارع تتوزع فيهـا ، بشكل يغطى جميع أجزائها تقريبا حتى امتـدت المباني في المنشآت لتشمل أراضي ساحل النيل. (٤) وهذا فيما يتعلق ببنية المدينة بشكل عام حيث يتضح من خلال العرض السابق بأن تخطيط المدينة قد مر بتعديلات أساسية جعلته يتخذ خطوطا جديدة ، تقترب في مضمونها بما عليه المنطقة في الوقت الحاضر كما يعتقد بعض الباحثين. (٥)

---

(١) ص : ٢٩٩.

(٢) ص : ٤١٥ - ٤١٦.

(٣) خريطة رقم (٨)

(٤) سيرد تفصيل ذلك في الفصل الثاني من هذا الباب .

(٥) حسن الباشا وآخرون ،القاهرة ،ص ٥٧.

الفصل الثاني

أقسام المدينة

تتكون المدينة من مجموعة من الوحدات العمرانية ،التي تقسم المدينة الى أقسام عدة ،وأهم هذه الأقسام هي الخطط والأحياء ، والشوارع ،والأسواق ،والمتنزهات ،والبساتين ، وأخيرا المقابر .

ولقد أخذت المتغيرات الحضارية العميقة ، التي شهدتها القاهرة في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي ، تعمل أثرها على هذه الأقسام، التي بدأت أوضاعها بالتطور والتغير عما كانت عليه في العهد البائد . وسوف نقوم بمتابعة هذه التطورات من خلال تناولها كل قسم على حده .

أ - الخطط والأحياء :

الأحياء السكنية هي جزء مهم من مظاهر التخطيط العام للمدينة . بل هي القسم الأهم من أقسام المدينة على الاطلاق . لأنها تعبر من خلال دورها ومنشآتها عن النشاط السكني للبشر القاطنين بها (١) ،وكانعكاس لمجمل مظاهر التطور الحضارى العمراني للقاهرة الصلاحية ،فلقد شهد النشاط السكني في هذه المدينة العديد من المتغيرات الهامة ، كان لها آثارها العميقة على خططها وأحيائها . بيد أنه و قبل الخوض في تفاصيل أبرز هذه التطورات وأهمها ،ينبغي التعرف على أنواع الأحياء السكنية ، كوحدة تقسيم اصطلاحية ، استخدمت في توزيع النشاط السكني في داخل المدينة في تلك الأثناء . فبالنظر لما تورده المصادر عن الأحياء السكنية يلاحظ بأنها تتحدث عن عدد من الأنواع يمكن تصنيفها الى أربعة أنواع

---

(١) عبدالمنعم شوقي ، مجتمع المدينة ،ص١٣٣.

رئيسه ، هي : الحارات ، والاخطاط ، والدروب ، والأزقة .[١]

وعند تدقيق الاصول اللغوية لهذه الكلمات ، يلاحظ أن هناك قاسما لغويا مشتركا فيما بينها ، وهي كلمة الخط (مفرد خطط) التي تدل على اتخاذ موضع من الأرض للبناء عليه .[٢] ومنها جاءت خطة البصرة والكوفة[٣] للدلالة على بناء أحيائهما .[٤] فالخط (بالكسر) هو موضع كل حي من الأحياء السكنية كما يذكر ابو عمر ،[٥] وقد أشار الى ذلك المقريزى عند حديثه عن أخطاط القاهرة بعد أن ذكر حاراتها وقال (قد تقدم ذكر ما يطلق عليه حارة من الاخطاط ونريد أن نذكر من الخطط ما لا يطلق عليه اسم حارة ولا درب ..).[٦] الا أن وجود هذا القاسم اللغوى المشترك ، لا يعني بأن المدينة الاسلامية لم تعرف التنوع في تكوين أحيائها السكنية . فوجود الألفاظ المختلفة - حارة ، خط ، درب ، زقاق - انما يعكس وجود هذا التنوع والتشعب اضافة الى ما يدل عليه من وجود فروق بعيدة المدى فيما بينها على ما يبدو .

---

(١) انظر : المقريزى ، الخطط ، جـ٢/ ٢٠ - ٤٤ ، الخاصكي ، التحفة الفاخرة ، لوحة : ٢١ - ٥٩ ، البكرى ، قطف الازهار ، لوحة ١٠٧ - ١١٨ ، مؤلف مجهول ، تاريخ المصر القاهرة ، ورقم ٢٠ - ٥٢ .

(٢) الزبيدى ، تاج العروس ، جـ٥/ ١٣٠ .

(٣) عن هاتين المدينتين ، انظر ص ٥٥ هامش (٤) .

(٤) الزبيدى ، ن.م.س .

(٥) نقلا عن ن.م.س .

(٦) المقريزى ، الخطط ، جـ٢/ ٢٣ . وانظر أيضا : البكرى ، خطط الازهار ، ١١٠ - ١١١ .

وعند تدقيق المعاني اللغوية والرجوع الى أصول ألفـــاظ المسميات المذكورة ، وما تقدمه المصادر التاريخية من معلومات ونصوص من أحياء القاهرة الكبرى ،يمكن القول بأن هناك بشكل عام نوعان من الأحياء ، أولهما وهو ما يميل الى الخصوصية في تكوينه ، ويتخذ شكلا أكثر تماسكا وتقاربا فيما بين أجزائه المختلفة . ويندرج في اطار هذا النوع ،الأحيـاء التي تعرف بالحارات ،فالحارة في تكوينها العمراني حي سكني تميل عناصره الى التقارب فيما بين بعضها البعض ، حيث اشتق اسمها من لفظ المحلة ، وهي المكان الذى يتخذه قوم من الأقوام يحلون به بمعنى انه أصبـح موضعا لسكناهم .(١) غير ان شكل السكنى الذى لا بد من توفره في الحارة ، هو تقارب الدور من بعضها البعض ،وهكذا فالحارة هي (.. كل محلـة دنت منازلهم فهم أهل حاره ..)(٢) ومن الواضح أن التماسك الواقـع في الشكل قد أدى الى ان تميل الحارات الى الخصوصية في تكوينها البشرى في تلك العهود ،فجعل توزيع السكنى في القاهرة المعزية يقوم على أسـاس الانتماء القبلي ، ذلك أن حاراتها قد اخططت لكي يكون كل منها خاص بقبيلة معينة .(٣) ولقد أدى وجود التقارب في بناء الدور والخصوصيـة في التكوين البشرى ، الى جعل العناصر العمرانية للحارة تميل الـى الخصوصية في أغراضها ، فالشوارع الموزعة في الحارات كانت مخصوصـة بها ،لذلك فان مصطلح "الحاره" في ذلك العصر لا يطلق على الطرقات

----

(١) الزبيدى ، تاج العروس ،جـ٧/ ٢٨٣.

(٢) الزبيدى ،م.س. جـ٣/ ١٦٦.

(٣) المقريزى ،الخطط ،جـ١/ ٣٦١.

التي يجتازها الناس من منطقة الى أخرى .[١] وقد انعكس تلك الخصوصية على شكل الحارة ،التي اتخذت شكلا يميل الى الالتفاف حول مركز معين أو نقطة معلومة فهي أشبه بالاطار الذى يلتف حول نقطة مركزية اذ يقرر الزبيدى بأن لفظ الحارة يطلق على المستدار من الفضاء.[٢] بل ان هذا الانطباع هو الذى توحي به اوصاف بعض حارات القاهرة في أواخر العصر العثماني ،التي يبدو أنها حافظت على الكثير من مظاهر تكوينها الأولى ، كحارة الجودرية [٣] ، التي كانت حارة واسعة تتكون من اربعة فروع غير نافذة وزقاق رئيسي ،وبابان يربطانها بالمناطق المحيطة بها.[٤] وهكذا فقد كان تخطيطها يميل الى التماسك في تكوينه ،والالتفاف حول نفسها من حيث الشكل .[٥] بالاضافة الى أن الحارة كنوع من الأحياء يميل الى التماسك في الشكل والخصوصية في التكوين . نجد أن الخطط ، والتي كان مفردها يعرف بخطة ، لم تكن تختلف في تكوينها العمراني عن الحارة ، كما يشير الى ذلك المقريزى الذى يذكر بأن " .. الخطط التي كانت بمدينة الفسطاط بمنزلة الحارات التي هي اليوم بالقاهرة فقيل لتلك في مصر خطة

----

(١) محمد رمزى ،التعليقات في النجوم الزاهرة ،جـ٤/٤٢ ،هـ(٢) .عبد الرحمن زكي ، موسوعة مدينة القاهرة ،ص ٨٢ .

(٢) الزبيدى ،تاج العروس ،جـ٣/ ١٦٦ .

(٣) تنسب هذه الحارة الى طائفة من طوائف العسكر الفاطمي تعرف بالجودرية ،انظر المقريزى ،الخطط ،جـ٢ / ٥ . الخاصكي، التحفة القاهرة ،لوحة ٥ ،موءلف مجهول ،تاريخ المصر القاهرة ورقة ٥ .

(٤) علي باشا مبارك ،الخطط التوفيقية ،جـ٣/ ١٧٨ .

(٥) انظر خريطة رقم (٣٥) التي توضح تخطيط الحارة كما رسمت في عهد الحملة الفرنسية ،نقلا عن :

A. Raymond E.T.G . Wiet , Les Marcecs de Caire
Plan 3.

قيل لها في القاهرة حارة ". [١] لذلك كان تكوينها البشرى هي الأخرى يقوم على أساس الانتماء القبلي ، فخطط الفسطاط [٢] تميل الى هـــذا التكوين ،حيث كانت (.. خطة كل قبيلة قائم على انفرادها منعزلـــة عن غيرها ..) [٣]

أما النوع الثاني من الأحياء ، فهو الذى لا يميل الى الخصوصية في تكوينه او التماسك في شكله ،ويشمل هذا النوع عددا من الأحياء ، تتمثل في الخطط (جمعها خطوط أو اخطاط) ، والدورب ،والأزقـــة ، وتتميز هذه الأحياء بأنها تتكون من شارع رئيسي يخترقها ، ففي الأصول اللغوية لهذه المسميات يلاحظ ان لها علاقة بالشارع ،اذ ان الخـــط (بالفتح) هو الطريق الشارع. [٤] في حين أن الدروب تدل على مداخل الأشياء والطرق المؤدية الى المواضع ،حيث يطلق الدرب على باب السكة الواسعة . كما ان مداخل الأصقاع المختلفة مثل مداخل بلاد الروم هـــي دروب تؤدى اليها [٥] . أما الزقاق فيعرف بوضوح بأنه طريق. [٦] وهي التي تستخدم للانتقال من منطقة الى أخرى ، فدرب كوكب [٧] كان

---

(١) المقريزى : الخطط ،جا/ ٢٩٦ - ٢٩٧.

(٢) عن هذه الخطط انظر ،المقريزى ،م.س ، جا/٢٩٧-٢٩٩ ، فؤاد فرج ،المدن المصرية ،ج٤ / ٣١٩ - ٣٢١.

(٣) فؤاد فرج ، م.س. ، ج٤/ ٣٢١.

(٤) الزبيدى ،تاج العروس ،ج٥/١٢٩.

(٥) الزبيدى ،م.س،جا/٢٤٥.

(٦) الزبيدى ،م.س ،ج٦/ ٣٧١.

(٧) يعرف بكوكب الدولة بن الحناكـــى ، وكان يعرف قبل ذلـك بالقائد الاعز مسعود المستنصر . المقريزى ،الخطط ،ج٢/ ٤٢.

الطريق الذى يسلك فيه من حارة زويلة (١) الى درب الصقالبة (٢)(٣) كذلك فان درب شعله (٤) كان (... الشارع المسلوك فيه من باب درب ملوخيا (٥) الى خط الفهادين (٦) والعطوفيه (٧) ...) (٨)، بل ان بعضها كان في وقت من الأوقات يعد شارعا رئيسا أو جزءا من شبكة الشوارع الرئيسة في المدينة ، فخط سويقة امير الجيوش (٩) كان طريقا يسلك فيه من شارع القصبة الى باب القنطرة (١٠). في حين أن الشارع

---

(١) نسبت هذه الحارة الى طائفة من طوائف الجند الفاطمي الذين ينتمون الى احدى القبائل البربرية ،المقريزى ،م.س. جـ٢/٤ ، الخاصكي ، التحفة الفاخرة ،لوحة ٤ - ٥ ،موءلف مجهول ،تاريخ المصر القاهرة ،ورقة ٤ - ٥.

(٢) عرف هذا الدرب بطائفة من الجيش الفاطمي عرفوا بالصقالبة ، المقريزى ،م.س ،جـ٢ / ٤٢.

(٣) ن.م.س.

(٤) لا تقدم المصادر تحديدا لأصل مسماه ،المقريزى ،م.س ،جـ٢/٤٣ ، الخاصكي ،م.س ،لوحة ٥٥.

(٥) هذا الدرب كان يعرف بحارة قائد القواد ثم عرف بعد ذلك بدرب ملوخيا الفراش صاحب ركاب الخليفة الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ/ ٩٩٦ - ١٠٢٠م) ، المقريزى ،م.س ،جـ٢/ ٣٨ ، موءلف مجهول ، م.س ،ورقة ٤٤.

(٦) لا تقدم المصادر تحديدا لأصل مسماه ،المقريزى و م.س ،جـ٢/٣٦ موءلف مجهول ،م.س ،ورقة ٤٢.

(٧) العطوفية حارة تنسب الى طائفة من طوائف الجيش الفاطمي ،يبدوا أنها تنسب الى عطوف أحد خدام الفاطميين ،المقريزى ،الخطط جـ٢ / ١٣ ،الخاصكي ، م.س ،لوحة ١٥-١٦ ،موءلف مجهول ، م.س ، ورقة ١٥-١٦.

(٨) المقريزى ،م.س ،جـ٢/٤٣.

(٩) ظهر هذا الخط على احد القصور الفاطمية التي ينسب الى الوزير أمير الجيوش بدر الجمالى (٤٦٦ - ٤٨٧هـ / ١٠٧٣-١٠٩٤م) انظر ص:٣٥٨

(١٠) المقريزى ، م.س ،جـ١ / ٣٧٥ ،جـ٢/ ١٠١.

الذى يمتد من المطابخ (١) الى العداسين (٢) في الفسطاط ، كان يخترق عددا من هذه الأحياء الواقعة على امتداداته فهو يتكون من دروب وأزقة علاوة على الاخطاط. (٣) ولقد أدت هذه الوظيفة الى جعل هذا النوع من الأحياء يتكون من شارع رئيسي تحيط به مجموعة من الشوارع الجانبية المتفرعة عنه والنافذة اليه ، ففي خط سويقة أمير الجيوش يوجد عدد من الطرقات الجانبية تتفرع من الشارع الذى تطل عليه السويقة وهو الشارع الرئيسي فيها بطبيعة الحال. (٤)

ومن الواضح أن هذه الخصيصة في التكوين العمراني قد أثرت على الشكل العام الذى تتخذه لها فمن المؤكد أنها كانت تميل في ذلك الى الاستطالة نظرا لوجود الشارع ، ولذلك فان من التعريفات اللغوية للخط " هو المستطيل في الشيء". (٥) أما عن الفروق بين هذه الأحياء المتنوعة ،أى الفرق فيما بين الخط والدرب والزقاق فانه يكمن في مواصفات الوحدة الأساسية المتمثلة في الشارع . فبمقدار عرض الشارع تتحدد هوية

---

(١) هذا الخط يعرف بالمطابخ السلطانية يبدو أنه قد كان به مطابخ العسكر السلطانية ، وهو يمتد من حمام السلطان الى سوق الصيادين ،ابن دقماق ،الانتصار ، ق٢/٣٨.

(٢) لم أعثر على اشارة واضحة تحدد ماهية هذا الموضع فيما اطلعت عليه من مصادر و مراجع.

(٣) ابن دقماق ،م.س ،ق١/ص ٨٥.

(٤) المقريزى ،م .س ،جـ١/٣٧٥.

(٥) الزبيدى ، تاج العروس ،جـ٥/١٢٩.

كل قسم من أقسام هذا النوع من الأحياء ، فمن الواضح أن شارع الخط كان اعرضها ، حيث يرد في اللغة ان الخط هو (.. الطريق الخفيف في السهل)[1] ، في حين أن الدرب يكون عرض شارعه أقل من الخط ، اذ ان الدرب يطلق على باب السكة الواسعة[2] ، والسكة هي الطريق الضيق[3] . بل ان أصل لفظ الدرب مرتبط باطلاقه على المضايق في الجبال[4] . اما الزقاق فانه أقلها عرضا ، لأنه يطلق على الطريق الضيق ،كما أنه قد يطلق على السكة في بعض الأحيان ،[5] وتقدم المصادر نصوصا يمكن من خلالها تقديم مقترح عام لسعة تلك الشوارع في المدينة الاسلامية ، فمن المؤكد ان معدلات عرضها بشكل عام لم تكن تزيد على العشرين ذراعا[6] ،فحسبما يرد عن التخطيط العمرى[7] ، يلاحظ أن الطرقات التي يطلق عليها لفظ " شارع " كانت تقف عند العشرين ذراعا كحد أدنى في عرضها[8] ، حيث ان الطرقات التي يكون عرضها دون ذلك

---

(١) الزبيدى ،تاج العروس ،جـ٥/١٢٩.

(٢) الزبيدى ،م.س ،جـ١/٢٤٥.

(٣) الزبيدى ،م.س ،جـ٧/١٤٣.

(٤) الزبيدى ،م.س ،جـ١ / ٢٤٥.

(٥) الزبيدى ،م.س ،جـ٦/ ٣٧١ ،الا أن السكة تتميز بأن لها نهاية مدورة في كثير من الاحيان ،الزبيدى ،م.س ،جـ٧/١٤٣.

(٦) عن الذراع انظر ص : ١٠٦ هامش (١) والمقصود هنا الذراع الهاشمي وهو قسمان كبرى بلغ طولها ٥ر٦٦ سم ،والصغرى وطولها ٥٠ر٦١ سم ،طلال رفاعي البريد ،جـ١/٨٠.

(٧) نسبة الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذى وضع نظاما يتم بموجبه تخطيط مدن الفتح الاسلامي مثل الكوفة والبصرة . انظر: الكتاني ،التراتيب الادارية ،جـ١ / ٢٨٢.

(٨) الماوردى ، الاحكام السلطانية ،ص ١٧٩ -١٨٠ ، الكتاني ،ن.م.س.

يطلق عليها لفظ غير الشارع . فكانت هناك الأزقة التي كان عرضها يتراوح فيما بين السبعة [١] والتسعة أذرع [٢] وهو أقل شوارع الاحياء عرضا ، اما الدرب فقد كان عرضه في حدود الستة عشر ذراعا ،كما يشير الى ذلك اليعقوبي أثناء حديثه عن بعض دروب بغداد [٣] وهكذا يمكن الاستدلال على أن عرض الخط هو في حدود ما بين الستة عشر والعشرين ذراعا .

يتضح مما سبق بأن الفروق النوعية بين الأحياء بأنواعها المختلفة في القاهرة الكبرى ترتبط بالوظيفة التي يقوم بها كل منها ،فالنوع الأول كانت مهمته ان يكون وعاءا بشريا مخصوصا في وظيفته ،أى خاص بالاسكان ، بينما يكون الثاني ذو خدمات عمرانية تتصل بالمدينة وهو الشارع ،وبالامكان استخدام بعض عناصره العمرانية للانتقال من منطقة الى أخرى مما أدى الى عدم ارتباط الفروق بينهما بالنواحي الكميه ، فالحي من هذه الأحياء يمكن أن يحتوى على العدد الكبير من المنشآت وبالتالي من العناصر العمرانية ،مثل حارة العطوف [٤] التي كانت تحتوى على (.. الدور العظيمة والحمامات والاسواق والمساجد ما لا يدخل تحت حصر ..) [٥] . ومثل خط اصطبل الطارمه [٦] الذى يحتوى على العديد من المساكن والمساجد علاوة على سوق وحمام [٧] . ومن الممكن ايضا أن

---

(١) الماوردى ، م.س ، ص ١٨٠.

(٢) الكتاني ، التراتيب الادارية ،جـ١/ ٢٨٢.

(٣) نقلا عن صالح العلمي ،بغداد ،ص ١٥٨.

(٤) عن هذه الحارة انظر ص : ٣٣٧ هامش (٧).

(٥) المقريزى ،الخطط ،جـ٢/ ١٣ ،مؤلف مجهول ،تاريخ المصر القاهرة ورقة : ١٦.

(٦) ظهر هذا الخط على موضع اصطبل فاطمي حمل ذات الاسم عن ذلك انظر ص : ٣٦٢ .

(٧) المقريزى ،م.س ،جـ٢/ ٣٥ ،مؤلف مجهول ،م.س ،ورقة : ١٤.

يحتوى الحى على عدد قليل من المنشآت وبالتالي العناصر العمرانية ، كحارة برجوان (١) التي لم تكن تتكون في العصر الفاطمي سوى من دارين ورحبه (٢) . لذلك امكن أن تستوعب هذه الأحياء بضعها بعضا . فالحارات كانت تتداخل مع بعضها البعض ، كحارتي الدميرى والشاميين (٣) اللتان تعتبران من جملة العطوفية (٤) ،كذلك كانت الحارات تحوى على الخطوط ، كخط قصر بني عمار (٥) الذى يقع في حارة كتامة (٦)(٧) علاوة على أن المصادر تذكر العديد من الدروب والأزقة التي كانت في داخل الحارات (٨) . ولم يكن وجود الأحياء داخل بعضها البعض

----

(١) تنسب هذه الحارة الى الاستاذ ابي الفتوح برجوان احد الوزراء الفاطميين (٣٨٧ -٣٩٠ هـ/ ٩٩٧ -٩٩٩م) وليها للخليفة الحاكم بأمر الله ، انظر عنها : المقريزى ،الخطط جـ٢ /٣-٤ ،الخاصكي التحفة الفاخرة ،لوحة ٣-٤ .

(٢) المقريزى ،م٠س ،جـ١/٣٦٣ .

(٣) لم تذكر المصادر اصل تسميتهما ، انظر : المقريزى ،م٠س ،جـ٢/ ١٦ ،مؤلف مجهول ،تاريخ المصر القاهرة ،ورقة ١٨ .

(٤) ن٠م٠س .

(٥) هذا الخط ظهر على احد القصور الفاطمية في عصر صلاح الدين الأيوبي ، للمزيد انظر ص : ٣٥٢ .

(٦) كتامة هي طائفة من طوائف الجيش الفاطمي المغاربة اختطوا هذه الحارة فعرفت بهم ،المقريزى م٠س ،جـ٢/ ١٠ ،الخاصكي م٠س ،لوحة ١٢ .

(٧) ن٠م٠س.

(٨) انظر : المقريزى ،م٠س ، جـ٢/ ٣٨ -٤٠ ،الخاصكي ،م٠س ، لوحة ٤٧ - ٥٩ ،مؤلف مجهول ،م٠س ،ورقة : ٤٣-٥٢ .

قاصرا على ان يكون النوع الثاني منها- خط ، درب ،زقاق - في داخل الأول -حارة ،خطه - ،بل قد يحدث العكس أيضا ، فقد ذكر المقريزى خلال حديثه عن حارة فرج [١] بأنها تقعفي عصره في أحد الدروب ،حيث يقول (... وهي الآن داخلة في درب الطفل [٢] ..) [٣] ، مما يشير الى أن الأحياء بشكل عام تقعفي داخل بضعها البعض ،وهذا فيما يتعلق بأنواع الاحياء في القاهرة ،في تلك العصور. أما بالنسبة لما ظهر عليها من تطورات في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي . فلقد كانت هذه التطورات متعددة الجوانب من أهمها :

أ - <u>الخطط والأحياء الجديدة</u> : ظهر في عهد الناصر صلاح الدين العديد من الأحياء الجديدة في المدينة الكبرى . ومن أبرز المواضع التي ظهرت عليها هذه الأحياء ،المباني السكنية والمنشآت بأنواعها المختلفة ،والتي كان يوجد العديد منها وبأحجام كبيرة في تلك الأثناء ابرزها القصور والدور الفاطمية . فبعدما قضى الناصر صلاح الدين على الحكم الفاطمي (٥٦٩ هـ/١١٧٣م) واجه تركه ضخمة من الدور السكنية التي تعود ملكيتها للفاطميين وأتباعهم ،اذ قام باخلائها من ساكنيها وأغلق أبوابها حيث انه (ضرب الألواح على ما كان للخلفاء وأتباعهم من الدور

---

(١) عرفت هذه الحارة بالأمير جمال الدين فرج من أمراء بني أيوب. وكانت قبل ذلك تعرف بدرب النميرى ، المقريزى ، م٠س ، ج٢/١٤٠ الخاصكي ، التحفة الفاخرة ، لوحة : ١٦٠

(٢) لم أعثر فيما اطلعت عليه من مصادر على معلومات واضحة عن هذا الدرب.

(٣) ن٠م٠س٠

والرباع ..)[1] ، وقام بتمليكها لأقربائه ورجال دولته[2] بطـــرق وأساليب شتى على سبيل الهبات والاقطاعات أو عن طريق البيع.[3] بل ان الأمر تجاوز ذلك اذ أقدم بعض أتباع الناصر صلاح الدين بوضـــع أيديهم على العديد من الدور الخاصة بأتباع الفاطميين ،فكان كل مـــن استحسن منهم دارا ، بادر باخلاء ساكنيها منها ووضع يده عليها[4] .
وقد يظهر لأول وهلة ان هذه الاجراءات ليست سوى عملية استبدال العناصر السكانية بغيرها ،بينما الواقع لم يكن كذلك في جميع الحالات . فهنـــاك الكثير من الشواهد التي تشير الى أن عملية التغيير السكاني المذكورة كانت في حقيقتها عملية تغيير عمراني كبيرة ، طرأت على مواضع تلك الدور ،فتحولت الى أحياء سكنية كما سيتضح لاحقا . فمن المؤكد أن كثيرا من الـــدور المشار اليها آنفا كانت ذات مساحة كبيرة جدا ، فالقصر الشرقي الكبير[5] ، كان يشغل خمس مساحة القاهرة المعزية[6] ،وتدل التوقيعات التـــي أجريت لتحديد موقع القصر الغربي الصغير[7] على أنه يشغل مساحـــة كبيرة أيضا[8] . ولا بد وأن الأمر كان كذلك بالنسبة للدور والقصور

---

(١) المقريزى : الخطط ،جـ١/ ٤٩٦.
(٢) ن.م.س ، عبد الرحمن زكي ،القاهرة ،ص ٢٩ .
(٣) ابو شامة ،الروضتين ،جـ١/ق٢/ ٥٠٧ - ٥٠٨ ،البندارى : سنا البرق الشامي ، ص ٦٠ ، عبد الرحمن زكى ،ن.م.س.
(٤) ابو شامة ،م.س ،جـ١/ق١/ ٥٠٧ ،المقريزى ،ن.م.س.
(٥) عن هذا القصر انظر ص : ٣٢٣ هامش (٣).
(٦) عبد الرحمن زكي ، موسوعة مدينة القاهرة ، ص ٢١.
(٧) عن هذا القصر ،انظر ص : ٣٢٣ هامش (٤).
(٨) Ravaisse, Essai sur chistoire et sur la topographie du Caire, plan 2.

الاخرى التي كانت مخصصة للوزراء والامراء والقادة وغيرهم من كبار رجال الدولة ، فدار الوزير الفاطمي يعقوب بنى كلس (١) ، كانت كبيرة جدا ، كما ينعكس ذلك من أوصافها (٢) . فقد كان بها مسجدا ، ومجموعة من البيوت كانت "... تختص بمن يدخل داره من الغرباء .." (٣) ، وكان يجلس بها عدد من المشتغلين بأمور العلم ، فكان فيها قوم ينسخون القرآن ، وآخرون لتدوين الحديث والفقه والادب والطب (٤) ، وهؤلاء لا بد وأن يكون لهم في دار الوزير أماكن مخصصة لهم ولأنشطتهم ، وبالاضافة لكبر مساحة هذه الدور ، فلقد احتوت على العديد من العناصر المعمارية ، فمن الواضح انها كانت تتكون من أكثر من وحده من وحدات عمارة المنزل الاسلامي ، والتي كانت عبارة عن فناء مكشوف تحيط به

---

(١) هو أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن ابراهيم (٣٦٧-٣٧٣هـ/ ٩٧٧ - ٩٨٣م) أول وزراء الفاطميين في الديار المصرية كان يهوديا ثم اعتنق الاسلام على المذهب الاسماعيلي ، للمزيد أنظر : ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، جـ٧ / ٢١-٣٤ ، مؤلف مجهول ، تاريخ المصر القاهرة ورقة : ٥ - ٦.

(٢) هذه الدار عرفت بعد ذلك بدار الديباج وكانت تحتل مساحة كبيرة كما يذكر علي باشا مبارك ويدل على ذلك تحديد موقعها في العصر الحديث حيث كانت تحتل المنطقة الواقعة فيما بين أول درب سعادة من جهة جامع جقمق الى عطفة الصابونجية، ومن شارع المنجلة من أول هذه العطفة ، الى شارع الحطاب بطوله وجميع شارع اللبودية ، انظر علي باشا مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٣/ ١٩٩ ، وخريطة رقم (١١).

(٣) ابن خلكان ، م.س ، جـ٧/ ٢٩.

(٤) ن.م.س.

الأواوين [(١)] من جهاته الأربع في غالب الأحوال ، كما تشير بذلك التقارير المنشورة عن الحفائر التي أجريت في مدينة الفسطاط [(٢)] ، ولذلك فان هناك من يعتبر بأن القصور الاثنا عشر التي أشارت المصادر الى أن القصر الشرقي يتكون منها ، لم تكن سوى اثنا عشر وحده من الوحدات سابقة الذكر [(٣)] ،ويذكر المقريزى أن دار الوزارة الكبرى كان يوجد بها العديد من القاعات [(٤)] ،والراجح أن المراد بها تلك الوحدات سالفة الذكر . وكان يوجد بهذه الدور أيضا المناظر [(٥)] ، حيث احتوى القصر الشرقي الكبير على عدد منها [(٦)] ، اضافة الى

----

(١) الايوان لفظ فارسي الاصل يطلق على قاعة الاستقبال ،صالح لمعي مصطفى ،التراث المعمارى الاسلامي في مصر ،بيروت ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م،ص ٩٨.

(٢) حسن محمد الهوارى ،الرحلات العلمية (الفسطاط) ،القاهرة ١٩٢٧م. ص. ص ٩ ، ١٦ ، توفيق عبد الجواد ،تاريخ العمارة والفنون الاسلامية ،القاهرة ، ١٩٧٠م ،جـ٣ / ١٨٧.

(٣) فريد شافعي ،العمارة العربية الاسلامية ،ص ٦٤.

(٤) المقريزى ،الخطط جـ١/ ٤٣٩.

(٥) مفردها منظر ويدل اصلها اللغوى على المبنى المرتفع ،انظر الزبيدى ،تاج العروس ، جـ٣/ ٥٧٥ ،ويذكر صالح لمعي بأن المنظر عبارة عن قاعة استقبال تقع بالطابق الأرضي من المنزل ، صالح لمعي مصطفى ، التراث المعمارى الاسلامي في مصر ،ص ٩٨. ويبدو أن ذلك حالها في العصر المماليكي ،في حين انها في العصر الفاطمي تدل على البناء المرتفع كما يشير بذلك اوصاف مناظر الفاطميين ،انظر المقريزى ، م. س ،جـ١/ ٤٦٥ -٤٨٦ ، البكرى ، قطف الأزهار ،لوحة ١٠٤-١٠٧.

(٦) على باشا مبارك ،الخطط التوفيقية ،جـ٢/ ٩٨.

البساتين ، التي احتواها القصر المذكور كما يشير بذلك ناصر خسرو [١] ، وكذلك كان الحال في دارالوزارة الكبرى [٢] . وبالاضافة الى كل ذلك ، فأنها قد احتوت على عدد من المخازن ،كما هوالحال في القصر والدار المذكورتين [٣] . ومن الواضح أن كبر احجام هذه المنشآت ،وتعدد عناصرها المعمارية هي التي أدت الى أن يقوم الناصر صلاح الدين بتقسيمها بين أتباعه ورجال دولته ، الأمر الذى ترتب عنه أن تتحول الى خطط وأحياء سكنية كما سيتضح لاحقا .

لم يكن تحول المنشآت والمباني الى أحياء سكنية قاصرا على الدور والقصور ،وانما تجاوز ذلك الى منشآت الخدمات والمرافق ،التي بدأ غالبيتها يفقد وظيفته في تلك الأثناء . فدور الضيافة الفاطمية أضحت دار واحدة كما يشير بذلك ابن الطوير [٤] ،كذلك الحال بالنسبة لدار الديباج التي كانت مخصصة لصناعة الحرير الديباج [٥] ،فمن الواضح أن هذه الدار فقدت وظيفتها في عهد الناصر صلاح الدين ، حيث لجأت دولته الى توفير احتياجاتها من المنسوجات وغير ذلك من السوق [٦].

---

(١) ناصر خسرو ،سفر نامه ، ص ٩١ .

(٢) المقريزى ، م.س ،جـ١/ ٤٣٩ .

(٣) ن.م.س ، على باشا مبارك ، م.س ، جـ٢ / ١٠٠-١٠٢ .

(٤) المقريزى ، م.س ،جـ١/ ٤٦١ .

(٥) هذه الدار كانت دارا للوزير الفاطمي يعقوب بن كلس ،وبقيت من بعده سكنا للوزراء الفاطميين حتى عهد الوزير الفاطمي أمير الجيوش بدر الجمالي ،الذى بنى دارا أخرى للوزارة في حارة برجوان ،فجعلت هذه الدار مصنعا لصناعة الحرير والديباج ، المقريزى ،م.س ،جـ١ / ٤٦٤ .

(٦) ص : ٢٦٣ - ٢٦٤ .

ومن المنشآت الفاطمية التي فقدت وظيفتها أيضا ، دار العلم [(١)] التي حل محلها بطبيعة الحال المدارس التي أسست في تلك الأثناء [(٢)] ، والمارستان الفاطمي [(٣)] الذى أسس بدلا منه مارستانا جديدا بني على اجزاء من القصر الشرقي الكبير [(٤)] ، ودار الضرب [(٥)] التي حل محلها دار جديدة أسست على أجزاء من القصر الشرقي أيضا [(٦)] . وكذلك كان الحال بالنسبة لمنشآت النزهة العديدة التي كانت للخلفاء الفاطميين ، التي فقدت وظيفتها نتيجة لعدم استخدام صلاح الدين لها في تلك الأثناء [(٧)] .

---

(١) سبق الحديث عنها ، ص ٣٢٥ هامش (٨) ، ويدل على موقعها في العصر الحديث المباني الواقعة خلف وكالة رخنا من الناحية الشرقية وما بجوارها من دور وحوانيت تقع ضمن خان الخليلي ، أو أزيلت بتأسيس شارع السكة الجديدة (جوهر) على باشا مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٢/ ٨٧ .

(٢) عن هذه المدارس انظر ص ٤٧٥ - ٤٨٠ .

(٣) لا تقدم المصادر معلومات عن تاريخ نشأة هذا المارستان وكان يقع جنوبي القصر الكبير أيضا الى الجنوب من خزانة الدرق ، على يسار الداخل في سوق الخراطين (شارع الصنادقة حاليا) المقريزى ، م.س ، جـ١/ ٤٤٥ ، على باشا مبارك ، م.س ، جـ٢/ ٢٤٤ .

(٤) ص : ٤٩٩ - ٥٠٠ .

(٥) أسست هذه الدار عام (٥١٦هـ / ١١٢٢م) بأمر من الوزير الفاطمي المأمون بن البطائح (٥١٥-٥١٩هـ/ ١١٢١-١١٢٥م) وهي تقع قبالة المارستان الى الجنوب منه على يمين الداخل من الخراطين (الصنادقية) ، المقريزى ، ن.م.س ، على باشا مبارك ، ن.م.س .

(٦) ص : ٥٠٠ - ٥٠١ .

(٧) ص : ١٦١ - ١٦٢ .

وبالاضافة الى كل ذلك ، فلقد فقدت خزائن الفاطميين [١] وظيفتها أيضا ، بعد أن عمل الناصر صلاح الدين على تفريغ محتوياتها عن طريق الهبة ،والبيع ، الذى استمر عشر سنين [٢] . وعلى نفس الوتيرة سار الأمر بالنسبة للاصطبلات الفاطمية [٣] ، التي أنشوء بدلا منها اصطبلات أخرى في مواضع مخازن الغلال كما يذكر ابن الطوير [٤] ، علاوة على تلك التي انشئت على ميدان القصر الغربي [٥] .

لقد ترتب عن هذه التحولات ،أن جرى استغلال هذه المنشآت بطريقة أخرى حيث جرى استغلال أجزاء من بعضها لتقوم عليها منشآت الخدمات اضافة الى احياء جديدة ، فأنشيء على بعضها المدارس . فالمدرسة السيوفية [٦] مثلا أقيمت على أجزاء من الدار المأمونية [٧] .

---

(١) عن هذه الخزائن أنظر ص : ٢٥٠ هامش (٥) ، ويشير المقريزى الى أن غالبيتها كانت تقع جنوبي القصر الشرقي فيما بينه وبين حارة الباطنية ،وحارة الروم ،وحارة الديلم والاتراك ، المقريزى ،الخطط ،جـ١/٣٦٣ .

(٢) ص : ٢٧١ .

(٣) كان للفاطميين عدد من الاصطبلات الرئيسة أهمها : اصطبل الجميزة ،والطارمة ،واصطبل العبيدات الحجرية ، المقريزى ،م.س جـ١/٤٤٤ ، ٤٦١ ، ٤٦٤ .

(٤) المقريزى ، م.س ،جـ١/٤٦٤ - ٤٦٥ .

(٥) ص : ٣٨٠ .

(٦) عن هذه المدرسة انظر ص : ٤٧٧- ٤٧٨ .

(٧) المقريزى ، م.س ،جـ٢ / ٣٦٥ ،مؤلف مجهول ، تاريخ المصر القاهرة ،ورقة : ٤٤٥ . على باشا مبارك ،الخطط التوفيقية جـ٢/١٠٩ وهذه الدار تنسب للوزير المأمون ابن البطائحي

===

أما المدرسة السيفية (١) والمدرسة القطبية (٢) ،فقد اقيمتا على مواضع من دار الديباج (٣) ،كذلك فلقد استغلت أجزاء من القصر الشرقي الكبير ليقام عليها المارستان ودار الضرب الجديدين كما سبق أن ذكرنا . هذا علاوة على استغلال هذه المنشآت كمواضع للسكنى ،وذلك لقيام الناصر صلاح الدين بتقسيمها بين أقربائه ورجال دولته ، حيث قسمت القصور والدور السكنية بينهم (٤) ، فالقصر الشرقي الكبير ،قسم الى أجزاء عديدة بين أمراء الدولة الصلاحية (٥) ،كما يشير العماد الاصفهاني الى ذلك يقول (.. وتقاسم الخواص بدور القصر وقصوره ..) (٦) ،وكذلك كان الأمر بالنسبة للقصر الغربي الذى نزله بعض الأمراء الأتراك (٧) ، هذا علاوة على منشآت النزهة تعرض غالبها للتقسيم أيضا ، فمنظرة اللؤلؤ (٨) ، سكنها

=== لانه سكنها وكانت قديما تعرف بقوام الدولة حبوب ،المقريزى م.س ،جـ١ / ٤٦٢ ،ويدل عليها الآن موقع المدرسة التي بنيت عليها ،انظر ص : ٤٨٧ هامش (٣) .

(١) عن هذه المدرسة انظر ص : ٤٨٠.

(٢) عن هذه المدرسة انظر ص : ٤٨٠ .

(٣) المقريزى ،م.س ،جـ٢/ ٣٦٥ ، مؤلف مجهول ، م.س ، ورقة ٤٤٥.

(٤) المقريزى ، م.س ،جـ١/ ٤٩٦.

(٥) المقريزى ، م . س ،جـ١ / ٣٨٤ ، ،الخاصكي ،التحفة الفاخرة ،لوحة ٢٤.

(٦) ابو شامة ،الروضتين ،جـ١/ ق٢/ ٥٠٨.

(٧) المقريزى ،م.س ،جـ٢ / ٢٣٣.

(٨) منظره اللؤلؤ أحد قصور النزهة الفاطمية ،كان كبيرا جدا ،وعلى مدى رفيع من الفخامة كما تشير بذلك أوصافه ،أمر ببنائه العزيز بالله العبيدى ،(٣٦٥ - ٣٨٦هـ/ ٩٧٦ - ٩٩٦م) ، انظر : المقريزى ، م.س ،جـ١/ ٤٦٧ - ٤٦٩ ،البكرى ، قطف الأزهار ،

===

والد صلاح الدين نجم الدين الأيوبي (١) ، وأخوه الملك العادل (٢) ونفس الأمر حدث لدار الملك (٣) ،التي قسمت الى أجزاء عـــدة ، فالقاضي ضياء الدين الشهرزوري (٤) كان له بالفسـطاط منزلا اصلـه

=== لوحة : ١٠٤-١٠٥ ،يذكر عبد الرحمن زكي بأنها كانـت تحتل مساحة تبلغ مائة متر في شيلتها ،في المنطقة الممتـدة بموازاة شارعي الشعراني البراني ،والخرنفش ، بيد أن من الواضح أن هذا التقدير مبالغ فيه ،اذ لا تقدم المصادر بما يفيد بذلك ،علاوة على أن عبد الرحمن زكي لا يقدم أيضا ما يثبـت هذا التقدير . انظر عبد الرحمن زكي ،موسوعة مدينة القاهـرة ص : ٣٧١ .

(١) عنه أنظر ص : ٢٤ هامش (١) .

(٢) ابو شامة : الروضتين ، جـ١/ق٢ / ٥٠٧ وعن الملك العادل أنظر ص : ٢٣٣ هامش (٧) .

(٣) كان هذا القصر بالفسطاط ويقع ناحية ساحلها بناها الوزيـر الفاطمي الأفضل بن أمير الجيوش (٤٨٧ - ٥١٥هـ/ ١٠٩٤- ١١٢١م) بدء بانشائها عام (٥٠١ هـ/ ١١٠٧م) واتخذها مقرا له ونقل اليها الدواوين ،فلما قتل اتخذها بنو عبيد متنزهـا لهم . المقريزي ،م.س ،جـ١/ ٤٨٧ - ٤٨٤ . البكري ، قطـف الأزهار ،لوحة ١٠٦ وموضعها اليوم مجموعـة المباني المجاورة لجامع عابدي بك الشهير بمسجد الشيخ درويش في آخر شارع مصر القديمة من الجهة الجنوبية المطلة على النيل ، عبد الرحمن زكي موسوعة مدينة القاهرة ص ١٠٩ .

(٤) هو ابو الفضائل ضياء الدين القاسم بن القاضي تاج الدين أبي ظاهر/سمع عن الحافظ الساقي بالاسكندرية ، هاجر الى مصر في أوائـل عهد الناصر صلاح الدين ،وولي قضاء دمشق مدة يسيرة وتقلب في المناصب خصوصا بعد وفاة صلاح الدين ،توفي في جمادى سنة ٥٩٩هـ/ ١٢٠٢ م) ودفن بدمشق . عنه انظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ،جـ٤/ ٢٤٤ - ٢٤٥ ، البنداري ، سنا البرق،ص ١٠٨ .

(... قطعه من دار الذهب بدار الملك ..) [(١)] ، كان صلاح الدين قد وهبه اياها [(٢)] . ويبدو ان ابن اخي صلاح الدين تقي الدين عمر [(٣)] ، لم يقطن منازل العز [(٤)] بمفرده . كما تشير بذلك المصادر [(٥)] ، اذ لا بد وأن يكون قد شاركه فيها عدد من الافراد ، من امراء ، ورجال دولة وغيرهم كما حدث لبقية القصور كما سبق وان أشرنا ، وعلى نفس الوتيرة سار الأمر بالنسبة لمنشآت الخدمات والمرافق ، فدار العلم أضحت منطقة سكنية [(٦)] وكذلك الحال بالنسبة لدار الديباج التي بنى بها الناس عددا من الدور [(٧)] وكذلك كان الآمر بالنسبة للمخازن

---

(١) البنداري ، سنا البرق ، ص ١١٧ .

(٢) البنداري ، م.س ، ص ١٠٨ .

(٣) عنه انظر ص : ٢٤٧ هامش (٢) .

(٤) يقع هذا القصر على ساحل النيل بالفسطاط ، بنته السيدة تغريد أم العزيز بالله العبيدى (٣٦٥هـ - ٣٨٦هـ / ٩٧٦-٩٩٦م) ، المقريزى ، الخطط ، جـ١/ ٤٨٤ - ٤٨٥ . ويدل على موضعها في الوقت الحاضر ، مجموعة المباني التي فيما بين شارع مصر العتيقة غربا ، ومدخل شارع المرحومى ، وحارة الشراقوه ، وعطفة زاهر جنوبا . وجنينة الجعجي ، وعطفة الاصرلي جنوبا ، وشارع القبو شمالا . عبد الرحمن زكي ، موسوعة مدينة القاهرة ، ص٣٧٠ .

(٥) ابن دقماق الانتصار ق١/ ٩٣ . المقريزى ، م.س ، جـ٢/ ٣٦٤ . مؤلف مجهول ، تاريخ المصر القاهرة ، ورقة ٤٤ .

(٦) الخاصكي ، التحفة الفاخرة لوحة : ٥١ ، مؤلف مجهول ، تاريخ المصر القاهرة ، ورقة ٤٧ .

(٧) المقريزى ، م.س ، جـ١/ ٤٦٤ .

فخزائن دار آفتكين (١) ، أضحى عليها دور وزير صلاح الدين القاضي الفاضل (٢) ، هذا علاوة على تقسيم الاصطبلات الفاطمية ،كما يشير الى ذلك ابن عبد الظاهر أثناء حديثه عن اصطبل الطارمة (٣) حيث يقول بأنه (... كان اصطبلا للخليفة فلما زالت تلك الأيام اختط وبني آدرا .) (٤) وكذلك كان الأمر بالنسبة لاصطبل الجميزة (٥) ،الذى اختط وتحول

---

(١) عن هذه الخزائن انظر ص : ٢٠٨ هامش (٣) ويدل على موقعها مدرسة القاضي الفاضل بدرب القزازين ،انظر ص : ٣٨١هـ(٣)

(٢) المقريزى ،م.س ، جـ١ / ٤٦٤ ،وعن القاضي الفاضل انظر ص :٢١-٢٢

(٣) ينقل المقريزى عن ابن سيدة بأن الطارمة لفظ يطلق على البيت من الخشب وهو دخيل . ويقع هذا الاصطبل الى الجنوب الشرقي من القصر الكبير تجاه باب الديلم شرقي الجامع الأزهر فيما بين رحبتي قصر الشوك والجامع الأزهر . المقريزى ،م.س ،جـ١/٤٤٤ ، جـ٢/٤٧ . السخاوى ، تحفة الاحباب ،ص : ٩٠ ،ويذكر محمد رمزى بأنه يدل على موقع هذا الاصطبل في وقته،المنطقة التى تحد من الشمال بشارع فريد وامتداده الى الشرق ومن الغرب بالميدان القبلى لجامع الحسين ومن الجنوب بشارع الشنوانى ومن الشرق بشارع الكفر . محمد رمزى ،التعليقات في النجوم جـ٤ / ٤٩ هامش (٤) .

(٤) المقريزى ،م.س جـ١/٤٤٥.

(٥) سمى بالجميزة لأنه كان في وسطه شجرة جميزة كبيرة وكان يقع الى الجنوب الغربي من القصر الصغير ،كما تدل على ذلك التوقيعات حيث انه كان يشغل المنطقة الممتدة الآن من عطفة المارستان الى آخر شارع سوق السمك القديم ، شاملا شارع البندقانيني ، على باشا مبارك ، الخطط التوفيقية ،جـ٣ / ١٣٩-١٤٠ ، ١٥٠ / ١٥٩-١٦١.

الى منطقة سكنية منذ تلك الفترة .[(١)]

ان هذه التغيرات التي تعرضت لها المنشآت الفاطمية قد تطلبت احداث تعديلات عليها تتلاءم مع أوضاعها الجديدة ،ارتبطت بأعمال هدم وتغير لأوضاع المنشآت وما شابه ذلك .[(٢)] فالأمراء الذين توزعوا القصر الشرقي ، شرعوا في احداث التعديلات التي رأوها ضرورية و تنسجم مع أساليب سكناهم . وينعى العماد الاصفهاني ذلك عليهم بقوله (... وشرع كل من سكن في تخريب معموره ...)[(٣)] ،فأخذت معالمه بالاختفاء منذ ذلك التاريخ[(٤)] . بل ان هذه التعديلات تعني تحويل هذه المنشآت الى أحياء سكنية ،فعندما سكن الأمير شمس الدولة توران شاه[(٥)] في حارة الأمراء[(٦)] فانه عمر بها دربا[(٧)] على احدى هذه الدور الكبيرة ،عرف باسم منشئه[(٨)] . ولا يعدو أن يكون الأمر كذلك بالنسبة لغالبية المنشآت التي بدأت بالتحول الى حارات ودروب وأزقة[(٩)] ، أشارت

---

(١) الخاصكي ، التحفة الفاخرة ،لوحة ٣٩ . مؤلف مجهول ،تاريخ المصر القاهرة ،ورقة ٣٦ .

(٢) المقريزى ،الخطط ،جا/ ٣٦٤ .

(٣) أبو شامة ،الروضتين ،جا/ق٢/ ٥٠٨ .

(٤) احمد فكرى ، مساجد القاهرة ومدارسها جـ٢/ ١٥ .

(٥) عنه انظر ص : ١٨١ هامش (١)

(٦) هذه الحارة سميت بحارة الامراء الاشراف الأقارب ،من الواضح أنها كانت خاصة بأقارب الفاطميين ، وكبار رجال الدولة . مؤلف مجهول ، تاريخ المصر القاهرة ،ورقة ١٨ .

(٧) القلقشندى ، صبح الأعشى ،جـ٣/ ٣٥٢ - ٣٥٣ .

(٨) ص : ٣٥٥ .

(٩) المقريزى ،الخطط ،جا/ ٣٦٤ .

المصادر الى بعضها . فظهرت في موضع القصر الشرقي الكبير عدة أحياء سكنية ،ورد ذكر أسمائها في وثيقة تنازل بقايا الاسرة الفاطمية عن املاكهم في القاهرة للسلطان الملك الظاهر بيبرس (١) عام (٦٦٠هـ/١٦٤ ١م) (٢) حيث وردت الاشارة الى خط خزائن السلاح على اعتبار أنها منطقة سكنية فقد جاء في الوثيقة ما نصه : (.. وجميع الموضع المعروف بخزائن السلاح السلطانية (٣) وما هو بخطه ..) (٤) ،كذلك وردت الاشارة الى خط المشهد الحسيني (٥) نسبة الى المشهد الذى يقع داخل القصر الكبير (٦) ، وكما سبق الاشارة بأن شمس الدولة عمر دربا وكان على احدى الدور، وهي دار عباس (٧) . فالمقريزى عندما يتحدث عن حمام الكويك (٨) يذكر بأنها

---

(١) عنه انظر ص : ٨٩ هامش (٤) .

(٢) نشر المقريزى هذه الوثيقة في موضعين من كتابه الخطط ، ب فيها بعض الاختلافات . المقريزى،الخطط ،جـ١ /٣٨٤-٣٨٥ ، ٤٩٧ .

(٣) عن هذه الخزائن انظر ص : ٥٠١ .

(٤) المقريزى ، م.س ، جـ١/٣٨٤ ، ويصعب تحديد موضع هذا الحي في الوقت الحاضر على وجه الدقة وان كان من الواضح أنه يحتل الجزء الواقع في منتصف القصر الشرقي تقريبا حيث كانت تقع هذه الخزائن . انظر ص ٥٠١ . وانظر : خريطة رقم (١٠) .

(٥) المقريزى ،م.س ،جـ١/٣٨٥ .

(٦) القلقشندى ،صبح الأعشى ،جـ٣/٣٤٧ .

(٧) عرفت هذه الدار بالوزير الفاطمي عباس بن يحيى بن باديس (٥٤٨ - ٥٤٩ هـ/١١٥٣-١١٥٤م) ، المقريزى ، الخطط جـ٢/ ٥٥ - ٥٦ ، القلقشندى ،م.س ،جـ٣/٣٥٢ .

(٨) نسبت هذه الحمام الى تاجر في العصر المماليكي يعرف بنور الدين على بن محمد الكويك كان قد جددها في عام (٧٤٩هـ/١٣٢٨م) . مؤلف مجهول ، تاريخ المصر القاهرة ،ورقة : ١٠٠ .

انشئت لخدمة هذه الدار (.. التي موضعها الآن درب شمس الدولة ..)[١]، ويبدو أن خط قصر ابن عمر[٢] ، كانت موضعه في العصر الفاطمي قصرا للوزير الحسن بن عمار[٣][٤] ، جرى تحويله الى حي سكني في عهد الناصر صلاح الدين الايوبي كما حدث لغيره من القصور . لذلك فمن المؤكد ان هناك الكثير من القصور والدور الكبيرة التي لم تتحول الى أحياء سكنية الا في تلك الفترة أيضا . ومثلما تحولت القصور والدور السكنية الى

---

(١) المقريزى، الخطط ،جـ٢/ ٨٤ ،ويدل على موضع هذا الدرب في الوقت الحاضر حارة درب شمس الدولة ،على باشا مبارك ، الخطط التوفيقية جـ٣ / ١٥٦ ،وانظر خريطة رقم (١٠) .

(٢) من خلال تحديد على باشا لموقع درب القماحين وهو الاسم الذى اطلق على الخط المذكور في العصر المماليكي يتضح أن هذا الخط يقع في شمالي حارة كتامة في المنطقة الواقعة الآن فيما بين حارة الدويدارى وبين شارع الدراسة ،على باشا مبارك ، الخطط التوفيقية ،جـ٢/ ٢٦٢ .

(٣) عندما يتحدث علي باشا عن هذا القصر وموقعه يعتبره جزءا من الخط نسب اليه دون ان يقدم مستندا يثبت ذلك ،على باشا مبارك ،ن.م.س ،والأصح ان الخط بأكمله كانت الدار في موضعه فالمصادر التي تحدثت عن هذا الخط لا تذكر بأن القصر كان من جملته وانما تتحدث مباشرة عن الوزير الذى نسب اليه وهو الحسن بن عمار . المقريزى ،م.س ،جـ٢/ ٣٦-٣٧ ، مؤلف مجهول ، تاريخ المصر القاهرة ،ورقة ٤٢-٤٣ .

(٤) هو ابو محمد الحسن بن عمار بن علي (٣٨٦ - ٣٨٧هـ / ٩٩٦-٩٨٧م) ،احد أمراء صقليه ومن شيوخ كتامة ولي الوزارة للحاكم العبيدى (٣٨٦- ٤١١ هـ / ٩٩٦-١٠٢٠م) وقرب المغاربة الأمر الذى أدى الى قتله على يد الاتراك . عنه انظر : ابن خلكان ،وفيات الأعيان ،جـ٥/ ٣٧٤ ،المقريزى ،ن.م.س ، على باشا مبارك ، م.س ،جـ٢ / ٢٦٢-٢٦٣ .

احياء وخطط ، فان منشآت للنزهة بدأت تشهد مثل هذه التغييرات العمرانية أيضا ، فدار الملك التي قسمت بين بعض الافراد في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي [(١)] ،تحولت الى حى سكنى عرف بخط دار الملك [(٢)] ،اشار اليه ابن دقماق اثناء حديثه عن مطابخ السكر السلطانية التي تقع في الفسطاط [(٣)] . كما ان بعض بساتين النزهة الفاطمية تحولت الى مناطق سكنية في تلك الفترة ايضا ،فبستان الدكة [(٤)] ، الذى لا شك بأنه قد فقد وظيفته في تلك الأثناء كغيره من منشآت النزهة [(٥)] ، تحول الى خطه كبيرة تحمل اسم البستان [(٦)] تشغلها (.. أدروحارات شهرتها تغني عن وصفها ..) [(٧)] ،ومن الواضح ان هذا التغير حدث في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي ،حيث ازدهر العمران في المقس [(٨)] الذى يقع فيه هذا البستان [(٩)] ، و مثلما تعرضت القصور والدور السكنية والمتنزهات للتطور العمراني ، وأخذت بالتحول الى احياء سكنية ، فان منشآت الخدمات والمرافق تعرضت لهذا التطور أيضا ، فدار الديباج ،

---

(١) ص : ٣٥٠ - ٣٥١.

(٢) ويدل على موضع هذا الحي موضع الدار الذى سبق الاشارة اليه. أنظر ص ٣٥٠ هامش (٣) .

(٣) ابن دقماق ،الانتصار ،ق١/ ٤١.

(٤) عنه أنظر ص : ٣٢٩ هامش (١).

(٥) ص : ٣٤٧.

(٦) المقريزى ، الخطط ، جـ١/ ٤٧٩ - ٤٨٠ ، البكرى ،قطف الأزهار لوحة ١٠٥.

(٧) المقريزى ،م.س ، جـ١/ ٤٨٠ ،يدل على موضعها في العصر الحديث شارع قنطرة الدكة ،على باشا مبارك ،الخطط التوفيقية جـ٣ / ٣٦١ ،وانظر خريطة رقم (٩) .

(٨) ص : ٣٨٦.

(٩) المقريزى ،م.س ،جـ١/ ٤٨٠.

بدىء في تحويلها الى منطقة سكنية في تلك الاثناء [١] ، الامر الذى تترتب عنه أن ظهر في موضعها احياء سكنية مثل درب ابن قطز [٢] ودرب الحريرى [٣] وكذلك كان الامر معدار العلم ، ودار الضرب ، والمارستان الفاطمية ، حيث تحولت الى مناطق سكنية في تلك الاثناء [٤]. مما نتج عنه ان ظهر في مواضعها أحياء سكنية . فظهر في موضع دار العلم ، درب ابن عبد الظاهر [٥] ، في حين أن موضع المارستان

---

(١) ص : ٣٥١ .

(٢) نسب هذا الدرب الى أحد أمراء المماليك وهو ناصر الدين ابن بلقاف سيف الدين قطز المنصورى توفى بعد عام (٦٩٨هـ/١٢٩٨م) . المقريزى ، م.س ، جـ٢/٤٢-٤٣ ، ويبدو آن هذا الدرب يدل عليه في الوقت الحاضر عطفه الست بيروم حيث انها هي وعطفه الصاوى (درب الحريرى سابقا) كما يشير بذلك تحديد على باشا لموقع هذه الدار في عصره ، على باشا مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٣/١٦٦ ، ١٩٥ ، خريطة رقم (١٠) .

(٣) الخاصكي ، التحفة الفاخرة ، لوحة ٥٤ ، موءلف مجهول ، تاريخ المصر القاهرة ، ورقة ٤٩ وينسب هذا الدرب الى القاضي نجم الدين محمد بن القاضي فتح الدين عمر المعروف بابن الحريرى فلقد كان يقطن فيه . المقريزى ، م.س ، جـ٢/٤٢ ، الخاصكي ، ن.م.س ، موءلف مجهول ، ن.م.س ، ويدل على موضعه في الوقت الحاضر عطفه الصاوى المعروفة أيضا بعطفه القرن بشارع درب سعاده ، على باشا مبارك ، م.س ، جـ٣/١٩٥ . وانظر خريطة رقم (١٠) .

(٤) ص : ٣٥١ .

(٥) المقريزى ، م.س ، جـ٢/٤٠ ، الخاصكي ، م.س ، لوحة ٥١ ، وينسب الى القاضي محي الدين بن عبد الظاهر الذى سكن فيه . المقريزى ، م . س ، موءلف مجهول ، م.س ، ورقم : ٤٧ ويدل على موضع هذا

===

عرف بدرب خرابه صالح (١) ،بينما ظهر في محل دار الضرب درب الشمس (٢) . ومن الواضح أن دور الضيافة التي فقدت وظيفتها في تلك الاثناء (٣) ،قد أخذت بالتحول الى أحياء سكنية أيضا ، فمن المؤكد أن خط سويقة أمير الجيوش (٤) قد ظهر على أجزاء من دار الضيافة التي كانت تعرف أيضا بدار المظفر (٥) ، فهذه الدار التي تقع

=== الدرب الان الزقاق الواقع خلف عطفة المدق على يسار السالك الى الجامع الحسيني من الصنادقية ،أو ما هو قريب منه . على باشا مبارك ،م.س ،ج٢ / ٨٧ . وانظر خريطة رقم (١٠).

(١) المقريزى ، ن.م.س ، الخاصكي ، ن.م.س ، مؤلف مجهول م.س ،ورقة ٤١ ولا تذكر المصادر سبب تسميته . ويدل عليه في الوقت الحاضر عطفة المدق بشارع الصنادقية ،على باشا مبارك ، م.س ، ج٢ / ٢٤٥ . وانظر خريطة رقم (١٠).

(٢) المقريزى ،م.س ، ج١/ ٤٤٥ ، ج٢/ ٣٨ ،ويذكر على باشا بأنه يدل على موضع هذا الدرب في عصره زقاق بشارع الغورية يقع بجوار خان الهجينى ، على باشا مبارك ، م.س. ، ج٢/ ١١٦ - ، وانظر أيضا :

A. Raymond , E Wiet , Les Marcees, Plan 3.

وانظر خريطة رقم (١٠).

(٣) ص : ٣٤٦.

(٤) ويدل على موقع هذا الخط في الوقت الحاضر شارع مرجيوشي ، على باشا مبارك ، م.س ، ج٣/ ١٢٦ - ١٢٨. وانظر خريطة رقم (١٠) ،وسيتضح فيما يلي اصل تسمية هذا الحي .

(٥) هذه الدار بناها امير الجيوش بدر الجمالي لتكون دارا للوزارة فلما بنى ابنه الافضل دار القباب سكن بها اخوه المظفر أبومحمد جعفر وصارت من بعده للضيافة . المقريزى ،م.س ، ١/ ٤٣٨ ، ٤٦١ ج٢ / ٥٢ . مؤلف مجهول ،تاريخ المصر القاهرة ،ورقة ٦٢.

===

في حارة برجوان (١) كانت تمتد في العصر الفاطمي الى اصطبل الصبيان الحجرية (٢) كما يشير الى ذلك المقريزى ابان حديثه عن موضع هذا

=== ويذكر علي باشا مبارك أثناء تحديده لموقع هذه الدار بأن المنطقة الواقعة أمام جامع السلحدار والممتدة يمينا وشمالا الى داخل الحارة وصولا الى الجامع الذى في داخلها (مدرسة أبو بكر مزهر) ، علي باشا مبارك ،م.س ، جـ٣ / ١٣٢ ، بيد انه يلاحظ أن علي باشا قد خلط أثناء حديثه عن هذه الدار فيما بينها وبين دار برجوان ، علي باشا مبارك ،م.س ،جـ٣ / ١٣٢ وهو بذلك يناقض المقريزى الذى يذكر بأن أمير الجيوش بنى دارا في هذه الحارة ، كانت هي ودار برجوان جزءا من الحارة اللتان تقعان فيها . المقريزى ، م.س ، جـ١/ ٣٦٣ ، ٤٦١ . لذلك فمن المرجح أن تكون هذه الدار كانت تحتل المنطقة الواقعة على يمين الداخل الى الحارة كما يدل على ذلك موقع زاوية جعفر (المظفر) التي تدل على قبر جعفر المشار اليه آنفا والذى يعد جزءا من الدار . علي باشا المبارك ،، م.س ،وانظر أيضا فتحي الحديدى ،القاهرة ، ص ص ٢٠ ، ١١٢ الخريطة ، كما أن هذه الدار كانت تمتد الى اصطبل الصبيان الحجرية كما سيتضح فيما يلي . انظر خريطة رقم (١١) .

(١) موءلف مجهول ، ن.م.س.

(٢) الصبيان الحجرية هي طائفة من الجيش الفاطمي كانوا يختارون من أولاد الاجناد ،ويتم تدريبهم وفق نظام تربوى خاص ،ويعيشون في ثكنات خاصة بهم تعرف بالحجر. العبادى ،قيام دولة المماليك الأولى : ٧٠ - ٧١ . وكان هذا الاصطبل مخصصا لخيولهم ، المقريزى ،م.س ،جـ١/ ٤٦١ ويدل على موضع هذا الاصطبل الخط الذى ظهر عليه انظر ص : ٣٦٢ هامش(٦) .

الاصطبل في العصر الفاطمي حيث يقول : (.. وبجوار دار الضيافة اصطبل الصبيان الحجرية ..) (١) ، في حين انه يلاحظ أنه بعد العصر الفاطمي اصبح خط سويقة أمير الجيوش يفصل فيما بين الحارة والاصطبل المذكورين ، حيث تشير المصادر أثناء وصفها لوضع هذا الخط في العصر المماليكي الى أنه يقع فيما بينهما ، اذ تذكر بأن هذا الخط يقع فيما بين خط خان الوراقة (٢) ، وحارة برجوان (٣) مما يشير بدون شك الى أن هذا الخط قد اقتطع من هذه الدار (٤) ، خاصة اذا ما علمنا بأنه يقع فيه مدرستان أيوبيتان (٥) ، حيث جرت العادة في تلك الأثناء على أن تنشأ المدارس على مثل هذه المنشآت كما سبق أن شاهدنا (٦) . ولقد كان ظهور هذا الخط في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي ، يدل على

---

(١) المقريزى ، ن.م.س ، انظر أيضا فيما يذكره المقريزى من ان حارة برجوان كانت تجاور الاصطبل المذكور وذلك أثناء وصفه للقاهرة في العصر الفاطمي ، المقريزى ، م.س ، جـ١/٣٦٢ .

(٢) وخط خان الوراقة هو الاسم الذى اطلق على موضع الاصطبل المذكور بعد ان اختط وتحول الى منطقة سكنية ، انظر ص : ٣٦٢ .

(٣) المقريزى ، م.س ، جـ٢/٣٦ ، مؤلف مجهول ، تاريخ المصر القاهرة ورقة : ٤٢ ، وانظر خريطة رقم (١٠) .

(٤) انظر خريطة رقم (٣٤) .

(٥) وهاتان المدرستان اللتان تقعان في رأس السويقة من جهة شارع القصبة هما المدرسة البازكوجية ، التي بنيت في عام (٥٩٢هـ/١١٩٥م) ، والمدرسة القطبية التي لا يباعد تاريخ تأسيسها تاريخ الأولى على ما يبدو ، على باشا مبارك ، الخطط التوفيقية جـ٣/١٢٩ .

(٦) ص : ٣٤٨-٣٤٩ .

ذلك المدرستان الايوبيتان اللتان بنيتا فيه كما سبق أن ذكرنا ،هذا علاوة على أن المصادر تذكر بأن من أوقاف المدرسة السيوفية التي بنيت في تلك الأثناء (١) ،دكاكين في خط سويقة أمير الجيوش (٢) ، هذا بالاضافة الى أن اسم الخط يدل على انشائه الى الدار ،التي بناها أمير الجيوش بدر الجمالي (٣) والذى عندما تحولت الى حي سكني نسب الى موءسس الدار على ما يبدو (٤) . وعلى الرغم من أن المقريزى يورد أن هذه الدار قد جعلت سجنا لأبناء الأسرة الفاطمية من الذكور ، بعد أن قضى الناصر صلاح الدين على دولتهم (٥) ،مما قد يشير الى أن هذه الدار لم يجر استغلالها عمرانيا في تلك الأثناء ، الا ان ما ذهب اليه المقريزى ليس بالأمر الثابت اذ ذكر ابو شامة بأن سجن الفاطميين كان

---

(١) ص : ٤٧٧ - ٤٧٨.

(٢) المقريزى ، الخطط ،جـ٢/ ٣٦٦ ،موءلف مجهول ، تاريخ المصر القاهرة ، ورقة ٤٤١.

(٣) المقريزى ، م.س ،جـ١/ ٤٦١ ،جـ٢/ ٥٢ ،موءلف مجهول ،م.س ، ورقة ٦٢.

(٤) من الواضح أن هذا يفسر الى حد بعيد اسباب اختفاء اسم سوق أمير الجيوش من المنطقة التي يقع فيها سوق حارة برجوان بعد العصر الفاطمي حيث كان يطلق عليه في تلك الأثناء وانتقاله الى موضع الخط واطلاق العامة عليه اسم سويقة أمير الجيوش دون أن يكون لهم في ذلك مستندا كما يذكر المقريزى . انظر: المقريزى ،م.س ، جـ٢/ ٩٥ ، ١٠١ ،وانظر أيضا ،الخاصكي ،التحفة الفاخرة ، لوحة ٦٩ - ٧٠ ،على باشا مبارك ،م.س ،جـ٢/ ٨٣.

(٥) المقريزى ، م.س ،جـ١/ ٤٩٧.

قد اقتصر على دار برجوان [(١)] . الأمر الذى يدل بدوره على أن الدار الأولى لم تكن حبسا لابناء الأسرة في تلك الاثناء . بالاضافة الى أن سجنهم فيها لا يتطلب بالضرورة استغلال الدار باكملها ، خاصة وأنها كانت كبيرة جدا . [(٢)]

كذلك فقد ترتب عن اختطاط الاصطبلات الفاطمية ، ان ظهر في في مواضعها أحياء سكنية ، فاصطبل الطارمه ، ظهر في موضعه حي سكني عرف باسم خط اصطبل الطارمة [(٣)] ، يصفه المقريزى بأنه : (حارة كبيرة فيها عدة من المساكن وبه سوق وحمام ومساجد...) [(٤)] ، وعلى نفس الوتيرة سار الأمر مع اصطبل الصبيان الحجرية الذى اختط في تلك الأثناء كما تشير بذلك المصادر ، اذ جاء في طي ذكر الموضع انه لما (.. زالت الدولة الفاطمية اختط مواضع للسكنى ..) [(٥)] ليحل في موضعه حي سكني عرف بخط خان الوراقة [(٦)] . أما بالنسبة لاصطبل

---

(١) ابو شامة ، الروضتين ، جـ١/ق٢/ ٤٩٤ - ٤٩٥ ، وهذه الدار كانت للوزير الفاطمي ابو الفتوح برجوان (٣٨٧-٣٩٠هـ/ ١١٩١-١١٩٣م) وكانت كبيرة وتقع في هذه الحارة ، فتحي الحديدى ، القاهرة ، ص : ٢٠ .

(٢) المقريزى ، الخطط ، جـ١/ ٤٦١ .

(٣) الخاصكي ، التحفة الفاخرة ، لوحة ٤٥ ، مؤلف مجهول ، تاريخ المصر القاهرة ورقة ٤١ ، ويدل على موضع الحي الان موضع الاصطبل الذى سبقت الاشارة اليه ، انظر ص : ٣٥٢ هامش (٣) ، وخريطة رقم (١٠) .

(٤) المقريزى ، الخطط ، جـ٢ / ٣٥ .

(٥) المقريزى ، م.س ، جـ٢/ ٢٣ .

(٦) الخاصكي ، التحفة الفاخرة ، لوحة ٢٩ ، مؤلف مجهول ، تاريخ المصر القاهرة ، ورقة ٢٧ ، ومن الواضح أن سبب تسميته هو وجود خان

===

الجميزة ، فانه بعدما جرى اختطاطه في تلك الآثناء (١) ، ضمت معظم أراضيه الى حارة زويلة (٢) . ولم يكن التطور العمراني الذى طرأ علـى المنشآت المذكورة آنفا قاصرا على تحويل مواضعها الى أحياء سكنية بعـد ازالتها ، بل ان بعضها قد أضحى بذاته جزءا من أحياء سكـنية ، ومن أبرز الشواهد على ذلك ما حدث في خط بين السورين (٣) ، فهذا الخط أضحى في العصر المماليكي يتألف من صفين من الآملاك ،أحدها يقـع

=== للوراقة يقع في المنطقة نفسها وان كانت المصادر لا تقدم معلومات عن تاريخ ظهوره . انظر: المقريزى ،م.س ،جـ١/ ٤٦١ ، ويدل على موقعه في الوقت الحاضر درب يعرف بدرب الوراقة . على باشا مبارك ،الخطط التوفيقية ،جـ٢/ ٨٤. وانظر خريطة رقم (١٠). وانظر أيضا :

A. Raymond E Wiet, Les Marcees, plan 3 .

(١) ص : ٣٥٢ - ٣٥٣.

(٢) ص : ٤٠٣ ،وحارة زويلة نسبة الى احدى القبائل البربريـة التي دخلت الى مصر ضمن الجيش الفاطمي عندما استولى عليهـا اختطت هذه الحارة فعرفت بها ، المقريزى ،م.س ، جـ٢/ ٤ ، فتحي الحديدى ،القاهرة ،ص ٢٠.

(٣) اختلف في سبب تسمية هذا الخط من كونه جاء نتيجة سور بناه بدر الجمالي (٤٦٦ -٤٨٧هـ/ ١٠٧٣-١٠٩٤م) ، في هذه الناحيـة عندما قام بتوسعة أسوار القاهرة ،الآمر الذى ترتب عنه وقوع المنطقة فيما بين سور المدينة القديم والسور الجديد أم ان الآمر كان نتيجة سور صلاح الدين الذى بناه في هذه المنطقة ،وهو الآرجح ، أنظر :

K.A.C. Creswell , The Muslim Architecture of Egypt, Ikhshids and Fatmids, A.D 939-1171 , New York 1978 , Volume I , p. 24.

Ravisse Essai sur chistoire sur la topographie du Caire , p. 421 , plan 2.

===

ناحية القاهرة ،والآخر مطل على الخليج .[١] ولقد قام في العصر الفاطمي في موضع الصف الذى يقع ناحية القاهرة مجموعة من قصور للنزهة الفاطمية مثل منظرة اللؤلؤة[٢] ،والغزالة[٣] ، وغير ذلك من القصور[٤] . في حين أن الجهة المطلة على الخليج لم يكن عليها عمائر على الاطلاق .[٥] ومن الواضح ان صف المباني الذى يقع ناحية القاهرة ،قد بدأ بالظهور وفي عهد الناصر صلاح الدين ،حيث أن هذه القصور جرى تقسيمها في تلك الأثناء ، كما يدل على ذلك تقسيم منظرة اللؤلؤة كما سبق ان ذكرنا[٦] ، مما يشير الى ان الصف الذى يقع ناحية القاهرة قد بدأ بالظهور في تلك الاثناء . وهذا فيما يتعلق بالنشاط العمراني الذى ظهر على المنشآت في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي ،بيد أن ظهور الاحياء الجديدة لم يكن حينئذ قاصرا على هذا الجانب فحسب ،بل امتد ليشمل أيضا المواضع الخالية من البناء في القاهرة الكبرى . وكان أول ما أصابه

=== ولا يزال حتى الوقت الحاضر يوجد في المنطقة نفسها شارع يعرف بشارع بين السورين يدل على الخط ، على باشا مبارك ،م.س ، جـ٣/٦٥ ، وانظر خريطة رقم (٩) .

(١) المقريزى ،الخطط ،جـ٢/٢٤ . الخاصكي ،التحفة الفاخرة ،لوحة ٢٩ - ٣٠ .

(٢) عنها انظر ص : ٣٤٩ هامش (٨) .

(٣) هذه المنظرة تقع بجوار منظرة اللؤلؤة الى الجنوب منها ،ولا تذكر المصادر تاريخ انشائها . المقريزى ،م.س ، جـ١/٤٦٩-٤٧٠ البكرى ، قطف الازهار ،لوحة ١٠٥ ،ويدل على موضعها في العصر الحديث الابنية الواقعة تجاه جامع ابن المغربي بشارع بين السورين ، على باشا مبارك ، الخطط التوفيقية ،جـ٣/٧٢ .

(٤) المقريزى ،م.س ،جـ٢/٢٤ . الخاصكي ،م.س ،لوحة ٢٩ ،مؤلف مجهول تاريخ المصر القاهرة ،ورقة ٢٨ . على باشا مبارك ،م.س ،جـ٣/٦٩

(٥) ن.م.س.

(٦) ص : ٣٤٩ - ٣٥٠ .

التغيير في هذا المجال الساحات الخالية من البناء التي كانت منتشرة في القاهرة الفاطمية ،فالفاطميين كانوا حريصين ان تكون عاصمتهم ذات مساحات واسعة خالية من البناء . فيذكر ابن حوقل بأن هذه المدية (.. قد أحدق بها سور منيع رفيع يزيد على ثلاثة اضعاف ما بنى بها ،وهي خالية كأنها تركت مجالا للسائمة عند حصول خوف) (١) . وقد تعددت مجالات الساحات وانواعها في القاهرة ،فمنها ما يفصل بين أسوار المنازل ، بحيث لا تتصل الأشجار التي تقع في داخل أسوارها ، أو بأشجار المنازل المجاورة لها (٢) . كما احتوت القاهرة على رحاب وميادين (٣) شملت مواضع مختلفة منها ،فلقد كان يحيط بالقصور الرئيسة مواضع خالية من البناء ،بحيث لا تتصل بالمباني المجاورة لها فحينما يتحدث ناصر خسرو عن قصر الخليفة - ويقصد بذلك القصر الشرقي الكبير - فانه يذكر بأنه طلق من جميع الجهات (٤) . اذ كان يحيط به الشوارع الفسيحة بالاضافة الى الرحاب والميادين كما تشير الى ذلك المصادر ،وكذلك التوقيعات على الخرائط التي تم رسمها عن المدينة في ذلك العصر (٥) . فالى الغرب من

---

(١) ابن حوقل ، ابن القاسم النصيبي (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م) ،صورة الأرض ، ط بيروت ،١٩٧٩م ، ص : ١٣٧ وانظر أيضا جاستون فيت ،القاهرة ،ص ١٣٧.

(٢) ناصر خسروا ،سفر نامه ، ص ٩١.

(٣) عن تعريف الرحبة والميدان انظر ص : ٤٠٥- ٤٠٦.

(٤) ناصر خسرو ، م.س ، ص ٨٩.

(٥) Ravaisse Essai sur chistoire et sur la topographie , du Caire, plan 3.

قصر الخليفة كان يقع ميدان بين القصرين (١) ، والذى عرف بذلك لأنه يقع فيما بين القصر الشرقي الكبير والقصر الغربي الصغير (٢) ، وكان ميدانيا كبيرا يستوعب اكثر من عشرة الاف من رجال الجيش للخدمة يكون فيه عرضهم (٣) . ويذكر علي باشا مبارك بأن عرض الميدان المذكور كان يصل الى مائة متر على أقل تقدير (٤) . والى الشمال من القصر الشرقي الكبير كانت تقع ساحة عرفت بالمنحر (٥) ، اتخذها الخلفاء الفاطميون لنحر الأضاحي في الأعياد والمناسبات كعيد الأضحى ، واحتفالهم

---

(١) Ravaisse Essai sur chistoire et sur la topographie du Caire, plan 2.

(٢) المقريزى ، الخطط ، جـ٢/٢٨ ، الخاصكي ، التحفة الفاخرة ، لوحة : ٢٤ . البكرى ، قطف الأزهار ، لوحة : ١١١ ، مؤلف مجهول : تاريخ المصر القاهرة ، ورقة ٣٢ . ويدل على موضعه في الوقت الحاضر المنطقة التي يشغلها شارع النحاسيين وما يحيط به من منشآت ومباني ، على باشا مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٢/ ٨٩ ، ٩٣ .

(٣) ن . م . س .

(٤) على باشا مبارك ، م . س ، جـ ٢/ ٩٣ .

(٥) يدل على موضع هذه الساحة في الوقت الحاضر المباني الواقعة غربي جامع سعيد السعداء في شارع الدرب الاصفر التنبكشية بقسم الجمالية ، القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ٣/ ٥١١ . هامش (١) .

وعن موقعه بالنسبة للقصر الشرقي الكبير انظر :

Ravaisse , op. cit.

بغدير خم (١) . وبالقرب من المنحر كانت تقع رحبة باب العيد (٢) وهي رحبة عظيمة في غاية الاتساع ،كان يتنظم في الوقوف بها عدد كبير من الجند ما بين فارس وراجل في انتظار خروج الخليفة الفاطمي لأداء صلاة العيدين في مصلى العيد خارج القاهرة (٣) ، وكان يقع الى الجنوب الشرقي من قصر الخليفة كذلك رحبة واسعة كبيرة هي رحبة قصر الشوك (٤) .

---

(١) المقريزى ،م.س ،جـ١/ ٤٣٦ ، جـ٢/ ٤٤ ،وهذا العيد من أعياد الشيعة ،للمزيد عنه انظر ص : ١٦٤ هامش (٤).

(٢) باب العيد هو أحد أبواب القصر الشرقي الكبير كان يطل على هذه الرحبة وكان الخليفة يخرج منه لأداء صلاة العيدين .
أنظر : المقريزى ،م.س ، جـ١/ ٤٣٥ . ويدل على موقع هذه الرحبة في الوقت الحاضر المنطقة التي تحد غربا بشارعي حبس الرحبة وبيت المال وجنوبا يحدها شارع قصر الشوك وشرقا حارة قصر الشوك ومن الشمال حارتي الزاوية والمبيضة . عبد الرحمن زكي ،موسوعة مدينة القاهرة ، ١١٦ ،وعن موقعها بالنسبة للقصر الشرقي الكبير انظر :
Ravaisse Essai sur chistoire et sur la topographie du Caire, plan 2.

(٣) المقريزى ،م.س ،جـ١ / ٣٦٢ ،جـ٢/ ٤٧ ،الخاصكي ، التحفة الفاخرة ،لوحة ٦٣ ،مؤلف مجهول ، تاريخ المصر القاهرة ،ورقة ٥٥.

(٤) سميت بذلك لأن قصر الشوك كان يطل عليها ،المقريزى ،م.س ، جـ١/ ٣٦٢ ،ولقد سماها السخاوى برحبة خزانة البنود لأنها كانت تجاه خزانة البنود التي تحدها شمالا ، السخاوى ، تحفة الأحباب ،ص ٩٠ ، وقصر الشوك هو أحد قصور القصر الشرقي الكبير . للمزيد انظر : المقريزى ، م.س ، جـ١/ ٤٠٤.

وكان يفصل فيما بين هذه الرحبة ورحبة باب العيد خزانة البنود .(١) أى أن هذه الخزانة كانت تحدها من الجهة الشمالية(٢) ، في حين أن اصطبل الطمارمه(٣) كان يحدها من الجهة الجنوبية ،لأنه كان يفصل فيما بينها وبين رحبة الجامع الازهر(٤) . بينما كان يحدها شرقا المناخ(٥) ، وخزائن دار افتكين(٦) ، فالذى يخترق هذه الرحبة من جنوبها

---

(١) خزانة البنود هي الخزانة التي كان يصنع فيها الاعلام والرايات ولقد اتخذت في أواخر العصر الفاطمي سجنا واستمرت كذلك الى عهد بني أيوب ،المقريزى ،م٠س ،جـ١/٤٢٣-٤٢٥ ويذكر علي باشا بأن موقعها يدل عليه في عصره احدى الدور السكنية في شارع درب المقدم ، علي باشا مبارك ، الخطط التوفيقية ،جـ٢/٢٢٤٠ وعن موقعها انظر أيضا :
A. Raymond E Wiet, Les Marcees de Caire, plan 2.

(٢) انظر الهامش السابق . وخريطة رقم (١١)٠

(٣) عن هذا الاصطبل انظر ص : ٣٥٢ وخريطة رقم (١١)٠

(٤) المقريزى ،م٠س ،جـ٢/٤٧ ،الخاصكي ،ن٠م٠س٠ ،مؤلف مجهول ، ن٠م٠س ، علي باشا مبارك ،م٠س ، جـ٢/٢٥٥،وعن رحبة الجامع الازهر انظر مايلي .

(٥) المناخ هو الموضع المخصص للجمال ، وكان به خزائن للمواد الخام علاوة على مصانع للصناعات الثقيلة ، انظر ص ص : ٢٥١ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ وكان هذا المناخ يمتد الى المنطقة الواقعة خلف دار الوزارة الكبرى انظر علي باشا مبارك ، م٠س ،جـ٢/ ص ٢٠٨ وخريطة رقم (١١)

(٦) كانت هذه الخزائن تحوى على اصناف عدة من المواد الغذائية بالاضافة الى احتوائها على بعض الصناعات.للمزيد انظر عنها ، ص : ٢٥٨ هامش (٣)٠

الى شمالها يكون (.. سور القصر على يساره والمناخ ودار افتكين على يمينه ..) [(١)] وكان بالقرب من رحبة قصر الشوك والى الجنوب منها "رحبة المشهد" [(٢)] التي كانت تقع فيما بين باب الديلم [(٣)] وبين اصطبل الطارمه [(٤)]. ومن المؤكد أن رحبة الجامع الأزهر كانت تقع جنوبى سور القصر الشرقي الكبير [(٥)] ، فهذه الرحبة كان يخرج اليها الخليفة من خلال الخوج السبع [(٦)] التي كانت تقع في

----

(١) المقريزى ،الخطط ،جـ٢/٤٧ ، مؤلف مجهول ، تاريخ المصر القاهرة ،ورقة ٥٦ . ولا تقدم الخرائط التي عملت للقاهرة تحديدا واضحا لهذه الرحبة بيد انه بالنظر الى المواقع التي كانت تحد هذه الرحبة والتي سبق الاشارة اليها وتحديدها فانه بالامكان تقديم صورة واضحة عن هذه الرحبة ،انظر خريطة رقم (١١) .

(٢) سميت بذلك لأنها تقع امام المشهد الحسيني ،المقريزى ، م.س ،جـ٢/٤٨ .

(٣) هذا الباب هو أحد أبواب القصر الشرقي الكبير ويقع في محلة باب الجامع الحسيني المعروف بالباب الأخضر ، على باشا مبارك ، الخطط التوفيقية ،جـ٢/٩٤ .

(٤) المقريزى ، ن.م.س ،الخاصكي ، التحفة الفاخرة ،لوحة ٦٤. مؤلف مجهول ، ن.م.س ، وانظر خريطة رقم (١١) .

(٥) Ravaisse Essai sur chistoire et sur la topographie du Caire , plan 2.

(٦) الخوخة هي باب صغير ضمن بوابه كبيرة ،تستخدم للاستعمال اليومي في حال عدم الحاجة الى فتح الابواب الكبيرة . ويطلق لفظ الخوخة أيضا على الأبواب الصغيرة ، عبدالرحمن زكي ، موسوعة مدينة القاهرة ،ص ١٠٢ ،أما هذه الخوخ التي تذكرها

===

مواجهة باب الديلم [(١)] . وهي رحبة كبيرة جدا . كانت العساكر تصطف بها انتظارا لخروج الخليفة للصلاة بالناس في الجامع الأزهر [(٢)] ويذكر المقريزى بأنها كانت تحتل المنطقة الواقعة فيها بين خط اسطبل الطارمه ، والموضع الذى فيه الاكفانيين [(٣)] ، من باب الجامع الأزهر الشمالي الى الخراطين [(٤)] . وهناك ميدان آخر عرفته المصادر باسم "ميدان القصر" ،

=== المصادر فانها لا تذكر تعريفا محددا لها وان كانت تذكر بأنها تستخدم مجازا يعبره الخليفة الى الجامع الأزهر ، المقريزى ، م.س ، جـ٢/ ٤٥ ، الخاصكي ، م.س ، لوحة ٥٩ . مؤلف مجهول ، م.س ، ٥٢ - ٥٣ ، ويبدو انها كانت عبارة عن سبع عقود صغيرة مغطاة بنوع ما من التغطية تسد ببابين صغيرين من طرفيهما ،

(١) المقريزى ، ن.م.س ، الخاصكي ، ن.م.س ، مؤلف مجهول ، ن.م.س.

(٢) المقريزى ، م.س ، جـ١/ ٣٦٢ ، جـ٢/ ٤٧ ، الخاصكي ، م.س ، لوحة ٦٣ ، علي باشا مبارك ، جـ٢ / ٢٥٥ .

(٣) الاكفانيين ، احد اسواق القاهرة المملوكية ، وكانت به سوق الفراء في ذلك العصر ، ويدل على موضعه في العصر الحديث ، شارع التبليطة . انظر : على باشا مبارك ، الخطط التوفيقية جـ٢ / ٢٥١ - ٢٥٢ ، ٢٥٥ ، وانظر أيضا عن موقع هذا السوق:
A. Raymond E Wiet , Les Marcees de Caire, plan 3.
وبذلك يتضح بأن رحبة هذا الجامع كانت تمتد بمحاذاة الجانب الغربي للجامع الأزهر ، خريطة رقم (١١) .

(٤) المقريزى ، الخطط ، جـ٢/ ٤٧ ، والخراطين هو سوق من أسواق القاهرة المملوكية ويباع فيه اسرة المهد للأطفال علاوة على احتوائه على الحوانيت التي كان بها صناع الدوى والسكاكيني وكان يعرف قبل ذلك بعقبه الصباغين ثم عرف بالقشاشين ، المقريزى ، م.س ، جـ٢/ ١٠٣ ، موضعه الآن ضمن شارع الصنادقية . على باشا مبارك ، م.س ، جـ٢/ ٢٤٤ ، ٢٥٥ ، وانظر أيضا في موقع هذا السوق : Raymond, op. cit.

كان يقع بجوار القصر الغربي الصغير (١) ، رجح عبد الرحمن زكي بأنه كان يقع الى الشمال منه (٢) بيد أن من الواضح بأنه كان يمتد الى الغرب منه كذلك (٣) ،اذ أن المصادر حينما تتحدث عن بعض أدر القاهرة المملوكية مثل دار نائب الترك (٤) ودار ابن صغير (٥) فانها تذكر بأن تلك الدور قد أقيمت على مواضع من ارض الميدان المذكور ،رغم انها تقع ضمن خط باب المارستان (٦) الذى يقع غربي القصر الغربي كما تشير بذلك التوقيعات على الخرائط (٧) ،لذلك فان من المؤكد أن

---

(١) المقريزى ،م٠س ، جـ١/ ٤٥٧ ،جـ٢/ ١٩٧ ومن الواضح أن هذا الميدان كان جزءا من ميدان الاخشيد الذى كان موضعه في المنطقة قبل تأسيس القاهرة ،انظر : المقريزى ،ن٠م٠س .

(٢) عبد الرحمن ،موسوعة مدينة القاهرة ،ص ٢٠٧ .

(٣) انظر خريطة رقم (١١) .

(٤) هذه الدار تنسب لاحد الأمراء المماليك يدعى ياقوش الاشرفي . انظر : المقريزى ، م٠س ،جـ٢/ ٥٥ ، مؤلف مجهول ،تاريخ المصر القاهرة ،ورقة : ٦٥ .

(٥) تنسب هذه الدار الى رئيس الاطباء علاء الدين بن نجم الدين عبد الواحد توفى سنة (٧٩٦هـ/ ١٣٦٧م) ن٠م٠س .

(٦) ينسب هذا الخط الى باب سر المارستان المنصورى الذى كان يقع في مواجهته ، وهذا الباب هو أحد أبواب القصر الغربي الصغير ، كان يعرف بباب الساباط ، جعل بابا للمارستان المنصورى ، المقريزى ،الخطط جـ٢/ ٢٨ .

(٧) يدل على خط باب سر المارستان في الوقت الحاضر عطفة المارستان ، على باشا مبارك ، الخطط التوفيقية ،جـ٣/ ١٣٩ ، وانظر خريطة رقم (٤٠) .

أراضي هذا الميدان كانت تختلط بأراضي اصطبل الجميزة (١) ، حيث أن خط باب سر المارستان كانت جل أراضيه من ضمن مساحة الاصطبل المذكور (٢) . كذلك لا شك بأن هذا الميدان كان يمتد الى غربي حارة برجوان (٣) يفصل فيما بينها وبين البستان الكافورى (٤) ،فعند ما تتحدث المصادر عن موقع الخط الذى ظهر على أراضيه ـ خط الخرنشق ـ (٥)

---

(١) عن اصطبل الجميزة انظر ص : ٣٥٣ ،هامش (٥).

(٢) الخاصكي ، التحفة الفاخرة ،لوحة ٣٤ ،البكرى ، قطف الازهار ، لوحة ١١١ وانظرخريطة رقم (١١).

(٣) عن حارة برجوان انظر ص : ٣٤١ هامش (١).

(٤) هذا البستان من حقوق القصر الغربي الصغير ،أنشأه الأمير أبو بكر محمد الاخشيدى (٣٢٣- ٣٣٤ هـ/ ٩٣٤ - ٩٤٦ م) ، أمير مصر ، وكان متنزها له ولأبنائه من بعده فلما ولي أمر مصر الأمير أبو الملك كافور (٣٤٩- ٣٥٥ هـ/ ٩٦٦ - ٩٦٨ م) اعتنى به وجعله متنزها له فلما أسست القاهرة على يد جوهر القائد ضم هذا البستان اليها ،وجعله بني عبيد متنزها لهم ،المقريزى ، م.س ، ج١/ ٤٥٧ ، ويدل على موقع البستان في الوقت الحاضر المنطقة التي تحد من الشرق بحارة برجوان ، ومن الشمال بشارع أمير الجيوش الجولقي ،ومن الغرب بشارع الشعراني البراني ، ومن الجنوب بشارع الخرنقش ،فتحي الحديدي ،القاهرة ، ٢٢.

(٥) كانت بداية ظهور هذا الحي في عهد الناصر صلاح الدين كما سيتضح لاحقا ،والخرنشق هي تحريف عامي لكلمة الخرنقش وهي مادة الاصروميل المتخلفة من حرق القمامة التي تسخن بها مياه الحمامات العامة. عبد الرحمن زكي ،موسوعة مدينة القاهرة ، ص ١٠٠ ، فتحي الحديدى ، القاهرة ،ص ١١٢ . ولا يزال يوجد في الوقت الحاضر شارع يحمل نفس الاسم يدل على منطقة الحي تقريبا ،انظر : على باشا مبارك ،م.س ،ج٣/ ١٣١ ،تعليقات محمود رمزى في النجوم الزاهرة ،ج٤/ ٤٧ ،هامش (٥) ، عبد الرحمن زكي ،ن.م.س .

تشير الى أنه يقع فيما بين الحارة والبستان المذكورين آنفا (١) . ولم يكن وجود الساحات في القاهرة الفاطمية قاصرا على المناطق المحيطة بالقصور ، بل ان المدينة تميزت باحتوائها على ساحات من أنواع أخرى حيث كان يوجد بجوار أبوابها الرئيسة ساحات أيضا ، مثل رحبة الجامع الحاكمي التي كانت كبيرة جدا ، وتقع بجوار باب النصر (... فيما بين الحجر (٢) والجامع الحاكمي وفيما بين باب النصر القديم وباب النصر الموجود الآن (٣) ..) (٤) ، ومثل ذلك يقال عن الساحة الواسعة

---

(١) المقريزى ، م.س ، جـ٢/٢٧ ؛ الخاصكي ، م.س ، لوحة ٣٣ . البكرى ، قطف الأزهار ، لوحة ١١١ ، مؤلف مجهول ، تاريخ المصر القاهرة ، ورقة ٣٢ . وانظر خريطة رقم (11) .

(٢) وهذه الحجر كانت مخصصة للصبيان الحجرية الذين سبق الاشارة اليهم ص : ٣٥٩ هامش (٢) . وهي تقع بجوار دار الوزارة الكبرى وحارة الجوانية ، المقريزى ، الخطط ، جـ١/٤٤٣ . ويدل على موقعها في الوقت الحاضر المنطقة الممتدة فيما بين بوابة الجوانية الى باب النصر ، على باشا مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٢/٨٤ . ويذكر محمد رمزى ، بأنها تقع في مكان الخانكاه الركنية بيبرس الجاشنكير ، محمد رمزى ، التعليقات في النجوم ، جـ٤/٥١ هامش (١) في حين أن هذه الخنكاه بنيت على اجزاء من دار الوزارة الكبرى كما يذكر المقريزى ، المقريزى ، م.س ، جـ١/٤٣٨ - ٤٣٩ . ولذلك فان تحديد علي باشا هو الأثبت والأرجح .

(٣) بنى للقاهرة بابان عرفا بالنصر احدهما كان بناؤه عشية تأسيس المدينة عام (٣٥٨هـ/٩٦٨م) بينما بني الآخر في توسعة بدر الجمالي لسور القاهرة ، المقريزى ، م.س ، جـ١/٣٨١ ، ولا يزال الأخير موجودا حتى الآن ، وعليه كتابة تذكارية تحدد تاريخ البدء في بنائه عام (٤٨٠هـ/١٠٨٧م) ، انظر : أحمد فكرى ، مساجد القاهرة ومدارسها ، جـ١/٢٥ ، وانظر أيضا ص٢٣ ، شكل (٣) لتحديد موضعي هذين البابين .

(٤) المقريزى ، م.س ، جـ٢/٥٠ ، الخاصكي ، التحفة الفاخرة ، لوحة ٦٧ .

الممتدة فيما بين باب سعاده (١) وحارة الوزيرية (٢) ،والتي ذكرها المقريزى اثناء وصفه للقاهرة في العصر الفاطمي (٣) . ومن المؤكد أن المساجد الجامعة الرئيسة في المدينة مثل جامع الأزهر وجامع الحاكم بأمر الله ، كانت تجاورها الساحات أيضا ، يدل على ذلك رحبتي هذين الجامعين اللتان سبقت الاشارة اليهما ، و من الواضح أنه قد كان في كل حي من أحياء القاهرة في ذلك الوقت مساحات واسعة من الأرض خالية من البناء ،وهي قد تستخدم كمرابض للخيل أو مقابر للموتى . فمثل هذا النظام ،على أى حال ، كان متبعا في تخطيط الأمصار الاسلامية الأولى ،فعندما خططت (٤) على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، جعلوا في وسط كل خطة من خططها رحبة فسيحة لمرابط الخيل و قبر الموتى (٥) .

---

(١) عرف هذا الباب بسعاده بن حيان غلام المعز لدين الله العبيدى (٣٤١ - ٣٦٥ هـ / ٩٥٢ - ٩٧٥ م) كان عندما قدم من المغرب عام (٣٦٠هـ/ ٩٧٠م) نزل بالجيزة فدخل من هذا الباب فعرف به ،المقريزى ،م.س ،ج١/ ٣٨٣ ،ويدل على موقعه في العصر الحديث المدخل المؤدى الى شارع درب سعادة من ناحية شارع الخليج والواقع بالقرب من القبر المشهور بقبر الست سعاده بجوار قصر الأمير منصور باشا . انظر علي باشا مبارك ،الخطط التوفيقية ،ج٧/ ١٩٩.

(٢) تنسب هذه الحارة للوزير الفاطمي يعقوب بن كلس (٣٦٧-٣٧٣هـ/ ٩٧٧ - ٩٨٣م) ، فلقد كانت داره فيها ،علاوة على سكناها من قبل طائفة من الجند كانت تنسب اليه ،المقريزى ،م.س ،ج٢/ ٥.

(٣) المقريزى ،م.س ،ج١/ ٣٦٣.

(٤) عن هذه المدينة أنظر ،ص : ٥٥ هامش (٤).

(٥) الماوردى ،الاحكام السلطانية ،ص ١٧٩ - ١٨٠.

ويبدو أن الفاطميين جعلوا هذه الساحات على قسمين : يشكل اولهما الفواصل بين الحارات ، فحارة الريحانية والوزيرية (١) ،كان موضعها يعرف قبل المباشرة بتخطيطها "ببين الحارتين" (٢) ولعل هذه الساحات قد جعلت في تلك الأثناء كمرابض واصطبلات لبهائم الركوب .
أما القسم الثاني من هذه الساحات ، فهي التي تقع داخل الحارات نفسها لأغراض الترويح والتجميل وضمان التهوية الصحية المناسبة ،وخير مثال لذلك رحبة البانياسي (٣) التي كانت تقع في درب الأتراك (٤) ، ورحبة خوند (٥) التي تقع في حارة زويلة (٦) ،والتي عرفت في العصر الفاطمي برحبة ياقوت (٧) . وبالاضافة الى الساحات الواسعة التي تقع

---

(١) تنسب هذه الحارة الى طائفتين من طوائف الجيش الفاطمي ،عرفتا بالريحانية والوزيرية ،وقيل العزيزية بدلا من الوزيرية كما يذكر القلقشندى . انظر : المقريزى ،الخطط ،جـ٢/٢ ،القلقشندى ، صبح الأعشى ،جـ٣/٣٥٢ .

(٢) القلقشندى ،ن.م.س ،الخاصكي ، التحفة الفاخرة ،لوحة ٢ ، البكرى ،قطف الازهار ،لوحة ١٠٧ .

(٣) تنسب هذه الرحبة الى الامير نجم الدين محمود بن موسى البانياسي (ت بعد ٥٠٠ هـ/ ١١٠٦م) لأن مسجده المغلق ومنزله كانا يطلان عليها . المقريزى ، م.س،جـ٢/٤٧ .

(٤) هذه الحارة تنسب الى طائفة من الاتراك قدموا مع طغتكين الشرابي أحد قواد بني بويه ،وذلك عام (٣٦٨هـ/٩٧٨م) وكانت حارتهم وحارة الديالمة تعتبران حارة واحدة ،المقريزى ،م.س ، جـ٢/٨-١٠ .

(٥) نسبة الى الست خوند زوج الملك الاشرف خليل بن قلاوون - (٦٨٩ - ٦٩٣ هـ / ١٢٩٠ - ١٢٩٣ م) ومن بعده الملك الناصر محمد (٦٩٣ - ٧٤١ هـ/١٢٩٣ - ١٣٤١م) ماتت عام (٧٢٤هـ/١٣٢٣م) ،المقريزى ،م.س ، جـ٢/٥١ .

(٦) عن هذه الحارة انظر ص ٣٧٧ هامش (١) .

(٧) نسبة للأمير ناصر الدولة ياقوت ،توفي معتقلا عام (٥٥٣هـ/١١٥٨م) المقريزى ،م.س ،جـ٢/٥٠ .

داخل المدينة الفاطمية ، ولقد كان يوجد في خارجها وبجوار اسوارها ساحات أيضا ،من ابرزها الميدان الواقع امام باب الفتوح [(١)] والذى كان يمتد حتى يصل الى البساتين الجيوشية [(٢)] وكان مخصصا في تلك الأثناء لعرض الاجناد امام الخليفة قبل خروجها للحروب. [(٣)]

ولم يكن اتساع القاهرة في العصر الفاطمي مقتصرا على اتخاذ الساحات العديدة الواسعة فحسب . بل تجاوز ذلك الى أن شوارعها قد تميزت بالاتساع أيضا [(٤)] ،وخاصة الرئيسة منها ،اذ ان مظاهر الفخامة التي ميزات مواكب العصر الفاطمي ، تتطلب شوارع فسيحة للسير فيها [(٥)] . بل ان من المؤكد ان الشوارع التي كانت تتوزع عليها حارات القاهرة حينئذ كانت تتميز بالاتساع أيضا ، حيث يلاحظ بأن توزيع السكنى فيها كان يقوم على أساس السكنى في الحارات [(٦)] ، فعلى ذلك

---

(١) هذا الباب بناه الوزير الفاطمي بدر الجمالي (٤٤٦ - ٤٨٧هـ / ١٠٥٤ - ١٠٩٤م) بدلا من القديم وذلك في مشروع توسعة أسوار المدينة ،والمقريزى : الخطط ،جـ١/ ٣٨١ ، وكان بناؤه في عام (٤٨٠هـ / ١٠٨٧ م) عنه وعن موقعه انظر : أحمد فكرى ، مساجد القاهرة ومدارسها ،جـ٢/ ٢٣ ، ٢٦-٢٧ ،

(٢) عن هذه البساتين انظر ص ١٥٥ هامش (٢).

(٣) المقريزى م.س ،جـ١/ ٤٨١ ،ويدل على هذا الميدان في الوقت الحالي ميدان امام باب الفتوح يمكن اعتباره جزءا من ذلك القديم ،فتحي الحديدى ،القاهرة ،ص ٨٠.

(٤) فتحي الحديدى ،م.س ،ص ١٣.

(٥) ص : ١٦٢

(٦) عن الحارة وتعريفها انظر ص : ٣٣٤-٣٣٥.

توزيع السكنى بها عشية تأسيسها كما تشير بذلك المصادر [١] ، وهو تخطيط حافظ عليه الفاطميون طوال عهودهم ،فقد أشار ناصر خسرو أثناء زيارته للمدينة في عهد الحاكم بأمر الله [٢] ،الى أن السكنى فيها كان يعتمد هذا النظام ،وأن احيائها في ذلك الوقت تعرف "بالحارات" [٣].

كذلك فان المقريزى عندما يصف تخطيط هذه المدينة في تلك الأثناء يشير الى أن غالبية أحيائها كانت "حارات" [٤] . مما يدل بدوره على أن القاهرة لم تكن قد عرفت نظام السكنى الذى يقوم على اساس الاحياء السكنية المعروفة بالخط والدرب والزقاق [٥] . كأحياء مستقلة بذاتها ، وأن نظام السكنى السائد فيها في تلك الأثناء كان عبارة عن حارات وشوارع تصل فيما بينها وبين أجزاء المدينة يؤكد ذلك ما يذكره ابن ميسر من أنه لما صدرت الأوامر عام (٥١٨هـ/ ١١٢٤م) لتدوين اسماء سكان القاهرة ،فانها كانت تنص على تدوين جميع القاطنين بها (.. شارعا شارعا وحارة حارة ..) [٦]. وفي ضوء هذا الاعتبار فمن الواضح أن هذه الشوارع كانت تتميز بالاتساع ،وان عرضها لم يكن يقل عن العشرين ذراعا ، اذ أن لفظ "الشارع" لا يطلق في المدينة الاسلامية الا على الطرقات التي يبلغ أدنى عرض لها في حدود الأذرع سابقة الذكر . [٧] أما ما دون ذلك فانه يطلق عليها خط ، أودرب ، أو زقاق ، بحسب اتساعها ،بحيث يكون الخط اكبرها عرضا ،في حين ان الزقاق أقلها سعة. [٨]

---

(١) ابن دقماق ،الجوهر الثمين ،ص ٢٠٢ ،ابن تغرى بردى ،النجوم الزاهرة ،ج٤ / ٤٢.

(٢) عنه انظر ص : ١٢٠ هامش (٣).

(٣) ناصر خسرو ،سفرنامه ،ص ٩٩ - ١٠٠.

(٤) المقريزى ،الخطط ،ج١/ ٣٦٠ - ٣٦٤.

(٥) عن هذه الأحياء انظر ص : ٣٣٦ - ٣٤٠.

(٦) ابن ميسر ،اخبار مصر ،ص ٩٨.

(٧) ص : ٣٣٩ - ٣٤٠.

وبحلول عصر الأيوبيين فان القاهرة قد تحولت صورتها العامة تدريجيا ، فلم تعد تتميز بتلك الساحات الكبيرة والشوارع الفسيحة كما كان عليه الحال ابان الحكم العبيدى ،فيشير ابن سعيد الأندلسي الذى زار هذه المدينة في اواخر عهد الأيوبيين ،الى ضيق المدينة ،ولا يستثنى من ذلك سوى ميدان بين القصرين ، حيث يقول بأن (أكثر دروب القاهرة ضيقة مظلمة .... لم أر في جميع بلاد المغرب أسوأ حالا منها في تلك . ولقد كنت اذا مشيت فيها يضيق صدرى وتدركني وحشة عظيمة حتى أخرج الى بين القصرين).(١)

ومن الواضح أن هذا الضيق في المباني يعكس مدى تحول تلك الساحات والشوارع التي جرى تحويل الكثير منها الى مواضع تغص بالمباني والمنشآت المختلفة الأنواع ، منذ عهد صلاح الدين الأيوبي ،حيث أخذت المباني من أدر ومنشآت بأنواعها المختلفة تظهر على حساب الساحات واطراف الشوارع الفسيحة ،لتأخذ المدينة بالضيق وتتصف بالازدحام ،فقد اخذت المباني تحيط بأسوار القصر الشرقي الكبير (٢) حيث أقيمت المنشآت على الشوارع والساحات المحيطة به . فالمصادر عندما تتحدث عن هذه الساحات تذكر أن البناء عليها قد حدث بعد القضاء على الدولة الفاطمية . فميدان بين القصرين لم يتحول الى سوق وخط ،الا بعد القضاء على الدولة الفاطمية (٣) فأخذت

---

(١) ابن سعيد الأندلسي ،النجوم الزاهرة ،ص ٢٤ .

(٢) Suzan Jane Staffa , Conquest and Fasion, p.101.

(٣) المقريزى ،الخطط جـ٢/ ٢٨ . الخاصكي ،التحفة الفاخرة لوحة ٣٤ . البكرى ، قطف الازهار ،لوحة ١١١ ،مؤلف مجهول تاريخ المصر القاهرة ،ورقة ٣٢ .

المباني تظهر على اراضيه كما يشير الى ذلك الطوير أثناء حديثه عن موسم أول العام (١) ، الذى كانت بعض مراسيم استقباله تجرى في هذا الميدان في العصر الفاطمي ، فهو يذكر بأن هذا الميدان (".. كان براحا واسعا خاليا من البناء الذى فيه اليوم ..) (٢) كما أنه يورد الشيء نفسه أثناء حديثه عن بعض المراسيم التي كانت تتم في "المنحر" . مما يدل على أن البناء عليه قد ظهر منذ تلك الفترة (٣) . وكذلك كان الحال بالنسبة لرحبه قصر الشوك التي ظلت : (... باقية الى ان خرب القصر بفناء اهله فاختط الناس فيها شيئا بعد شيء..) (٤) . أما رحبة الجامع الأزهر فانها ظلت باقية الى عصر الدولة الأيوبية فأخذ الناس في العمارة بها (٥) ، فبنوا عليها العديد من المنشآت والمباني (٦) . الا أن الساحات المحيطة بالقصر الشرقي الكبير لم يشملها البناء جميعا . فلقد قدر لرحبة باب العيد ان تنجو من ذلك وتظل خالية من البناء الى ما بعد نهاية القرن السادس (٦هـ/ ١٢م) حيث جرى البناء عليها بعد ذلك (٧) ومن الواضح أن السبب في ذلك يعود الى مجاورتها لدار

---

(١) عن موسم أول العام ، انظر ص : ١٦٣ ، هامش (١)
(٢) نقلا عن المقريزى ، الخطط ، جـ١/ ٤٤٨ .
(٣) المقريزى ، م.س ، جـ١/ ٤٣٧ ، وعن المراسيم التي تتم في المنحر انظر ص : ٣٦٦ - ٣٦٧ .
(٤) المقريزى ، م.س ، جـ٢ / ٤٧ .
(٥) المقريزى ، ن.م.س ، على باشا مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٢/ ٢٥٥ عبد الرحمن زكى ، الازهر ، ص ٩٩ .
(٦) عبد الرحمن زكي ، ن.م.س .
(٧) الخاصكي ، التحفة الفاخرة ، لوحة ٦٣ .

الوزارة الكبرى [(١)] ، التي تحولت الى دار للسلطنة في عصر صلاح الدين الأيوبي ، [(٢)] وذلك أدى الى منع الاعتداء عليها . وكما احاطت المباني بالقصر الكبير وتقدمت نحوه فانها اخذت تحيط بالقصر الغربي الصغير ، حيث جرى استغلال ميدانه في تلك الفترة ،حيث بنى عليه في عام (٥٦٧ هـ/ ١١٧١م) اصطبلات [(٣)] ودويرات بالخرشتف [(٤)] . وعلى الرغم من ان القلقشندى يذكر بأن البناء على هذا الميدان قد تم بعد سنة (٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م) [(٥)] ،فان من المؤكد ان ما حدث بعد تلك السنة هو بناء الأدر والطواحين في موضع الاصطبلات ، كما يشير الى ذلك ابن عبد الظاهر [(٦)] . في حين كانت بداية البناء على هذا الميدان منذ عهد صلاح الدين الأيوبي . فلا شك في أن الأتراك الذين اسكنهم صلاح الدين في القصر الغربي [(٧)] ،قد استفادوا من هذا الميدان ببناء الاصطبلات ،والأدر الصغيرة عليه.كما تذكر بعض المصادر أنه لما زالت الدولة الفاطمية تعطل هذا الميدان وبقى الى (.. أن بنى به الغز اصطبلات بالخرنشف ثم حكر وبنى فيه فصار من اخطاط القاهرة)[(٨)]. خاصة اذا ما علمنا بأن هذا الميدان كان يعتبر من جملة القصر الغربي [(٩)].

---

(١) المقريزى ، الخطط ،جـ١/ ٣٦٣.

(٢) ص : ٢٨٣.

(٣) احمد فكرى ، مساجد القاهرة ،جـ٢/ ص ١٥.

(٤) المقريزى ،م.س ،جـ٢/ ٢٨ . وعن الخرشنف انظر ص : ٣٧٢ هامش(٥)+

(٥) القلقشندى ،صبح الاعشى ،جـ٣ / ٣٥٢.

(٦) نقلا عن المقريزى ،م.س ، جـ٢/ ٢٧-٢٨.

(٧) المقريزى ،م.س ،جـ٢/ ٢٣٣. احمد فكرى ،م.س ،جـ٢/ ١٥.

(٨) المقريزى ،م.س ، جـ٢/ ١٩٧.

(٩) المقريزى ،م.س ،جـ١/ ٤٥٧ ، جـ٢/ ٧٠.

ولا شك في أن بقية الساحات التي كانت في المدينة قد تعرضت بشكل أو بآخر للاستغلال الانشائي في تلك الفترة ،فأخذت المباني تعلو الساحات الواقعة بالقرب من الأبواب ، فمن الواضح ان سوق بهاء الدين (١) الذى ظهر في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي (٢) قد بني على ساحة واقعة بالقرب من باب الفتوح (٣) . حيث يقع هذا السوق . (٤) كما أن قيسارية القاضي الفاضل (٥) . قد بنيت على ساحة تقع بالقرب من باب زويلة (٦) ،حيث كانت هذه القيسارية تقع على يمين الداخل من هذا الباب (٧) . ولا شك في أن مثل هذه التغيرات العمرانية قد شملت بقية الساحات الواقفة بالقرب من الأبواب ،باستثناء رحبة

---

(١) نسبة لبهاء الدين قراقوش الذى سكن بالقرب من هذا السوق في الحارة التي تعرف باسمه ،انظر ص : ٤٢٦.

(٢) ص : ٤٢٦.

(٣) هذا الباب هو الذى بناه بدر الجمالي (٤٤٦-٤٨٧هـ/١٠٧٧-١٠٩٤م) عام (٤٨٠هـ/١٠٩٢م) بدلا من القديم في مشروع توسعة القاهرة . ولا يزال موجودا حتى الآن. للمزيد انظر : المقريزى : الخطط ،جـ١/٣٨٠ ، على باشا مبارك ، الخطط التوفيقية ،جـ٢/١٣٠ ، احمد فكرى ،مساجد القاهرة ومدارسها جـ١/٢٣، ٢٧.

(٤) انظر خريطة رقم (١٠).

(٥) هذه القيسارية تنسب للقاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني وزير صلاح الدين عنها انظر ص : ٤٩٦.

(٦) وهذا الباب من بناء بدر الجمالي (٤٤٦-٤٨٧هـ/١٠٧٣-١٠٩٤م) بدلا من القديم في مشروع توسعة القاهرة بناه في عام (٤٨٠هـ/١٠٨٧م) ولا يزال موجودا حتى الآن . للمزيد انظر المقريزى ،م.س ،جـ١/ ٣٨١ ، على باشا مبارك ،م.س جـ٢/ ١٩٥ ،احمد فكرى ،م.س ،جـ١/ ٢٣، ٢٥.

(٧) المقريزى ،م.س ،جـ١٢/ ٨٩ ،على باشا مبارك ،م.س ،جـ٢/ ١٣١.

الجامع الجامكى التي تقع بالقرب من باب القصر [١] ، والتي يبدو أن البناء عليها [٢] قد تأخر الى ما بعد القرن السادس (٦ هـ / ١٢م) وذلك بسبب قربها من دار السلطنة [٣] اضف الى ذلك فان الساحات التي كانت تقع بين الحارات أو في داخلها . قد شملتها أوجه التغيير العمراني وذلك باقامة المباني عليها ، اوعلى اجزاء منها . اذ لا شك في أن الاصطبلات التي اقيم في مواضعها منشآت قيساريتيي الشرب [٤] وابن قريش [٥] ،كانتا جزءا من ساحة من هذه الساحات. [٦] وعلى الرغم من استغلال مواضع هذه الساحات لغرض بناء المنشآت يمكن ملاحظته ابتداء من أواخر العصر الفاطمي كما هو الحال بالنسبة لحارة الريحانية والوزيرية [٧] ، والتي اختطت على احدى هذه الساحات [٨] . غير أن من الواضح ان ذلك لم يكن سوى وضعا شاذا ، حدث في اواخر العصر الفاطمي حيث تردت أوضاع السلطة المركزية [٩] . في حين أن استغلال

---

(١) ص : ٣٧٣ .

(٢) المقريزى ، الخطط، جـ٢/ ٥٠ .

(٣) خريطة رقم (١٠) .

(٤) بنى هذه القيسارية صلاح الدين الأيوبى ،وجعلها وقفا على صوفيه فنفاه سعيد السعداء . انظر ص : ٤٩٥

(٥) بنى هذه القيسارية القاضي المرتضى بن قريش في عهد الناصر صلاح الدين ،انظر ص : ٤٩٥

(٦) المقريزى ، م . س ،جـ٢/ ٨٦ .

(٧) عن هذه الحارة انظر ص : ٣٧٥ ،هامش (١) .

(٨) القلقشندى : صبح الاعشى ،جـ٣/ ٣٥٢ .

(٩) يلاحظ بأن هذه الحارة تقع ضمن المنطقة التي جرت فيها توسعة بدر الجمالي مما يدل على أن الساحة كانت موجودة في عهد هذا

===

هذه الساحات لغرض البناء عليها ، كان امرا مقصودا و مخططا له في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي . يدل عليه استغلال اغلبيتها في ذلك الشأن كما سبق ان شاهدنا . ولم يكن البناء على تلك الساحات قاصرا على تلك التي تقع داخل السور بل شمل أيضا تلك التي تقع خارج أسوار القاهرة أيضا . مثل ميدان باب الفتوح . فمن ذلك ان خط خان السبيل (١) الذى ظهر في تلك الفترة (٢) . فلقد اقيم على اراضي الميدان المذكور . نظرا لقرب موضع هذا الخط من الباب الذى يقع الميدان امامه. (٣) حيث يشير السخاوى الى قرب هذا الخط من خط بستان ابن صيرم (٤)(٥) الذى يقع الى جوار باب الفتوح

=== الوزير ،ولعلها ظلت الى ما بعد ذلك لفترة طويلة الى قبيل نهاية حكم الفاطميين . انظر المقريزى : الخطط جـ٢/ص ٢ ، مؤلف مجهول ،تاريخ المصر القاهرة ،ورقة ٢ . وعن توسعة بدر الجمالي انظر عبد الرحمن زكي ،القاهرة ،ص ١٤ - ١٥ . فتحي الحديدي ،القاهرة ، ص ٢٣ - ٤٤ .

(١) نسبة لخان السبيل بناه الأمير بهاء الدين قراقوش للمسافرين بغير أجرة ،مؤلف مجهول ، م.س ورقة ٤٢ .

(٢) ص : ٤٩٣ - ٤٩٤ .

(٣) عن موقع هذا الميدان انظر ص : ٣٧٦ .

(٤) السخاوى ،تحفة الأحباب ص ٢٢ ،وهذا مخالف لما يذكره على باشا الذى يجعل موقع هذا الخط هو المباني والبساتين الواقعة على الطريق المؤدية للدمرداش .على باشا مبارك ،الخطط التوفيقية جـ٢/ ٦٥ . وما ذكره السخاوى هو الاثبت لأنه أقدم تاريخيا .

(٥) كان موقع هذا الخط بستانا لأحد قادة الفاطميين ثم استولى عليه أحد أمراء الملك الكامل الايوبي يدعى جمال الدين بن صيرم فعرف به بعد ان ذكر واختط بالمباني ،انظر المقريزى ،م.س ، جـ٢/ ٣٦ .

على يمين الخارج منه [١] . أما بالنسبة لما تذكره بعض المصادر المتأخرة من أن هذا الخط يقع ضمن حارة الحسينية [٢] ،فان من الواضح أنها بذلك تعكس تطورات في أوضاع الحارة نفسها حيث توسعت العمارة فيها في العصر المماليكي . فامتدت من الريدانية [٣] الى باب الفتوح [٤]. فأصبح هذا الخط من جملتها . في حين انه من المؤكد أن ميدان باب الفتوح كان في العصر الفاطمي يفصل فيما بين باب الفتوح والحاره ، المذكورة ،وعليه فان ما تذكره المصادر أثناء حديثها عن نشأة هذه الحارة في العصر الفاطمي بأنها قد بنيت (.. خارج باب الفتوح ..) [٥] ، لا يعني بالضرورة مجاورتها لهذا الباب .

وكما كان لاستغلال الساحات واقامة المباني والمنشآت عليها دورا في ضيق القاهرة الفاطمية فان من الواضح ان المباني قد أخذت تتقدم على حساب الشوارع أيضا ،فأدى ذلك الى أن تصبح الشوارع في

---

(١) يدل على ذلك موقع الخط في الوقت الحاضر الذى يدل عليه شارع البنهاوى الذى يقع على يمين الخارج من هذا الباب انظر على باشا مبارك ،م.س ،جـ٣/ ١١٩ وانظر أيضا خريطة رقم (٣٦)

(٢) المقريزى ،الخطط ،جـ٢/ ٣٦ ،القلقشندى ،صبح الأعشى ،جـ٣/ ٣٥٦ .

(٣) موضع شمالي القاهرة كان بستانا لريدان الصقلي أحد خدام العزيز بالله العبيدى (٣٦٥ - ٣٨٦هـ / ٩٧٦ - ٩٩٦هـ) . قتله في سنه (٣٩٣هـ/ ١٠٠٢م) ولقد عرفت في العصر الحديث بالعباسية للمزيد انظر المقريزى : م.س ، جـ٢/ ١٣٩ ، على باشا مبارك ،م.س ،جـ٢/ ٦٤ .

(٤) المقريزى ،م.س ،جـ١/ ٣٦٥ .

(٥) المقريزى ،م.س ،جـ٣/ ١١١ .

العصر الأيوبي شديدة الضيق كما سبق ان أشرنا [(١)] . بل ان هذه الظاهرة لم يسلم منها شارع القصبة رغم أهميته [(٢)] . حيث أخذت الحوانيت والأسواق تتقدم على اراضيه ، ففي اوائل عام (٥٩٠ هـ/١١٩٣م) ركب السلطان العزيز عثمان [(٣)] بن صلاح الدين ، للصيد بالجيزة (..ومر بباب زويلة . فأنكر بروز مصاطب الحوانيت في الأسواق ورسم بهدمها) [(٤)] .

لم يكن النشاط العمراني في عهد صلاح الدين الأيوبي في المناطق الخالية من البناء ،عند ساحات القاهرة الفاطمية واطراف شوارعها . بل تجاوز ذلك الى الكثير من المناطق التي لم يكن قد وصل اليها البناء سابقا اوكان فيها قليلا ، حيث أخذت الحركة العمرانية بالاندفاع نحو هذه الأماكن لتشغل مساحات واسعة منها . ولقد أسهمت مشروعات صلاح الدين العمرانية سواء ما كان منها بغرض الدفاع عن المدينة كانشاء السور والقلعة ،أواقامة المنشآت الأخرى كالمدارس . كلها قد أسهمت في اتاحة مزيد من الفرص لأن يلج النشاط العمراني الى مواضع لم تكن

---

(١) ص : ٣٧٨ .

(٢) هذا الشارع كان يمتد فيما بين باب الفتوح وباب زويلة انظر ص : ٤٢٠ .

(٣) هو الملك العزيز عثمان بن الناصر صلاح الدين (٥٨٩-٥٩٦هـ/ ١١٩٣-١١٩٩م) ملك مصر بعد أبيه وهو ثاني سلاطين بني أيوب في مصر توفي وهو يتصيد بالفيوم . عنه انظر : أبو شامة الذيل على الروضتين ،ص ١٦ . ابن دقماق ،الجوهر الثمين ، ص ٢٢٩ - ٢٣٠ .

(٤) المقريزي ، السلوك جـ١/ق١/ ص ١٢٠ .

تعرف هذا النشاط من قبل . فالى الغرب من القاهرة وتحديدا غربي خليجها، امتدت المباني فيما بين الساحل والمدينة . وينقل المقريزى عن العماد الاصفهاني اثناء حديثه عن حوادث سنة (٥٩٦هـ / ١١٩٩م) ما يفيد بأن امتداد سور صلاح الدين الى الساحل من هذه الناحية (١)، قد أدى الى اتصال العمران فيما بين المقس (٢) والقاهرة، حيث يقول : (وجلس الملك الكامل (٣) محمد بن السلطان العادل (٤) ابي بكر ابن أيوب في البرج الذى بجوار جامع المقس في السابع والعشرين من شوال سنة ست وتسعين وخمسمائة ... وهو المكان الذى قسمت فيه الغنائم عند استيلاء الصحابة رضي الله عنهم على مصر فلما أمر السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بادارة السور على مصر والقاهرة تولى ذلك الأمير بهاء الدين قراقوش (٥) وجعل نهايته التي تلي القاهرة . عند المقسم، وبنى فيه برجا مشرفا على النيل وبنى مسجدا جامعا واتصلت العمارة منه الى البلد وجامعه تقام فيه الجمع والجماعات ...) (٦) ومن الواضح ان اتصال العمارة هذا قد تم عن طريق البناء على اجزاء من بركة بطن المقبرة (٧) . التي كانت تفصل فيما بين المقس والقاهرة

---

(١) عن امتداد السور الى هذه المنطقة انظر ص : ٤٨٧-٤٨٨.

(٢) عن المقس انظر ص : ٨٤ هامش (٢).

(٣) عنه انظر ص : ٨٨ هامش (٣).

(٤) عنه انظر ص : ٢٣٠ هامش (٧).

(٥) هو بهاء الدين قراقوش الاسدى (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م) أحد كبار رجال الدولة الايوبية، كان متوليا لمشروع بناء سور القاهرة الصلاحي، عنه انظر ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص ١٩. المقريزى، الخطط، جـ٢/ ٩٣.

(٦) المقريزى، م.س، جـ٢/ ١٢٣.

(٧) عن هذه البركة أنظر ص : ١١٩-١٢٠.

في العصر الفاطمي .[١] كذلك أخذت العمارة تنتشر على ساحل النيل المحاذى للمدينة الكبرى . ففي عهد صلاح الدين اصبح بالامكان البناء على ساحل المدينة دون الخوف من الفيض النهرى الذى أصبح تأثيره محصورا بالشاطيء الغربي للنيل .[٢] مما أتاح الفرصة لأن تتقدم المباني باتجاه شاطيء النيل الشرقي . الذى أخذت تظهر عليه العديد من المنشآت والمباني المختلفة . فقد بنى صلاح الدين للفسطاط بابا جديدا - باب مصر - على بعض الأراضي التي تكونت من الطرح النهرى .[٣] كذلك فان ربع القاضي الفاضل المشهور بدار التمر[٤] قد جرى بنائه على اراض متكونة من هذا الطرح[٥] . ومن الواضح أن العديد من الدور قد بنيت على هذا الساحل من جهة الفسطاط في تلك الفترة ، ففي أوائل عام (٥٩٠هـ/ ١١٩٣م) ، مر الملك العزيز بالله عثمان ابن صلاح الدين ، بصناعة العمائر[٦] ،فأمر بسد طاقات الدور المجاورة للنيل فسدت)[٧] وكذلك كان الحال بالنسبة لشاطيء المدينة .

---

(١) ص : ١١٩-١٢٣ وانظر أيضا خريطة رقم (٣).

(٢) انظر في ذلك ص : ٩٦

(٣) المقريزى ،الخطط ،جـ١/ ٣٤٧ ،وعن هذه الاراضي التي تكونت من الطرح انظر ص : ٨٧ - ٩٣.

(٤) عنه انظر ص : ٤٩٨

(٥) المقريزى ، م.س ،جـ٢/ ٧٨ - ٧٩ .

(٦) صناعة العمائر هي الدار المخصصة لصناعة السفن وكانت تقع في الفسطاط ناحية الساحل ، عنها انظر المقريزى ،م.س جـ٢/ ١٩٧.

(٧) المقريزى ، السلوك ،جـ١ / ق١ / ص : ١٢٠.

الواقع غربي الخليج ،حيث استغلت الأراضي المتكونة من الطرح النهرى (١)
فجرى البناء عليها فقد عمر القاضي الفاضل وزير صلاح الدين الأيوبي
الى جانب بستانه (٢) ،جامعا وبيان عرفت بمنشأة الفاضل (٣) عمرت
على أراضي تكونت من الطرح النهرى (٤) . ويبدو أن الدور المشرفة
على النيل ، التي ذكرها العماد الاصفهاني ، قد بنيت على أراضي هذا
الساحل ،حيث أنه اشار الى دور مشرفه على النيل كانت لبعض الأفراد
جعلوها برسم من نزل بضيافتهم ، ولتنزهاتهم (٥) . بل ان العمران
تقدم في الساحل حتى شمل الجزائر التي تكونت من الطرح النهرى ،
خاصة تلك التي تقع على ساحل الفسطاط . فالمصادر عندما تتحدث عن
حمام أبي الحوافر (٦) تذكر بأن موقعها كان في الأصل جزيرة انحسر
عنها ماء النيل بنى الناس عليها بعد سنة (٥٠٠هـ/ ١١٠٦م) (٧) .ومن
الواضح انها تقصد بذلك عصر الناصر صلاح الدين الأيوبي ، حيث أصبحت

----

(١) عن هذه الأراضي انظر ص : ٩١ .
(٢) عن بستان القاضي الفاضل انظر ص : ٤٥١ .
(٣) ابن دقماق ،الانتصار ،ق١/ص١١٩ ،المقريزى جـ١/ ٣٤٥ ،
٣٢٦ - ،جـ٢/ ٢٩٨ .
(٤) المقريزى : م.س ،جـ١/ ٣٤٥ ،جـ٢/ ١٠٩ .
(٥) ابو شامة : الروضتين ،جـ١/ ق٢/ ٦٨٦ . البندارى ، سنا
البرق ،ص ١٢١ .
(٦) تنسب هذه الحمام الى القاضي فتح الدين ابي العباس أحمد بن
جمال الدين ابي الحوافر رئيس الأطباء بالديار المصرية توفى في
عام (٦٥٧هـ/ ١٢٥٨م) ،المقريزى ،م.س ،جـ٢/ ٨٥ . مؤلف
مجهول ،م.س ، ورقة ١٠٢ .
(٧) ن.م.س .

الفرصة مواتية في عصره للبناء على مثل هذه الأراضي كما سبق أن اشرنا.(١)
ولقد أدت رغبة صلاح الدين في تعمير الاراضي الواقعة فيما بين الفسطاط والقاهرة.(٢) الى تعمير العديد من المواضع الواقعة في هذه المنطقة، فأخذت العمائر تظهر في المنطقة الواقعة فيما بين القاهرة وقلعة الجبل على يسار الخارج من باب زويلة.(٣) ذلك أنه منذ ان عمرت القلعة فقد أخذ الناس بالبناء شيئا فشيئا في هذه المنطقة(٤). كذلك بنيت آلاف المنازل من جهة الفسطاط، ففي عام (٥٨١ هـ/ ١١٨٥م) ما ان شرع في بناء سور القاهرة حتى اندفع الناس، خاصة الفقراء منهم الى البناء في هذه المنطقة اذ (.. لم يبق فقير ولا ضعيف الا خط فيه ساحة من درب الصفا(٥) الى المشهد النفيس(٦). واتصلت العمارة من خط

---

(١) ص : ٩٣ - ٩٧.

(٢) ص : ٣٠٢.

(٣) انظر خريطة رقم (٩).

(٤) المقريزى، الخطط، جـ٢ / ١٣٦، مؤلف مجهول، تاريخ المصر القاهرة، ورقة : ١٦٥.

(٥) درب الصفا، او خط الصفا يذكر المقريزى بأنه قد دثر في عهده وكان باب الفسطاط الرئيسي يقع على هذا الدرب، المقريزى، م.س جـ١/ ٣٤٦، ٣٤٧، وعن موقع هذا الدرب انظر، خريطة رقم (١٢) نقلا عن :
Casanova, Paul, de Constitution, plan 1.

(٦) هذا المشهد مشهور في مكانه في شارع السيدة نفيسه، ينسب الى نفيسه بنت الحسين رضي الله عنه. انظر على باشا مبارك، الخطط التوفيقية، جـ٢/ ١٩٠ - ١٩١.

الخليج (١) الى درب ملوخيا (٢) بمصر حتى بين الكومين (٣) .
وبجوار جامع ابن طولون والكبش (٤) . فعمر أكثر من خمسة آلاف موضع
بشفاف القفز (٥) والخرشنف (٦) وتراب الأرض . وتحول الناس
لجهة جامع ابن طولون والبركة (٧) وجانب القلعة (٨) ،

---

(١) هذا الخط من جملة اخطاط الحمراء القصوى ، ويقع على خليج القاهرة ،ابن دقماق ،الانتصار ، ق٢/ ص ٤١ ،ويبدو أن شارع السيدة زينب الذى ذكره على باشا في خططه من جملة هذا الخط . انظر على باشا مبارك ، م.س ،ج٣ / ١٠٥-١٠٦ .

(٢) لم تورد المصادر التي تيسر لي الاطلاع عليها ذكرا أو تحديدا لهذا الدرب .

(٣) لم يحدد اى الكومين يقصد والاكوام في الفسطاط كثير ،انظر ابن دقماق ،م.س ،ق١/ ص ٥٢ - ٥٣ .

(٤) الكبش هو جبل بجوار يشكر فيما بين القاهرة والفسطاط . وكان من جملة الحمراء القصوى . المقريزى ،الخطط ج١/ ١٢٥ .

(٥) القفز : هو الخزف ، المقريزى ،السلوك ج١/ ق١/ص ٩١ هامش(١)

(٦) هو مادة الاصروميل المتخلفة من حرق الازبال في مواقد الحمامات انظر ص ٣٧٢ هامش (٥) .

(٧) لم يحدد أى بركة وان كان يوجد بين الفسطاط والقاهرة بركتان هما بركة قارون والفيل . لعله يقصد بركة قارون لأنها أقرب للفسطاط انظر ص ١١٨-١١٩ خريطة رقم (٧) .

(٨) المقريزى م.س ، ج١/ ١٨٥/ ٩٠ - ٩١ ،انظر خريطة رقم (٩) .

كذلك أخذت جزيرة الروضة بالتحول الى منطقة سكنية بعدما كانت موضع نزهة مخصص للخلفاء الفاطميين ووزرائهم (١). فقد خصصت في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي لتكون مقرا لاحدى أكبر فرقة بالجيش الأيوبي، (٢) علاوة على سكنى عامة الناس فيها كما يشير بذلك ابن جبير (٣). وبالاضافة الى المواضع سابقة الذكر، فلقد أخذ العمران بالتزايد في مواضع أخرى من القاهرة الكبرى. فقد تزايد العمران بالقرافة، حيث تذكر المصادر بأنه عندما عمر الناصر صلاح الدين مدرسته (٤) المجاورة لقبر الامام الشافعي رضي الله عنه، تزايدت سكنى الناس بالقرافة في هذه الناحية، (٥) فأضحت مأوى للغرباء والعلماء والمتصوفة. الذين يخصون برعاية الناصر صلاح الدين واهتمامه، (٦) علاوة على تحولها الى موضع نزهة، يحوى العديد من القصور والمناظر التي ابتناها أعيان الفسطاط والقاهرة. (٧)

ولقد أدى هذا النشاط العمراني الى ظهور العديد من الأحياء الجديدة التي أشارت المصادر الى بعضها وأفاضت بالحديث عنها، وعلى الأخص تلك التي تقع في القاهرة. فعلى ميدان بين القصرين ظهر

----

(١) ص : ٣١٣ هامش (١).

(٢) Janet Abu Loghd, Cairo, p. 30.

(٣) ابن جبير، الرحلة، ص ٢٩.

(٤) عن هذه المدرسة انظر ص : ٤٧٨.

(٥) المقريزى : الخطط، جـ٢/ ٢٩٦.

(٦) ابن جبير، م.س، ص ٢٤.

(٧) ص : ٤٤٦.

خط يحمل نفس الاسم ذلك أنه قد عرف بخط بين القصرين (١) ، وقد تركز فيه أهم اسواق القاهرة ومتنزهاتها (٢) . أما المنحر ، فلقد قام على أرضه الحى السكنى الذى عرف بالدرب الأصفر. (٣) في حين أن اراضي ميدان باب الفتوح قد اقيم عليه خط خان السبيل، (٤) الذى ظهر في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي ،فالمصادر تربط بين هذا الخط وخان السبيل (٥) الذى بني في تلك الأثناء (٦) . ومن

----

(١) المقريزى ،الخطط ،جـ٢/ ٢٨ ، الخاصكي ،التحفة الفاخرة ، لوحة : ٣٤ . البكرى ، قطف الأزهار ،لوحة : ١١١ ،ويعرف موقع هذا الحي الآن بالنحاسيين . على باشا مبارك ، الخطط التوفيقية جـ٢/ ٩١. فتحي الحديدى ، القاهرة ،ص ١٠٠-١٠١.

(٢) ص ،ص : ٤٢٨-٤٢٩ ، ٤٤٤ .

(٣) المقريزى ، م.س ،جـ١/ ٤٣٦ ،جـ٢/ ٤٤ ،الخاصكي ،م.س، لوحة ٥٣ . مؤلف مجهول ، تاريخ المصر القاهرة ،ورقة ٥١ . ولا يزال يعرف بهذا الاسم حتى الوقت الحاضر. على باشا مبارك م . س ،جـ٢ / ٢١٥.

(٤) ص : ٣٨٣-٣٨٤.

(٥) المقريزى ، م.س ،جـ٢/ ٣٦ ،القلقشندى ،صبح الأعشى ،جـ٣/٣٥٦ مؤلف مجهول ،م.س ، ورقة ٤٢ ،وبما أن خان السبيل يدل عليه جامع البيومي ،انظر ص : ٤٩٤ هامش (٧) ، فمن الواضح ان هذا الخط كان يشمل في تلك الفترة مجموعة الشوارع الممتدة من هذا الجامع الى باب الفتوح . وهي تشمل : شارع البيومي ،شارع الخواص ،شارع أبي قشة . انظر : على باشا مبارك ، م.س. ،جـ٢ / ٧٠ - ٧٥.

(٦) ص : ٤٩٣ - ٤٩٤ .

المؤكد ان البناء على اطراف الشوارع الفسيحة ، قد أدى الى ظهور العديد من الأحياء - كالخطط - نوع خط - والدروب ،والأزقة (١)

فمن المؤكد أن البناء بجانب أسوار القصر الشرقي الكبير ، قد ترتب عنه ظهور عدد من الأحياء في الشوارع التي تحيط بهذا القصر . فمن الواضح ان ظهور خط باب الزهومه (٢) كان في تلك الفترة ،وهو خط ظهر في الشارع الذى يفصل سور القصر والمخازن الواقعة الى الجنوب منه ، (٣) كما تشير الى ذلك التوقيعات على الخرائط . (٤) كما أن هذا التوجه في البناء قد ادى الى ظهور درب المقدم ، الذى يقع في الطريق الفاصل بين خزانة البنور (٥) وسور القصر (٦) . أما بالنسبة للمناطق الأخرى فلا شك في أن اتصال المقس بالقاهرة ، في تلك الفترة (٧)

---

(١) لاحظ ما سبق أن ذكرناه من ان الخط والدرب والزقاق تدل على طرقات عرضها أقل من الشارع ، .

(٢) المقريزى ، المخطط ،جـ٢/ ٣٥ ،وباب الزهومة هو أحد ابواب القصر الشرقي الكبير كانت تدخل منه موائد الطعام من مطبخ القصرين فسمى بالزهومه نسبة للزفر . المقريزى ،م٠س ،جـ١/ ٤٣٥ .
ويدل على موقع هذا الباب الآن الحوانيت الواقعة في أول شارع خان الخليلى على يسار الداخل الى هذا الشارع من جهة شارع الصمانجية من شارع بين القصرين . اى ان مدخل شارع خان الخليلى من هذه الجهة يدل على هذا الخط. انظر : محمد رمزى ، التعليقات فى النجوم الزاهرة ،جـ٤/ ص ٣٦ ،هامش (٢) ، عبد الرحمن زكي ،القاهرة ،ص ١٨ . هامش (١) .

(٣) عن موضع هذه الخزائن انظر ص ٣٥٨ هامش (١)

(٤) انظر خريطة رقم (٣٧) .

(٥) عن هذه الخزانة انظر ص ص ٣٦٨ وهامش (١)

(٦) على باشا مبارك ، الخطط التوفيقية جـ٢ / ٢٢٤ .

(٧) ص : ٣٨٦ .

قد أدى الى تحوله الى خطه تتبع القاهرة الكبرى.(١) وتشير المصادر الى عدد من الاحياء التي ظهرت على أراضي شاطيء النيل الشرقي فهناك خط الساحل القديم(٢) الذى يقع على مدخله الشمالي باب مصر(٣)، الذى بناه صلاح الدين الأيوبي.(٤) كما أن البناء فيما بين مصر والقاهرة، قد أدى الى ظهور العديد من الأحياء الجديدة مثل خط الكبش(٥) وخط الجامع الطولوني(٦)، وخط المشهد النفيس،(٧) وغيرها من الخطط والاحياء.(٨)

---

(١) المقريزى، الخطط، جـ٢/١٢٤. مؤلف مجهول، تاريخ المصر القاهرة، ورقة ١٤١. ومن الواضح ان المقس لم يكن في عهد الناصر صلاح الدين ويختلف كثيرا عن وضعه في العصر المماليكي اى انه يشغل المنطقة التي تحد اليوم من الشمال بشارع الطبلة والتمكى والطواشى وبين الحارات، ومن الشرق شارع الخليج المصرى ومن الجنوب شارع قنطرة الدكة وشارع القبيلة ودرب القطه وشارع الفوطيه وشارع سوق الزلط وشارع الخراطين ومن الغرب شارع الملكة نازلي وميدان باب الحديد وشارع عماد الدين. انظر: محمد رمزى، التعليقات في النجوم الزاهرة، جـ٤/٥٣-٥٤، هامش (٧).

(٢) عن موقع الساحل القديم انظر خرطة رقم (١٢) نقلا عن:
Casanova, Paul, de Constitution , plan 1.

(٣) ابن دقماق، الانتصار، ق٢/ ص: ٤٠.

(٤) عن هذا الباب انظر ص: ٣٨٧.

(٥) سبق الاشارة الى جبل الكبش. ويدل عليه شارع قلعة الكبش. انظر على باشا مبارك، الخطط التوفيقية جـ٢/ ٣١٦.

(٦) يدل على هذا الخط شارع طولون الذى يقع فيه جامع ابن طولون المشهور، انظر: على باشا مبارك، م.س، جـ٢/٣٠٨-٣٠٩.

(٧) يدل عليه شارع السيدة نفيسه وحارتها، انظر، على باشا مبارك، م.س، جـ٢/١٨٩-١٩٢.

(٨) المقريزى، م.س، جـ٢/١١١.

ثانيا : اعادة عمارة الأحياء المنتثرة :

لم يقتصر أثر النشاط العمراني في القاهرة الكبرى في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي على ظهور احياء جديدة فحسب بل تجاوز ذلك فأخذ أثره يظهر في اعادة عمارة بعض الأحياء التي كادت أن تندثر في أواخر العصر الفاطمي . ففي الفسطاط التي خربت غالب مبانيها وتعرض للتلف والخراب (١) ، اخذت العمارة تظهر بها من جديد حيث أخذ أهلها في اصلاح بعض اجزائها القديمة . (٢) فأعيدت عمارة المناطق المحيطة بالجامع (٣) ، حيث يذكر ابن جبير بأنه عندما قدم الى الفسطاط نزل بفندق في زقاق القناديل (٤) ، وهو حي من أحياء الفسطاط القديمة أشاد به المقدسي (٥) ، وذكره المسبحي (٦) . ومن المرجح ان تكون قد اعيدت عمارة المحلات التي تعرضت للتلف أثناء ثورة العبيد (٥٦٤ هـ / ١١٦٨م) (٧) . التي دارت رحاها في داخل القاهرة فيما بين قوات صلاح الدين الأيوبي وطوائف العبيد السوداني في المنطقة الواقعة فيما بين القصرين وصولا الى باب زويلة (٨) ذلك

---

(١) ص : ٣٠٧ - ٣٠٨ .

(٢) ابو شامة ، الروضتين ، جـ١/ ق٢/ ٤٣٥ .

(٣) المقريزى ، الخطط ، جـ١/ ص ٣٣٩ .

(٤) ابن جبير ، الرحلة ، ص ١٩ . وهذا الزقاق يقع الى مواجهة الضلع الشمالي الشرقي لجامع عمر بن العاص :

Casanova, Paul , de Reconstitution, p.2

(٥) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ١٩٩ .

(٦) المسبحي ، اخبار مصر ، ص ١٩٩ .

(٧) عن هذه الثورة انظر ص : ٢١٤ - ٢١٥ .

(٨) المقريزى ، م . س ، جـ٢/ ٢ - ٣ .

انه كلما تراجع العبيد الى محله من المحلات كان يجرى احراقها عليهم.(١) مما يشير الى تعرض العديد من المحلات الى التلف والتخريب . ولا شك في أنه اعيدت عمارتها واصلاحها بعد ان استقرت الأمور،كذلك أعيدت عمارة بعض الأحياء الواقعة جنوبي باب زويلة ،التي كانت تقع على جانبي الطريق المؤدى الى الفسطاط .(٢) يدل على ذلك ما يذكر المنذرى أثناء حديثه عن تراجم بعض المحدثين الذين كانوا يقطنون في هذه المنطقة . فهو أثناء حديثه عن أبي محمد عبد الملك بن سعيد النابلسي المتوفى عام (٥٨٣هـ / ١١٨٧م) وعن ابي المرجى سالم بن مسمار البلبيسي والمتوفى في نفس العام وعن أبي القاسم خلف بن رافع المسكى المتوفى عام (٥٨٦ هـ / ١١٩٨م) يذكر بأن المذكورين ينسبون الى الشارع الواقع في ظاهر القاهرة الجنوبي ، فهم قد عرفوا "بالشارعي" نظرا لسكناهم فيه ،(٣) وهو أمر يدل على عودة النشاط السكني الى هذه المنطقة وعلى اعادة عمارة احيائها القديمة . وهو ما يتأكد ايضا مما أورده ياقوت أثناء حديثه عن حارة حلب التي يذكر بأنها محلة تقع فيما بين الفسطاط والقاهرة شاهدها أكثر من مرة .(٤) ومن المعروف أن هذه الحارة هي من

---

(١) ابو شامة ،الروضتين ،جـ١/ق٢/ ص ٤٥١ ،ابن واصل ،مفرج الكروب ،جـ١/ص١٧٦. البندارى ، سنا البرق ،ص ٤٤.

(٢) ص : ٣١٩ .

(٣) عن ذلك وعن تراجم هؤلاء انظر المنذرى ،التكملة جـ١/ ٧٣، ٧٧، ١٣٠.

(٤) ياقوت ،معجم البلدان ،جـ١/ ٢٩٠. وانظر أيضا : عبد العال الشامي ، مدن مصر وقراها ،ص ٣٦. ويذكر على باشا : أن موضع هذه الحارة يدل عليه في عصره عطفة مراد بك . انظر على باشا مبارك ، الخطط التوفيقية ،جـ٢/ ١٤٧ وانظر أيضا خريطة رقم (٩).

حارات الاجناد الفاطميين التي كانت موجودة في ظاهر القاهرة الجنوبي [١] لذلك فمن المؤكد أن بعض أحياء الاجناد التي كانت تقع في هذه المنطقة [٢] قد أعيدت عمارتها في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي . بعد ما تعرضت للحرق والتلف في ثورة العبيد (٥٦٤هـ/١١٦٨م). اذ من المؤكد أن محلة المنصورية التي تذكر المصادر المعاصرة بأنه قد جرى احراقها من قبل قوات صلاح الدين الأيوبي [٣] . انما يقصد به جميع المنطقة السكنية [٤] وليس مجرد تلك المنشآت التي تقع على يمين الخارج من باب زويلة كما يذكر المقريزى [٥] . فعلى الرغم من أن هناك

---

(١) المقريزى ، الخطة جـ٢/٢٣ ،القلقشندى ،صبح الاعشى ،جـ٣/ ٣٥٩ . على باشا مبارك ، ن.م.س.

(٢) حسبما تذكر المصادر فانه كان يوجد في العصر الفاطمي عدد من حارات الاجناد جنوبي باب زويلة منها البانسية والمصامدة ، والحبانية وغيرها من الحارات. انظر : المقريزى ،م.س ،جـ٢/ ٢١ ، ٢٤ - ٢٥ ، القلقشندى ،ن.م.س ، مؤلف ،تاريخ المصر القاهرة ،ورقة ٢٣ .

(٣) لقد تم هذا الاجراء من قبل قوات صلاح الدين لتثبيط عزائم الثوار ،حيث كانت المنصورية مساكنهم وفيها الحرم والولد . انظر في ذلك ما يرد عن العماد الاصفهاني وابن الاثير وابن واصل في هذا الصدد ،ابن الاثير ،الكامل ،جـ٩ / ١٠٣ . أبو شامة ،الروضتين ،جـ١/ق٢/ ٤٥٢ ،ابن واصل ،مفرج الكروب جـ١/ ١٧٦ .

(٤) انظر هامش (٢) .

(٥) المقريزى ، الخطط ،جـ٢/ ١٩ ، وبناءا على هذا التحديد فان على باشا يضع موضعهذه الحارة ،في موضع حارة القربية في شارع القربية . على باشا مبارك ،الخطط التوفيقية ،جـ٣/ ٢٣٣-٢٣٤ .

حارة تعرف بالمنصورية كانت تقع في هذه المنطقة ، الا أنها من الواضح ان المنصورية ، لفظ كان يطلق على جميع الحارات الواقعة في ظاهر القاهرة الجنوبي في تلك الأثناء حيث جرت العادة في العصر الفاطمي على ان يطلق على جميع الاحياء الواقعة في ظاهر القاهرة اسم علم واحد . فالحسينية الواقعة في الظاهر الشمالي للقاهرة ، كانت عبارة عن مجموعة من الحارات كما يذكر ابن عبد الظاهر.(١) لذلك فمن المرجح أن يكون السلطان صلاح الدين الأيوبي الذى سمح بتحويل بعض المواضع السكنية التي جرى احراقها في هذه المنطقة الى بساتين(٢) قد سمح أيضا باعادة عمارة مواضع اخرى منها ليعود اليها النشاط السكني .

ثالثا : اختفاء بعض الأحياء :

ومن المظاهر العمرانية التي تعرضت لها احياء القاهرة في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي اختفاء بعض الأحياء السكنية حيث اختفت في عهده بعض المناطق السكنية بشكل كامل ، لتأخذ وجها عمرانيا آخر يختلف عما كانت عليه في السابق . فرغبة السلطان الناصر صلاح الدين في تحويل المناطق الواقعة فيما بين الفسطاط والقاهرة والواقعة على يمين الخارج من باب زويلة (الناحية الغربية للشارع الاعظم) الى بساتين.(٣)

---

(١) نقلا عن القلقشندى ، صبح الاعشى جـ٣/٣٥٥ . ولا تزال هذه الحارة معروفة حتى الان بشارع الحسينية . عنها انظر : على باشا مبارك ، م.س ، جـ٢/ ٦١- ٦٧ .

(٢) انظر مايلي .

(٣) انظر خريطة رقم (١٥) .

قد ادى الى تحويل حارات الاجناد الفاطميين الموجودة في هذه المنطقة الى بساتين ، كما تشير الى ذلك المصادر أثناء حديثها عن حارة المنصورية الواقعة في هذه المنطقة (١) . حيث هدمت أنقاضها وحرثت أراضيها ، واتخذ فيها بعض امراء الدولة الصلاحية بساتين لهم. (٢) ومن المؤكد أن ما حدث لحارة المنصورية ، قد حدث لحارة الحبانية أيضا التي كانت من حارات الاجناد الفاطميين . (٣) والتي تقع في هذه المنطقة على شاطئ بركة الفيل (٤) . الى الغرب من المنصورية . (٥) فمما لا شك فيه ان بستان الحبانية (٦) الذى أوقفه صلاح الدين على خنكاه سعيد السعداء ، (٧)

----

(١) انظر الصفحة السابقة والتي قبلها .

(٢) أبو شامة ، الروضتين ، ج١/ ق٢/ ٤٥٢ . ابن واصل ، مفرج الكروب ج١/ ١٦٨ . وينقل المقريزى عن ابن عبد الظاهر ان الذى حولها الى بستان هو الأمير صارم الدين قطلبا . المقريزى ، الخطط ج٢/ ١٩ ، والراجح ان ابن عبد الظاهر يقصد بذلك موضع الحارة المنصورية ، بينما ما يرد عند ابو شامة وابن واصل هو اشارة الى مجموعة الحارات التي تقع في هذه المنطقة وتحمل نفس الاسم كما سبق أن ذكرنا .

(٣) القلقشندى ، صبح الأعشى ج٣/ ٣٥٩ .

(٤) عن هذه البركة وموضعها انظر ص ١١٨-١١٩ .

(٥) يدل على ذلك موقع الحارة حديثا الذى يدل عليه شارع الحمزية وشارع الحبانية على ما يظهر . انظر : على باشا مبارك ، الخطط التوفيقية ، ج٣/ ٢٣٧ ، ٢٤٥ ، وانظر خريطة رقم (٣) .

(٦) عن هذا البستان انظر ص : ٤٤٩ .

(٧) عن هذا الوقف وهذه الخنكاه انظر ص : ٤٨٢-٤٨٣ .

قد انشىء على انقاض هذه الحارة أوعلى أجزاء منها على أقل تقدير.(١)

ولم يكن اختفاء الحارات يجرى بشكل كامل على الدوام في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي . فقد اختفت بعض الأحياء في تلك الفترة اختفاء رمزيا نتيجة اختفاء مسمياتها ، فحارة الريحانية والوزيرية(٢)، اصبحت منذ عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي تعرف بحارة بهاء الدين نسبة الى بهاء الدين قراقوش(٣) الذى سكنها فنسبت اليه.(٤)
كذلك اختفت في تلك الفترة ايضا حارة الامراء الاشراف الأقارب(٥) .

---

(١) يبدو أن حارة الحمزيين التي انشئت بعد سنة (٦٠٠هـ/١٢٠٣م) قد أخذت اجزاء من هذه الحارة . المقريزى ،الخطط ،جـ٢/ ١٦. في حين ان البستان اسس على أجزاء أخرى حيث ظلت بقايا موضعه اراضي حتى عهد على باشا . انظر على باشا مبارك م.س جـ٣/ ٢٤٥.

(٢) وهذه الحارة من حارات الاجناد الفاطميين عنها انظر ص ٣٧٥ هامش (١).

(٣) هو احد قواد صلاح الدين الأيوبي ،عنه انظر ص : ٣٨٦ هامش (٥).

(٤) المقريزى ،الخطط جـ٢/ ٢ ،الخاصكي ، التحفة الفاخرة ،لوحة٢ البكرى ، قطف الازهار ،لوحة ١٠٧ ، مؤلف مجهول ،تاريخ المصر القاهرة ،ورقة : ٢ ، وهذه الحارة تقع الان في المنطقة الممتدة فيما بين شارع بين السيارج وسور القاهرة الشمالي فتشمل بذلك حارة المغاربة . انظر على باشا مبارك ، الخطط التوفيقية جـ٣ / ١٢١ - ١٢٢.

(٥) لم تقدم المصادر معلومات واضحة عنها وانما يدل اسمها على انها كانت سكنا لاقارب الفاطميين ، المقريزى ، م.س جـ٢/ ١٦.

===

الذى اصبحت ضمن النطاق العمراني لدرب شمس الدولة [١] ، و من المؤكد أن هذا الاختفاء الرمزى يعكس التغير السكاني الذى أحدثه الناصر صلاح الدين في القاهرة. [٢] اذ ان الحارات المذكورة قد أجلى عنها سكانها في تلك الأثناء ، فقد كان سكان محلة الريحانية والوزيرية من جملة طوائف عبيد الشراء [٣] . وهذه الطوائف من الجند قد جرى اخراجهم من القاهرة بعد انكسارهم في ثورتهم المشهورة في عام (٥٦٤هـ/١١٦٨م) [٤].

أما حارة الامراء الأشراف الأقارب فمن المؤكد ان سكانها الذين كانوا من أقارب الفاطميين [٥] ، قد جرى الاحتراز عليهم وسجنهم مع بقية افراد الأسرة الفاطمية. [٦] فأدى ذلك الى خلو هذه الحارات من ساكنيها ،

=== الخاصكي ، التحفة القاهرة ، لوحة : ١٧ ، ويذكر المقريزى ان موضعها في عصره يدل عليه سوق الزجاجين والحريرين الشرابشيين . المقريزى ، الخطط ، م.س ، جـ١/٣٦٣ ، والذى تشير التوقيعات الخرائطية على انه هو شارع الوراقين الى الجنوب من حارة درب شمس الدولة الحالية ، انظر:

A. Raymond E Wiet, Les Marcees de Caire, plan 3.

وهو ما لم يشر اليه على باشا اثناء حديثه عن هذا الشارع حيث يجعل سوق الحريريين في شارع الأشرفية ، على باشا مبارك ، م.س ، جـ٢/١٠٥ ، جـ٣/١٥٦.

(١) ص : ٤٠٦.

(٢) عن هذا التغير السكاني انظر ص : ٥٠٦ - ٥١١.

(٣) المقريزى ، م.س ، جـ٢/٣ ، مؤلف مجهول ، ن.م.س .

(٤) ص : ٥٠٧.

(٥) انظر هامش (٥) الصفحة السابقة.

(٦) قام صلاح الدين بحبس كافة افراد الأسرة الفاطمية وفرق بينهم

===

ليحل غيرهم محلهم كما يشير الى ذلك سكنى بهاء الدين قراقوش في الحارة التي نسبت اليه . وان كان ينبغي الاشارة هنا الى ان التغير السكاني الذى قام به صلاح الدين الأيوبي في القاهرة لم يكن شاملا اذ أبقى على بعض سكان القاهرة الفاطمية ولم يخرجهم من محلاتهم ، فحال ذلك دون اختفائها الرمزى ، فحارة الروم الجوانية (١) ظلت عناصرها السكانية تستوطن بها حتى العصور الحديثة ، فيذكر على باشا مبارك بأن أغلب سكانها في عصره (... من نصارى الشام والأروام). (٢) كذلك كان الحال بالنسبة لحارة زويلة (٣) التي سكنها اليهود منذ عهد الحاكم بأمر الله (٤) ، وظلوا يسكنون بها حتى العصور الحديثة كما يشير الى ذلك على باشا مبارك (٥) ،الأمر الذى جعلها تحتفظ باسمها الى ما بعد عصر المقريزى على أقل تقدير. (٦)

=== فجعل رجاله في موضع ونساءهم في موضع آخر لكي لا يتناسلوا ويكون ذلك مدعاة لانقراضهم . المقريزى ،الخطط ،جـ١/ ٤٩٦ .

(١) كانت هذه الحارة احدى حارتين اختطها الروم عشية تأسيس القاهرة احداهما عرفت بالبرانية لأنها كانت خارج سور القاهرة في ذلك الوقت بينما عرفت الثانية بالجوانية وهي المقصود هنا ولا تزال تعرف بهذا الاسم حتى الوقت الحاضر . انظر المقريزى م.س ،جـ٢/ ٨ ، ١٤ ،القلقشندى ،صبح الاعشى جـ٣/ ٣٥٣ ، ٣٥٥ ، ابن تغرى بردى ،النجوم الزاهرة ،جـ٤/ ٤٢ . وهامش(٤) من نفس الصفحة ، على باشا مبارك ،الخطط التوفيقية جـ٢/ ٢٠٣ فتحي الحديدى ،القاهرة ، ص ٢١ .

(٢) على باشا مبارك ،م.س ،جـ٢/ ٢٠٦ .

(٣) اول من اختط هذه الحارة طائفة من البربر يعرفوا بزويلة قدموا مع جوهر القائد من بلاد المغرب ،للمزيد انظر ص :٣٣٧ هامش(١)

(٤) القلقشندى ،م.س ،جـ٣/ ٣٥٣ ،وعن الحاكم بأمر الله انظر ص ١٢٠ هامش (٣) .

(٥) على باشا مبارك ،م.س ،جـ٣/ ٧٣ .

(٦) على باشا مبارك ، م.س ،جـ٣/ ٧٢ .

رابعا - تغير النطاق العمراني للأحياء :

ومن المظاهر العمرانية التي تعرضت لها الاحياء في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي تغير النطاق العمراني للأحياء . ونظرا لما شهدته القاهرة في تلك الفترات من تعديلات عمرانية أساسية ،تمثلت في تحويل العديد من منشآتها وساحاتها الى أحياء سكنية . فان ذلك أدى الى اضطراب في خطة المدينة ، ظهر اثره على النطاق العمراني للأحياء ، حيث أخذ بعضها بالاتساع والنمو تبعا للتعديلات الجديدة هذه . فأخذ بعضها بالتوسع على حساب المنشآت التي تحولت الى أحياء سكنية فقد كان تحول اصطبل الجميزة الى منطقة سكنية (١) سببا في أن تضم اجزاء كبيرة منه الى حارة زويلة (٢) . حيث يذكر ابن الطوير أثناء حديثه عن هذا الاصطبل انه يقع في عصره في حارة زويلة (٣) . وكذلك فان على باشا مبارك عندما يتحدث عن البئر التي كانت مرسومة لهذا الاصطبل في العصر الفاطمي ،فانه يرجح بأن تكون هي عين البئر الموجودة في حمام حارة اليهود القرايين (٤) ، وهي حارة تعتبر في الأصل جزءا من حارة زويلة (٥) ، مما يدل على أن النطاق العمراني لهذه الحارة قد توسع على حساب هذا الاصطبل ، بعدما كانت تقع الى الغرب منه ،حيث كان الاصطبل يفصل بينها وبين القصر الغربي الصغير في العصر الفاطمي (٦) . كذلك فان هناك من الاحياء السكنية التي

---

(١) عن ذلك وعن هذا الاسطبل انظر ص: ٣٥٢-٣٥٣ .

(٢) عن هذه الحارة انظر ص ٣٣٧ هامش (١) .

(٣) نقلا عن المقريزى ،الخطط ج١/ ٤٤٤ .

(٤) على باشا مبارك ، الخطط التوفيقية ج٣/ ١٣٩-١٤٠ .

(٥) على باشا مبارك ، م.س ،ج٣/ ٧٣ .

(٦) المقريزى ، م.س. ج١/ ٣٦٣ .

اخذت بالتوسع على حساب الساحات والمنشآت في آن واحد ، فمن الواضح أن حارة قائد القواد أوما عرفت بدرب ملوخيا (١) في وقت لاحق قد أخذ نطاقها العمراني بالتوسع على حساب خزائن دار افتكين (٢) ورحبة قصر الشوك (٣) . فعندما تتحدث المصادر عن هذه الخزائن تذكر بأنه قد أصبح في موضعها مدرسة القاضي الفاضل (٤) وآدره بدرب

---

(١) هذه الحارة عرفت بقائد القواد حسين بن جوهر الصقلي (ت ٤٠١هـ/ ١٠١٠ م). ولي الوزارة للخليفة الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ/ ٩٩٦ - ١٠٢٠م) لمدة ثمان سنوات تقريبا (٣٩٠ - ٣٩٨هـ / ٩٩٩ - ١٠٠٧ م) كان يسكن هذه الحارة فعرفت به ثم عرفت بحارة ملوخيا على ما يبدو وقبل ان تعرف بدرب يحمل نفس الاسم ، وملوخيا هو ملوخيا الفراش صاحب ركاب الحاكم بأمر الله قتله الحاكم وباشر ذلك بنفسه . ولا تذكر المصادر تاريخ القتل هذا .
انظر عن ذلك : المقريزى ، م.س جـ٢/ ١٤ - ١٦ ، ٣٨ . ويذكر بعض الباحثين بأن موقع هذه الحارة يدل عليه في الوقت الحاضر حارة قصر الشوك. عبد الرحمن زكي ، موسوعة مدينة القاهرة ، ص ١١٦ ، محمد رمزى ، التعليقات في النجوم الزاهرة ، جـ٤/ ٤٩ ، هامش (٦). فتحي الحديدى ، القاهرة ، ص ٢٢ .
والصحيح ان الذى يدل على هذه الحارة في الوقت الحاضر هو شارع درب القزازين كما يشير الى ذلك وثائق الملكية.
انظر على باشا مبارك ، م.س ، جـ٢/ ٢٣٧ - ٢٣٨ ، السخاوى تحفة الأحباب ، ص ٩٢ . تكملة هامش (٢) في ص ٩١ .

(٢) عن هذه الخزائن انظر ص : ٢٥٨ ، هامش (٣).

(٣) عن هذه الرحبة انظر ص : ٣٨٧ - ٣٨٩

(٤) هذه المدرسة تنسب الى القاضي الفاضل وزير صلاح الدين الأيوبي انظر ص : ٤٨٠.

ملوخيا [(١)] . مما يدل على ان هذه الخزائن قد ضمت الى هذا الحي ، بعد ان تمت اعادة تخطيطها في حين أنها لم تكن من جملته على الأرجح في العصر الفاطمي ، اذ أن كل ما يرد عنها في تلك الفترة هو انها كانت تحد رحبة قصر الشوك من جهاتها الشرقية [(٢)] . بل ان من الواضح أن هذا الحي قد اخذ نطاقه العمراني بالتوسع على حساب رحبة قصر الشوك ، التي تحولت الى منطقة سكنية في تلك الفترة . [(٣)] اذ أن باب قصر الشوك [(٤)] ، الذى كان يطل على هذه الرحبة ، [(٥)] قد أصبح بابا لدرب ملوخيا . وقد اشار الى ذلك على باشا مبارك أثناء تحديده لموقع هذا الباب في عصره حيث يذكر بأن موضعه الآن (.. باب حارة درب القزازين الصغير ..) . [(٦)] ودرب القزازين هذا هو درب ملوخيا قديما . [(٧)] وهناك أحياء توسع نطاقها العمراني على حساب أحياء أخرى ، ذلك ان بعض الأحياء قد تتداخل ، كما سبق ان ذكرنا وتضم بعضها بعضا ، فيستوعب أحدها الآخر ضمن نطاقه العمراني [(٨)] . ومن

----

(١) المقريزى ، الخطط ، جـ١ / ٤٢٣ .

(٢) الخاصكي ، التحفة الفاخرة ، لوحة ٦٣ .

(٣) ص : ٣٧٩ .

(٤) هذا الباب هو احد ابواب القصر الشرقي الكبير ، وكان يتوصل منه الى احد قصور هذا القصر وهو قصر الشوك فنسب اليه ، المقريزى ، م.س ، جـ١ / ٤٣٥ .

(٥) المقريزى ، م.س جـ٢ / ٣٦٢ .

(٦) على باشا مبارك ، الخطط التوفيقية جـ٢ / ٩٤ .

(٧) انظر هامش (١) الصفحة السابقة .

(٨) ص : ٣٤١ - ٣٤٢ .

ابرز الأمثلة على ذلك ما تذكره النصوص التاريخية عن حارة الأمراء (١) ، حيث تشير الى أن هذه الحارة يدل عليها بعد العصر الفاطمي درب شمس الدولة (٢) .رغم أن هذا الدرب كان اصله حيا نشأ على أنقاض أحد القصور كما تشير الى ذلك نصوص تاريخية اخرى ،سبق الاشارة اليها (٣) . مما قد يوحى بأن هناك تناقضا في الروايات التاريخية . بيد أنه من المرجح أن السبب في ذلك يعود الى ان هذا الدرب قد توسع نطاقه العمراني فأصبح يشتمل على كامل الحارة في تلك الأثناء. (٤) ومثل ذلك يمكن أن يقال بالنسبة لخط سويقة أمير الجيوش (٥) الذى كانت بداية نشأته على أنقاض أحد القصور الفاطمية كما سبق أن أشرنا (٦) ، وهو ما يتناقض مع ما تذكره المصدر التاريخيه عن هذا الخط ،حيث تذكر بأن موضعه كان يعرف في العصر الفاطمي بحارة الفرحيه (٧) .

---

(١) سبق الاشارة اليها انظر ص : ٣٥٣ هامش (٦).

(٢) المقريزى ، الخطط ،جـ٢/ ١٦ ، ٣٧ ،الخاصكي ، التحفة الفاخرة لوحة ٤٧ ،موءلف مجهول : تاريخ المصر القاهرة ورقة ٤٣ ، وعن هذا الدرب انظر ص ٣٥٤ - ٣٥٥.

(٣) ص : ٣٥٤ - ٣٥٥.

(٤) من الواضح ان النطاق العمراني لهذا الدرب قد تراجع وتقلص في عصر المقريزى اذ يذكر انه اصبح في موضع حارة الأمراء في عصره ،وفي سوقي الحريرين والشرابيين والزجاجيين اللذان كانا في تلك الفترة يقعان بجوار درب شمس الدولة حيث يسلك منهما الى هذا الدرب ،انظر المقريزى ،م.س ،جـ١/٣٦٣ ، ٣٦٤.

(٥) عن هذا الخط انظر ص : ٣٥٨ .

(٦) ص : ٣٥٨ - ٣٦٢.

(٧) الفرحية : هي طائفة من طوائف عبيد الشراء في الجيش

===

الا أنه بالنظر الى ما يذكره المقريزى عن هذا الخط في عصره يلاحظ بأنه ينقسم الى قسمين رئيسيين الاول هوالسويقة التي تعرف بسويقة امير الجيوش ، والتي كانت تقع في رأس الخط من جهة شارع القصبة.(١)
أما الثاني فهو زقاق درب الفرحية والذى كان يمتد فيما بين السويقة وباب القنطرة.(٢) وعليه فان المرجح ان يكون خط سويقة امير الجيوش قد قام في بداية ظهوره على أنقاض القصر الفاطمي الذى كان يقع بعضه في موضع السويقة كما يشير الى ذلك التوقيعات على الخرائط.(٣)
ومن ثم توسع نطاقه العمراني ليشمل حارة الفرحية التي كانت تشغل المنطقة الممتدة فيما بين السويقة وباب القنطرة .

ولم يقتصر تغير النطاق العمراني للأحياء على مجرد التوسع ، اذ يلاحظ انه قد جرى في تلك الفترة تقلص النطاق العمراني لبعض الأحياء ، فحارة الوزيرية(٤) قد تقلص نطاقها العمراني في العهد الأيوبي عما كانت عليه في العصر الفاطمي . حيث انفصلت عنها بعض المواضع التي كانت تتبعها.(٥) اذ أن المقريزى عندما يتحدث

----- ---------------

=== الفاطمي وعن ذلك انظر : المقريزى ،الخطط جـ٢/ ١٤، ٣٦.

(١) على باشا مبارك ،الخطط التوفيقية جـ٣/ ١٢٨.

(٢) المقريزى ، م. س ،جـ٢/ ١٤.

(٣) انظر خريطة رقم (٣٤) وانظر أيضا عن موضع هذا القصر ص : ٣٥٨ - ٣٦٠.

(٤) عن هذه الحارة انظر ص هامش ( ).

(٥) محمد رمزى التعليقات في النجوم الزاهرة ،جـ٤/ ٥١ هامش (٢). وتنسب حارة الوزيرية الى الوزير الفاطمي يعقوب بن كلس ، فانه سكنها هو وطائفة جنده ونسبت اليه ، موءلف مجهول ، تاريخ المصر القاهرة ورقة : ٥١.

عن خط دار الديباج [١] . يذكر بأنه كان في عصره يقع فيما بين خط البندقانيين [٢] والوزيرية [٣] على الرغم من أن هذا الخط كان في العصر الفاطمي من جملة هذه الحارة كما يذكر السخاوى [٤] مما يشير الى تراجع النطاق العمراني لهذه الحارة بحيث اصبحت تشمل المنطقة الواقعة فيما بين الخط المذكور وسورة القاهرة الغربي [٥] .

---

(١) سمي بخط دار الديباج لأن دار الوزير يعقوب بين كلس (كانت تقع عليه فلما) حولت في آواخر العصر الفاطمي الى دار لصناعة الحرير الديباج عرف الخط بها . مؤلف مجهول ، تاريخ المصر القاهرة ،ورقة ٣٨ ، ويدل على هذا الخط في العصر الحديث شارع اللبودية ، على باشا مبارك ، الخطط التوفيقية جـ٣/ ١٦٥ - ١٦٧ .

(٢) خط البندقانيين نسبة الى صناع تسمى البندق الذى نزلوا في هذا الخط وكان له حوانيت في سوقه فنسب اليهم . المقريزى ،الخطط جـ٢/ ٣١ ،ويدل على هذا الخط في العصر الحديث خط شارع البندقانين ،الا أن نطاقه العمراني تراجع عما كان عليه في السابق . حيث كان يشمل مواضع اخرى مثل حارة السبع قاعات وما جاورها وشارع سوق السمك القديم وغير ذلك . على باشا مبارك ،م.س ،جـ٣/ ١٥٩ - ١٦١ .

(٣) المقريزى ،م.س ،جـ٢/ ٣٢ .

(٤) السخاوى ، تحفة الاحباب ،ص ٨٤ .

(٥) اصبحت حارة الوزيرية قاصره في العصر الأيوبي والمماليكي على المنطقة الصغيرة التي تحد من الناحية الشمالية بعطفة الصاوى ومن الغرب بشارع ادب سعاده وجنوبا بالجانب الغربي لسكة النبوية وشرقا بالجانب الغربي لحارة الجودرية ،محمد رمزى ،ن.م.س وانظر خريطة رقم (١٠) .

ومن الواضح أن هذه التغيرات في النطاق العمراني للأحياء تعكس التغيرات العامة التي تعرضت لها هذه المدينة فأخذت الأحياء تستجيب لهذه المتغيرات في شكل توسع أو تقلص لنطاقها العمراني .

(ب) الشوارع الرئيسة :

يدل الأصل اللغوى للفظ "شارع" على معنيين عمرانيين ،فهو الطريق الذى يشرع فيه الناس عامة [(١)] ، ويستخدم كأداة اتصال من منطقة الى أخرى يبلغ به سالكه مقصده الذى أراد [(٢)] • وهو وسيلة لتوزيع المنشآت والمبانى داخل المدينة ،ويقال : " دور شارعه اذا كانت أبوابها شارعة فى الطريق " [(٣)] •

وتتميز المدينة الاسلامية بأنها تتكون من شبكة من الشوارع تؤول فى النهاية الى شارع رئيسى [(٤)] عرف بالشارع الأعظم أو "القصبة" ،فعلى ذلك جرى تخطيط أمصار الفتح فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه [(٥)] •

لقد شهدت شوارع القاهرة الكبرى فى عهد الناصر صلاح الدين الأيوبى العديد من التطورات التى تجسد وجها من أوجه التحولات العمرانية الكبرى التى شهدتها المدينة فى تلك الأثناء • فالدولة الأيوبية كان لديها وضوح فى التصور تجاه أهمية الطرق وحركة النقل • يدل على ذلك الطريق والقناطر التى أمر الناصر صلاح الدين الأيوبى ببنائها فى الجيزة ،فلقد عمر بهاء الدين قراقوش [(٦)] عام (٥٦٩هـ/١١٧٤م) قناطر تجاوز عددها الأربعين كانت تقع على احدى الخلجان فى المنطقة ووصل هذه القناطر بطرق مرصوفة بالحجارة ابتداء من حيز النيل بازاء الفسطاط [(٧)] • ولذلك فان من المؤكد أن تكون الدولة الصلاحية قد عمدت الى انشاء العديد من الشوارع فى القاهرة الكبرى بما يتمشى مع التطورات العمرانية

---

(١) الزبيدى : تاج العروس ٣٩٧/٥

(٢) الزبيدى : م • س ٣٩٦/٥ •

(٣) الزبيدى : م • س ٣٩٥/٥ •

(٤) نيكيتا اليسييف : التخطيط المادى ،ضمن كتاب المدينة الاسلامية ص ٩٨•

(٥) الماوردى : الأحكام السلطانية ص ١٧٩ - ١٨٠ الكتانى : التراتيب الادارية ٢٨٢/١ •

(٦) سبق الاشارة الى ترجمته ص ٤٨٦ ،هامش (٥) •

(٧) ابن جبير : الرحلة ص ٢٧ ،ابن دقماق : الانتصار ١٢٦/١ - ١٢٧ المقريزى : الخطط ١٥١/٢ • عبدالرحمن زكى : موسوعة مدينة القاهرة ص ٢١٨ • جرجى زيدان : تاريخ مصر ٣٢٢/١ •

فيها والاحتياجات الجديدة التى تتطلبها حركة النقل المرتبطة بتلك التطورات • وهكذا فقد ظهرت العديد من الشوارع فى القاهرة الكبرى فى تلك الفترة ،حيث ظهر العديد من الشوارع الجديدة فى مواضع المنشآت التى تحولت الى أحياء سكنية فى تلك الأثناء،فتحول القصور وغيرها من المنشآت الأخرى الى أحياء سكنية ،وبناء منشآت للخدمات على مواضع منها يقتضى ظهور العديد من الشوارع فى هذه المواضع كمرافق لها،فعندما تتحدث المصادر عن بعض تلك المنشآت تشير الى ظهور عدد من الشوارع فيها (١) • فالقصر الشرقى الكبير ظهر فيه عدد من الشوارع ،كانت أبوابه مداخل لها،اذ أن باب العيد (٢) كان يسلك فيه الى المارستان الصلاحى (٣)

---

(١) تذكر المصادر التاريخية عددا من الأبواب للقصر الشرقى الكبير فناصر خسرو يذكر بأن للقصر عشرة أبواب شارعةعلى المناطق المحيطة به ،بالاضافة الى تلك المؤدية الى سراديب تحت الأرض • وللأبواب العلوية هى : باب الذهب ،باب البحر،باب الريح ،باب الزهومة ،باب السلام ،باب الزمرد ،باب العيد،باب الفتوح باب الزلاقة ،باب السرية • ناصر خسرو : سفر نامه ص ٨٩ – ٩٠ • أما الأبواب التى أوردتها بقية المصادر فهى تسعة أبواب هى : باب الذهب ،باب البحر، باب الريح ،باب الزمرد،باب العيد،باب قصر الشوك ،باب الديلم ،باب تربة الزعفران ،باب الزهومة • انظر المقريزى : الخطط ٤٣٢/١ – ٤٣٥، القلقشندى : صبح الأعشى ٣٤٦/٣ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٣٥/٤ – ٣٦ •
وللتعرف على مواقع هذه الأبواب فى العصر الحديث انظر على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ٩٣/٢ – ٩٥ ،وانظر أيضا محمد رمزى التعليقات فى النجوم الزاهرة ٣٥/٤ هامش ٤،٥،٦ ،ص ٣٦ ،هامش ١،٢ ، ٣،٤،٥،٧ •

(٢) سمى بذلك لأن الخليفة الفاطمى كان يخرج منه نحو مصلى العيد لأداء صلاة العيدين • المقريزى : م • س ٤٣٥/١، القلقشندى : ن • م • س ويذكر على باشا مبارك بأن موضع هذا الباب يدل عليه فى عصره مسجد الشيخ موسى بدرب الشيخ موسى • على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ٩٤/٢ ،فى حين أن محمد رمزى يحدده بحوش الوكالة وقف السيدة نفيسة الشهيرة بوكالة عبده الحاملة رقم (٢٠) بشارع قصر الشوك محمد رمزى : م • س ٣٥/٤ هامش ٤ •

(٣) المقريزى : م • س ٣٧٦/١، القلقشندى : ن • م • س ، المارستان الصلاحى نسبة لصلاح الدين الأيوبى الذى أنشأه • انظر ص ٤٩٩ – ٥٠٠ •

الذى أسس على أجزاء من هذا القصر (١) . وكذلك كان الحال بالنسبة لباب قصر الشوك (٢) ، الذى كان من المداخل المؤدية الى هذا المارستان (٣) ،فى حين أن بابى البحر (٤) والريح (٥) كان يسلك منهما الى بعض المواضع السكنية التى توجد فى داخل هذا القصر (٦) ، والتى بدأت بالتحول الى أحياء سكنية فى تلك الفترة (٧) . كذلك كان الأمر بالنسبة لأبواب القصر الغربى الصغير (٨) حيث أضحت تلك الأبواب مداخل للمناطق السكنية الجديدة .وهكذا فان باب التبانين (٩)

---

(١) ص ٤٩٩ .

(٢) سمى بذلك لأنه يسلك منه الى قصر الشوك احدى قاعات القصر الشرقى الكبير . المقريزى : م . س ٤٣٥/١ ،ويدل عليه حديثا باب حارة درب القزازين الصغير : على باشا مبارك : ن . م . س ،محمد رمزى م س ٣٦/٤ هامش (٣) .

(٣) المقريزى : ن . م . س .

(٤) سمى بذلك لأن الخليفة كان يخرج منه اذا ماتوجه الى شاطئ النيل ولعل تسميته أتت من كونه يتجه نحو الغرب حيث يوجد النيل وموضعه اليوم بدل مدخل حارة بيت القاضى تجاه المدرسة الكاملية بشارع بين القصرين . انظر محمد رمزى : م . س ٣٥/٤ هامش (٦) .

(٥) لعله سمى بذلك لأنه يقع فى مواجهة الريح الشمالية جيدة الهواء ويذكر على باشا بأن موضعه فى وقته يدل عليه الزقاق الذى بين جامع جمال الدين ،ووكالة الكتخذا المعروفة بوكالة ذى الفقار على باشا : ن . م . س أما محمد رمزى فيحدده بباب وكالة سالم وصهد بازارعة الحاملة لرقم ٢٥ بشارع التمبكشية . محمد رمزى م س ٣٦/٤ هامش (٧) .

(٦) المقريزى : م. س، ٣٧٥/١، ٤٣٤ .

(٧) ص ٣٥٤.

(٨) كان للقصر الغربى ثلاثة أبواب حسبما ذكرت المصادر هى : باب الساباط ،باب التبانين ،وباب الزمرد . المقريزى : م . س ٤٥٨/١ .

(٩) من الواضح أن سبب تسميته وجود سوق التبانين بالقرب منه وذلك خلال العصر الفاطمى ،حيث يقع هذا السوق بالقرب من باب قبو الخرنشف الحالى . على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ٩٢/٢،وباب الخرنشف هو باب التبانين حسبما يذكر المقريزى . المقريزى ن . م . س.

قد أضحى مدخلا للمبانى والمنشآت التى ظهرت على ميدان القصر الغربى حيث يوجد خط الخرنشف (١) . ويشير ابن دقماق أثناء حديثه عن قبو دار الملك (٢) الى أن هذا القبو كان يسلك اليه عن طريق أحد أبواب هذه الدار (٣) مما يفيد بوجود شوارع فى داخلها ظهرت نتيجة تقسيمها فى عهد الناصر صلاح الدين الأيوبى (٤) . بل ان ظهور هذه الشوارع ترتب عليه اضافات جديدة لشبكة طرقات المدينة بشكل عام ،حيث استغلت للاتصال من منطقة الى أخرى . فمن ذلك الطريق التى يقع عليها باب قصر الشوك كان بالامكان الاتصال برحبة باب العيد وماحولها حيث يذكر المقريزى متحدثا عن زمانه بأنه كان يسلك من جهة هذا الباب الى درب السلامى (٥) وغيره من المناطق (٦) . وهذا الدرب كان من جملة أراضى الرحبة (٧) . كذلك كان الأمر بالنسبة لباب الريح الذى يقع شمالى القصر الشرقى (٨) .والذى كان يسلك من خلاله الى مابين القصرين (٩) . أى الى المواضع الواقعة غربى القصر المذكور حيث توجد منطقة مابين القصرين (١٠) فى حين أن درب شمس

---

(١) المقريزى : ن . م . س وعن الخرنشف انظر ص ٣٧٢ ،هامش (٥) .

(٢) عن دار الملك انظر ص ٣٢٠ ،هامش (٢) .

(٣) ابن دقماق : الانتصار ق ٥٣/١ – ٥٤ .

(٤) ص ٣٥٠ – ٣٥١ .

(٥) عرف هذا الدرب بخواجا مجد الدين السلامى (ت ٧٤٣هـ/١٣٤٢م) تاجر الخاص فى أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون ٦٩٢ - ٧٤١هـ/١٢٩٣-١٣٤١م المقريزى : الخطط ٤٣/٢ ،مؤلف مجهول : تاريخ مصر القاهرة : ورقة ٥٠ – ٥١،وهذا الدرب يدل عليه درب الشيخ موسى وهو الآن غير نافذ على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ٢٢٣/٢ – ٢٢٤ .

(٦) المقريزى : م . س ٣٦٢/١ . ونظرا لانسداد درب الشيخ موسى فهذا يعنى بأن هذا الطريق قد تغيرت معالمه وانما يمكن رسم مخطط تخيلى له بوصل هذا الدرب بشارع درب القزازين من جهة بابه الصغير انظر خريطة رقم (٣٢) .

(٧) المقريزى : الخطط ٤٣/٢ . مؤلف مجهول : ن . م . س .

(٨) محمد رمزى : التعليقات فى النجوم ٣٦/٤ هامش ٧ .

(٩) المقريزى : م . س ٤٣٤/١ . ويمكن القول بأن هذا الشارع يدل عليه الآن الزقاق الذى جعله على باشا مبارك يدل على موضع باب الريح المذكور،ومدخل حارة بيت القاضى من جهة بين القصرين والذى يدل على موضع باب البحر . انظر هامش (٤ ، ٥) الصفحة السابقة .

(١٠) ص ٣٦٥ –٣٦٦ وانظر خريطة رقم (٣٢) .

الدولة[1] الذى ظهر على أنقاض قصر فاطمى[2]، كان يسلك اليه من خط الخشيبة[3] للوصول الى موضع سوق الحريين الشرابيين[4]، الذى كان يتصل به من الناحية الجنوبية . بينما أصبح بالامكان الوصول الى ساحل النيل[5] من خلال بعض شوارع دار الملك[6] . ولقد ترتب عن البناء على الساحات والمواضع الخالية من البناء الى ظهور شوارع جديدة أيضا . فسوق الجملون الكبير الذى ظهر على احدى الساحات[7]، كان شارعا مسلوكا حتى فى أثناء الليل ،ويسلك منه الى البندقانيين[8] وغير ذلك من المواضع الواقعة الى الغرب منه[9] . ومن الواضح أن المنطقة الواقعة غربى الخليج قد شهدت عمليات تنظيم واسعة النطاق ،نظرا لازدياد الروابط بينها وبين المدينة بعد ضمها الى سور القاهرة[10] . كما

---

(١) نسبة لشمس الدولة أحد اخوة صلاح الدين الذى أسس هذا الدرب للمزيد عنه انظر ص ٣٥٤-٣٥٥ .

(٢) ص ٣٥٤ - ٣٥٥ .

(٣) سمى بالخشيبة لأنه كان يقع على مدخله فى العصر الفاطمى خشبة تمنع الأفراد من المرور راكبين لوجود مسجد بجوارها كان فى وقت من الأوقات مدفنا للخليفة الفاطمى الظاهر (٥٤٤ - ٥٤٩هـ/١١٤٩ - ١١٥٤م)، ولقد أزال صلاح الدين هذه الخشبة . المقريزى : م . س ٢/٢٩ - ٣٠ ، الخاصكى : التحفة الفاخرة لوحة ٦٣ - ٦٧،ويدل على هذا الخط فى الوقت الحاضر شارع المقاصيص . على باشا مبارك : م . س ٢/١٠٧ - ١٠٨ .

(٤) عن هذا السوق انظر ص ٤٣٥

(٥) وحسبما ورد فى خريطة الحملة الفرنسية وكان هذا الطريق سد من جهة خط الخشيبة وبقى متصلا من ناحية السوق . انظر
Reymond . E . Wiet, Les Marcees de Caire, plan, 3
وانظر خريطة رقم(٣٣)لتحديد معالم هذا الطريق .

(٦) ابن دقماق : الانتصار ق ٥٣/١ - ٥٤ .

(٧) عن هذا السوق وظهوره انظر ص ٤٢٧

(٨) البندقانين نسبة لصناع قصى البندق وعن موضع هذا الحى انظر ص ٤٣١ هامش (٣) .

(٩) المقريزى : الخطط ١٠٣/٢، الخاصكى : التحفة الفاخرة لوحة ٨٠ .

(١٠) ص ٣٣٠ .

أن بناء المنشآت والبساتين على ساحل النهر[1] ، يقتضى ظهور الشوارع كمرافق للتطورات العمرانية هذه ، مثلما حدث فى عهد الآمر بأحكام الله العبيدى[2] ، عندما خصص براين التبان[3] كموضع نزهة أنشئت فيه البساتين والدور والحوانيت ، فأدى ذلك الى ظهور الطرقات والشوارع كمرافق لهذه المنشآت . بل ان من المؤكد أنه فى تلك الفترة كان يوجد[4] شارع رئيسى يمتد بطول الساحل ويفصل بينه وبين الدور والبساتين المطلة عليه . كما يشير الى ذلك المقريزى أثناء حديثه عن فم الخور[5] . فهو يذكر بأنه كان (... يفصل بين البساتين والدور المطلة على النيل شارع مسلوك ...)[6] . وكذلك فقد جرى الربط بين القاهرة وغربى الخليج بشوارع جديدة ، فمن الواضح أن الشارع الذى يربط بين باب القنطرة (الجديد) وباب البحر[7] قد ظهر فى تلك الأثناء ، اذ أن على طرفه الشمالى يقع باب القنطرة والقنطرة ، وكلاهما من المنشآت التى بناها صلاح الدين الأيوبى بدلا من الباب والقنطرة القديمين[8] . علاوة على وجود باب البحر فى طرفه الجنوبى وهو من أبواب سور صلاح الدين الأيوبى[9] ، ولقد جرى

---

(١) هذا البناء انظر ص ٣٨٨ .

(٢) عنه انظر ص ١١٠ هامش (٢) .

(٣) عن براين التبان وموقعه انظر ص ٣٢٩ ، هامش (٤) .

(٤) المقريزى : الخطط ١١٤/٢ - ١١٥ .

(٥) هو خليج فم الخور عنه انظر ص ١١٥ - ١١٦ .

(٦) المقريزى : م . س ١٣١/٢ ، مؤلف مجهول : تاريخ المصر القاهرة ، ورقة ١٤٣ ، ويبدو أن هذا الشارع هو الذى سماه على باشا مبارك بشارع مصر العتيقة . على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ٢٢٤/٣ ، فهذا الشارع يقع فى منطقة حدود الساحل فى تلك الفترة . انظر خريطة رقم (٨) .

(٧) وهذا الشارع يضم الآن مجموعة من الشوارع هى : شارع باب الشعرية الكبير الذى يبتدىء من شارع مرجوش حيث يوجد باب القنطرة ، وشارع أبى بدير وشارع سوق الخشب والشارع باب البحر الذى يدل على موقع باب البحر . انظر : على باشا مبارك : م . س ١٢٨/٣ ، ٢٧٥ - ٢٨٠ .

(٨) ص ٤٩١ .

(٩) ص ٤٩٠ . وانظر خريطة رقم (٨) .

انشاء هذا الشارع على أجزاء من بركة بطن البقرة[(١)] . حيث كانت تمتد الى المنطقة التى يقع فيها هذا الشارع كما تشير التوقيعات بذلك[(٢)] بل ان من المؤكد أن يكون اتصال عمران المقسى بالقاهرة حينئذ[(٣)] عن طريق امتداد المبانى بمحاذاة هذا الشارع من جانبيه وصولا الى باب القنطرة ،فقد ذكر ابن سعيد بأن من يريد الوصول الى الساحل بالمقسى فان عليه أن يسير مخترقا المبانى[(٤)] . والراجح أن شارع الموسكى[(٥)] قد ظهر فى تلك الفترة أيضا حيث تقع على طرفه الشمالى قنطرة الموسكى[(٦)] التى أنشئت فى عهد الناصر صلاح الدين الأيوبى[(٧)] ..

ولقد تعرض ساحل الفسطاط لتطورات مشابهة لتلك التى حدثت غربى الخليج ،اذ أن البناء على هذا الساحل[(٨)] قد دفع المسئولين نحو الاهتمام بالمنطقة وتكوين مرافقها .

فعندما يتحدث ابن دقماق عن مساجد الفسطاط يشير الى شارع عرف "بالشارع الأعظم" كان يمتد من السيوريين[(٩)] الى باب مصر[(١٠)] . وهو باب أمر صلاح الدين بانشائه للفسطاط على أجزاء من أراضى الطرح النهرى[(١١)]

---

(١) عن هذه البركة وموقعها انظر ص ١١٩ - ١٢٠ .

(٢) انظر خريطة رقم ٣.

(٣) عن اتصال المقسى بالقاهرة انظر ص ٣٨٦ .

(٤) ابن سعيد الأندلسى : النجوم الزاهرة ص ٢٥ .

(٥) ينسب هذا الشارع الى القنطرة التى تقع عليه وتعرف بقنطرة الموسكى . على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ٣٠٩/٣ .

(٦) ن . م . س وانظر خريطة رقم

(٧) ص ٤٩٧ .

(٨) عن البناء على ساحل الفسطاط انظر ص ٣٨٧ .

(٩) لم تورد المصادر معلومات واضحة عن سبب تسمية هذا الخط وكل مايرد عنه هو تحديد موقعه . انظر ابن دقماق : الانتصار ق ٣٨/٢ . وهويقع بالقرب من جامع عمرو بن العاص الى الغرب منه . انظر :

Casanova , Paul , de Reconstitution, p. 43.

(١٠) ابن دقماق : م . س ق٨٨/١ .

(١١) وكان هذا الباب يعرف بباب الساحل أيضا . المقريزى : الخطط ٣٤٤/١، ٣٤٧ ،ويبدوا أن هذه البوابة هى التى ذكرها على باشا مبارك وقال بأنها تقع فى آخر شارع السيدة زينب من جهة مصر العتيقة . على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ١٠٥/٣،وانظر أيضا خريطة رقم ٨ نقلا عن : Casanova , op. cit.

مما يدل على ظهور هذا الشارع فى تلك الفترة ،ليكون بديلا عن " الشارع الأعظم " الذى كان يقع شرقى الفسطاط فى العصر الفاطمى • يدل عليه درب الصفا، كما يشير ابن الطوير الى ذلك أثناء حديثه عن أحد مواكب الخلفاء ،فهو يذكر بأن الموكب كان يلج الى(درب الصفا ويقال له الشارع الأعظم ...)[1] ان هذا التحول فى قصبة المدينة انما يعبر عن انتقال النشاط العمرانى من شرقيها الى غربيها فى عهد الناصر صلاح الدين الأيوبى[2] ، كما أن انشاء البساتين فى المنطقة الواقعة فيما بين الفسطاط والقاهرة على يمين الخارج من باب زويلة[3] ، يقتضى بطبيعة الحال اعادة تنظيم المنطقة بطريقة تختلف عما كانت عليه فى السابق الأمر الذى ترتب عنه ظهور شوارع جديدة ،كمرافق وخدمات لهذه المتنزهات والبساتين[4] ،لذلك فان المصادر تذكر بأن الناس أنشأوا طريقا يسلكه المارة يفصل فيما بين بستان الحبانية[5] ،وبركة الفيل[6][7] •

ولم يكن ظهور الشوارع الجديدة قاصرا على تلك الأسباب فقط بل لقد جرى شق بعض الشوارع من خلال بعض الحارات لتخترقها ،كما حدث

---

(١) عن درب الصفا انظر ص ٣٠٥ هامش (٥) •

(٢) نقلا عن المقريزى : م • س ٤٨٤/١ • وحسبما ورد فى وثيقة نقلها الكندى عن تجديدمسجد عبدالله فانه يتضح بأن هذا الشارع كان يقع فى الحد الجنوبى الشرقى من المسجد المذكور • الكندى : أبو عمر محمد بن يوسف ،كتاب الولاة وكتاب القضاه ،تحقيق دفن كست ،بيروت ١٩٠٨م ص ٤٠٧،ثم يتجه الشارع بعد ذلك الى جامع عمرو بن العاص ثم الى دار الملك على مايبدو حيث يتكون نهاية مواكب الخلفاء فى العصر الفاطمى • المقريزى : ن • م • س اتعاظ الحنفاء ٣٧/٣ هامش (٢) وكان فى هذا الشارع يقع أحد أسواق الفسطاط يعرف بسوق القصبة نسبة للشارع • ابن دقماق : الانتصار ق ٩١/١ •

(٣) ص ٣١٣ •

(٤) ص ٣٢١ •

(٥) عن هذا البستان انظر ص ٤٢٩ •

(٦) عن هذه البركة انظر ص ١١٨ - ١١٩ •

(٧) المقريزى : الخطط ١٣٣/٢،ويصعب تحديد هذا الشارع فى الوقت الحاضر فالمنطقة تعرضت فى العصور اللاحقة لتغيرات عدة أثرت على تخطيطها •

بالنسبة لشارع خط سويقة أمير الجيوش (١)، الذى يسلك فيه من وسط القاهرة حيث "بين القصرين" الى باب القنطرة وغربى الخليج (٢) . فنظرا لتعديل موضع باب القنطرة الجديد بالنسبة للباب القديم ،حيث أضحى الجديد يقع الى الجنوب من الأول (٣) . فلقد اقتضى ذلك تعديل مسارات الطرق المؤدية اليه من داخل المدينة (٤)، وهو ماأشارت اليه المصادر،فقد أورد ابو شامة أثناء الحديث عما تم انجازه من سور القاهرة عام (٥٧٤هـ/١١٧٨م) بأنه قد (ظهر العمل وطلع البناء وسلكت به الطرق المؤدية الى الساحل بالمقسم ...) (٥) . ومن الواضح أن السور هو المقصود بعبارة (سلكت به الطرق ...) حيث اخترقته منافذ جديدة تؤدى الى غربى الخليج حيث المقس ،وهذه المنافذ هى باب القنطرة الجديد ،الأمر الذى يقتضى انشاء طريق يسلك منه الى هذا الباب ،وهو شارع خط سويقة أمير الجيوش ،فتحولت حارة القرحية الى زقاق يحمل نفس الاسم كما يذكر المقريزى فى ثنايا حديثه عن الخط المذكور فى عصره (٦) . وتحول الحارة الى خط أو درب أو زقاق يدل على أنها قد انتقلت من النوع الأول الى الثانى من أنواع الأحياء (٧) وهو أمر لايستقيم الا بوجود شارع رئيسى مسلوك،كما تقتضيه طبيعة التكوين العمرانى والوظيفى للنوع الثانى من الأحياء (٨) .

لم تقتصر مظاهر التطور العمرانى للشوارع فى عهد الناصر صلاح الدين الأيوبى على ظهور شوارع جديدة فقط ،بل كانت هناك مظاهر تطور عمرانى أخرى تعرضت لها الشوارع فى تلك الفترة . فهناك شوارع

---

(١) عن خط سويقة أمير الجيوش انظر ص ٣٥٨ .

(٢) المقريزى : الخطط ١٠١/٢ ،مؤلف مجهول : تاريخ المصر القاهرة ورقة ١٢١ .

(٣) ص ٤٩١ .

(٤) خريطة رقم ٣٤ .

(٥) أبو شامة : الروضتين ٢٠/٢،ولقد ذكر المقريزى الخبر ذاته فى حوادث (٥٧٣هـ/١١٧٦م) المقريزى : السلوك ٦٦/١/١ .

(٦) المقريزى : الخطط ١٤/٢ .

(٧) عن أنواع الأحياء انظر ص ٣٣٢ - ٣٤٠ .

(٨) ص ٣٣٦ - ٣٣٨ .

جرت توسعتها ،مثلما حدث للشارع الواقع فى مواجهة باب زويلة ، (١) الذى أجريت عليه بعض التعديلات من المؤكد أنها كانت فى شكل توسعة . فبعدما أزيلت أنقاض حارة المنصورية وتحولت أراضيها الى بساتين (٢) أجرى تعديل لمسار الشارع حتى أنه (صار من يقف على باب الجامع الطولونى يرى باب زويلة) . (٣) وبالاضافة الى التوسعة والتعديل ،فهناك شوارع زيد فى أطوالها ،فقصبة القاهرة زيد فى طولها لتشمل الشارع المواجه لباب زويلة والذى عرف باسم "الشارع الأعظم" (٤) كما تشير الى ذلك وثيقة وقفية تعود لعام (٦٦٠هـ/١٢٦٠م) والتى تضمنت تخصيص بعض الأراضى الواقعة غربى الخليج لغرض توفير ملابس فى الشتاء (تفرق على الأيتام الذكور والاناث الفقراء غير البالغين بالشارع الأعظم خارج باب زويلة ...) (٥) . مما

---

(١) حسبما ورد فى المصادر عن هذه المنطقة يلاحظ بأنها كانت فى العصر المماليكى تنقسم الى ثلاثة أقسام ، الأولى وهى التى تقع فى مواجهة الخارج من باب زويلة بينما تقع الثانية على يمين الخارج منه أما الثالثة فهى الواقعة على يسار الخارج من باب زويلة الآن هذه الصفة لم تكن موجودة فى العصر الفاطمى كما هى عليه الحال فى عصر المماليك . فالراجح أنه لم يكن يوجد فى بادىء الأمر سوى طريق واحد وهو المواجهة لباب زويلة ثم تلاحقت التطورات بعد ذلك الى العصر المماليكى . والتى سنشير الى بعضها فيما يلى . انظر :
المقريزى : الخطط ٢/١٠٠،١١٠، السخاوى : تحفة الأحباب ص ١٠٤ ،
الخاصكى : التحفة الفاخرة لوحة ٨٨ .
أما بالنسبة لموقع هذا الشارع حديثا فانه كان يؤدى الى خط صليبة ابن طولون والمشهد النفيس وماوراءه . المقريزى : ن . م . س .
أى أنه يشمل عددا كبيرا من الشوارع هى : شارع قصبة رضوان والخيمية والمغربلين وشارع السروجية ،وشارع الحلمية ،وشارع السيوفية ،وشارع الركبية ،وشارع الخليفة ،وشارع السيدة نفيسة .
على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ٢/١٣٢ - ١٨٩ .

(٢) ص ٣٩٩ .

(٣) المقريزى : م . س ٢/١١٠ .

(٤) خريطة رقم ٣٠ .

(٥) المقريزى : م . س ٢/١١٥ .

يدل على أن شارع القصبة لمدينة القاهرة قد زيد فى طوله ليشمل هذا الشارع وصولا الى قلعة الجبل ،وذلك بعدما كان محصورا فى العصر الفاطمى فيما بين بابى زويلة والفتوح (١) •

ومن الواضح أن هذه الزيادة قد تمت فى عهد الناصر صلاح الدين الأيوبى نظرا لما أحدثه من توسعة لهذا الشارع كما سبق أن آشرنا بالاضافة الى استخدامه كطريق يسلك منه الى قلعة الجبل (٢) • التى بنيت لتكون مقرا للسلطنة مما سيكسبه آهمية مضافة • وعلى الرغم من

---

(١) عندما يتحدث المقريزى عن وصف القاهرة فى عصره يذكر بأن قصبة القاهرة تقع فيما بين باب زويلة وباب الخرنشف وهذا دفع عبد الرحمن زكى الى القول بذلك عن القصبة ، انما من الواضح أن المقريزى يتحدث عن جزء منها لأنه يعاود بعد ذلك الى القول بأنها تنتهى عند باب الفتوح • المقريزى : الخطط ٣٧٦،٣٧٤/١ ،عبد الرحمن زكى : موسوعة مدينة القاهرة ص١٣٧ • ومن الواضح أن المقريزى يقصد بالقصبة هنا وضعها فى العصر الفاطمى ،لأنها كانت فى عصره تمتد من أول الحسنية فى طرفها الشمالى الى المشهد النفيسى • المقريزى : م•س ٩٥/٢ • أما على باشا مبارك فانه يذكر بأن قصبة القاهرة فى العصر الفاطمى تقع فيما بين باب الفتوح وباب زويلة وباب النصر • على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ٧٧/٢ ،والأصح هو ماذكره المقريزى كما سبق أن آشرنا وانظر حسن الباشا وآخرون ص٥٤ ،وهذا الشارع يضم حديثا مجموعة من الشوارع هى : شارع باب الفتوح،وشارع الكليباتى ومرجوش ،شارع الامشاطية ،شارع النحاسين ،شارع الجوهرجية ،شارع الحُرنجية شارع الغورية ،شارع العقّارين ،شارع المناخلية والسكرية • على باشا مبارك : م • س٧٦/٢ - ١٢٥ •

(٢) المقريزى : م س١١٠/٢، الخاصكى : التحفة الفاخرة ،لوحة ٨٨ • ولاتقدم المصادر تحديدا واضحا للمنطقة التى ينعطف منها الشارع تجاه القلعة لعله كان يتم عن طريق شارع المظفر الذى يؤدى الى المنشية من تحت القلعة ،أو من شارع المنشية من جهة تقاطعه مع شارع صليبة ابن طولون وهذا يعنى أن المسافة أبعد •
انظر على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ٣١٣،٢٩٢،١٥٧/٢•

أن هناك من الباحثين المحدثين من يعتبر أن "الشارع الأعظم" هذا كان موجودا منذ العصر الفاطمى ،حيث يذكر وليم ميلوود أثناء تعريفه لهذا الشارع بأنه كان امتدادا لقصبة القاهرة وينتهى جنوبا عند خط صليبة جامع ابن طولون (١) . الا أنه من المؤكد أن الأمر لم يكن كذلك فى العصر الفاطمى ،فابن الطوير عند وصفه لأحد مواكب الخلفاء الفاطميين فانه لايشير الى "الشارع الأعظم" أثناء مرور الموكب فى هذه المنطقة الا بعد أن يلج الفسطاط حيث يقول : (.. فيخرج شاقا القاهرة ... وشوارعها على الجامع الطولونى على المشاهد الى درب الصفا ويقال له الشارع الأعظم ...) (٢) . بل ان الشارع الواقع خارج باب زويلة لم يكن له أهمية رسمية فى العصر الفاطمى ،حيث ان بعض المواكب كانت تتخلى عن مراسيمها وتنظيمها ساعة خروجها من باب زويلة باتجاه الفسطاط (٣) وهو ماذكره ابن الطوير أثناء حديثه عن موكب ليالى الوقود الأربع حيث يقول : (... ثم يخرج (الموكب) من باب زويلة طالبا مصر بغير نظام ...) (٤) . كذلك فمن المؤكد أنه قد جرى مد طول الشارع الواقع على يسار الخارج من باب زويلة ،فمنذ أن بنيت قلعة الجبل صار يسلك من خلال هذا الطريق أيضا (٥) . مما يستوجب بطبيعة الحال أن يصل هذا الشارع الى موقع القلعة ،وهو أمر لم يكن موجودا فى العصر الفاطمى

---

(١) المسبحى: أخبار مصر ص ٢٠١ هامش ١ .

(٢) نقلا عن المقريزى : الخطط ١/٤٨٤ .

(٣) عن ليالى الوقود الأربع انظر ص ١٦٤ ،هامش (٢).

(٤) نقلا عن المقريزى : م . س ١/٤٦٧ .

(٥) المقريزى : م . س ٢/١١٠،ومن الواضح أن هذا الاستخدام لم يكن للمواكب الرسمية ، اذ انها كانت تتجه من الطريق المواجه لباب زويلة كما سبق أن أشرنا . المقريزى : م . س ٢/١١٠ ، السخاوى تحفة الأحباب ص ١٠٤،ويدل على هذا الطريق الآن مجموعة من الشوارع المتصلة والمؤدية الى القلعة ،وهى شارع الدرب الأحمر وشارع التبانة ،وشارع باب الوزير وشارع الحطابة . على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ٢/٢٧٦ - ٢٨٣،وانظر خريطة رقم ٣٠.

ذلك أن هذه المنطقة كانت مخصصة أصلا كمقبرة[(١)] • ومن الواضح أن وظيفة الشارع المذكور كان تحقيق الوصول اليها • وبالتالى فلاتوجد ضرورة لأن يمتد الشارع الى الجبل حيث أن موضع المقبرة كان دون الجبل ،ذلك أنها كانت تقع فى المنطقة الممتدة فيما بين باب زويلة والقطائع والجبل[(٢)] •

أما آخر المظاهر العمرانية التى شهدتها الشوارع فى تلك الفترة فكانت انسداد بعض الشوارع نظرا لاندثار بعض المناطق السكنية وتحولها الى أكوام فى أواخر العصر الفاطمى[(٣)] • فلقد اقتضى ذلك الفصل بين الخرائب والمواضع التى أعيدت عمارتها ،فسدت نهايات الشوارع التى يقع عندها الخراب كما يشير الى ذلك ابن دقماق أثناء حديثه عن زقاق الزمامرة[(٤)] حيث يقول عنه : (••• وقد سد من أوله لجهة تجيب[(٥)] لاستيلاء الخراب •••)[(٦)] • لذلك فان المؤكد أن يكون هناك الكثير من الشوارع التى سدت فى عهد الناصر صلاح الدين الأيوبى نظرا لوقوع أجزاء كبيرة منه تحت طائل التلف بعد الحريق الذى تعرضت له المدينة فى عام (٥٦٤هـ/١١٦٨م) ولم تجر اعادة عمارته مرة أخرى فى عهد صلاح الدين الأيوبى ،وهكذا فقد تم الفصل بينها وبين المواضع التى أعيدت عمارتها عن طريق اغلاق نهايات الشوارع النافذة الى الأكوام •

---

(١) ص ٤٦٠ وانظر خريطة رقم ١١ ،

(٢) ص ٤٦٠ هامش (٥) •

(٣) ص ٣٠٧ - ٣٠٨ •

(٤) لم تقدغ المصادر سببا يوضح أصل مسماه وانما ذكر ابن دقماق موضع الذى يصعب تحديده الآن لاندثار المبانى فى هذه المنطقة • ابن دقماق : الانتصار ق ١٦/١ •

(٥) هذه الخطة من خطط الفسطاط الأولى ،سكنتها احدى بطون كنده يعرفوا بتجيب نسبت اليهم ،المقريزى : الخطط ٢٩٧/١،وهى تقع الى الشمال الشرقى من قصر الشمع • فؤاد فرج : المدن المصرية ٣٢٠/٤ •

(٦) ابن دقماق : ن • م • س •

(ج) الأسواق والصناعات :

قسم بعض الباحثين أسواق[1] المدن الاسلامية الى ثلاثة أنواع ،أولها الأسواق الرئيسة ،وهى التى تتم فيها المبادلات التجارية وتجارة التوزيع ،بالاضافة الى انفراد بعضها فى بيع نوع من أنواع المنتجات الاستهلاكية[2] . والنوع الثانى منها هى أسواق الأحياء السكنية ،وتحتوى عادة على حوانيت البقالة وأفران الخبازين وماشابه ذلك ،وهى عادة ماتعرف بالسويقة[3] . وان كان يلاحظ بأن سويقة أمير الجيوش فى القاهرة لم تكن تخضع لهذا الاعتبار، اذ كانت فى العصر المماليكى من أكبر أسواق القاهرة ،فيها عدة حوانيت لبيع القراء،وأنواع الطرائف علاوة على الأقمشة والثياب المخيطة،وغير ذلك من المنتجات الرئيسة[4] مما يدل على أنها لم تكن سوقا مخصصا لحى من الأحياء السكنية،وانما كانت من الأسواق الرئيسة فى المدينة . أما النوع الثالث من الأسواق فمن المختصة بالمنتجات الريفية وعادة ماتقع عند أطراف المدن[5] .

ونظرا لأن ازدهار الأسواق وتوسعها يرتبط الى حد بعيد بزيادة الطلب على البضائع والسلع المختلفة الأنواع ،نتيجة الارتقاء الحضرى والاقتصادى فى المدينة[6] . فمن الواضح أن أسواق القاهرة قد ازدهرت أوضاعها فى عهد الناصر صلاح الدين الأيوبى ،حيث تعرضت المدينة لمتغيرات اقتصادية واجتماعية ترتب عنها زيادة فى الطلب على منتجات

---

(١) يدل الأصل اللغوى للسوق على أنه المكان الذى تذلف اليه السلع والبضائع ، الزبيدى : تاج العروس ٣٨٧/٦،ويستوفى الناس منها حاجياتهم الضرورية والكمالية، ابن خلدون : المقدمة ٣٦٢/١ - ٣٦٣.

(٢) نيكيتا اليسيف : التخطيط المادى ،ضمن كتاب المدينة الاسلامية ص ١٠٧.

(٣) نيكيتا اليسييف : م . س ص ١٠٦ .

(٤) المقريزى : الخطط ١٠١/٢، الخاصكى : التحفة الفاخرة لوحة ٧٧ ،مؤلف مجهول : تاريخ المصر القاهرة ورقة ١٢١ .

(٥) بدرو شالمتيا : الأسواق ضمن كتاب المدينة الاسلامية ص ١١١ - ١١٢ .

(٦) ابن خلدون : المقدمة ٣٦٠/١ - ٣٦١ .

الأسواق بشكل عام (١) . فأضحى هناك احتياجات جديدة ،نتيجة توجه الدولة ورجالها لتوفير الكثير من متطلباتهم من السوق (٢) . علاوة على ظهور تقاليد وأنماط اجتماعية مستجدة ،دفعت نحو مزيد من الطلب على الأسواق أيضا (٣) . فانعكس كل ذلك على الأسواق فى شكل ظهور أسواق جديدة للسلاح والملابس والأطعمة وغير ذلك كما سيتضح لاحقا ،بل ان من المؤكد أن ذلك سينعكس أيضا على أسواق المدينة القديمة أيضا (٤) .بل من الواضح أن هذه التطورات هى التى أوجدت غالب المتغيرات العمرانية التى شهدتها أسواق المدينة فى تلك الأثناء ،ومن أبرز هذه المتغيرات ظهور التخصص فى الأسواق ، أى أن يكون لكل نوع من أنواع السلع سوقا متخصصة بها ،وهو أجراء تنظيمى بدأ باتخاذه منذ عهد صلاح الدين الأيوبى (٥) ، اذ يلاحظ أن غالبية الأسواق الرئيسة التى ظهرت فى تلك الفترة كانت متخصصة ببيع فئة واحدة من السلع والبضائع (٦) . وهذه ظاهرة لم تكن معروفة فى مصر

---

(١) ص ٢٦٨ .

(٢) ص ٢٦٥ - ٢٦٧ .

(٣) ص ١٥٨ .

(٤) لاتقدم المصادر التى تناولت خطط القاهرة معلومات واضحة عن أسواق القاهرة بشكل عام ،فهى تارة تشير بشكل صريح الى انتماء بعض الأسواق للعصر الفاطمى ،كسوق الشراجيين أو سوق حارة برجوان الذى كان يعرف حينئذ بسوق أمير الجيوش . وتذكر بنفس الوضوح أيضا عن بعض الأسواق التى ظهرت فى عصر الناصر صلاح الدين سنشير اليها لاحقا . فى حين أنها تشير الى أسواق أخرى لاتحدد بوضوح تاريخ ظهورها ونشأتها . انظر المقريزى : الخطط ٩٤/٢ - ١٠٧، الخاصكى التحفة الفاخرة لوحة ٦٨ - ٨٥ ،مؤلف مجهول : تاريخ المصر القاهرة ورقة ١١٧ - ١٢٨، ومن الواضح أن أسواق العصر الفاطمى ثم الذى تلتها فى عهد الناصر صلاح الدين الأيوبى تشكل الأساس للأسواق فى المدينة ،التى أخذت تتشعب وتتوسع بعد ذلك لتبلغ ذروتها فى عصر المماليك ،حيث ازدهرت الأوضاع الحضارية والاقتصادية فى المدينة بشكل عام ،وهى من العوامل التى تسهم فى ازدهار هذا القطاع من المدينة كما سبق أن ذكرنا . انظر : سعيد عاشور مصر والشام ص ٢٦٦ - ٢٦٨ .

(٥) ص ٢٨٢ - ٢٨٣ .

(٦) ص ٤٢٦ - ٤٣٠ .

قبل العصر الأيوبى . فأسواق الفسطاط لم تكن فى تلك الفترة تميل الى التخصص ، اذ أن سوق زقاق القناديل (١) الذى كان يعد من أشهر أسواق المدينة قد أشاد به المقدسى (٢) ، كان يحتوى على حوانيت لبيع الطرائف والمصنوعات العاجية المختلفة (٣) . كما كان يحتوى على حوانيت لبيع الحلوى . فقد ذكر المسبحى أثناء حديثه عن حوادث عام (٤١٤هـ/١٠٢٢م) ، أن المحتسب قد عاقب حلاويا له دكان عند باب الزقاق المذكور (٤) .

كذلك كان الحال فى القطائع التى كان كل سوق من الأسواق الرئيسة فيها ، يحتوى على أكثر من نوع من أنواع السلعة المختلفة المتباينة فى نوعيتها فى بعض الأحيان . ولعل خير مثال على ذلك أن سوق الطباخين كان (... يجمع الصيارف والخبازين والحلوانيين ...) (٥) اضافة الى صنف الطباخين ، ويمكن تلمس هذه الظاهرة فى القاهرة خلال العصر الفاطمى فقد أشار المقريزى فى ثنايا كلامه عن حوادث عام (٤٨٨هـ/١٠٩٥م) الى وجود حانوت للصرافة كان يقع فى سوق السراجين (٦) ، والظاهر أنه كان بهذا السوق حوانيت للبزازين أيضا (٧) .

ومن المظاهر العمرانية التى شهدتها الأسواق فى عهد الناصر صلاح الدين ظهور أسواق جديدة فنمو الاستهلاك وارتفاع مستوى الطلب على

---

(١) عن هذا الزقاق انظر ص ٣٩٥ ، هامش (٤) .

(٢) ص ٣٩٥ .

(٣) ناصر خسرو : سفر نامه ص ١٠٣ .

(٤) المسبحى : أخبار مصر ص ١٩٩ .

(٥) المقريزى : الخطط ٣١٥/١ ، عبد الفتاح وهبة : الجغرافيا التاريخية ص ٤١٢ .

(٦) المقريزى : اتعاظ الحنفا ١٦/٣ . وهذا السوق هو أقدم أسواق القاهرة وكان يعرف بالشراجيين أيضا . الخاصكى : التحفة الفاخرة لوحة ٧٥ . والسراج هو المصباح . أما الشريج فهو زيت السمسم الذى يستخدم وقودا للمصابيح . انظر : الزبيدى : تاج العروس ٥٨/٢ ، ٦٤ . ويدل على هذا السوق فى الوقت الحاضر شارع العقادين . على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ١١٩/٢ ، وعن موقع هذا السوق الذى عرف فى العصر المماليكى بالشوايين . انظر :

A. Raymond E Wiet, Les Marcees de Caire, plan 3.

(٧) المقريزى : ن . م . س .

المنتجات المختلفة ،ترتب عنه ظهور أسواق جديدة كما سبق أن ذكرنا فأخذ بعضها بالظهور فى تلك الفترة ،فظهر سوق باب الفتوح ،عندما سكن بهاء قراقوش فى الحارة التى نسبت اليه (١) ويعد هذا السوق (٢) من أجل أسواق القاهرة كان معمور الجانبين بالحوانيت التى تبيع المواد الغذائية الطازجة من خضار ولحوم بأنواعها المختلفة (٣) . ومن الأسواق التى أسست فى تلك الفترة سويقة أمير الجيوش ،اذ تذكر المصادر أن صلاح الدين الأيوبى أوقف عددا من الدكاكين فى خط سويقة أمير الجيوش على مدرسته المعروفة بالسيوفية (٤) . مما يشير الى وجود السويقة فى الخط الذى ظهر فى تلك الأثناء (٥) . وتقع هذه السويقة فى رأس الخط المذكور من جهة شارع القصبة (٦) . والراجح أن هذه السويقة كانت فى بادئ أمرها سوقا للخروقيين (٧) ، اذ كانت تعرف بذلك أيضا بعد العصر الفاطمى (٨) حيث يوجد بها الحوانيت المتعلقة ببيع الأقمشة ومايرتبط بها من صناعات

---

(١) عنه انظر ص ٣٨٦ هامش (٥) .

(٢) المقريزى : الخطط ٩٥/٢ ،الخاصكى : التحفة الفاخرة لوحة ٦٩ .

(٣) ن . م . س . ويدل على هذا السوق شارع باب الفتوح الحالى الواقع ضمن شوارع القصبة . على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ٧٦/٢ – ٧٧. وانظر أيضا لتحديد موقع هذا السوق :

A. Raymomd E Wiet, Les Marcees, plan 3.

وانظر خريطة رقم ١٤.

(٤) المقريزى : م . س ٣٦٦/٢،مؤلف مجهول : تاريخ المصر القاهرة ورقة ٤٤٦ .

(٥) ص ٣٥٨.

(٦) المقريزى : م . س ١٤/٢،على باشا مبارك : م . س ١٢٨/٣ . ويدل على هذه السويقة الآن شارع مرجيوش ،على باشا مبارك : م . س ١٢٧/٣ – ١٢٩،لتحديد موقع هذا السوق انظر أيضا :

A. Raymond E Wiet,op. cit.

(٧) الخروقيين : جمع خرقه وهى القطعة من الثوب ،ويطلق هذا اللفظ على باعة الثياب والخرق . الزبيدى : تاج العروس ٣٢٨/١ .

(٨) المقريزى : م . س ١٠١/٢،الخاصكى : التحفة الفاخرة لوحة ٧٧،مؤلف مجهول : تاريخ المصر القاهرة ورقة ١٢١ .

فمعظم حوانيتها للبزازين الخلعيين (١) . وبها تباع الثياب المخيطة والفرش ونحو ذلك من السلع المختلفة (٢) . كذلك فمن الواضح أن سوق الجملون الكبير قد أنشىء فى عهد الناصر صلاح الدين ، أن يقع فى هذا السوق قيساريتى الشرب وابن قريش ، اللتان أنشئتا فى تلك الفترة على (٣) احدى ساحات القاهرة (٤) ، مما يشير بدوره أن هذا السوق قد أخذ بالظهور منذ ذلك أيضا (٥) . وكان هذا السوق مختصا ببيع الأقمشة الحريرية (٦) . وكما ظهر سوق عند باب الفتوح ، فلقد ظهرت أخرى على الساحة الواقعة عند باب زويلة (٧) . حيث بنى عليها حينئذ قيسارية القاضى الفاضل (٨) . فظهرت مجموعة من الأسواق المتعاقبة ، مثل سوق الغرابليين (٩) الذى تباع فيه مناخل الدقيق ليقابله حوانيت لبيع أقفال المنازل المعروفة بالضبب تليها حوانيت أخرى لبيع الأجبان المجلوبة من البلاد الشامية (١٠) . والتى ازدهرت التجارة معها فى عهد الناصر صلاح الدين الأيوبى (١١) ، بالاضافة الى وجود دكاكين خاصة بالمجبرين ، لتجبير المصابين بالكسور ، وأخرى

---

(١) جمع خلعى وهم الذين يبيعون الثياب المستعملة . المقريزى : الخطط ١٠٤/٢ .

(٢) المقريزى : م س ١٠١/٢ . الخاصكى : التحفة الفاخرة ، لوحة ٧٧ .

(٣) على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ١٧٠/٣ — ١٧١ ، وعن هاتين القيساريتين انظر ص ٤٩٥ — ٤٩٦ .

(٤) ص ٣٨٢ .

(٥) ويدل على موضع هذا السوق شارع التربيعة وعطفة الشرم والجملون على باشا مبارك : م . س ١٦٩/٣ — ١٧١ ، وانظر أيضا لتحديد موقع هذا السوق :
A.Raymond E Wiet, Les Marcees, plan 3.
وانظر أيضا خريطة رقم ١٤ .

(٦) المقريزى : م . س ١٠٣/٢ ، الخاصكى : م . س لوحة ٨٠ . مؤلف مجهول تاريخ المصر القاهرة ورقة ١٢٤ .

(٧) عن هذه الساحة انظر ص ٣٨١ .

(٨) ص ٣٨١ . وعن هذه القيسارية انظر ص ٤٩٦ .

(٩) الغرابيل من الغربال وهو ماينخل به . الزبيدى : تاج العروس ٤٢/٨ .

(١٠) المقريزى : م . س ١٠٠/٢ ، الخاصكى : م . س ، لوحة ٧٥ — ٧٦ . مؤلف مجهول : تاريخ المصر القاهرة ورقة ١٢٠ .

(١١) ص ٢٧٢ .

للصيارفة وبائعى الطرف والمآكل وغير ذلك . علاوة على ما اختصت به [(١)] قيسارية القاضى الفاضل من بيع جهاز العرائس وأسورتهن [(٢)] . ومن الأسواق الجديدة التى ظهرت فى تلك الفترة سوق بين القصرين الذى ظهر على أراضى ميدان بين القصرين ، الذى بدىء بالبناء عليه فى عهد الناصر صلاح الدين الأيوبى [(٣)] ، حيث أصبح سوقا مبتذلا على حد تعبير المقريزى [(٤)] فكان به سوق كبير للمآكل يجلس به الباعة مساء كل يوم لبيع الأنواع المختلفة من الطيور المقلاه ولحم الدجاج والأوز المطجن علاوة على الأجبان والفواكه والحلوى [(٥)] . ويوجد بهذا السوق سوق للسلاح ظهر فى تلك الفترة أيضا كانت تباع فيه القسى [(٦)] والنشاب [(٧)]

---

(١) المقريزى : ن . م . س . الخاصكى : ن . م . س . مؤلف مجهول ن . م . س . ويدل على موضع هذا السوق فى الوقت الحاضر شارع المناخلية والسكرية من شارع القصبة . على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ١٢٧/٢ – ١٣١، وانظر أيضا لتحديد موقع هذا السوق :

A. Raymond E Wiet, Les Marcees, plan 3.

وانظر خريطة رقم ١٤

(٢) المقريزى : م . س ، ٨٩/٢ .

(٣) ص ٣٧٨ - ٣٧٩ .

(٤) المقريزى : م . س ٢٨/٢ . ويدل على موقعه فى الوقت الحاضر شارع النحاسين . على باشا مبارك : م . س ٨٩/٢ – ٩١، وانظر أيضا لتحديد موقع هذا السوق :

A. Raymond E Wiet , op. cit.

وانظر خريطة رقم ١٤

(٥) المقريزى : م . س ٢٨/٢ – ٢٩، ٩٧، مؤلف مجهول : تاريخ المصر القاهرة ورقة ٣٢ – ٣٤، ١١٦ .

(٦) القسى جمع قوس ، وهو قضيب من الخشب يشد طرفاه أقصر من طول القضيب فيقوسه ، ويوضع فيه السهم فيطلقه . وهى على أنواع منها كبيرة الحجم وصغيرها . للمزيد انظر : الطرسوس : تبصرة أرباب الألباب ص ٦ – ١٠، أحمد محمد عدوان : العسكرية الاسلامية ص ٥٧ – ٥٩ .

(٧) والنشاب هى النبال وهى مايرمى بها من القسى وتعتبر من أنواع الرماح وتصنع من قصب مدور من الداخل أو من خشب الزان ويركب عليه رأس . للمزيد انظر : القلقشندى : صبح الأعشى ١٤٠/٢ – ١٤٢، الزبيدى تاج العروس ٤٨٤/١، أحمد عدوان : م . س ص ٥٦ – ٥٧ .

والزرديات[١] وغير ذلك مما يحتاجه الجند من أنواع الأسلحة المختلفة[٢]
وقد ظهرت الأسواق التى تبيع لوازم حيوانات الركوب مثل سوق المهامزيين[٣]
واللجميين وهما سوقان متصلان ببعضهما البعض ظهرا بعد زوال حكم
الفاطميين[٤] . وكان يباع فيهما المهاميز والسلاسل والسروج التى كان
بعضها يعمل من الجلد البلخارى الأسود ليستعمله القضاة ومشايخ العلم
(اقتداء بعادة بنى العباس فى استعمال السواد على ماجدده بديار مصر
السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بعد زوال الدولة الفاطمية ...)[٥] .

وكان يباع به الدوى والطرف ونحو ذلك . وكانت الأجزاء المعدنية
من هذه الآلات تطلى بالذهب والفضة ولايترك ذلك الا أصحاب الدين والورع[٦]
ومن الأسواق التى أنشئت فى تلك الفترة أيضا سوق الشرابشيين[٧]
والحوائصيين[٨] المتصل بالسوق الأول . ففى هذين السوقين تباع ملابس

---

(١) الزرد عبارة عن قمصان تصنع من الزرد الخالص وبعضها يكون قصيرا والبعض الآخر يكون طويلا يغطى ساقى الفارس . ابن سيده : المخصص ٧١/٢ / ٧٢ ، أحمد عدوان : م . س ص ٦١ .

(٢) المقريزى : الخطط ٩٧/٢ . وانظر لتحديد موقعه ضمن السوق المذكور :

A. Raymond E Wiet, Les Marcees, plan 3.

وانظر خريطة رقم ١٤ .

(٣) المهاميز جمع مهماز وهى آلة من حديد تكون فى رجل الفارس ولها رأس حادة يضرب بها جانب الفرس لتتحرك ويزداد عدوها وتارة يصنع المهماز من ذهب خالص أو فضة خالصة ، وفى بعض الأحيان تصنع من حديد مطلى بالذهب والفضة . القلقشندى : صبح الأعشى ١٣٦/٢ .

(٤) المقريزى : م . س ٩٧/٢ - ٩٨ ، ويدل على موقعهما فى العصر الحديث شارع الغورية . على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ١١٢/٢ - ١١٧ . وانظر أيضا لتحديد موقعهما :

A. Raymond E Wiet, op. cit.

وانظر خريطة رقم ١٤ .

(٥) المقريزى : م . س ٩٨/٢ .

(٦) المقريزى : م . س ٩٧/٢ - ٩٨ .

(٧) الشربوشى هو غطاء للرأس كان يستخدم فى العصر الأيوبى كزى للأمراء اختصوا به . انظر ص ٢٦٧ هامش (١) .

(٨) نسبة الى الحياصة أو المنطقة كما كانت تعرف أيضا وهى حزام يشد به الوسط كان يصنع من معادن ثمينة . انظر القلقشندى : صبح الأعشى ١٣٤/٢ . ماير : الملابس المملوكية ص ٤٧ - ٤٨ .

الأجناد وأزيائهم[1] • علاوة على الخلع (••• التى يلبسها السلطان للأمراء والوزراء والقضاة •••) •والتى كانت تباع فى السوق الأول[2] • ويبدو[3] أن سوقي الجوخيين والفرائيين قد ظهرا فى تلك الفترة أيضا[4] ، لأن الجوخ والفراء أصبحا من لوازم ملابس الجند وزيهم كما يشير الى ذلك ابن سعيد الأندلسى[5] •

ولم يكن ظهور الأسواق الجديدة قاصرا على الأسواق المتخصصة الرئيسة التى تبيع منتجات الترف والرفاه وماشابه ذلك، اذ أن ظهور الأحياء الجديدة يقتضى أيضا أن تظهر فى داخلها أسواق تلبى احتياجات قاطنيها • فبدأت تظهر الأسواق والحوانيت بجوار القصور والمنشآت التى تحولت الى أحياء سكنية فى عهد الناصر صلاح الدين[6] ، فالقصر الشرقى الكبير الذى أصبح منطقة سكنية وقسم الى خطط وأحياء[7]، أخذت الحوانيت تحيط بأسواره من جميع الجهات تقريبا[8] • كذلك ظهر سوق جديد

---

(١) المقريزى : م • س ٩٨/٢ - ٩٩،ويدل على موقعهما الآن شارع الغورية
على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ١١٢/٢،١١٧ •
وانظر أيضا لتحديد موقعهما :

A. Raymond E Wiet, Les Marcees, plan 2.

(٢) المقريزى : م • س ٩٨/٢ •

(٣) ن • م • س•

(٤) المقريزى : م • س ٩٨/٢،١٠٣،ويدل على موقع سوق الجوخيين فى العصر الحديث شارع الغورية ،أما سوق الفرائيين فيدل عليه شارع التبليطة • على باشا مبارك : م س ١١٢/٢،١١٧،٢٤٨،٢٥٢ •
وانظر أيضا لتحديد مواقعهما :

A. Raymond E Wiet, op. cit.

وانظر خريطة رقم ١٤.

(٥) ابن سعيد الأندلسى : النجوم الزاهرة ص٢٧ • ولاحظ ماسبق أن ذكرناه عن جهاز "الحواصل" الفاطمى ،والذى كان من مهامه توفير العديد من هذه المنتجات ـ أسلحة ،ملابس ،سروج ،أطعمة •••الخ للدولة ورجالها،وهو أمر جرى الغائه فى عهد الناصر صلاح الدين ،مما ترتب عنه أن اتجهت الدولة ورجالها الى توفير العديد من هذه المطالب من السوق ،فكانت الأسواق سالفة الذكر •

(٦) عن هذه الأحياء انظر ص ٣٤٩ - ٣٦٤•

(٧) عن هذا القصر وتحوله انظر ص ٣٥٤•

(٨) Suzan Jane , Conquest and Fasion, p. 86.

على أراضى اصطبل الجميزة الذى تحول الى منطقة سكنية (١) . وكان معدا لبيع أنواع الأطعمة المختلفة ، الطازج والمطبوخ منها، وعرف بسوق بئر زويلة (٢) نسبة الى البئر التى كان مرسومة للاصطبل فى العصر الفاطمى (٣)

وعلى نفس الوتيرة فقد ظهر سوق فى خطة اصطبل الطسارمة الذى ظهر على أراضى اصطبل الطسارمة (٤) فى تلك الفترة أيضا حيث تذكر المصادر أن به سوقا (٥) . ومن المؤكد أن ظهور المبانى على الميدان الواقع خارج باب الفتوح (٦) ، قد دفع الى ظهور أسواق فى المنطقة . فأنشئت سويقة البلوشون خارج الباب المذكور، بناها أحد أمراء صلاح الدين

---

(١) عن هذا الاصطبل وتحوله الى منطقة سكنية انظر ص ٣٦٣ .

(٢) عن هذه البئر انظر ص ٤٠٣ .

(٣) وتذكر المصادر أنه عرف بعد ذلك بسوق البندقاتين نسبة لصناع قسى البندق الذين جعلوا لهم حوانيت فى هذا السوق . المقريزى الخطط ٣١/٢، ١٠٤، ١٠٥، الخاصكى : التحفة الفاخرة لوحة ٨٢، بيد أنه من المؤكد أن دخول صناع البندق الى مصر من شرق العالم الاسلامى لم يحدث الا فى أوائل القرن (٧هـ/١٣م) وذلك عندما طلب الخليفة الناصر العباسى (٥٧٥ - ٦٢٢هـ/١١٧٩ - ١٢٢٥م) من ملوك الأطراف أن يشربوا له كأس الفتوة ويلبسوا سراويلها وينتسبوا اليها فى رمى البندق ، اقتداء به ، فأجابوه الى ذلك . القلقشندى : مآثر الانافة فى معالم الخلافة تحقيق عبد الستار فرج ، بيروت ٦٠/٢ . ويدل على هذا السوق فى العصر الحديث شارع البندقانين الا أنه تقلص حجمه عما كان عليه فى السابق . على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ١٥٩/٣ - ١٦١، وانظر خريطة رقم (١٤) فى محاولة تحديد موقع هذا السوق الذى من المؤكد أنه كان يتصل ببئر زويلة ، على عكس ماهو حاله فى عصر المقريزى حيث تصاغر موضع هذا السوق . انظر :

A . Raymond E Wiet, Les Marcees, plan 2.

(٤) عن هذا الاصطبل والخط انظر ص ٣٦٢ .

(٥) المقريزى : الخطط ٣٥/٢، الخاصكى : التحفة الفاخرة لوحة ٤٥، مؤلف مجهول : تاريخ المصر القاهرة ورقة ٤٠ . ويمكن التعرف على موقع السوق بشكل عام من خلال تحديد موقع هذا الخط، اذ لم يرد فيما اطلعت عليه من مصادر ومراجع تحديد دقيق لموقع هذا السوق . انظر ص ٣٥٢ هامش ٣ .

(٦) عن هذا الميدان والبناء عليه انظر ص ٣٨٣ .

الأيوبى[1] . ومن المؤكد أن ازدهار النشاط العمرانى غربى خليج القاهرة سواء فى المقس الذى اتصل عمرانه بالقاهرة ، أو على طول الساحل قد أدى الى ظهور أسواق جديدة فى المنطقة ، فبناء المبانى والبساتين لأغراض النزهة من عوامل الجذب للأسواق ، يدل على ذلك ماحدث فى بر ابن التبان[2] فى أواخر العصر الفاطمى ، اذ أن تحوله الى منطقة نزهة فى تلك الفترة أدى الى ظهور العديد من الحوانيت فى هذا المكان[3] . ويبدو أن ظهور الأسواق فى هذه المنطقة فى عهد صلاح الدين كان يرتبط بالطريق الموازى للساحل ، والذى ظهر فى تلك الفترة ، اذ تذكر المصادر بأنه قد أنشئ سوق على هذا الشارع[4] . وكذلك كان الحال مع مبانى ساحل الفسطاط[5] التى لعبت دورا فى جذب النشاط التجارى والصناعى نحو الساحل حيث انتقل هذا النشاط من شرقى المدينة الى غربيها كما سيتضح لاحقا .

ومن المظاهر العمرانية التى تعرضت لها الأسواق فى عهد الناصر صلاح الدين الأيوبى ، انتقال الأسواق والصناعات من منطقة الى أخرى . ومن أبرز معالم هذه الظاهرة انتقال بعض الأسواق والصناعات من الفسطاط الى القاهرة ، فمن المعروف أن الفسطاط كانت فى العصر الفاطمى هى المركز الصناعى والتجارى[6] .

ولذلك فمن المؤكد أن الأسواق الرئيسة كانت تركز فيها ، والتى كانت تقوم بتجارة التوزيع وتوفير المتطلبات الصناعية للسلع والمنتجات المختلفة بينما يلاحظ أنه فى عصر الناصر صلاح الدين الأيوبى أخذ

---

(١) بنى هذه السويقة أحد مماليك صلاح الدين وسلاح رايته الأمير سابق الدين سنقر البلشون . المقريزى : الخطط ١٠٦/٢ .
ولاتقدم المصادر والمراجع أى معلومات يمكن من خلالها تقديم تحديد واضح لموقع هذه السويقة .

(٢) عن بر ابن التبان انظر ص ٣٢٩ ، هامش (٤) .

(٣) المقريزى : م . س ١١٤/٢ - ١١٥ .

(٤) المقريزى : الخطط ١٣١/٢ .

(٥) عن البناء على ساحل الفسطاط انظر ص ٣٨٧ .

(٦) الأمين عوض الله : الحياة الاجتماعية ص ٢٢ ، عبد الفتاح وهبة الجغرافيا التاريخية ص ٤١٧ .

العديد من الأسواق الرئيسة ينتقل مجال عملها الى القاهرة ،حيث اختصت بتجارة التوزيع بعض أسواقها أمثال سوق بهاء الدين الذى ظهر فى تلك الفترة[١] ، ويتمثل نشاطه بالقيام بتجارة التوزيع للمواد الغذائية الطازجة فكان (... يقصده الناس من أقطار البلاد لشراء أنواع اللحمان الضأن والبقر والمعز ولشراء أصناف الخضروات ...)[٢] .ومن المؤكد أنه منذ تلك الفترة قد أضحت أسواق القاهرة تقوم بانتاج العديد من السلع الصناعية المختلفة ،حيث يذكر ابن سعيد الأندلسى بأن القاهرة تختص ببيع كل مايلزم الرجال والنساء من ملابس وأدوات زينة[٣] ،علاوة على شهرتها بصناعة المنتجات الجلدية من حقائب وسيور ونحو ذلك[٤] ، وهى منتجات كانت تتركز فى أسواق الفسطاط فى العصر الفاطمى ،حيث اشتهرت بالصناعات الجلدية فى تلك الأثناء[٥] . والراجح أن المصنوعات العاجية والطرائف قد اخذت بالانتقال الى القاهرة أيضا ،فابن جبير الذى نزل فى فندق فى زقاق القناديل[٦] بالفسطاط لايشير لهذه الصناعة[٧] التى اشتهر بها هذا الزقاق فى العصر الفاطمى ،كما يذكر ناصر خسرو[٨] . مما يدل على انتقال هذه الصناعات الى القاهرة ،حيث أخذت بعض أسواقها بالظهور فى تلك الأثناء ،مثل سوق الامشاطيين ، الذى يذكر المقريزى بأنه بنى بعد العصر الفاطمى ،فى المنطقة الواقعة فيما بين الصاغة[٩] والمدارس الصالحية[١٠][١١]

---

(١) ص ٤٢٦ .

(٢) المقريزى : الخطط ٩٥/٢ ،مؤلف مجهول : تاريخ المصر القاهرة ورقة ١٠٦

(٣) ابن سعيد الأندلسى : النجوم الزاهرة ص ٢٧ .

(٤) ن . م . س .

(٥) حسن ابراهيم حسن : الدولة الفاطمية ص ٥٩٠ .

(٦) عن هذا الزقاق انظر ص ٣٩٥ هامش (٤) .

(٧) ابن جبير : الرحلة ص ١٩ .

(٨) ناصر خسرو : سفر نامه ص ١٠٣ .

(٩) عن الصاغة انظر ص ٤٣٥ .

(١٠) المقريزى : الخطط ٩٧/٢ ،ومن الواضح أن هذا السوق فى الوقت الحاضر يقع ضمن شارع الجوهرجية . على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ١٠٥/٢ ،وانظر أيضا لتحديد موقع هذا السوق : خريطة رقم (١٤)

(١١) المدرسة الصالحية تنسب الى الملك الصالح نجم الدين الأيوبى (٦٣٧ - ٦٤٧هـ/١٢٣٩ - ١٢٤٩م) بناها على أجزاء من القصر الشرقى الكبير وابتدأ بتشييدها فى عام (٦٣٩هـ/١٢٤١م) المقريزى : م. س ، ٣٧٤/٢ .

ولاشك فى أن أسواق الأقمشة والملابس التى ظهرت فى القاهرة فى تلك الفترة (١) كانت تعكس فى وجه من أوجهها لظاهرة الانتقال هذه . والراجح أن أسواق الرقيق قد انتقلت حينئذ من الفسطاط الى القاهرة أيضا، فأصبح هناك سوق للرقيق فى بعض أجزاء ميدان بين القصرين حيث كان موضع هذا السوق فى المكان الذى أقيمت عليه المدرسة الكاملية (٢).

ومن الواضح أن ظاهرة الانتقال للأسواق من الفسطاط للقاهرة، انما كانت نتيجة طبيعية، لاباحة القاهرة لسكنى العامة والجمهور فى عهد صلاح الدين الأيوبى (٣). حيث سيجد العديد من التجار والصناع فى ذلك فرصة للانتقال للقاهرة لممارسة نشاطهم فيها، بالقرب من زبائنهم الأساسيين وهم الدولة ورجالها الذين أضحوا فى تلك الأثناء أداة رئيسة للاستهلاك تلاحقهم الأسواق حيثما حلوا (٤). هذا بالاضافة الى تخلص الدولة من الجهاز الصناعى الذى كان قائما فى "الحاصلات" فى العصر الفاطمى (٥). فان مما لاشك فيه أن ذلك قد أدى الى تحول عدد كبير من هؤلاء الصناع الى الأسواق المختلفة للعمل فيها، مما أسهم على وجه التأكيد فى زيادة النشاط الصناعى وتطوره فى القاهرة .

ولم تكن حركة انتقال الأسواق والصناعات مقتصرة على انتقالها من الفسطاط الى القاهرة فحسب، بل انها شهدت حركة تبديل واسعة النطاق لمواقعها فى داخل المدينة نفسها. ففى القاهرة تغيرت فى عهد الناصر صلاح الدين مواقع بعض أسواقها عما كانت عليه فى عهد الفاطميين

---

(١) سبق أن ذكرنا أن سويقة أمير الجيوش وسوق الجملون الكبير كانا يختصان بشكل أساسى ببيع الثياب والأقمشة .

(٢) المقريزى : الخطط ٩٢/٢، وانظر خريطة رقم ١٤ .
والمدرسة الكاملية نسبة للملك الكامل الأيوبى (٦١٥ - ٦٣٥هـ/١٢١٨ - ١٢٣٧م) أسسها فى عام (٦٢٢هـ/١٢٢٥م) وهى أول دار حديث عملت فى مصر . المقريزى : م . س ٣٧٥/٢ .

(٣) ص ٥١٢ .

(٤) ص ٢٢٥ .

(٥) ص ٢٦٣ - ٢٦٦ .

فالمقريزى يذكر أثناء حديثه عن سوق باب الزهومة بأنه[(١)] قد كان فى موضعه (... فى الدولة الفاطمية سوق الصيارف ويقابله سوق السيوقيين من حيث الخشيبة[(٢)] الى نحو سوق الحريريين اليوم[(٣)] .... ويقابل السوفيين اذ ذاك سوق الزجاجين ... فلما زالت الدولة الفاطمية تغير ذلك كله ..)[(٤)] . فأصبح موضع سوق السيوفيين يمتد من الصاغة[(٥)] الى درب السلسلة[(٦)] فى حين أن سوق باب الزهومة تحول الى سوق للمآكل والأطعمة ،حيث انتقل سوق الصيارف الى مابين القصرين فى خان مخصص لهم[(٧)] . فى حين أن الصاغة انتقل سوقهم الى موضع مطبخ القصر[(٨)]، بعد أن كان فى حـ[illegible]ـارة

---

(١) هذا السوق ينسب الى أحد أبواب القصر الشرقى الكبير يعرف بالزهومة المقريزى : الخطط ٩٧/٢ .

(٢) يقصد به خط الخشيبة . انظر ص ٤١٤ هامش (٣) .

(٣) يقصد به موقع سوق الحريريين فى عصره ،وعن هذا الموقع انظر :
A.Raymond E Wiet, Les Marcees, plan 2.
ويدل هذا التوقيع على أن موقع هذا السوق يدل عليه الشارع الذى أطلق عليه على باشا مبارك شارع الوراقين . انظر على باشا مبارك الخطط التوفيقية ١٥٦/٣،خريطة رقم ٣١ .

(٤) المقريزى : ن . م . س . وهذه الأسواق كانت جميعها تقع فى شارع الجوهرجية الحالى . على باشا مبارك : م . س ١٠٥/٢ .

(٥) سنشير الى الصاغة فيما يلى .

(٦) ينسب هذا الدرب الى السلسلة التى كانت توضع عنده مساءً لمنع المرور من خلال ميدان بين القصرين وذلك فى العصر الفاطمى المقريزى : م . س ٣٨/٢ ،ويذكر على باشا مبارك بأنه يدل عليه ادرى عطف الصاغة . على باشا مبارك : م . س ١٠٨/٢،وانظر خريطة رقم ٣١ .

(٧) المقريزى : الخطط ٩٧/٢ ، الخاصكى : التحفة الفاخرة لوحة ٧٢ . وانظر لتحديد موقع هذا السوق
A. Raymond E Wiet, op. cit. plan 3.
وانظر خريطة رقم ٣١ .

(٨) المقريزى : م . ١٠٢/٢،ولايزال موضع الصاغة مشهور بمكانه فى شارع الجوهرجية . على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ١٠٨/٢ .
وانظر أيضا لتحديد موقعها :
A. Raymond E Wiet, op.cit.
وانظر خريطة رقم ٣١ .

الأمراء[١]، وأصبح سوق صناع الأحذية والزجاجين فى سوقهم[٢] . أما سوق الزجاجين القديمة، فلقد أضحى سوقا لصناع الصناديق والخزائن والأسرّة فعرف بسوق "الصنادقية"[٣] .

ومثلما تغيرت مواضع بعض أسواق القاهرة، فقد تغيرت كذلك مواضع بعض أسواق الفسطاط، حيث انتقلت كثير من أوجه النشاط الصناعى والتجارى نحو الساحل فى الأراضى التى كونها الطرح النهرى[٤]، فمن الواضح أن مطابخ السكر التى كانت قائمة فى خط دار الملك[٥]، والتى كانت ملكا للدولة قد أنشئت فى تلك الفترة[٦]، حيث يشير ابن مماتى لمطابخ للسكر هى ملك للدولة فى تلك الأثناء، ويذكر بأنه من حق الأجناد استخدامها لاستخراج السكر[٧] . ويبدو أن المطبخ الذى أوقف على المارستان الصلاحى كان من جملتها[٨] .

ومن المؤكد أن الدار الفاضلية[٩]، التى بنيت على أجزاء من أراضى الطرح النهرى[١٠]، كانت مخصصة للصناعات الغذائية التى يدخل التمر فى موادها الأساسية، فقد أشارت المصادر الى أنها تعرف بصناعة التمر ولكن دون تبين أسباب ذلك[١١]، بل ان هذه الدار كان بها عددا كبيرا من

---

(١) المقريزى : ن . م . س . ولقد سبق الاشارة الى حارة الأمراء وموقعها . انظر ص ٣٥٣ هامش (٦) .

(٢) وهذا السوق عرف فى عصر المقريزى بالحريريين . المقريزى : ن . م.س ولقد سبق الاشارة اليه .

(٣) ن . م . س . ويدل على موقع هذا السوق فى العصر الحديث دكاكين الخردجية فى الشارع الذى يحمل مسماهم . على باشا مبارك : م س ٢/١١٠ .

(٤) عبدالرحمن زكى : القاهرة ص ٤ .

(٥) عن هذا الخط انظر ص ٣٥٦ .

(٦) ابن دقماق : الانتصار ق ٤١/١ .

(٧) ابن مماتى : قوانين الدواوين ص ٣٦٧ .

(٨) ابن دقماق : م . س ق٤٥/١ .

(٩) عن هذه الدار انظر ص ٤٩٨ .

(١٠) ص ٣٨٧ .

(١١) المقريزى : م.س، ٩٧/٢ .

الحوانيت والمخازن[1]، مما يشير الى ظهور النشاط التجارى فى المنطقة التى تقع فيها فى تلك الأثناء . ومن المؤكد أن انتقال الشارع الأعظم من شرقى المدينة الى غربيه، قد أدى الى انتقال السوق الذى يقع عليه[2] أيضا الى هذه الناحية[3]، مما يشير بشكل عام الى اتجاه أسواق المدينة الى ناحية الساحل .

---

(١) المقريزى : م . س ٧٨/٢ — ٧٩ .

(٢) ص ٤١٦ - ٤١٧ .

(٣) القلقشندى : صبح الأعشى ٣٣٣/٣ .

(د) المتنزهات والبساتين :

يدل الأصل اللغوى للفظ المتنزهات على أنها تطلق على المواضع البعيدة عن العمران،فالتنزه هو التباعد،والأرض النزهة هى البعيدة عن الريف (١). وقد يدل اللفظ على البساتين والخضرة (٢). بالتأمل فيما تذكره المصادر عن متنزهات القاهرة يلاحظ أن اللفظ قد اتسع مدلوله وارتبط بالعديد من المواضع ،خاصة تلك التى تقع فى ظاهر المدينة والتى تقع على المجارى المائية كنهر النيل والخلجان (٣). بل يلاحظ أيضا أن مواضع النزهة قد تميزت بخصائص محددة معلومة ،فلقد كان وجود غدران الماء فى القرافة (٤)، من الأسباب الرئيسة التى جعلتها موضع نزهة (٥) ولاشك فى أن مثل هذا الاعتبار قد جعل مواضع النزهة تتميز بالثبات العمرانى ،ولاتكون عرضة للتغير الا فيما ندر .

فخليج القاهرة ظل لفترة طويلة موضع نزهة لسكانها (٦)،تعبره المراكب حاملة الناس جيئة وايابا (٧)، وهذه السمة ظلت للخليج منذ أن أسست المدينة وحتى تاريخ قريب من عصر المقريزى (٨). بيد أن الثبات العمرانى لمواضع النزهة ،لم يجعلها بمنحى عن التطورات العمرانية التى تعرضت لها أقسام المدينة فى عهد الناصر صلاح الدين الأيوبى اذ شهدت المتنزهات فى تلك الفترة العديد من المتغيرات والتطورات العمرانية ،أبرزها ماتعرضت له منتزهات الخلفاء الفاطميين (٩) من تغيرات

---

(١) الزبيدى : تاج العروس ٤١٦/٩.

(٢) ويرى بعض فقهاء اللغة بأن هذا من أغلاط العامة . وهو ماأنكره الزبيدى . انظر ن . م . س .

(٣) ابن فضل الله العمرى : مسالك الأبصار ٣/ورقة ١٢٧، القلقشندى : صبح الأعشى ٣٦٦/٣ .

(٤) عن القرافة انظر ص ٤٦١ - ٤٦٤ .

(٥) ص ١٢٥ .

(٦) عن هذا الخليج انظر ص ١١٣ - ١١٥ .

(٧) المقريزى : الخطط ١٤٣/٢ .

(٨) المقريزى : ن . م . س .

(٩) كان للفاطميين عدد كبير من منشآت النزهة ،فكان لهم بساتين عدة يتنزهون بها منها البساتين الجيوشية ،كذلك كان لهم عدد كبير من المناظر منها اللؤلؤة ،والبعل ،والتاج ،ومنازل العز ،والهودج والأندلس ،وقبة الهواء ،ودار الملك ،وغير ذلك من المناظر . المقريزى : م . س ٤٦٥/١، ٤٨٧ .

عمرانية رئيسة . فصلاح الدين الأيوبى لم يكن يميل فى حياته الى الترف[1] لذلك فانه لم يلتزم طريقة الفاطميين فى التنزه[2] وخالفهم فى ذلك كثيرا فكل مايؤثر عنه خروجه الى بركة الجب[3] للعيد ولعب الاكره[4]، ففى عام (٥٧٧هـ/١١٨١م) خرج صلاح الدين الى هذه البركة (... للصيد ولعب الاكره وعاد بعد ستة أيام ...) . وتذكر المصادر بأن القاضى الفاضل ذكر[5] ذلك كثيرا عن صلاح الدين الأيوبى[6] .

لقد ترتب على ذلك أن تأثرت أوضاع المتنزهات الفاطمية ،حيث تغيرت أوضاعها العمرانية ،فأضحى بعضها مساكن لعدد من أقرباء صلاح الدين الأيوبى ورجال دولته فمنظرة اللؤلؤة[7] التى كانت قصرا من أحسن القصور وأعظمها زخرفة وهو أحد متنزهات الدنيا المذكورة ...)[8] . جرى تقسيمها وتحويلها الى عدد من الدور السكنية[9] . وكذلك كانت الحال بالنسبة لمنشآت النزهة الواقعة بالقرب منها ،والتى كانت تطل على

---

(١) ص ١٥٥ .

(٢) كان الفاطميون يخرجون كل سبت وثلاثاء الى بساتينهم ومناظرهم علاوة على اتخاذهم الأعياد والمناسبات المختلفة التى سادت فى عصرهم كأيام تنزه وفرجة . أفاض المقريزى فى وصفها . انظر المقريزى : م . س ٤٦٥/١ – ٤٩٥ ،وانظر : الأمين عوض الله : الحياة الاجتماعية ص ٣٣ – ٤١ .

(٣) سبق الحديث عن هذه البركة ،انظر ص ١٥٥ ،هامش (٥) .

(٤) سبق الحديث عن الاكره ،أنظر ص ١٥٦ هامش (٢) .

(٥) المقريزى : السلوك ٧١/١/١ – ٧٢ .

(٦) المقريزى : الخطط ١٦٤/٢ ،مؤلف مجهول : تاريخ المصر القاهرة ورقة ١٩٧ .

(٧) سبق الحديث عن هذه المنظرة ، انظر ص ٣٤٩ هامش (٨) .

(٨) المقريزى : م . س ٤٦٧/١ .

(٩) ص ٣٤٩ – ٣٥٠ .

الخليج من جهته الشرقية ،وتقع فيما بينه وبين القاهرة (١) . كذلك كان الحال بالنسبة لمنازل العز ودار الملك (٢) ، اللتان كانتا تطلان على النيل وتقعان على شاطئ الفسطاط (٣) ،فلقد قسمتا فى ذلك الوقت وأضحت أجزاء منهما دورا سكنية (٤) . أما بستان الدكة (٥) ، الذى كان به منظره تعرف به (٦) ،وكان من متنزهات الفاطميين (٧) ، فقد تحول الى خطة كبيرة تعرف "بخطة الدكة" تتكون من عدد كبير من الحارات (٨) . ولم تكن التغيرات العمرانية التى تعرضت لها متنزهات الفاطميين قاصرة على تحويلها الى مواضع سكنى ،فلقد أخذت بعض بساتينهم بالتحول الى أراضى زراعية خاصة تلك التى تقع خارج سور صلاح الدين الأيوبى ،فظهرت على أراضيها بعض القرى فبستان المعشوق (٩) ، أضحى من جملة وقف الصابونى (١٠) ،وهو وقف

---

(١) كان يوجد فى هذه المنطقة عدد من مناظر النزهة التى كانت لبنى عبيد ورجالهم مثل الغزالة واللؤلؤة ودار الذهب . انظر المقريزى : م . س ٢٤/٢،الخاصكى : التحفة الفاخرة لوحة ٢٩،مؤلف مجهول : تاريخ المصر القاهرة ورقة ٢٧ ،على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ٦٩/٣ - ٧٠ .

(٢) عن هاتين المنشأتين انظر ص ص ٣٥٠ ، هامش (٢) ، ٣٥١ ،هامش(٤)

(٣) ابن دقماق : الانتصار ق ١ /٩٣،المقريزى : الخطط ٤٨٣/١ - ٤٨٥ .

(٤) ص ٣٥٠ - ٣٥١ .

(٥) سبق الاشارة الى هذا البستان . انظر ص ٣٢٩ هامش (١) .

(٦) المقريزى : م . س ٤٨٠/١،القلقشندى : صبح الأعشى ٣٥٧/٣ .

(٧) المقريزى : م . س ٤٦٢/١ .

(٨) ص ٣٥٦ .

(٩) المعشوق اسم لمكان فيه أشجار بظاهر الفسطاط كان فى بادئ الأمر من جملة خطة راشدة ،وعرف بجنان كهمس بن معمر ثم عرف بجنان الماردانى ثم عرف بجنان الأمير تميم بن المعز لدين الله الفاطمى (٣٤١ - ٣٦٥هـ ٩٥٢ - ٩٧٥م) وجدده بعد ذلك الوزير الفاطمى الأفضل بن أمير الجيوش (٤٨٧ - ٥١٥هـ/١٠٩٤ - ١١٢١م) فعرف به . المقريزى : م . س ١٥٩/٢ .

(١٠) كان هذا الوقف يشمل جزيرة الصابونى وأجزاء من بركة الحبش ،ويذكر المقريزى أثناء حديثه عن المعشوق بأن هذا الوقف أوقفه ابن الصابونى على بنيه ،الا أنه أثناء حديثه عن جزيرة الصابونى يذكر أن الذى أوقفها على الصابونى وبنيه هو والد صلاح الدين الأيوبى حيث أوقفه على الصابونى وبنيه وصوفية بمكان بجوار قبة الامام الشافعى ،وهذه الجزيرة من جملة المعشوق اذ أن رباط الآثار من جملتها بالاضافة الى أنه من جملة البستان المذكور كما يشير الى ذلك المقريزى مما يدل على أن الوقف أصله واحد وهو وقف نجم الدين أيوب . انظر المقريزى : م . س ١٥٩/٢،١٩٥ .

أوقفه والد صلاح الدين الأيوبى نجم الدين أيوب (١) على جماعة من الصوفية (٢) أصبح أرضا زراعية ،ونشأت عليه قرية كما يشير الى ذلك ياقوت الحموى (٣) وكما ظهرت قرية فى موضع بستان المعشوق ،فمن الواضح أن الخندق (٤) الذى تحول الى بستان فى العصر الفاطمى (٥) قد تحول الى أراضى زراعية ،وظهرت عليها قرية كبيرة ، يسكنها أعداد جمة من الناس (٦) وبها سوق وجامع (٧) . ومن متنزهات الفاطميين التى تحولت الى أراضى زراعية البساتين التى على أراضى البعل (٨) . فلقد كان للفاطميين بساتين ثلاث متجاورة ،هى بستان

---

(١) عنه انظر ص ٢٤ هامش (١) .

(٢) المقريزى : م . س ١٨٥/٢ .

(٣) عبد العال الشامى : مدن مصر وقراها عند ياقوت ص ٥٤،ولقد اندثرت هذه القرية نتيجة تسلط مياه النيل عليها أثناء الفيضان ،فزالت هى وجزيرة الصابونى التى تتبعها،ويدل على موقعها فى الوقت الحاضر المنطقة المطلة على شاطئ النيل ناحية دير الطين معادى الخيبرى جنوبى مصر العتيقة . محمد رمزى : القاموس الجغرافى ٧٧/١ .

(٤) الخندق : موضع بشمالى القاهرة كان يعرف فى بادئ الأمر بمنية الأصبح ،ثم عرف بالخندق عندما بنى جوهر الصقلى خندقا بجوارها لمواجهة هجوم القرامطة فعرفت به . المقريزى : م.س ١٣٦/٢ ،محمد رمزى : القاموس الجغرافى ق ٤٢٩/١ .

(٥) كان الخندق فى أوائل العصر الفاطمى قرية ثم تحول الى بستان وان كانت المصادر لاتقدم تحديدا واضحا لتاريخ هذا التحول المقريزى : ن . م . س .

(٦) ياقوت : معجم البلدان ٣٩٢/٢ .

(٧) المقريزى : م . س ١٣٨/٢،مؤلف مجهول : م . س ورقة ١٦٥ ويدل على موقع هذه القرية فى الوقت الحاضر المنطقة التى يتوسطها دير الملاك البحرى بين الزاوية ومحطة الدمرداش . محمد رمزى : ن . م.س.

(٨) البعل ذو دلالات عدة فيقال البعل للأرض المرتفعة التى يصيبها المطر مرة واحدة فى السنة ،وقيل البعل كل شجر أو زرع لايسقى وقيل هو ماسقى بالمطر من الأراضى ،وغير ذلك من المعانى . انظر الزبيدى : تاج العروس ٢٢٩/٦ - ٢٣٠ ،المقريزى : م . س ١٢٩/٢،وهذه الأراضى كانت تعد من ضواحى القاهرة ،ثم طغت عليها مبانى المدينة فى الوقت الحاضر،وتشمل المنطقة التى يحدها شارع الخليج المصرى من الناحية الشرقية والشارع الواقع الى شمال المستشفى الاسرائيلى من جهتيها الشمالية الشرقية ،ومن الشمال الغربى تحد بشارع مهمشه الذى يحدها من الغرب أيضا بالاضافة الى شارع وقف الخربوطلى،ومن الجنوب تحد بشارع الظاهر . محمد رمزى : م . س ق ١٥/١ - ١٦ .

البعل والتاج والخمس وجوه (١)، وكان فى كل واحد منهما منظره (٢) معده بالفرش اللازم للشتاء والصيف، كما يشير الى ذلك المقريزى أثناء حديثه عن منظرة التاج (٣) حيث يقول : " ... وكان لها فرش معد لها للشتاء والصيف ..." (٤) . والراجح أنه قد أخذ بتحويل أراضى البساتين الى أراضى زراعية فى عهد صلاح الدين الأيوبى، فزالت منها أشجار البساتين وأضيفت أراضيها لمنية الشيرج (٥) فعدت من جملتها (٦) . ومن المظاهر العمرانية التى تعرضت لها منتزهات الفاطميين هو تقسيم هذه المنتزهات، فعلى الرغم من أن منازل العز ودار الملك (٧)، قد جرى تحويلهما الى مناطق سكنية (٨) . فمن الواضح أن ذلك كان يشمل أجزاء منهما فقط فى حين أن هنالك أجزاء أخرى، وعلى الأخص تلك التى تطل على النيل فقد احتفظت بأهميتها كمتنزهات، فيذكر العماد الأصفهانى بأن هذين القصرين قد استمرا يؤديان غرضهما كمتنزهات فى عهد الناصر صلاح الدين الأيوبى، حيث قال فى حوادث عام (٥٧٢هـ/١١٧٦م) (... وتوفرنا على الاجتماع فى المغانى لاستماع الأغانى والتنزه فى الجزيرة والجيزة والأماكن العزيزة، ومنازل العز ... ودار الملك والنيل) (٩) . ومن المؤكد

---

(١) المقريزى : ن . م . س السخاوى تحفة الأرباب ص ٢٢ .
(٢) المقريزى : م . س ٤٨١/١ .
(٣) هذه المنظرة بناها الوزير الفاطمى الأفضل بن أمير الجيوش.
المقريزى : ن . م . س.
(٤) ن . م . س.
(٥) منية الشيرج : يقول ياقوت عنها بأنها بلدة كبيرة طويلة ذات سوق بينها وبين القاهرة فرسخ أو أكثر قليلا على طريق الاسكندرية ياقوت : معجم البلدان ٢١٨/٥ . وكانت تعرف بمنية الأمراء وبها معاصر للسمسم الذى يستخرج منه زيت الشيرج المعروف بالسيرج وهى الآن من ضواحى القاهرة . عبدالرحمن زكى : موسوعة مدينة القاهرة ص ٣٧١ -٣٧٢ .
(٦) المقريزى : م . س ٤٨١/١، ١٢٩/٢ .
(٧) عنهما انظر ص ٣٥٠ هامش (٢) ، ٣٥١ هامش (٤).
(٨) ص ٣٥٦ .
(٩) نقلا عن أبو شامة : الروضتين ٦٨٥/٢/١ .

أن متنزهات الفاطميين التى كانت فى جزيرة الروضة (١)، قد جرى تقسيمها أيضا ،اذ تشير الكشوفات الأثرية الى بقايا قصر يعود لفترة مبكرة من العصر الأيوبى (٢)، الراجح أنه قد بنى على أجزاء من بعض متنزهات الفاطميين التى كانت فى الجزيرة خاصة وأن جزيرة الروضة كانت موضع اهتمام كمكان للنزهة فى عهد الناصر صلاح الدين الأيوبى ، حيث يذكر ابن جبير أثناء حديثه عنها ،بأنها كانت تعتبر حينئذ مجمع اللهو والنزهة (٣) . ومن المظاهر العمرانية التى تعرضت لها المتنزهات فى عهد الناصر صلاح الدين الأيوبى ، اهمال بعض المتنزهات وتحولها الى خراب وهدم البعض الآخر . ومن أبرز الأمثلة على ذلك ماتعرض له البستان الكافورى (٤)، الذى كان (... متنزها للخلفاء الفاطميين مدة أيامهم ...) (٥) فمن الواضح أن هذا البستان قد أهمل فى الفترة الصلاحية ،حيث اتخذه بعض الفقراء مكانا لزرع الحشيشة (٦) . وذلك قبل أن يبدأ البناء عليه

---

(١) كانت هذه الجزيرة تعرف بجزيرة مصر وجزيرة الصناعة ثم عرفت بعد ذلك بجزيرة الروضة نسبة الى بستان بناه فيها الوزير الفاطمى الأفضل بن أمير الجيوش (٤٨٧ - ٥١٥هـ/١٠٩٤ - ١١٢١م) وذلك فى عام (٤٩٠هـ/١٠٩٦م) وسماه بالروضة فنسبت الجزيرة اليه . عنها انظر ابن دقماق : الانتصار ق ١٠٩/١ - ١١٨، المقريزى : الخطط ١٧٧/٢ - ١٨٥ محمد رمزى : القاموس الجغرافى ق١ ص ٢٠٨، عبد الرحمن زكى : امتداد القاهرة من عصر الفاطميين الى عصر المماليك ،ضمن أبحاث ندوة القاهرة ٦٢٣/٢ - ٦٢٤، ولقد استخدم الفاطميون هذه الجزيرة كموضع نزهة منذ أوائل عهدهم وكان لهم عدد من المنشآت فيها لهم ولأتباعهم حيث يبدوا انها جعلت كمتنزه خاص لهم . المقدسى أحسن التقاسيم ص ٢٠٠، ناصر خسرو : سفر نامه ص ١٠٤، ابن دقماق الانتصار ق١ /١٠٩، ١١٥، المقريزى : م . س ١٨١/٢ - ١٨٢ .

(٢) Jean Floude Garcin , Bernard Maury Jaques Revault, Mona Zakariya , Palais Et Maisons Du Caire Epoque Mamelouke , Paris , 1982, Vol. I , p. 32-36.

(٣) ابن جبير : الرحلة ص ٢٩ .

(٤) ص ٣٧٢ ،هامش (١) .

(٥) المقريزى : الخطط ٤٥٧/١ .

(٦) الخاصكى : التحفة الفاخرة لوحة ٣١ .

ويختط فى عام (٦٥١هـ/١٢٥٣م)[١] . أما المتنزهات التى هدمت ،فهى تلك المنشآت التى كانت للفاطميين ورجال دولتهم فى القرافة الكبرى[٢] التى كانت من أهم متنزهات الفاطميين ،حيث أنهم بنوا فيها العديد من القصور والبساتين ،ونزل بها غالبية أهل الدولة كما يذكر السخاوى[٣] غير أن تلك المنشآت قد جرى هدمها ،ذلك أن "قصر الأندلس" الذى سماه المقريزى بقصر القرافة[٤] ،جرى هدمه فى أوائل عام (٥٦٧هـ/١١٧١م) بعد أن انتهت الدولة الفاطمية[٥] . خاصة وانه من المؤكد أن المنشآت المذكورة قد التهمتها النيران أثناء حريق الفسطاط عام (٥٦٤هـ/١١٦٨م)[٦] .

أما عن المظاهر العمرانية الأخرى التى تعرضت لها المتنزهات والبساتين فى عهد الناصر صلاح الدين الأيوبى ،فان من أبرزها ظهور أماكن جديدة كمواضع للنزهة ،فقد ظهر بعضها فى داخل القاهرة . حيث كان لظهور خط بين القصرين فى تلك الفترة[٧] سببا فى أن يتحول هذا الموضع الى متنزه "... تمر فيه أعيان الناس وأماثلهم فى الليل مشاه لرؤية ماهناك من السرج والقناديل الخارجة عن الحد من الكثرة ولرؤية ماتشتهى الأنفس وتلذ الأعين مما فيه لذة للحواس الخمس ..."[٨] . بل ان هذا التطور أدى الى أن يتحول هذا المكان الى أهم متنزهات المدينة يدل على ذلك الأعداد الكبيرة من الناس التى كانت تمر فيه جيئة وذهابا لغرض التفرج والنزهة[٩] . كذلك أخذت المنطقة الواقعة فيما بين الفسطاط

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ٣٥٢/٣ . وانظر على نفس المعنى : ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ص ٤٨ .

(٢) عن القرافة الكبرى انظر ص ٤٦٢ ،هامش (٤) .

(٣) السخاوى : تحفة الأحباب ص ١٨٠ - ١٨١ .

(٤) هذا القصر بنته تغريد أم العزيز بالله العبيدى (٣٦٥ - ٣٨٦ هـ / ٩٧٦ - ٩٩٦م) فى عام (٣٦٦هـ/٩٧٦م) . المقريزى : الخطط ٤٨٦/١، ٤٥٣/٢.

(٥) ن . م . س .

(٦) ص ٣٠٨ .

(٧) ص ٣٩١ - ٣٩٢ .

(٨) المقريزى : م . س ٢٨/٢، الخاصكى : التحفة الفاخرة لوحة ٢٤ .

(٩) العبدرى : الرحلة المغربية ص ١٢٨، المقريزى : م . س ٢٩/٢ .

والقاهرة على يمين الخارج من باب زويلة[1] بالتحول الى مكان للنزهة . اذ تذكر المصادر بأن حارة المنصورية[2] التى أحرقت ابان ثورة العبيد[3] (٥٦٤هـ/١١٨٦م) قام بعض أمراء الدولة الصلاحية بازالة أنقاضها وتحويلها الى بساتين لهم، الأمر الذى ترتب عنه[4] أن امتدت البساتين من الباب المذكور وصولا الى المشهد النفيسى[5] . بل يبدو أن البساتين امتدت وصولا الى باب مصر فى الفسطاط . اذ يذكر ابن الطوير بأن شون الاتبان التى كانت مخصصة لاصطبلات الخلفاء[6] والتى كانت تقع على الساحل تحولت الى بساتين تنسب الى صارم الدين خطلبا[7][8] . ومن الأماكن التى بدأت بالتحول الى موضع نزهة فى تلك الفترة، منطقة المقابر التى تعرف بالقرافة[9] . اذ من المؤكد أنه منذ عهد الناصر صلاح الدين الأيوبى أخذت هذه المنطقة بالتحول الى موضع نزهة، تبنى بها البساتين والمنشآت التى تحقق هذا الغرض[10] . ففى عام (٥٧٤هـ/١١٧٨م) بنى الحاجب لؤلؤ

---

(١) انظر خريطة رقم ١٥ .

(٢) عن هذه الحارة انظر ص ٣١٩ ،هامش (٣) .

(٣) ص٣٩٧-٣٩٨ وعن هذه الثورة انظر ص ٢١٤ - ٢١٥ .

(٤) ابو شامة : الروضتين ٤٥٢/٢/١، الحنبلى : شفاء القلوب ص ٧٢ - ٧٣ .

(٥) المقريزى : م . س ١١٠/٢ .

(٦) عن هذه الاصطبلات . انظر ص ٤٣٨ هامش (٣) .

(٧) المقريزى : م . س ٤٤٥/١،

(٨) وصارم الدين هو خطلبا بن موسى الفارسى التبتى من أمراء الدولة الصلاحية (ت ٦٣٥هـ/١٢٣٧م) يذكر المقريزى بأنه استقر فى ولاية القاهرة سنة (٥٧٢هـ/١١٧٦م) وأضيفت اليه ولاية الفيوم سنة (٥٧٧هـ/١١٨١م) ليصرف عنها ويسلم اليمن فى نفس السنة، الا أن العماد الأصفهانى يشير فى ثنايا حديثه عن السنة نفسها بأنه كان متوليا للفسطاط وليس القاهرة . العماد الأصفهانى : البرق الشامى (سيرة السلطان صلاح الدين الأيوبى) تحقيق رمضان ششن، اسطنبول، ١٩٧٩م ، ١٥٣/٥، المقريزى : م . س ١٢٠/٢ .

(٩) عنها انظر ص ٤٦١- ٤٦٤ .

(١٠) ابن فضل الله العمرى : مسالك الأبصار ٣/ورقة ١٢٧ - ١٢٨، القلقشندى صبح الأعشى ٣٧٥/٣ .

العادلى بستانا فى رحبة مسجد الأندلس (١) ،الذى يقع فى القرافة الصغرى (٢) (٣)
كذلك فان العماد الأصفهانى يشير أثناء حديثه عن متنزهات المدينة
فى تلك الأثناء، الى قصور فى القرافة (٤) . من الواضح أنه يقصد بها
منطقة المقابر، التى يذكر ابن سعيد الأندلسى بأنه شاهد بها منازل
لأعيان الفسطاط والقاهرة (٥) . وعلى الرغم من أن بعض المصادر تذكر بأن
الفاطميين كانت لهم منشآت نزهة فى القرافة الكبرى (٦) ، فان من الواضح
أن القرافة التى كانت فيها هذه المنشآت ،لم تكن منطقة المقابر
وانما كانت منطقة سكنية ، اذ يذكر ابن حوقل أثناء حديثه عن جامع
القرافة الذى كان يعرف بجامع الأولياء (٧) ،بأنه يقع فى القرافة ،والتى
عرفها بأنها : " موضع بظاهر مصر " (٨) ، ولم يذكر بأنها هى المقبرة
التى كانت للمدينة . هذا بالاضافة الى أن المصادر التى تحدثت عن
مقابر المدينة أثناء العصر الفاطمى لاتشير الى وجود منشآت للنزهة
فيها فى تلك الأثناء،فالمقدسى عندما يتحدث عن هذه المقابر يذكر
بأنها كانت سكنا للزهاد والعباد ولايشير الى وجود المنشآت الأخرى (٩)
وهكذا فان مما لاشك فيه أن القرافة التى كانت موضع نزهة للفاطميين
كانت منطقة سكنية فى نفس الوقت ،حيث يشير المسبحى فى تاريخه فى أكثر

---

(١) هو لؤلؤ الحاجب الأرمنى (ت ٥٩٦هـ/١١٩٩م) كان من أجناد الأسطول فى عهد الفاطميين ثم ترقى فى الخدمة فى دولة الناصر صلاح الدين حتى ولى أمره للاسطول اشتهر أمره عندما قام باحباط محاولة الفرنج مهاجمة المدينة المنورة عام (٥٩٨هـ/١١٩١م) . كان محبا للخير كثير الصدقة . المقريزى : الخطط، ٢/٨٥ - ٨٦ .

(٢) هذا المسجد من جملة مساجد القرافة الصغرى فى شرقيها ،يقال بأنه بنى عند فتح مصر وقيل فى خلافة معاوية رضى الله عنه . المقريزى م . س. ٢/٤٤٦ .

(٣) ن . م . س . وعن القرافة الصغرى انظر ص ٤٦٢ ،هامش (٤) .

(٤) نقلا عن أبو شامة : الروضتين ٦٨٥/٢/١ .

(٥) ابن سعيد الأندلسى : الاغتباط فى حلى الفسطاط ص ١٠، المقريزى م . س ٤٤٤/٢ .

(٦) انظر فيما يذكره السخاوى/ تحفة الأحباب / ص ١٨٠ - ١٨١ .

(٧) هذا الجامع يقع بالقرافة الكبرى ويقع فى منطقة كانت فى الأصل خطة من خطط الفسطاط الأولى تعرف بخطة المغافر . بنته تغريد أم العزيز بالله العبيدى (٣٦٥ - ٣٨٦هـ/٩٧٦ - ٩٩٦م) فى سنة (٣٦٦هـ/٩٧٦م) المقريزى : الخطط ٣١٨/٢ .

(٨) ابن حوقل : صورة الأرض ص ١٣٨ .

(٩) المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٣٠٩ .

من موضع الى طائفة من الجيش الفاطمى كان يطلق عليهم "القرافيون"(١) والمرجح أن تكون هذه النسبة قد لاحقتهم نتيجة سكانهم للمنطقة ، اذ أن من الواضح أن هذه الطائفة من الجند لم تكن تقطن فى منطقة القبور، ومما يؤكد ذلك أن ابن دقماق يذكر أثناء حديثه عن حريق الفسطاط عام (٥٦٤هـ/١١٦٨م)(٢) بأنه قد أحرقت مدينة يطلق عليها "باب ليون" وأن مايدل على تلك المدينة فى عصره (الكيمان التى بالقرافة خارج السور)(٣)، وهذه المنطقة هى التى عرفت بالقرافة الكبرى كما سيتضح لاحقا(٤) . مما يشير الى أن موضع النزهة والمنطقة السكنية هذه لم تتحول الى مقابر الا بعد العصر الفاطمى .

ومن المظاهر العمرانية التى تعرضت لها المتنزهات فى عهد الناصر صلاح الدين ، تغير أوضاع بعض هذه المتنزهات ، خاصة المواضع المائية - الخلجان والبرك وساحل النيل - اذ أخذت المنشآت تتقدم باتجاه هذه المواضع ، وبشكل كبير فاق ماكان عليه الحال زمن الفاطميين . فبالنسبة للخلجان(٥) ، فلقد أخذت المناظر تحيط بشواطئها ، فلاشك فى أن تقدم المبانى تجاه الساحل خلال فترة البحث(٦) ، قد أدى الى أن تظهر على جانبى خليج القاهرة - وعلى الأخص الشرقية منه - العديد من المناظر ومنشآت النزهة التى تطل عليه كما يذكر ابن سعيد(٧)، وذلك على غير ماكان عليه الحال فى عهد الفاطميين ، حيث كان يفصل بين المناظر المطلة على هذا الخليج(٨) والخليج شارع يخرج اليه الناس عصرا فى أغلب الأيام للتفرج والنزهة(٩)

---

(١) المسبحى : أخبار مصر ص ١٧٤، ١٧٦ .
(٢) عن هذا الحريق انظر ص ٣٠٧ - ٣٠٨ .
(٣) ابن دقماق : الجوهر الثمين ص ٢١٨ .
(٤) ص ٤٦٣ - ٤٦٤ .
(٥) عن هذه الخلجان انظر ص ١١٣ - ١١٧ .
(٦) ص ٣٨٨ .
(٧) ابن سعيد : النجوم الزاهرة ص ٣١، المقريزى : الخطط ٣٦٨/١ .
(٨) عن هذه المناظر انظر ص ٣٦٤ .
(٩) المقريزى : الخطط ٢٤/٢، ١٠٩، الخاصكى : التحفة الفاخرة لوحة ٢٩ ، البكرى : قطف الأزهار لوحة ١١١، مؤلف مجهول : تاريخ المصر القاهرة ورقة ٢٧٠ .

كذلك كان الحال بالنسبة لخليج الخور (١) الذى يثبت عليه مناظر فى تلك الفترة ، اذ بنى الشيخ عبدالكريم الصعيدى (٢) مناظر تطل على النيل وعلى هذا الخليج (٣) .

ومن المرجح أن الخلجان التى كانت تقع جنوبى الفسطاط (٤) قد بنى عليها منشآت للنزهة منذ تلك الفترة (٥) . اذ أن البرك التى تقع فى هذه المنطقة (٦) بدأت منشآت النزهة والبساتين تحيط بها منذ ذلك العهد ،كما سيتضح فيما يلى . هذا فيما يتعلق بالخلجان ،كذلك فان منشآت النزهة والبساتين آخذت أيضا تحيط بالبرك التى كانت توجد فى أجزاء مختلفة من المدينة الكبرى (٧) . فالبرك التى كانت توجد جنوبى الفسطاط آخذت منشآت النزهة تحيط بها وتلتصق بشطوطها ،فناحية العدوية (٨) التى تحد بركة الحبش (٩) من ناحيتها الجنوبية (١٠) . بدأت بالتحول الى موضع للنزهة فى تلك الفترة ،اذ يذكر العماد الأصفهانى أثناء حديثه عن حوادث عام (٥٧٧هـ/١١٨١م) بأن الأمير مجد الدين سيف الدولة مبارك بن منقذ (١١)

---

(١) عن هذا الخليج انظر ص ١١٥ - ١١٦ .

(٢) هو الشيخ كريم الدولة عبدالواحد بن محمد بن على الصعيدى توفى فى رمضان عام (٦٠٣هـ/١٢٠٦م) . المقريزى : الخطط ١١٩/٢ .

(٣) ن . م . س .

(٤) عن هذه الخلجان انظر ص ١١٦-١١٧ .

(٥) ابن دقماق : الانتصار ٥٥/١ .

(٦) عن هذه البرك انظر ص ١١٧-١١٨ .

(٧) عن هذه البرك انظر ص ١١٧-١٢٤ .

(٨) يذكر ياقوت بأنها فى وقته قد أضحت قرية ذات بساتين قرب الفسطاط على الشاطئ الشرقى من النيل تلقاء الصعيد . ياقوت الحموى معجم البلدان ٩٠/١،أما محمد رمزى فيذكر بأنه يدل عليها فى وقت عزبة تحمل نفس الاسم من توابع ناحية الفاروقية بجوار معادى الخبيرى فى أراضى البساتين بالجيزة . محمد رمزى : القاموس الجغرافى ٨٣/١،ويدل عليها الآن دير العدوية الذى يوجد فى هذه المنطقة . عبدالعال الشامى : مدن مصر وقراها ص٥٤ .

(٩) عن هذه البركة انظر ص ١١٧-١١٨ .

(١٠) المقريزى : الخطط ١٥٣/٢ .

(١١) هو أبو الميمون المبارك كامل بن على بن مقلد بن ناصر بن منقذ الكنانى (ت ٥٨٩هـ/١١٩٣م) من أمراء حصن شيرز بالشام ،كان له مكانة فى الدولة الصلاحية ،استنابه شمس الدولة باليمن بعد أن ضمها للمزيد عنه انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ١٤٤/٤ - ١٤٦ .

دعاه الى دعوة أقامها فى هذه الناحية ،بعد ما اشتراها من السلطان صلاح الدين الأيوبى[(١)] ، وأجرى فيها الاصلاحات اللازمة حيث (... عدل أحوالها بالعمارة السوية ...)[(٢)] فأضحت (... ذات جنان وعيون وأفنان وحدائق فاخرة ،وهى على الحقيقة جنة القاهرة ...)[(٣)] . وكذلك كان الحال بالنسبة للبرك الواقعة فيما بين الفسطاط والقاهرة[(٤)] ، فمن المؤكد أن منشآت النزهة من مناظر وبساتين قد أخذت تحيط ببركة الفيل منذ تلك الفترة[(٥)] ،اذ أنشأ الأمير سيف الاسلام طغتكين[(٦)] بستانا نسب اليه ،كان يطل على هذه البركة من جهتها الشرقية[(٧)] .

كذلك فان بستان الحبانية كان يقع على هذه البركة[(٨)] من جهتها الشمالية كما تشير بذلك التوقيعات على الخرائط[(٩)] . وهو بستان لاشك بأنه أسس فى تلك الفترة على أجزاء من حارة فاطمية كانت فى موضعه[(١٠)]

---

(١) نقلا عن أبو شامة : الروضتين ٢٥/٢ ،البندارى : سنا البرق الشامى ص ١٨٩ .

(٢) البندارى : ن . م . س .

(٣) ن . م . س .

(٤) عن هذه البرك انظر ص ١١٨- ١١٩ .

(٥) ابن سعيد المغربى : النجوم الزاهرة ص ٢٧ ،المقريزى : الخطط ٣٦٧:١ ، ١٣٣/٢ .

(٦) هو الملك العزيز سيف الاسلام أبو الفوارس طغتكين بن أيوب (ت ٥٩٣هـ ١١٩٦م) أحد اخوة الناصر صلاح الدين الأيوبى ،ولاه اليمن عام (٥٧٧هـ / ١١٨١م) بعدما عاد عنها شمس الدولة توران شاه الذى كان قد ضمها واليه ينتمى البيت الأيوبى الذى حكم اليمن . انظر : ابن خلكان م . س ٥٢٣/٢ – ٥٢٤ ،أبو شامة : الذيل على الروضتين ص ١١ ، لابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ٣١٢/٤ – ٣١٣ .

(٧) المقريزى : م . س ١٣٤/٢ ،ويدل على موضع هذا البستان فى الوقت الحاضر حارة الألفى فى شارع السيوفية . على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ١٨١/٢ . وانظر خريطة رقم ١٥ .

(٨) المقريزى : م.س ، ١٣٣/٢ .

(٩) يدل على موقع هذا البستان شارع الحبانية الحالى ،والذى يذكر على باشا مبارك بأنه يقع عليه فى عصره بقايا بستان يعتقد بأنه من أجزاء البستان المذكور . على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ٢٤٥/٣ ،وانظر خريطة رقم ١٥ .

(١٠) ص ٣٩٩ .

حيث أن الناصر صلاح الدين قد أوقفه على خانقاه سعيد السعداء
كما أخذت منشآت النزهة تحيط بالبرك الواقعة فى هذه المواضع ،فلقد أخذت هذه المنشآت تتجه نحو البرك الواقعة غربى الخليج (٢)، فضمت الصغيرة منها الى منشآت النزهة التى أنشأها بعض الأفراد فى هذه المنطقة حيث يذكر العماد الأصفهانى أثناء حديثه عن حوادث سنة (٥٧٢هـ/١١٧٦م) بأنه كان يوجد فى مصر حينئذ شيخ صوفى من أهل بلخ (٣) بنى دارا على شاطىء النيل (... فيها بركة وبستان ...) (٤) . ومن المؤكد أن العديد من المناظر قد أنشئت على بركة الشقاف (٥) فى تلك الفترة . ويذكر المقريزى بأن هذه البركة (... كان عليها فى القديم عدة مناظر ... وذلك أيام كانت أراضى اللوف مواضع نزهة قبل أن تحتكر وتبنى دورا وذلك بعد سنة ستمائة ...) . (١٢٠٣م) (٦) . ومن الواضح أن هذا البناء يعود الى عصر صلاح الدين الأيوبى ،اذ أن أراضى اللوق لم تظهر عليها منشآت النزهة الا منذ ذلك العهد (٧) .

ومن خلال العرض السابق نلاحظ بأن علاقة منشآت النزهة بالبرك قد توطدت الى حد بعيد فى تلك الأثناء ،بل ان صلاح الدين الأيوبى نفسه كان من عادته التنزه عند بركة الجب كما سبق أن شاهدنا (٨)، وهو مظهر حافظ عليه الأيوبيون من بعده (٩) ،حيث كانت هذه البركة من أخص متنزهاتهم

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ٣٦٥/٣ . وعن هذه الخانقاه انظر ص ٤٨٢-٤٨٣

(٢) عن هذه البرك انظر ص ١٢٠- ١٢١ .

(٣) لم يقدم البندارى أى معلومات واضحة عنه . البندارى : سنا البرق الشامى ص ١٢١،وان كان من المؤكد أنه هو اللسان الصفى البلخى الذى كان صديقا لنجم الدين أيوب والد صلاح الدين الأيوبى ،وكان له دار على الشاطىء . ولم أعثر على ترجمة واضحة عنه فيما اطلعت عليه من مصادر ومراجع . انظر أبو شامة : الروضتين ٦٨٥/٢/١ - ٦٨٦.

(٤) البندارى : ن . م . س .

(٥) عن هذه البركة انظر ص ١٢٣.

(٦) المقريزى : م.س ، ١٦٢/٢ .

(٧) ص ٤٥٣ - ٤٥٤.

(٨) ص ٤٣٩.

(٩) المقريزى : م. س ، ٤٨٩/١ .

كذلك فلقد أخذت فى تلك الفترة العديد من منشآت النزهة بالظهور على شاطىء النيل فى المنطقة الواقعة غربى الخليج . فأنشىء فى تلك الفترة العديد من البساتين على الأراضى المتخلفة من الطرح النهرى[(١)] . فعلى أجزاء من هذه الأراضى[(٢)] أنشأ وزير صلاح الدين الأيوبى القاضى الفاضل بستانا كبيرا كان يمد الفسطاط والقاهرة بثماره وأعنابه[(٣)] . وتذكر المصادر بأن القاضى المذكور قد اشترى قطعة كبيرة من أراضى اللوق ووقفها على العين الزرقاء بالمدينة المنورة[(٤)] ، من أجل تنظيفها وتنظيف مجاريها ، وان هذه الأراضى عرفت ببستان ابن قريش[(٥)] . كذلك كان لأحد

---

(١) عن هذه الأراضى وماطرأ عليها من تطورات انظر ص ٨٢ - ٩٨ .

(٢) عنه انظر ص ٢١-٢٢ .

(٣) ابن دقماق : الانتصار ١١٩/١ ، المقريزى : م . س ٣٤٥/١ ، ١٠٩/٢ .
ولقد طغى الفيضان النهرى على هذا البستان واندثرت معالمه ، وكان ذلك فى أوائل العصر المماليكى ، المقريزى : م . س ٢٩٨/٢ ، ويذكر على باشا مبارك ، بأن محل هذا البستان بعض الأراضى التى عليها القصر العالى والقصر العينى ، على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ٢٣١/٣ .
ويحدده عبد الرحمن زكى على وجه التقريب بالمنطقة التى تحد من الشمال بشارع الطرقة الغربى ومن الغرب بشارع القصر العينى ومن الجنوب بشارع عمر بن عبد العزيز ومن الشرق بشارع الخليج المصرى (بور سعيد) وشارع الدواوين . عبد الرحمن زكى : موسوعة مدينة القاهرة ص ٣٧٠ . انظر خريطة رقم ١٥ .

(٤) وأصلها عين الأزرق ، أما لفظ الزرقاء فهو من اطلاقات العامة والأزرق هو مروان بن الحكم عرف بذلك لزراق عينيه أجرى هذه العين بأمر من معاوية رضى الله عنه . وتقع هذه العين فى ظاهر المدينة قبالة مصلى العيد . انظر : السمهودى : نور الدين على بن أحمد (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م) ، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، بيروت ، ط الثالثة ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م ٩٨٥/٣ ، ٩٨٧ .

(٥) المقريزى : م . س ١١٧/٢ ، ولعل ابن قريش هذا هو القاضى المرتضى صفى الدين أبو المجد عبد الرحمن بن على بن قريش أحد كتاب الانشاء فى الدولة الصلاحية . مات شهيدا على عكا سنة (٥٨٦هـ/١١٩٠م) المقريزى م . س ، ٨٦/٢ . ولاتقدم المصادر آية معلومات واضحة عن موقع هذا البستان ضمن أراضى اللوق ، بيد أن المقريزى يذكر بأن هذا البستان =

أمراء صلاح الدين الأيوبى ،وهو سابق الدين البلشون[1] بستانا فى المقس[2] عرف ببستان البلشون ، ومن المرجح أنه أنشأ على الأراضى التى تكونت[3] من الطرح النهرى فى هذه المنطقة[4] . ويذكر المقريزى أثناء حديثه عن بستان ابن ثعلب[5] ،بأنه كان من جملة حدوده الشرقية بستان عرف بـ (بستان الأمير قراقوش ...)[6] . ولاشك بأنه كان بستانا لبهاء الدين قراقوش أحد كبار أمراء الدولة الصلاحية[7] . من المؤكد أنه أنشأ على الأراضى التى تخلفت من الطرح النهرى . بل ان البساتين والمتنزهات تقدمت لتغطى بعض الجزر التى كانت تتخلف من هذا الطرح[8] ،فلقد كان للشيخ عبدالكريم الصعبى[9] ، بستان يعرف بالجزيرة يعنى بستان الجزيرة المعروف بالصعبى وكان من البساتين الجليلة)[10] . مما يشير الى أن هذا البستان كان يقع على جزيرة كانت توجد بالقرب من الشاطئ فى تلك

= دخل بعضه ضمن أراضى الميدان الظاهرى . والذى يقع جنوبى الميدان الصالحى . المقريزى : م . س ١١٧/٢،١٩٨،ويدل على الميدان الصالحى الآن أراضى اللوق بشارع الصنافيرى . على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ٢٢٣/٣،انظر خريطة رقم ١٥.

(١) عنه انظر ص ٤٣٢ ،هامش (١) .

(٢) عن المقس انظر ص ٨٤ ،هامش (٢) .

(٣) المقريزى : م . س ١٠٦/٢،يصعب تحديد موقع هذا البستان لعدم توفر أى معلومات واضحة عنه ،وان كان من المرجح أنه يقع على ساحل المقس ،كما سيتضح فيما يلى . انظر خريطة رقم ١٥.

(٤) عن هذه الأرارضى انظر ص ٩٠ - ٩٢ .

(٥) هذا البستان كان بستان عظيم القدر يتكون من خمسة وسبعون فدانا وينسب الى الأمير الشريف فخر الدين اسماعيل بن ثعلب أحد أمراء الدولة الأيوبية فى عهد الملك العادل بن أيوب . المقريزى : م . س ، ١١٨/٢ .

(٦) ن . م . س . ويدل على موقع هذا البستان بعض أراضى تل سن ابره أو تل اليهودية كما تعرف فى بعض الأحيان ،كما يشير الى ذلك على باشا مبارك أثناء حديثه عن خط فم الخور . على باشا مبارك : م . س ٢٢٥/٣ -٢٢٦،وانظر خريطة رقم ١٥.

(٧) عنه انظر ص ٣٨٦ ،هامش (٥) .

(٨) ص ٨٣ .

(٩) عنه انظر ص ٤٤٨ ،هامش (٢) .

(١٠) المقريزى : م . س ١١٩/٢،مؤلف مجهول : تاريخ المصر القاهرة ورقة ١٤١ .

الأثناء[١] . وبالاضافة الى البساتين فلقد أخذت المناظر والدور بالظهور على شاطئ النيل فى هذه المنطقة ،ومن أبرز الدلائل على ذلك مناظر الصعبى التى كانت تشرف على نهر النيل[٢] . ومنشأة القاضى الفاضل التى[٣] كان قد بناها بجوار بستانه سابق الذكر ،وكانت تتكون من عدد من الدور ،من المؤكد أنها كانت تستخدم لأغراض النزهة[٤] . كذلك فان العماد الأصفهانى يشير الى بعض أفراد المجتمع القاهرى ،الذين كان لهم عدد من الدور جعلوها للنزهة والضيافة ،وكانت تقع على شاطئ نهر النيل[٥] من المؤكد أنه الشاطئ الذى يقع غربى الخليج فى هذه المنطقة .

ويتضح من خلال العرض السابق بأن منشآت النزهة ،قد توطدت علاقتها حينئذ بشاطئ النيل ،مثلما حدث مع الخلجان والبرك فى تلك الفترة أيضا[٦] . وهو ماأشار اليه المقريزى أثناء حديثه عن أراضى اللوق ،حيث أوضح بأن بناء منشآت النزهة فيها لم يحدث الا بعد ماأن بنى بها القاضى الفاضل منشآته سابقة الذكر حيث يقول : (.... وأرض اللوق هذه كانت بساتين ومزروعات ولما يكن بها فى القديم بناء البتة ثم لما انحسر الماء من منشأة الفاضل عمر فيها ...)[٧] أى أن البناء

---

(١) ومن الواضح أن هذه الجزيرة والبستان قد أصبحا بعد ذلك من جملة بستان ابن ثعلب كما يشير الى ذلك المقريزى أثناء حديثه عن مناظر الصعبى وبستانه . المقريزى : ن . م . س . وبالتالى فان هذا البستان يشمل المنطقة التى فيها تل سن ابره أو تل اليهودية بالاضافة الى الدور والأزقة والحارات الواقعة على يسار السالك فى شارع باب اللوق ابتداء من جامع الطباخ الى المنطقة الواقعة غربى الشارع الموصل الى مصر العتيقة بالاضافة الى المنطقة التى تحتلها بركة قرموط والتى يذكر على باشا بأنه يقع فى موضعها فى عصره بعض المنازل والقصور بالقرب من شارع مصر العتيقة . على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ٢٢٧/٣ - ٢٣٠ . وانظر خريطة رقم(١٥) .

(٢) المقريزى : ن . م . س .

(٣) عنه انظر ص ٢١-٢٢ .

(٤) ابن دقماق : الانتصار ق١١٩/١، المقريزى : الخطط ٣٤٥/٢ .

(٥) نقلا عن أبو شامة : الروضتين ٦٨٥/٢/١ - ٦٨٦ .

(٦) ص ص ٤٤٧ ، ٤٥٠ .

(٧) المقريزى : م . س ١١٧/٢ .

للنزهة لم يظهر فى هذه المنطقة الا بعد ماعمرت منشأة القاضى الفاضل وخاصة وأن فرصة البناء على شاطىء النيل قد أصبحت مواتية منذ عهد الناصر صلاح الدين الأيوبى نظرا لابتعاد خطر الفيضان النهرى ،وهو الأمر الذى لم يكن متوفرا فى العصر الفاطمى (١) . الأمر الذى أدى الى اندفاع المدينة باتجاه الساحل . لتتحول أجزاء كبيرة منه الى مواضع تبنى عليهامنشآت النزهة المختلفة ،حيث استمر هذا الوضع الى مابعد سنة (٦٠٠هـ/١٢٠٣م) كما تشير الى ذلك المصادر أثناء حديثها عن أراضى اللوق (٢) .

وبشكل عام فبالامكان القول بأن علاقة المدينة بالمواضع المائية - خلجان ،برك ،وشاطىء النيل - قد توطدت الى حد بعيد فى تلك الأثناء وذلك من خلال منشآت النزهة التى أقيمت بجوارها .

---

(١) انظر ص ٩٧- ٩٨ .

(٢) المقريزى : م . س ٢/١٦٣،مؤلف مجهول : تاريخ المصر القاهرة ورقة ١٨٧ .

(هـ) الرحاب والميادين :

لاتخلوا أى مدينة من المدن من وجود ساحات فى داخلها وان اختلفت المسميات التى تطلق عليها، وبالنظر الى ماتقدمه المصادر من نصوص عن ساحات القاهرة فبالامكان القول بأن هناك نوعان رئيسيان من هذه الساحات الأولى الرحاب، والثانية هى الميادين (١) .

وبالنظر الى الأصول اللغوية لهذه الألفاظ، بالاضافة الى ماتقدمه المصادر والدراسات الحديثة عن هذه المواضع، فان بالامكان استجلاء بعض المفاهيم العمرانية التى تميز فيما بين تلك الساحات الى حد ما فالرحبة تدل بشكل عام على الموضع الخالى من البناء المتميز بالاتساع ويذكر الزبيدى بأن الرحبة لفظ يطلق على المكان الواسع (٢) . وعلى الرغم من أن هذا الاطلاق لايقدم دلالة عمرانية واضحة المعالم، حيث لايمكن تلمس مدلولات وظيفية من خلاله، يمكن من خلالها تحديد دور الرحبة العمرانى ومدى تداخله مع الهيكل المادى للمدينة . الا أن من الواضح أن الساحات التى كانت تستخدم للتهوية والاضاءة فى الأحياء السكنية، أو كتقاطعات للطرق كانت تعرف "كرحبة" (٣) . ولذلك كان فى الحارات رحاب، من المؤكد أنها وجدت للقيام بمثل هذه المهام (٤) . أما بالنسبة للميدان فان المعلومات تبدو أشد وضوحا عنها مما هو متوفر عن الرحاب، ففى اللغة يطلق اللفظ على المكان الذى تصول فيه الخيول وتتعطف (٥) ، وبالتالى فان الميدان موضع له صبغة اجتماعية، حيث انه يعبر بذلك عن الفروسية وحياتها . الأمر الذى أعطاه بعدا وظيفيا فى داخل المدينة، ففيها يصطف الجند ويجرى فيها عرضهم وتعدادهم، كما تشير الى ذلك المصادر أثناء حديثها عن ميدان بين القصرين (٦) . كذلك يستخدم الميدان كموضع

---

(١) انظر : المقريزى : الخطط ٤٧/٢ - ٥١، ١٩٧ - ٢٠١ .

(٢) الزبيدى : تاج العروس ٢٦٨/١ .

(٣) نيكيتا اليسيف : التخطيط المادى ضمن كتاب المدينة الاسلامية ص ١٠٥ .

(٤) ص ٣٧٥ .

(٥) الزبيدى : تاج العروس ٥٠٧/٢ .

(٦) المقريزى : الخطط ٢٨٠/٢، الخاصكى : التحفة الفاخرة ص ٢٤، وعن هذا الميدان انظر ص ٣٦٥ - ٣٦٧ .

يتدرب فى هؤلاء الأجناد على فنون القتال المختلفة، حيث يذكر حسن الرماح أثناء حديثه عن تدريب الأجناد بأن ذلك كان يتم فى "الميدان" (١). بل ان "الميدان" ارتبط بشكل عام بالسلطة فميادين القاهرة الكبرى كانت على الدوام وعبر تاريخها الطويل مواضع مرتبطة بالسلطان والدولة (٢).

لقد كان عصر الناصر صلاح الدين الأيوبى مرحلة تحول أساسية فى ساحات القاهرة الكبرى، حيث أخذت تشهد متغيرات عمرانية رئيسة كغيرها من بقية أقسام المدينة. ومن أهم تلك المتغيرات ماشهدته ساحات المدينة الفاطمية، التى توسعت على حسابها المنشآت والمبانى بأنواعها المختلفة، لتتحول هذه المساحات الى أحياء سكنية وأسواق وماشابه ذلك (٣) بيد أن تلك التحولات لم تقف حائلا دون أن تشهد المدينة ظهور ساحات جديدة أخرى، نتيجة مقتضيات الدور الوظيفى الذى تقوم به الرحاب والميادين فى أى مدينة بشكل عام، فظهور الأحياء السكنية الجديدة قد ترتب عنه بطبيعة الحال ظهور رحاب فى هذه الأحياء، بحكم دورها للاضاءة والتهوية أو كتقاطعات للطرقات التى تخترق هذه الأحياء. لذلك فان تحول المنشآت المختلفة الأنواع، الى أحياء سكنية سيترتب عنه ظهور رحاب فى داخل هذه الأحياء، فالقصر الشرقى الكبير الذى أخذ بالتحول الى منطقة سكنية تتكون من مجموعة أحياء (٤)، ظهرت فيه رحاب تخدم هذه الأحياء فرحبة البدرى (٥) هى من جملة القصر المذكور، كانت تقع فى طريق السالك من باب قصر الشوك (٦) الى المارستان الصلاحى (٧)، ومن الواضح أن رحبة جعفر (٨)

---

(١) نجم الدين حسن الرماح المعروف بالأحدب (ت ٦٩٥هـ/١٢٩١م) الفروسية والمناصب الحربية، تحقيق : عيد ضيف العبادى. بغداد ١٤٠٤هـ/١٩٨٤ م ص ٢٩، ٣٦، ٥٩. وانظر أيضا نيكيتا اليسيف : م. س ص ١٠٢.

(٢) المقريزى : الخطط ١٩٧/٢ - ٢٠١.

(٣) ص ٣٧٨ - ٣٨٤.

(٤) ص ٣٥٤.

(٥) تنسب هذه الرحبة للأمير بيدمر البدرى لأن داره تقع عندها. المقريزى م. س، ٤٨/٢.

(٦) عن هذا الباب انظر ص ٤١٢، هامش (٢).

(٧) المقريزى : ن. م. س. وعن المارستان الصلاحى انظر ص

(٨) تنسب هذه الرحبة الى جعفر بن أمير الجيوش لأن شباك قبره يطل عليها. المقريزى : ن. م. س.

التى تقع فى حارة برجوان[(١)] هى فى الأصل من جملة دار الضيافة التى اختطت فى تلك الأثناء . اذ يطل عليها شباك قبر جعفر الذى يقع فى[(٢)] هذه الدار . والراجح أن رحبتى دار الملك ومنازل العز[(٣)]، قد كانتا[(٤)] من جملة هذين القصرين الفاطميين الذين تحولا الى أحياء سكنية فى عهد الناصر صلاح الدين الأيوبى[(٥)]، كذلك كان الحال بالنسبة لبقية المنشآت التى تحولت الى أحياء سكنية فى تلك الأثناء ففى الاصطبلات الفاطمية التى تحولت الى أحياء سكنية فى عهد الناصر صلاح الدين الأيوبى[(٦)]، ظهرت رحاب أيضا ،فرحبة كتبغا هى فى الأصل[(٧)] (... من جملة اصطبل الجميزة ...)[(٨)] .[(٩)] وعلى الرغم من أن المصادر لاتقدم معلومات واضحة عن كيفية ظهور هذه الرحاب ،الا أنه من المرجح أنه قد جرى حجر بعض المساحات الخالية من البناء فى تلك المنشآت لتحول الى رحاب وذلك بالنسبة لبعضها ،فى حين أن البعض الآخر قد يكون ظهوره نتيجة هدم أجزاء من تلك المنشآت . اذ قد يهدم بناء من الأبنية فيتحول الى رحبة[(١٠)] . ولم يكن ظهور الرحاب قاصر على المنشآت فقط ،اذ أن البناء على المساحات الخالية من البناء أدى الى ظهور رحاب أيضا لخدمة الأحياء التى ظهرت عليها ومن أبرز الدلائل على ذلك مصير الساحات التى كانت تحيط بالقصور الفاطمية ،والتى أخذت بالتحول الى أحياء سكنية فى

---

(١) عن هذه الحارة انظر ص ٣٤١ ،هامش (١) .
(٢) ص ٣٥٨ .
(٣) المقريزى : الخطط ، جـ٢/٤٨ .
(٤) ابن دقماق : الانتصار ق ٣٥/١ .
(٥) ص٣٥٠ - ٣٥١ .
(٦) ص ٣٦٢ - ٣٦٣ .
(٧) تنسب هذه الرحبة الى الملك العادل كتبغا لأنها تقع تجاه داره . المقريزى : م . س٢/٥٠ .
(٨) عن هذا الاصطبل انظر ص ٣٥٢ هامش (٥) .
(٩) المقريزى : ن . م . س .
(١٠) الخاصكى : التحفة الفاخرة لوحة ٦٣ ،مؤلف مجهول : تاريخ المصر القاهرة ورقة ٥٥ .

عهد الناصر صلاح الدين الايوبى (١) . فرحبة قصر بشتاك (٢) هى من جملة أراضى بين القصرين (٣) . كذلك فان رحبة ضروط (٤) ورحبة الايدمرى (٥) هما من جملة أراضى رحبة قصر الشوك (٦) . فى حين أن رحبتى الحلى (٧) واقبغا (٨) هما من أراضى رحبة الجامع الأزهر (٩) .

وبالاضافة الى هذه الرحاب الجديدة فلقد عرفت المدينة ميادين جديدة أيضا . فمن الواضح أن اختفاء ميادين القاهرة الفاطمية (١٠) سيستدعى ظهور ميادين جديدة تلبى احتياجات المدينة ، وعلى الأخص احتياجات الدولة فى هذا الاطار، حيث ان الميادين على علاقة وثيقة بالسلطة كما سبق أن أشرنا (١١) . لذلك فقد أخذت بعض الميادين الجديدة بالظهور خارج سور المدينة . ومن المؤكد أنه قد أنشىء بجوار بركة الجب (١٢) ميدان . اذ أن صلاح الدين الأيوبى كان يمارس لعبة الأكره عند هذه البركة (١٣) . علاوة على أن الجيوش قد أصبحت تجتمع فيها قبل

---

(١) ص ٣٧٨ .

(٢) سميت برحبة قصر بشتاك لأنها تقع تجاه قصر يعرف بقصر بشتاك . المقريزى : الخطط ٤٨/٢ .

(٣) ن . ن . س . وعن هذا الميدان انظر ص ٣٦٥-٣٦٦.

(٤) تنسب هذه الرحبة لأمير يعرف بضروط الحاجب كان يسكن عند هذه الرحبة . المقريزى : ن . م . س .

(٥) تنسب هذه الرحبة الى أحد مماليك الأمير عز الدين الايدمرى نائب السلطنة فى أيام الملك الظاهر بيبرس . ن . م . س .

(٦) ن . م . س . وعن رحبة قصر الشوك انظر ص

(٧) عرفت هذه الرحبة بالقاضى نجم الدين أبى العباس أحمد بن شمس الدين على الحلى التاجر . المقريزى : م . س ٤٧/٢ .

(٨) عرفت هذه الرحبة بالأمير بقبغاء عبد الواحد استداد الملك الناصر محمد قلاوون . المقريزى : م . س ٤٨/٢ .

(٩) المقريزى : م . س ٤٧/٢، ٤٨ .

(١٠) ص ٣٧٨ - ٣٨٤ .

(١١) ص ٤٥٦ .

(١٢) عن هذه البركة انظر ص ١٥٥ ، هامش (٢) .

(١٣) ص ٤٣٩ .

المسير الى الجهاد . ففى الحادى عشر من ذى القعدة من عام (٥٧٧هـ/١١٨١م) خرج السلطان صلاح الدين الأيوبى (... الى بركة الجب ،لتجريد العساكر والمسير الى الشام ...) [(١)] . ومثل هذه الأمور تحتاج الى وجود ميدان تمارس تقاليدها على أراضيه . وبالاضافة الى ذلك الميدان فلقد كان هناك ميدان آخر للعب الأكره ،ينسب الى قراقوش ،وكان يقع خارج باب الفتوح [(٢)] ، ومن الواضح أنه كان قد أعده بهاء الدين قراقوش [(٣)] ، وجعله للعب الأكره التى كانت من الألعاب الرياضية المحببة فى ذلك العصر [(٤)] . بل ان مطلى العيد الذى يقع خارج باب النصر، قد جرى تحويله الى ميدان مؤقت للعب الأكره [(٥)] ،فيذكر أحمد الحنبلى أثناء حديثه عن حادثة وفاة والد صلاح الدين الأيوبى نجم الدين أيوب [(٦)] بأنه (... ركب يوما وخرج من باب النصر يريد الميدان ...) [(٧)] ، ومن الواضح أن هذا الميدان هو فى موضع المصلى حيث صار يعرف بعد ذلك بميدان العيد [(٨)] .

---

(١) المقريزى : السلوك ١/ق١/٧٦ .

(٢) السخاوى : تحفة الأحباب ص ٢٢ .

(٣) عنه انظر ص ٣٨٦ ،هامش (٨) .

(٤) ص ١٥٧ .

(٥) المقريزى : الخطط ١/٤٥١،٢/١٣٨ . عبد الرحمن زكى :موسوعة مدينة القاهرة ص ٣٨٧ .

(٦) للمزيد عن حادثة الوفاة هذه انظر : أبو شامة : الروضتين ١/ق٢/٥٣٤ ،ابن واصل : مفرج الكروب ١/٢٣٠ .

(٧) الحنبلى : شفاء القلوب ص ٤٥ .

(٨) المقريزى : السلوك ١/ق٢/٥٧٣ .

(و) المقابـــــر :

لاشك فى أن من الضرورى أن يكون لكل مدينة أو قرية موضع مخصص لدفن الموتى ،وهو ماتأكد فى التخطيط العمرانى للمدينة الاسلامية ،حيث كان لأهل كل خطة مساحة من الأرض مخصصة لدفن الموتى من سكانها (١) .

ولقد شهدت مقابر القاهرة الكبرى تحولات أساسية فى عهد الناصر صلاح الدين الأيوبى ،من أبرزها التوقف عن الدفن فى بعض المقابر،فمن الواضح أن تربة الزعفران (٢) ، قد توقف عن الدفن بها منذ تلك الفترة ذلك أنها كانت مخصصة أصلا للأسرة الفاطمية (٣) ، التى انقضى عهدها ولم تعد تستخدم بدورها كمقبرة ،وانما احتفظ بها كأثر الى أن أزيلت فى العصر المماليكى ،وبنى فى موضعها الخان المعروف بخان الخليلى (٤) .

ومن المقابر التى توقف عن الدفن بها خلال فترة البحث ،المقبرة الواقعة خارج باب زويلة (٥) . ذلك أنها كانت فى العصر الفاطمى مخصصة

---

(١) الماوردى : الأحكام السلطانية ص ١٨٠ .

(٢) وكانت تعرف أيضا بالتربة المعزية نسبة للمعز لدين الله العبيدى الذى أسسها وجعلها من ضمن مرافق القصر الشرقى الكبير ،عنها انظر المقريزى : الخطط ٤٠٧/١ - ٤٠٨،٤٤٢/٢ - ٤٤٣، السخاوى : تحفة الأحباب ص ٩٠،١٠٤،حسن الباشا وآخرون : القاهرة ص ٥٣،عبد الرحمن زكى : موسوعة مدينة القاهرة ص ٩٤ .

(٣) ن . م . ص

(٤) ولقد بنى هذا الخان الأمير جهاركس الخليلى (ت ٧٩١هـ/١٣٨٨م) وجعله وقفا على فقراء مكة . المقريزى : م . س ٩٤/٢ ،مؤلف مجهول تاريخ المصر القاهرة ورقة ١١٣ .

(٥) نشأت هذه المقبرة منذ أن بنيت الحارات خارج باب زويلة فى العصر الفاطمى ،ويبدو أنها هى المقبرة التى ذكرها المسبحى بأنها تعرف بمقابر القاهرة ،وذلك أثناء حديثه عن وفاة أحد قادة الفاطميين ،حيث ذكر بأنه دفن فى مقابر القاهرة . ويؤيد ذلك مايذكره المقريزى أثناء حديثه عن ظواهر القاهرة الفاطمية حيث يذكر بأن هذه المقبرة كان لأهل القاهرة ،ولقد كانت هذه المقبرة تشغل المنطقة الواقعة فيما بين جامع الصالح طلائع بجوار باب زويلة الى الشرف الذى عليه قلعة الجبل . انظر : المسبحى أخبار مصر ص ٢٢٦، المقريزى : الخطط ٣٦٤/١،١٣٦/٢،٢٠٢،٤٤٣، السخاوى تحفة الأحباب ص ١٠٤ ،حسن الباشا وآخرون : القاهرة ص ٤٧٩،وانظر خريطة رقم (١١) .

لكى يدفن بها الموتى من سكان الحارات الواقعة خارج هذا الباب (١) . والملاحظ أنه منذ عهد الناصر صلاح الدين الأيوبى قد توقف الدفن فيها، حيث أخذ البناء يمتد فيها تدريجيا ابتداء من هذه الفترة، ذلك انه ما أن عمرت قلعة الجبل حتى أخذ البناء يتقدم على حساب هذه المقبرة شيئا فشيئا (٢) وبالاضافة الى هذا المظهر العمرانى الذى تعرضت له المقابر فى تلك الأثناء، فان هناك مظهرا عمرانيا آخر، وهو توسعة بعض المقابر، فمن الواضح أن مقابر باب النصر (٣)، قد جرى اضافة أجزاء اليها من مصلى العيد الذى يقع فى هذه المنطقة . حيث تم اقتطاع جزء منه ليضاف الى المقبرة، فلقد قام الأمير نجم الدين أيوب والد السلطان صلاح الدين الأيوبى، ببناء مصلى للأموات على جزء من الموضع الذى كان الخلفاء الفاطميون يخطبون فيه أيام الأعياد (٤) . مما يشير الى تحول أجزاء من هذا المصلى الى مقبرة خلال فترة البحث، ربما بهدف توسعتها . وقد جرى الأمر على نفس المنوال فى مقبرة القرافة (٥) . فهذه المقبرة قد تزايد الاهتمام للدفن فيها فى عهد الناصر صلاح الدين الأيوبى (٦)، ولاشك فى أنها قد أصبحت اعتبارا من ذلك الوقت عامة لسكان الفسطاط والقاهرة وهو أمر يختلف عما كان عليه الحال فى العصر الفاطمى، حيث لم يجر

---

(١) المقريزى : م . س ٢/٤٤٣ .

(٢) المقريزى : م . س ٢/١٣٦ .

(٣) بدأت هذه المقبرة بالظهور بعد وفاة الوزير الفاطمى بدر الجمالى (٤٦٦ - ٤٨٧هـ/١٠٧٣ - ١٠٩٤م) حيث دفن شمالى مصلى العيد وبدأ الناس بالدفن فى هذه الجهة من الناحية الشمالية والشرقية للقبر المذكور وصولا الى الريدانية . المقريزى : الخطط ٢/١١٠ - ١١١ ١٣٨ - ١٣٩، ٤٤٣ . السخاوى : تحفة الأحباب ص ٣٠ - ٣١ .

(٤) السخاوى : م . س ص ٣٥ - ٣٦، وهذا المسجد يذكر على باشا مبارك بأنه يعرف فى عصره بمسجد الست زينب، وفى حين أن الحديدى يذكر بأن زاوية بدر الدين النقيب هى موضع هذا المسجد . على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ٢/٢١٣، فتحى الحديدى : القاهرة ص ٧٨ .

(٥) سميت بالقرافة نسبة الى قبيلة من المعافر يدعون بنى قرافة، ولقد كانت هذه المقبرة فى الأصل منطقة أحياء سكنية وخطة من خطط الفسطاط الأولى . ياقوت الحموى : المشترك ص ٣٤١، معجم البلدان ٤/٣١٧ ، المقريزى : م . س ٢/٤٤٣ - ٤٤٤، عبد العال الشامى : مدن مصر وقراها ص ٥٤ .

(٦) عبد الرحمن زكى : الفسطاط ص ٣٢ .

استخدام كمقبرة لسكان القاهرة الا فى أوائل عهدهم ،ذلك أنهم كانوا قد دفنوا بعض أتباعهم فيها،قبل أن يعدلوا عن ذلك،ويوجهوا الدفن الى المقابر الواقعة خارج باب زويلة (١) . وقد ترتب عن هذا التغير أن تظهر الحاجة الى توسيع القرافة بما يكفى لكى تستوعب حالات الوفاة الطبيعية فى المدينتين معا . لذلك فقد حصل توسعات فيها شملت بعض المواضع التى كانت أصلا مناطق سكنى ،فمدينة باب ليون (٢) التى أحرقت فى حريق الفسطاط عام (٥٦٤هـ/١١٦٨م) يشير ابن دقماق الى أنها أضحت جزءا من مقبرة القرافة (٣) . ومن الواضح أنها كانت من جملة القرافة الكبرى (٤) ، اذ أن هذه المدينة كانت تشمل الرصد (٥)، الذى أضحى جزء من هذه القرافة كما يشير الى ذلك المقريزى أثناء حديثه عن بعض مساجدها (٦)

وعلى الرغم من أن المقريزى يذكر أثناء حديثه عن مقابر المدينة الكبرى ،بأن موضع القرافة الكبرى هو أقدم مقبرة فى المدينة على الاطلاق (٧) ،وإنه ظل كذلك الى العصر الفاطمى (٨) ،أو الى مابعد ذلك العصر كما يشير أثناء حديثه عن القرافة الصغرى (٩) . بيد أن من الواضح بأن المقصود بذلك هو أجزاء من القرافة الكبرى وليس كلها . وقد يدل على ذلك التغيير الحاصل فى علاقة القرافتين بالفسطاط خلال العهود المتعاقبة ذلك أن ياقوت الحموى حينما يتحدث عنهما فانه يذكر بأن القرافة الصغرى كانت أقرب الى المدينة من القرافة الكبرى ،فيذكر عنهما

---

(١) المقريزى : الخطط ٤٤٢/٢ - ٤٤٣ .

(٢) عنها انظر ص ٣٠٦ - ٣٠٨ .

(٣) ابن دقماق : الجوهر الثمين ص ٢١٧ - ٢١٨ .

(٤) حسبما يرد فى المصادر فانه من الواضح بأن القرافة انقسمت فى عهد الملك الكامل الأيوبى(٦١٥-٦٣٥هـ/ ١٢١٨ - ١٢٢٨م) الى قرافتين الصغرى والكبرى ،فالصغرى تقع ناحية قبر الامام الشافعى ،والكبرى حيث يوجد جامع الأولياء . المقريزى : الخطط ٤٤٤/٢ - ٤٤٥ .

(٥) ص ٣٠٦ - ٣٠٧ .

(٦) انظر فيما يذكر المقريزى عن مساجد الرصد،وشقيق الملك ،والانطاكى والذى يجعلهما من جملة مساجد القرافة الكبرى ويذكر فى ذات الوقت بأنهم كانوا يقعون على الرصد . المقريزى : م . س٤٤٠/٢ - ٤٤٦ .

(٧) المقريزى : ن . م . س .

(٨) المقريزى : م . س٤٤٢/٢،وانظر أيضا مايذكره السخاوى نقلا عن المقريزى . السخاوى : تحفة الأحباب ص ١٠٤ .

(٩) المقريزى : ن . م . س .

" ... وهما قرافتان متصلتان : القرافة الصغرى وهى أقربهما الى الفسطاط وبها قبر الامام محمد بن ادريس الشافعى ..." (١) . فى حين يشير المقريزى الى قرب القرافة الكبرى من المدينة فى عصره ، فيذكر بأنه " ماكان منها شرقى مصر بجوار المساكن يقال له القرافة الكبرى ..." (٢) ، مما يشير الى مدى توسع القرافة الكبرى التى أصبحت فى عصر المقريزى أقرب من الصغرى بالنسبة للمدينة (٣) . وهو توسع تم على حساب المناطق السكنية التى تضررت كثيرا من حريق الفسطاط ، وأضحت خارج السور (٤) ، كما يتبين من حديث ابن دقماق عن مدينة باب ليون والذى سبقت

---

(١) المقريزى : م . س ٤٤٤/٢ .

(٢) ياقوت الحموى : المشترك ص ٣٤١ .

(٣) المقريزى : م . س ، ٤٤٢/٢ .

(٤) على الرغم من أن من الصعب تحديد أبعاد حركة التمدد بشكل دقيق على المدلول المكانى للقرافة الصغرى والكبرى ، الا أنه بالامكان القول بأن القرافتين كانتا فى العصر المماليكى تحصران قناطر بنى طولون التى كانت تفصل فيما بينهما كما يشير الى ذلك المقريزى أثناء حديثه عن خطة المغافر بحيث تكون القرافة الكبرى فى الناحية الغربية من هذه القناطر حيث يوجد جامع الأولياء بينما تكون الصغرى الى الشرق والشمال الشرقى منهما . الا أنه يبدو أن هذا الوضع لم يكن كذلك مع بداية ظهور هاتين القرافتين اذ أن المقريزى عندما يتحدث عن وضع القرافة فى القديم يذكر بأنها كانت تمتد من مسجد الفتح الى سفح المقطم ، ثم توسعت شمالا على مايبدوا بحيث احتلت المنطقة الواقعة فيما بين خطة المغافر ومصلى خولان فى حين أنه يذكر بأن خطة المغافر تعرف فى عصره بالقرافة الكبرى ، فاذا أخذنا بالاعتبار قول المقريزى بأن القرافة الكبرى هى أقدم موضع لدفن فان هذا يعنى بدوره أن جزءا كبيرا منها قد انفصل منها وأصبح من جملة القرافة الصغرى ، حيث يذكر المقريزى بأن هذه القرافة تقع على سفح الجبل . أى فى ضمن أجزاء من الموضع الذى كانت تشغله المقبرة فى القديم . أى أن القرافة الكبرى خسرت أجزاء منها لصالح الصغرى ، لتقوم بتعويضها من الجهة الثانية الغربية ، على حساب المواضع السكنية .

انظر : المقريزى : م . س ٢٩٨/١ ، ٤٤٤،٤٤٢/٢ — ٤٤٥ .

وعن موقع جامع الأولياء ومسجد الفتح وقناطر ابن طولون انظر :

Casanova , Paul, de Reconstitution, plan 1.

وانظر خريطة رقم (٤١) .

الاشارة اليه . ومن المؤكد أن هذا التوسع قد تم فى عهد الناصر صلاح الدين الأيوبى ،حيث ان المواضع المذكورة لم تعد لها أهمية سكنية بدليل أنها لم تضم الى ماشملته أسوار المدينة وربما ساعد ذلك على تحويلها الى مقبرة ،اذ أن ياقوت الحموى الذى زار مصر فى أوائل القرن السابع (٧هـ/١٣م) يذكر فى ثنايا وصفه القرافة الكبرى بأن (... فيها مقابر ومشاهد ومنازل كثيرة ومساكن لأهل مصر وبها سوق وجامع ...)(١) . مما يشير الى تحول المنطقة الى مقابر،رغم وجود المفهوم السكنى فيها . وعلى الرغم من أن هذه النتيجة قد يعترض عليها ،نظرا لأن منطقة المقابر كانت أيضا منطقة سكنية للمتصوفة والمنقطعين عن الدنيا كما يذكر المقدسى (٢) . بيد أن هذه السكنى كانت على نطاق ضيق اذ أن هؤلاء كانوا يشكلون كثافة سكانية قليلة العدد (٣)، فى حين أن نص ياقوت مار الذكر،يدل على كثافة سكانية مرتفعة ناجم عن وجود مفهوم سكنى فى المنطقة ،قبل الأخذ بتحويلها الى منطقة مقابر .

ولم يكن التوسع فى القرافة قاصرا على المناطق السكنية ،وانما اتجه أيضا ناحية الصحراء فى الجبل فالمقريزى أثناء حديثه عن مساجد الجبل والصحراء بالقرافة التى عرفت فى وقته بالقرافة الصغرى (٤) ، وأثناء حديثه عن مسجد لؤلؤ الحاجب الذى بنى فى تلك الأثناء (٥) يذكر بأنه قد بنى بجانب المسجد مقبرة (٦) . مما يشير الى توسع المقبرة فى الناحية التى يقع فيها المسجد (٧) .

وبشكل عام فانه بالاضافة الى التطورات المارة الذكر ،فان المتابعة الجغرافية لها قد تكشف عن نتيجة عمرانية أخرى ،وهى أن المقابر قد

---

(١) ياقوت : المشترك ص ٣٤١ .

(٢) المقدسى : أحسن التقاسيم ،ص

(٣) القلقشندى : صبح الأعشى ٣٧٥/٣ .

(٤) المقريزى : الخطط ٤٥٥/٢ ــ ٤٥٦ .

(٥) ينسب هذا الجامع للؤلؤ الحاجب . المقريزى : م . س ٤٥٦/٢ ــ ٤٥٧ . وهو قائد أسطول صلاح الدين الأيوبى . عنه انظر ص ٤٤٦ ،هامش (١) .

(٦) ن . م . س .

(٧) يصعب تقديم تحديد دقيق لاتجاه التوسع هذا على الخرائط نظرا لعدم توفر معلومات تفيد فى التعرف على موقع المسجد وانما بالامكان القول بأن هذا التوسع كان ناحية الجبل بشكل عام .

حولت لتكون خارج المدينة الكبرى وآن سور صلاح الدين الأيوبى كـــــــان حدا فاصلا ،ذلك ان المقابر التى توقف استخدامها كانت تقع فى داخـــــل السور، فى حين آن المستحدثة كانت تقع فى خارجه (١) .

(١) انظر خريطة رقم(٢) .

الفصل الثالث

مسك الختام

من المعروف أن أى مدينة تشمل عمائر ومنشآت مختلفة الأنواع،فمنها ماهو دينى الطابع كالمساجد وماشابه ذلك ،ومنها ماهو مدنى كالمنازل والمنشآت الاقتصادية ،ومنها ماهو حربى كالقلاع والأسوار . بل ان هذه التقسيمات للعمائر تحوى فى داخلها على فروع تزيد من مدى التشعب لأنواع المنشآت ،فالمنازل فى حد ذاتها يمكن تقسيمها الى أجزاء عدة فهناك القصور،وهناك الأدر الاعتيادية ،ومنها ماهو صغير جدا فعرف فى اللغة بالدويرة.(١) وتعتبر هذه المنشآت الوعاء المادى للعمران فمن خلالها يمارس الانسان العديد من أوجه نشاطه الحضرى . فالمساجد كانت فى الصدر الأول للاسلام مركزا للعديد من الأنشطة والوظائف الاجتماعية فعلاوة على كونها مركزا للعبادة،فلقد كانت مقرا للادارة والحكم ،وساحة لاجتماع الجيوش،ودارا لاستقبال الوفود ،وغير ذلك من الوظائف .(٢)

ولقد حث الاسلام على البناء والتشييد ،فبناء المساجد يعد من أعظم القربات لله تعالى .(٣) كذلك فان من واجبات الامام تحصين الثغور وتأمين السبل ،وتشييد مايلزم ذلك من عمائر واستحكامات .(٤) وكان على المحتسب الاهتمام بمرافق المدينة ،والسعى لتوفير مايلزم منها فى حال عدم توفره .(٥) بل ان الفقهاء أوصوا بأن يحرص المسلم على أن يكون له دار يسكنها،(٦) الأمر الذى يدفع بالتأكيد نحو البناء والتشييد . وفى ضوء هذه المفاهيم التى تعكس عمقا حضاريا،ويتوفر الظروف الملائمة استقرار وأمن ورخاء اقتصادى - فان المدينة الاسلامية تتحول الى ساحة عمل كبرى ،تشيد فيها العمائر والمرافق باصرار وصبر دءوبين . الأمر

---

(١) الزبيدى : تاج العروس ٢١٣/٣ .
(٢) أحمد شلبى : التربية الاسلامية ص ١٠٢ .
(٣) قال تعالى : " انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر.." الآية . التوبة آية ١٨ .
(٤) الماوردى : الأحكام السلطانية ص ١٦؛ محمد عبدالله الشيبانى : نظام الحكم والادارة فى الدولة الاسلامية (منذ صدر الاسلام الى سقوط الدولة العباسية) الرياض الثانية ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ص ٨٢ .
(٥) الماوردى : م . س ص ٢٤٥ - ٢٤٦ .
(٦) أبى عبدالله محمد بن عبدالرحمن الحبشى (ت ٧٨٢هـ/١٣٨٠م) البركة فى فضل السعى والحركة ،بيروت ،١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ص ٢١ - ٢٢ .

الذى سيكون له - وبدون أدنى شك - أكبر الأثر فى تطور وازدهـــــار حركة البناء والتشييد ،فترقى فنونها وتزدهر أساليبها ،وتتشعـــب أنواعها[(1)] .

ونظرا لأن عهد الناصر صلاح الدين قد تميز بتوفر العناصر الملائمــة لبروز النشاط المعمارى[(2)] ، فلقد انعكس ذلك فى ازدهار هذا النشاط فــى القاهرة بشكل عام[(3)] . ويمكن تحديد أبرز مظاهر هذا الازدهار فى الآتى :

---

(١) ابن خلدون : المقدمة / ١ / ٣٧٩ .

(٢) سبق الاشارة فى الباب الأول وعلى الأخص فى الفصول الثانى ،والثالـث والرابع الى وجود عوامل دفعت الى تكثيف نشاط البناء . فانظرها هناك .

(٣) أحمد فكرى : مساجد القاهرة ومدارسها ٢١/٢ .

(أ) عمائر تدخل المدينة لأول مرة :

ليس من المغالاة اذا ماقلنا بأن دخول أنواع جديدة من العمائر للقاهرة يعد من أبرز مظاهر الازدهار الانشائى فيها فى عهد الناصر صلاح الدين الأيوبى • حيث أنه بذلك أضاف الى المدينة طابعا معماريا وعمرانيا جديدا فى تلك الأثناء •

ومن أبرز العمائر التى دخلت اليها حينئذ القلعة، التى يذكر ابن كثير بأنها دخلت البلاد لأول مرة على يد الناصر صلاح الدين (١) •

ونظرا لأن المصادر التاريخية لاتنقل عن الناصر صلاح الدين نصوص مباشرة تحدد الأسباب التى دفعت به نحو بناء القلعة، فلقد اختلف المؤرخون فى تحديد هذه الأسباب • فالمقريزى يذكر بأن سبب بنائها خوف الناصر صلاح الدين من شيعة الفاطميين ، الذين كانوا يحاولون اعادة نبض الحياة الى خلافتهم (٢) ، علاوة على خوفه من الملك العادل نور الدين زنكى (٣) ، الذى تذكر المصادر بأنه قد حدث بينه وبين الناصر صلاح الدين جفوة، وأن العادل قد عقد العزم على ازالته عن حكم مصر (٤)
ولقد أثيرت بعض الاعتراضات حول هذا التفسير، فهناك من يرى بأن خشية الناصر صلاح الدين من ثورة داخلية محتملة، ليس السبب المباشر الذى دفعه لبناء القلعة (٥) ، ولعل مرد ذلك أن الناصر صلاح الدين كان عندما أمر ببنائها عام (٥٧٢هـ/١١٧٦م) قد بلغ مقدارا من القوة بحيث يصعب على شيعة الفاطميين مواجهته • حيث أضحى حاكما على أجزاء كبيرة من الشام، علاوة على مصر وبلاد اليمن (٦) • بل ان انتصاراته على شيعة

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ٢٩٧/١٢، وانظر أيضا فى هذا الصدد حسن الباشا وآخرون : القاهرة ص ٢٢٩، عبدالرحمن زكى : القاهرة ص ٦٥، لينبول : سيرة القاهرة ص ١٥٧ •

(٢) يمكن متابعة هذه المحاولات من خلال ثورات الشيعة ضد الناصر والتى سبقت الاشارة اليها، ص ٢١٤- ٢١٨ •

(٣) سبقة الاشارة الى ترجمته ص ٣٧ ، هامش (٤) •

(٤) المقريزى : الخطط ٢٠٣/٢ •

(٥) كريزويل : وصف قلعة الجبل ص ١٣ •

(٦) ص ١٧٩ •

الفاطميين وقدرته على تحطيم دولتهم ،وهى أحداث سبقت ذلك التاريخ (١) تدل بوضوح على أنه كان يتمتع بمركز قوى فى مصر منذ فترة مبكرة حيث يدعم وجوده جيش قوى يديره عدد من اخوته وأقربائه وأمراء أوفياء (٢) أما بالنسبة لما ذكره المقريزى آنفا من خوف الناصر صلاح الدين من الملك العادل نور الدين زنكى ،فلقد اعتبره كريزويل تفسيرا مرفوضا أيضا ،ذلك أن تاريخ صدور الأوامر ببناء القلعة تلا وفاة نور الدين بعامين تقريبا ،حيث أنها صدرت عام (٥٧٢هـ/١١٧٦م) فى حين أن وفاة الملك العادل كانت فى عام (٥٦٩هـ/١١٧٣م) (٣) . مما يشير الى وجود فرق بين الأمرين ،حيث ذكر كزويل الى أنه لم يدر فى خلد الناصر صلاح الدين التفكير بتأسيس القلعة قبل ذلك التاريخ (٤) . ويرى بعض المؤرخين المحدثين دوافع أخرى حدت بالصلاح لبناء هذه المنشأة ،فهناك من يعتبر أن وجود الخطر الصليبى السبب الرئيسى الذى دفع بالناصر لبناء تحصينات المدينة بشكل عام ،ومنها القلعة بطبيعة الحال (٥) ،فقد دلت التجارب أكثر من مرة على امكان سقوط المدينة فى حين تظل القلعة صامدة وسبيلا للاسترداد (٦) . وبالتالى فان بناء القلعة من جملة استحكامات المدينة من الأسباب التى تزيد من منعتها وقوتها ،خاصة وأن الخطر الصليبى تزايد على مصر منذ أن اعتلى بنى أيوب سدة الأمر والنهى فيها (٧) . ومن هؤلاء المؤرخين من يرى وجود دوافع حضارية أسهمت فى بناء هذه القلعة فيعتبرون أن بناء هذه المنشأة فكرة أتى بها الناصر صلاح الدين من بلاد الشام ،حيث كان لكل مدينة فيها قلعة تحميها (٨) . علاوة على

---

(١) ص ٢٢٠- ٢٢١ .
(٢) كريزويل : وصف قلعة الجبل ص ١٣ .
(٣) ص ١٧٧ .
(٤) كريزويل : م ٠ س ، ص ١٤ .
(٥) حسن الباشا وآخرون : القاهرة ص ٤٧٧ ، أحمد فكرى : مساجد القاهرة ومدارسها ٢/٢٢ .
(٦) حسن الباشاوآخرون : م ٠ س ص ٤٨٠ ،كريزويل : م ٠ س ص ١٣ .
(٧) ص ٢٠٦ .
(٨) لينبول : سيرة القاهرة ص ١٥٧ ،كريزويل : م ٠ س ، ص ١٣ ، عبد الرحمن زكى : القاهرة ص ٦٥ .

استخدامها كمركز للحكم والادارة (١) . ومن هؤلاء المؤرخين من ذهب بعيدا في اضفاء أسباب أخرى لبناء هذه المنشأة، حيث وجد بعضهم أسبابا معنوية لهذا الأمر، فاعتبروا أن كره الناصر لقصور الخلفاء الشيعة هو الذى دفعه نحو بناء القلعة (٢) .

وعلى أية حال فان مشروعا كهذا لايمكن أن يبرز بدون وجود أسباب ذات أهمية كبرى، نظرا لكونه باهظ التكاليف (٣) . وبالتالى فان وجود الاعتبارات سابقة الذكر مجتمعة كأسباب دفعت الصلاح لبناء القلعة أمر يمكن قبوله . فمن الواضح أن وجود الأسباب العسكرية والأمنية التى سبق ذكرها أمر له أهميته فى تلك الأثناء، فالعماد الأصفهانى ينقل عن الناصر صلاح الدين مايفيد اهتمامه بحماية المدينة وصيانتها من الغزو وذلك أثناء حديثه عن الأسباب التى دفعته للقيام بمشروعه التحصينى لها، والذى كان بناء القلعة جزءا رئيسا منه (٤) . ويذكر القاضى الفاضل فى احدى رسائله أن تحصين المدينة وعلى الأخص السور، قد نشر الطمأنينة بين سكانها بشكل عام (٥) . وبالتالى فان وجود القلعة فى موضع مطل عليها يمكن مشاهدته من كافة أرجائها، سيرمز للقوة والسلطان، ويعتبر ذلك عامل ردع أمام من تسول له نفسه بالعصيان والشغب، الأمر الذى سيسهم على وجه التأكيد فى نشر الأمن للشعب والسلطة نفسها (٦) . أما القول بأن فكرة القلعة قادمة من الشام، فهو أمر لامرية فيه، ففى ضوء الاحتياجات العسكرية والأمنية سابقة الذكر، سيلجأ صلاح الدين الى خبراته الحضارية فكانت هذه المنشأة التى شاهدها هناك كما سبق أن ذكرنا . كذلك فانه كره الصلاح لمعالم الفاطميين، والمتمثلة فى قصورهم، اعتبارا يمكن

---

(١) المقريزى : الخطط ٢٠٣/٢، أحمد فكرى : مساجد القاهرة ومدارسها ٨/٢ .

(٢) لينبول : سيرة القاهرة ص ١٥٧ ، عبد الرحمن زكي ، القاهرة ص ٦٥ .

(٣) كريزول : م . س ص١٤٥ .

(٤) البندارى : سنا البرق ص ١١٩ .

(٥) ابن فضل الله العمرى : مسالك الابصار ٣/ ورقة ١٩٧

(٦) ص ١٠٤ .

الجزم بوجوده ،اذ أن الدولة الجديدة ترغب فى طمس معالم السابقة لها (١) وبالتالى فان بناء القلعة يعد لفتا لأنظار الشعب نحو السلطة الجديدة بهدف ابعادهم عن تلك التى قبلها .

ولقد تم اختيار موقع هذه المنشآة بحيث يكون مشرفا على كافة أرجاء المدينة الكبرى . (٢) وجرت تسويته بحيث يكون معدا لبنائها فجرى ازالة القبور،وبعض المنشآت المقامة هناك مثل المساجد وغيرها لكى لاتقف حائلا دون اتمام مخطط المشروع . (٣)

وتكاد تتفق المصادر على أن الشروع فى تنفيذ بناء القلعة ،كان فى عام (٥٧٢هـ/١١٧٦م) بأمر مباشر من الناصر صلاح الدين الأيوبى بحيث تكون القلعة جزءا من مشروع تحصينى للقاهرة الكبرى يتكون من قلعة فى وسط سور كبير (٤) يحيط بأرجاء واسعة من المنطقة . (٥) وعندما زار ابن جبير القاهرة أواخر عام (٥٧٨هـ/١١٨٢م) شاهد الأعمال مستمرة بهدف انجاز هذا المشروع ،وعلق على ذلك فيقول عن القلعة : (وشاهدنا أيضا بنيان القلعة وهو حصن يتصل بالقاهرة حصين المنعة يريد السلطان أن يتخذه موضع سكناه) . (٦) ويشير نقش كتابى يقع بجوار أحد أبواب القلعة الى أن الانتهاء من أعمالها قد تم فى عام (٥٧٩هـ/١١٨٣م) . (٧) بيد أن المقريزى ذكر أن الناصر صلاح الدين توفى قبل اتمام العمل فيها وأن استكمال أعمالها كان على يد الملك الكامل الأيوبى (٨) ،الذى

---

(١) ص ٧٨ .
(٢) ص ١٠٤ .
(٣) أبو شامة : الروضتين ١/ق٦٨١/٢،البندارى : سنا البرق ص ١١٩ المقريزى ٢٠٣/٢ . كازانوفا : تاريخ ووصف قلعة القاهرة ص ٦١ - ٦٧،كروزويل : وصف قلعة الجبل ص ١٩ .
(٤) عن هذا السور انظر ص ٤٨٤ - ٤٩٣ .
(٥) أبو شامة : م . س ٦٨٨/٢/١،البندارى : ن . م . س . ، الحنبلى شفاء القلوب ص ٩٣ ، المقريزى : ن . م . س . ويذكر ابن كثير بأن آمر البناء صدر فى أوائل عام (٥٧٣هـ/١١٧٧م) ، ابن كثير : البداية والنهاية ٢٩٧/١٢ .
(٦) ابن جبير : الرحلة ص ٢٥ .
(٧) كازانوفا : تاريخ ووصف قلعة القاهرة ص ٧١ - ٧٢،ولقد اعتبره أحمد فكرى هو تاريخ الانتهاء من أعمال هذه القلعة. أحمد فكرى : مساجد القاهرة ومدارسها ٢٨/٢ .
(٨) سبقت الاشارة الى ترجمته .ص ٨٨ ،هامش (٣).

أنشأ بها الادر السلطانية عام (٦٠٤هـ/١٢٠٧م) [١]، وتحول اليها من دار الوزارة . فأصبحت منذ ذلك الحين مقرا للسلطان [٢]. ولقد أيد كازانوفا هذا التصور بدعوى أن البئر التى بنيت للقلعة فى عهد الناصر صلاح الدين تقع فى الوقت الحاضر خارج أسوار القسم المحصن منها [٣]. والراجح أنه قد تم الانتهاء من بناء هذه المنشأة فى عهد الناصر صلاح الدين ،وفق ماكان مخطط لها ،أما ماحدث على يد الكامل الأيوبى ،فلايعدوا كونه تعديلات واضافات أجريت على هذا المبنى ،يدل على ذلك أنه قد أجرى فى تلك الأثناء اضافات على الأجزاء التى تعود لعهدا الناصر صلاح الدين . حيث دعمت هذه الأجزاء بأبراج جديدة ،وجرى تقوية وتدعيم القديم منها [٤]. وكون بئرها تقع خارج أسوارها فى الوقت الحاضر ،فان هذا مرده الى التعديلات التى أجريت على هذه المنشأة فى عصور لاحقة [٥]، فى حين أنها كانت فى عهد الناصر صلاح الدين تقع ضمن هذه الأسوار [٦]. ولقد نص مخطط مشروع القلعة على أن يبلغ محيطها ثلاثة آلاف ومائتان وعشرة أذرع ،بذراع العمل الهاشمى [٧]، ولاشك أن معظمه يشمله فى الوقت الحالى القسم الشمالى الشرقى من قلعة

---

(١) المقريزى : الخطط ٢٠٣/٢ .

(٢) المقريزى : م . س ٨٤٨/١ . ومن الواضح أن هذا التحول تم عندما كان الكامل وليا للعهد،كما يذكر المقريزى . المقريزى : م . س ٢٠٣/٢ . أى أن سكنى هذه القلعة تم فى عهد الملك العادل الأيوبى وهو ماذكره ابن فضل الله الذى ذكر بأن العادل سكن القلعة . ابن فضل الله العمرى : مسالك الابصار ٣/ورقة ١٢٧ .

(٣) كازانوفا : تاريخ ووصف قلعة الجبل ص ٧٤،٨١ .

(٤) أحمد فكرى : مساجد القاهرة ومدارسها ٢٦/٣ .

(٥) يدل على هذه التعديلات تلك الاضافات العديدة التى أدخلت على هذه المنشأة على مر العصور، عنها انظر : بول كازانوفا : تاريخ ووصف قلعة القاهرة ص ٨٨ - ٢١٩ .

(٦) كريزويل : م. س، ص ١٠١ .

(٧) أبو شامة : الروضتين ٦٨٨/٣،البندارى : سنا البرق ص ١١٩، القلقشندى صبح الأعشى ٣٥١/٣،كرزويل : ن . م . س . وقد سبقت الاشارة الى الذراع الهاشمى ص ٣٣٩ ،هامش (٦).

الجبل [١] . والذى تعود معظم مكوناته التخطيطية لعهد الناصر صلاح الدين [٢] ، بل لاتزال أجزاء كبيرة منه يعود بنائها الى ذلك العصر [٣] . فى حين أن القسم الجنوبى الغربى من القلعة والذى يحتوى الآن على منشآت عامة من قصور وجوامع [٤] ، فان مايمكن نسبته منه لعهد الناصر صلاح الدين هو أجزاء يسيرة من سوره الجنوبى [٥] . علاوة على البئر التى تعرف الآن ببئر يوسف ،وهى بئر عميقة جدا نقرت فى الصخر بهدف توفير المياه للقلعة [٦] . ولقد جرى هدم عدد كبير من الأهرام الصغيرة التى توجد بالجيزة لتبنى بها هذه المنشآة [٧] .

ومن المنشآت الجديدة التى دخلت المدينة لأول مرة فى عهد الناصر

---

(١) يبدو أن التعديلات التى أعقبت عهد الناصر صلاح الدين والتى سبقت الاشارة اليها ،هى التى أدت الى أن تنقسم القلعة الى قسمين ،قسم مخصص للأجناد وفيه ثكناتهم والآخر وفيه القصور والجوامع وغير ذلك من المنشآت . أحمد فكرى : مساجد القاهرة ومدارسها ٢٣/٣ - ٢٤،كريزويل : وصف قلعة الجبل ص ١٩ - ٢٠ .

(٢) أحمد فكرى : م . س ٢٥/٢ - ٢٧ .

(٣) يعزى كريزويل الى صلاح الدين الأيوبى حائط السور الممتد من الجانب الشرقى ببرج المقطم والمتجه نحو الجنوب والشمال حتى يقف عن الموضع الذى يقع فيه المتحف الحربى حاليا .انظر كريزويل : م . س ص ١٠٠،عبدالرحمن زكى : قلعة صلاح الدين وماحولها من الآثار القاهرة ١٣٩١هـ/١٩٧١م ص ٤١.

(٤) انظر هامش (١) .

(٥) يعتقد كرزويل : أن جزءا من جدار سور صلاح الدين فى هذا القسم لايزال مردوما فى الجزء السميك جدامن الجدار الواقع فيما بين برج المقطم والبرج الواقع بجوار بئر يوسف . كريزويل :م . س ص ١٠١.

(٦) ومن الواضح أنه كان هناك حرص لتوفير المياه للقلعة ،حيث اعتمد فى ذلك على مصدرين رئيسيين ،أولها البئر والتى لم تكن مائها تستخدم للشرب نظرا لملوحتها ،ويبدو أن بنائها كان عام ٥٨٣هـ/١١٣٧م وثانيهما عبارة عن سواقى مياه جعلت على السور المحيط بالفسطاط القلقشندى : صبح الأعشى ٣٧٢/٣ - ٢٧٣،عبدالرحمن زكى : م . س ص ٣٩ - ٤٠،سعاد ماهر : مجرى مياه فم الخليج ،بحث منشور فى المجلة التاريخية المصرية ١٩٥٨م ١٤١/٧ .

(٧) المقريزى : ١٢٠/١،١٥١/٢،١٢٠ .

صلاح الدين هى المدرسة (١) ، وهى مؤسسة تعليمية أتى بها صلاح الدين من الشام ،مقتديا بذلك بالملك العادل نور الدين زنكى (٢) ، وذلك لتشجيع العلم ونشره ومحاربة التشيع ،بازالة ماعلق فى أذهان الناس من بدع وخرافات (٣) .

وعلى الرغم من أن هناك من المؤرخين من يذكر بأن المدارس لم تدخل مصر الاعلى يد الناصر صلاح الدين الأيوبى (٤) ، الاأن الحقيقة على خلاف ذلك فلقد دخلت المدارس الاسكندرية قبيل زوال حكم بنى عبيد ،حيث أسس فيها فى تلك الأثناء مدرستان (٥) .

أما بالنسبة للقاهرة فان دخول المدارس اليها لم يحدث الا فى عهد الناصر صلاح الدين وبأمر منه (٦) ، حيث يذكر القلقشندى فى هذا الصدد

---

(١) كانت بداية ظهور المدارس فى مشرق العالم الاسلامى فى أواخر القرن الثانى (٢هـ/٨م) وأوائل القرن الثالث (٣هـ/٩م) ثم أخذت بالتوسع بعد ذلك خاصة منذ القرن الخامس (٥هـ/١١م) . انظر : حسام الدين السامرائى : المدرسة مع التركيز على النظاميات . بحث مقدم للمجمع الملكى لبحوث الحضارة الاسلامية . عمان ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ص ٦ — ١٤ .

(٢) حسن الباشاوآخرون : القاهرة ص ٢٣٢ . أحمد بدوى : الحياة العقلية ص ٣١ .

(٣) ص ١٣٣ .

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢٠٦/٧،السيوطى : جلال الدين عبدالرحمن (ت ٩١١هـ) حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة ،تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ،ط الأولى، ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م ٢٥٦/٢ .

(٥) حسام الدين السامرائى : م . س ، ص ٣٠ — ٣١،أحمد فكرى : مساجد القاهرة ومدارسها ٥٠/٢ .

(٦) يذكر أحمد فكرى أثناء حديثه عن المدارس الأيوبية بأنه قد أسس فى القاهرة مدرستان فى أواخر العصر الفاطمى وهما مدرسة كانت توجد فى موقع مسجد سيدى معاذ الذى بنى سنة (٥٥٢هـ/١١٥٧م) والتى بنيت على مشهد الشريف معاذ بن داود،ولقد أحال فى ذلك الى على باشا مبارك فى خططه ٧٣/٢، ١٢٠/٥ . أما المدرسة الثانية فهى المدرسة المسرورية التى يذكر بأنها بنيت على يد مسرور الخادم أحد خدام الفاطميين فى أواخر العصر الفاطمى . وأحال فى ذلك الى المقريزى فى خططه ٣٧٨/٢ . والقلقشندى : صبح الأعشى ٣٥٦/٣ . وبالرجوع الى الاحالات المذكورة يلاحظ بأن الأستاذ الجليل أخطأ فى تحديد أرقام بعض الصفحات فبالنسبة لمسجد معاذ فان على باشا لم =

بأن دخول المدارس الى القاهرة لم يحدث الا بمجئ دولة بنى أيوب ، التى كانت فى هذا الشأن (... الفاتحة لباب الخير، والغارسة لشجرة الفضل ..) (١)

ولقد كانت بداية الناصر صلاح الدين فى انشاء المدارس ، وهو وزير للخليفة الفاطمى العاضد، حيث أسس فى عام (٥٦٦هـ/١١٧٠م) مدرستين (٢) بالفسطاط بجوار جامع عمرو بن العاص ، أولاهما المدرسة الناصرية ، والتى عرفت بعد ذلك بابن زين التجار، ثم بالشريفية نسبة لعلماء درسوا بها (٣)

= يذكر مسجد معاذ فى ص ٨٣ وانما ذكره فى ص ٢٤٠- ٢٤١. من الجزء المذكور . كذلك فان القلقشندى لم يذكر المدرسة المسرورية فى ص ٣٥٦ ، وانما ذكرها فى ص ٣٥٢ . من الجزء المذكور . كذلك يلاحظ بأن تاريخ بناء المسجد الذى ذكره لم يرد على الاطلاق عند على باشا مبارك ، فضلا على انه لم يحدد المصدر الذى استقى منه تحديد التاريخ المذكور . ولعله قرأ خطأ السنة الوحيدة التى أوردها على باشا أثناء حديثه عن هذا المسجد وهى وفاة صاحب القبر والتى كانت فى عام (٢٩٥هـ/٩٠٤م) مما يدل على أنه لايوجد تاريخ محدد لبناء الجامع والمدرسة ، الأمر الذى يشير بدوره الى أن نتيجة أحمد فكرى لاتقوم على أساس سليم . أما بالنسبة للمدرسة المسرورية فان القلقشندى لم يحدد تاريخ بناء المدرسة فى حين أن المقريزى يشير وبشكل صريح الى أن بنائها كان فى العصر الأيوبى ، مما ينفى بشكل قاطع ماذكره الأستاذ الفاضل . انظر المقريزى : الخطط ٣٧٨/٢، القلقشندى : صبح الأعشى ٣٥٢/٣، على باشا مبارك - الخطط التوفيقية ٢٤٠/٢ - ٢٤١، ١٢٠/٥ - ١٢١ .

(١) القلقشندى : م . س ، ٣٦٣/٣ .

(٢) سبقت الاشارة الى ترجمته ص ١٣٠ ، هامش (٦) .

(٣) عرفت بابن زين التجار نسبة لأحد كبار علماء الشافعية ، وهو أبو العباس أحمد بن المظفر بن الحسين الدمشقى المعروف بابن زين التجار، وعرفت بالشريفية نسبة للقاضى الشريف شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الحسين بن محمد الحنفى قاضى العسكر الاموى ابن دقماق : الانتصار ٩٣/١٦، المقريزى : م . س، ٣٦٣/٢ - ٣٦٤، مؤلف مجهول : تاريخ المصر القاهرة ورقة ٤٤٣ .

وكانت تقع الى الشرق من جامع عمر بن العاص [١]، وخصصت لتدريس المذهب الشافعي، وكان في موضعها حبس يعرف بحبس المعونة [٢] جرى ازالته لتبنى المدرسة في موضعه [٣].

ثم اتبع صلاح الدين هذه المدرسة بمدرسة أخرى هي المدرسة القمحية والتي عرفت بذلك لأن جزءا من جرايتها كان يصرف قمحا، من ضيعة موقوفة عليها [٤]. ويشير ابن دقماق الى أنها كانت تعرف بالمالكية أيضا [٥] نسبة للمذهب المالكي الذي كانت مختصة بتدريسه، في أربعة زوايا [٦] في كل واحدة منها مدرس عنده عدد من الطلبة [٧]. وكان في موضعها قيسارية للغزل، هدمها الناصر صلاح الدين وجعل مكانها المدرسة [٨]. وبعد أن تمكن الناصر صلاح الدين من القضاء على الدولة الفاطمية عام (٥٦٧هـ/١١٧٧م)، أخذ في المضي في تأسيس المدارس في القاهرة [٩]. ففي عام (٥٧٢هـ/١١٧٦م) بنى الناصر صلاح الدين ثلاث مدارس اثنتان منها في القاهرة وهما المدرسة السيوفية

---

(١) ابن دقماق: الانتصار ق٩٣/١.

(٢) كان هذا الحبس في الأصل خطة لقيس بن سعد بن عبادة الأنصاري رضي الله عنه، الذي جعلها بعد موته للمسلمين بنزلها ولاتهدم وجعلت مخزنا للفلفل بعض الوقت في العصر الأموي، فعرفت بدار الفلفل، ثم جعلت في العصر العباسي دارا للشرطة، وحولت الى حبس في العصر الفاطمي. المقريزي: الخطط ١٨٧/٢ - ١٨٨.

(٣) ابن الأثير: الكامل ١١٠/٩، أبو شامة: الروضتين ٤٨٦/٢/١، القلقشندي صبح الاعشى ٣٤٣/٣، محمد بهادر: مختصر الفتوح ورقة ٧، ولقد اندثرت هذه المدرسة ولايوجد أثر يدل عليها في الوقت الحاضر. محمد رمزي التعليقات في النجوم ٣٨٥/٥ هامش (١).

(٤) المقريزي: م.س، ٣٦٤/٢، مؤلف مجهول: تاريخ المصر القاهرة ورقة ٤٤٤.

(٥) ابن دقماق: الانتصار ق٩٥/١.

(٦) ن.م.س. ويذكر ابن الأثير أنها جعلت للشافعية، وهذا مخالف لما أجمعت عليه المصادر. ابن الاثير: م.س، ١١٠/٩.

(٧) المقريزي: ن.م.س.

(٨) ابن الأثير: ن.م.س. البنداري: سنا البرق ص ٥٧، القلقشندي م.س، ٣٤٣/٣، اندثرت هذه المدرسة ولايوجد أثر يدل عليها في الوقت الحاضر. محمد رمزي: التعليقات في النجوم ٣٨٥/٥ هامش (٢).

(٩) عبد الرحمن زكي: القاهرة ص ٧١.

والتى سميت بذلك لأن سوق السيوفيين[1] يقع على بابها[2] . وجعلت هذه المدرسة لتدريس المذهب الحنفى ،وقرر لها مدرس وعدد من الطلبة[3] ولقد جرى بنائها على أجزاء من الدار المأمونية[4] . وفى نفس العام أيضا بنى مدرسة بجوار المشهد الحسينى[5] ، ذكرتها بعض المصادر[6] ، وان كان المقريزى لايشير الى هذه المدرسة ،وانما يذكر بأن الناصر جعل به حلقة للتدريس[7] . وهى مدرسة يبدو أنها جعلت لتدريس المذهب الشافعى ،كذلك ألحق المدرستين السابقتين بمدرسة ثالثة ،وهى المدرسة الناصرية بالقرافة[8] ، والتى عرفت أيضا بالشافعى[9] ، لأنها بنيت بالقرب من قبر الامام الشافعى رحمه الله[10] ، وهى من أكبر المدارس التى أنشأها صلاح الدين ،أشاد ابن جبير بكبر حجمها ،وبما تحتوى عليه من مرافق ،وذلك فى قوله بأنها (... مدرسة لم يعمر بهذه البلاد مثلها ،ولا أوسع مساحة ولا أحفل بناء ،يخيل لمن يطوف عليها أنها بلد مستقل بذاته ،بازائها الحمام الى غير ذلك من مرافقها ،والبناء فيها حتى الساعة ،والنفقه عليها لاتحصى) . [11] وكان يدرس بها المذهب الشافعى،وقدر لها مدرس وعشرة

---

(١) عن هذا السوق انظر ص ٤٣٥ .

(٢) المقريزى :الخطط ٣٦٥/٢ .

(٣) ن . م . س . ويدل عليها الآن جامع الشيخ مطهر فى شارع الخردجية على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ١٠٩/٢،٦/٨،عبد الرحمن زكى موسوعة مدينة القاهرة ص ٢٧٢ ،كمال الدين سامح ، العمارة الاسلامية فى مصر ، القاهرة ،ط الثانية ،١٩٨٣م ،ص ٣٢ .

(٤) عن ذلك وعن هذه الدار انظر ص ٣٤٨ .

(٥) حسن الباشا : الفنون الاسلامية والوظائف ١٠٥٦/٣ .

(٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢٠٦/٧، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٥٥/٦، السخاوى : تحفة الأحباب ص ٩٥ ،ولقد زال أثر هذه المدرسة ولم يعد هناك شئ يدل عليها فى الوقت الحاضر . عبد الرحمن زكى القاهرة ص ٧٢ .

(٧) المقريزى :م.س ، ٤٢٧/١ .

(٨) المقريزى : م . س ٤٠٠/٢،مؤلف مجهول : تاريخ المصر القاهرة ورقة ٤٤٤

(٩) ابن خلكان : م . س ٢٠٧/٧، ابن زغرى بردى : م . س ٧٩/٦ .

(١٠) ابو شامة : الروضتين ١ق٦٨٨/٢، البندارى : سنا البرق ص ١٢٠ ، الحنبلى : شفاء القلوب ص ٩٣ ،محمد بهادر : مختصر الفتوح ورقة ١٠،كمال الدين سامح : م.س ، ص ٣٢ .

(١١) ابن جبير : الرحلة ص ٢٢ - ٢٣ .

معيدين وعدد كبير من الطلبة (١) .

ولعل من المفيد أن نذكر أنه قد اقتدى بالناصر صلاح الدين الأيوبي في بناء المدارس أقربائه وأمراءه (٢)، وغيرهم من الأعيان ،فابتنوا في الفسطاط والقاهرة عدد منها ،من أبرزها المدرسة التقوية نسبة الى مؤسسها تقى الدين عمر (٣)، الذى أنشأها فى عام (٥٦٦هـ/١١٧٠م) لتكون مدرسة لتدريس المذهب الشافعي (٤)، وعرفت بمنازل العز ،وهو قصر فاطمى (٥)، أسست هذه المدرسة على أجزاء منه ،كان تقى الدين قد سكنه ثم اقتناه من بيت المال وبناه مدرسة فعرفت به (٦) . ومن المدارس التى بنيت فى الفسطاط أيضا فى تلك الأثناء ،مدرسة ابن الأرسوقى ،نسبة الى ابن الأسوقى التاجر العسقلانى (٧)، وكان بناؤها سنة (٥٧٠هـ/١١٧٤م) (٨)،يذكر ابن دقماق انها

---

(١) المقريزى : الخطط ٤٠٠/٢،ويدل عليها فى الوقت الحاضر جامع الامام الشافعى بالقرافة ،على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ٩/٦،محمد رمزى : التعليقات فى النجوم ٥٤/٦ هامش (٥) .

(٢) المقريزى : م . س ٣٦٣/٢ .

(٣) سبق الاشارة اليه انظر ص ٢٤٧ ، هامش (٢) .

(٤) ابن الأثير : الكامل ١١٠/٩، أبو شامة : الروضتين ١/ق٤٨٧/٢، البندارى سنا البرق ص٥٨،ويذكر أحمد فكرى أن بناءها كان عام (٥٧٩هـ/١١٨٣م)، أحمد فكرى : مساجد القاهرة ومدارسها ٥٢/٢،ويبدو أن فكرى اعتمد فى ذلك على ماورد عند ابن دقماق والمقريزى من أن تقى الدين اشترى منازل العز عام (٥٦٦هـ/١١٧٠م) ولم يوقفها الاعندما أراد الخروج من مصر . ابن دقماق : الانتصار ق٩٣/١ - ٩٤، المقريزى م . س ٣٦٤/٢ . ويبدو أنه جعلها مدرسة فى بادئ الأمر وأوقف عليها لما أراد الخروج من مصر .

(٥) عنه انظر ص ٣٥١ ، هامش (٤) .

(٦) ابن دقماق : ن . ن . س ،المقريزى : ن . م . س ،ويبدو أن الذى يدل عليها فى الوقت الحاضر جامع المرحومى الذى يعد جزءا من الموضع الذى كانت منازل العز تشغله . على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ١٥/٦ .

(٧) هو عفيف الدين عبدالله بن محمد الارسوقى (ت ٥٩٣هـ/١١٩٦م) . المقريزى : م . س ٣٦٤/٢ .

(٨) ن . م . س .

عبارة عن مسجد معلق ،وهى تختص بتدريس المذهب الشافعى (١) ،كذلك أسس عدد من رجال الدولة مدارس فى القاهرة من أهمها المدرسة القطبية التى أسسها الأمير قطب الدين خسرو (٢) سنة (٥٧٠هـ/١١٧٤م) ،فنسبت اليه وكانت مخصصة لتدريس المذهب الشافعى (٣) • والمدرسة السيفية التى تنسب الى مؤسسها الأمير سيف الاسلام طقتكين بن أيوب (٤) ،والتى أنشأها قبل أن يتجه الى اليمن عام (٥٧٧هـ/١١٨١م) ليليها بأمر من أخيه الناصر صلاح الدين الأيوبى (٥) • ولقد أنشئت هاتين المدرستين على أجزاء من دار الديباج الفاطمية (٦) • كذلك أسس القاضى الفاضل فى سنة (٥٨٠هـ/١١٨٤م) مدرسة بجوار داره (٧) ، فعرفت به وأطلق عليها "الفاضلية" ،وهى مدرسة كبيرة جدا يقول عنها المقريزى بأنها (أعظم مدارس القاهرة وأجلها ...) (٨) •

وتحوى مكتبة ضخمة قيل بأن عدد كتبها بلغ مائة ألف مجلد (٩) وجعلت لتدريس المذهبين الشافعى والمالكى،علاوة على احتوائها على قاعة لتعليم القرآن الكريم (١٠) ، وكان بها مصحف يقال أنه مصحف عثمان بن عفان

---

(١) ابن دقماق : الانتصار ٩٨/١ • ولاتوجد معلومات يمكننى من خلالها التعرف على موقع هذه المدرسة فى الوقت الحاضر ،لعلها اندثرت مثلما حدث للناصرية والقمحية •

(٢) لم أستطع العثور على ترجمة له فى المصادر المتوفرة لدى •

(٣) المقريزى : الخطط ٣٦٩/٢ ،حسن الباشا : الفنون الاسلامية والوظائف ١٠٥٧/٣ ،ويدل عليها فى العصر الحديث جامع ابى الفضل الواقع فى حارة الفرن • على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ٢٠٠/٣ •

(٤) السخاوى : تحفة الأحباب ص ٨٤ ،وعن سيف الاسلام انظر ص

(٥) المقريزى : م • س ٣٦٨/٢ ،على باشا مبارك : م • س ٨/٦ ،ويدل عليها فى الوقت الحاضر ،زاوية عثمان الحطاب بشارع بيبرس • السخاوى م • س ص ٨٤ ،هامش (٢) •

(٦) ص ٣٤٩ •

(٧) أبو شامة : الروضتين ٢٤٠/٢ ،السخاوى : م • س ص ٩٣ - ٩٤ ،أحمد فكرى : مساجد القاهرة ومدارسها ٥٢/٢ •

(٨) المقريزى : م • س ٣٦٦/٢ •

(٩) ن • م • س • أحمد فكرى : م • س ٥٣/٢ ،ويذكر على باشا بأن عددها كان أربعمائة ألف • على باشا مبارك : م • س ٢٣٨/٢ •

(١٠) المقريزى : م • س ٣٦٦/٢ ، أحمد فكرى : م • س ٥٢/٢ •

رضى الله عنه [1] . ولقد أسست هذه الدار على أجزاء من خزانة فاطمية وهى خزائن دار افتكين [2] .

ولكى تتمكن هذه المدارس من ممارسة مهامها على الدوام بيسر وسهولة ، فلقد وفر لها مؤسسوها موارد مالية ثابتة ، بحبس الحبوس عليها فلقد كانت أوقاف الناصر صلاح الدين على مدارسه جليلة المقدار فالمدرسة الناصرية بالفسطاط ، وقف عليها سوق الصاغة المجاور لها واحدى قرى الديار المصرية [3] . أما المدرسة القمحية فان وقفها كان عبارة عن قيسارة الوراقين وعلوها بمصر ، وضيعة بالفيوم تعرف بالخنبوشية [4] . وكان وقف المدرسة السيوفية عبارة عن اثنين وثلاثين حانوتا بخط سويقة أمير الجيوش ، وباب الفتوح ، وحارة برجوان [5] . وتذكر المصادر أن الناصر صلاح الدين أوقف وقفا كبيرا على مدرسته المجاورة للمشهد الحسينى ، وان كان لاتتقدم تفاصيل لهذه الأوقاف [6] . ونظرا لضخامة مدرسة الشافعى بالقرافة ، فلقد كان لها وقف كبير أيضا ، فلقد أوقف عليها الناصر صلاح الدين حماما بجوارها وفرنا أمامها ، وحوانيت بظاهرها [7] وبعض الرباع [8] . وأراضى جزيرة الفيل [9] ، التى استزرعت فى تلك الأثناء [10] .

---

(١) المقريزى . ن . م . س . أحمد فكرى : م . س . ٥٣/٢ .

(٢) المقريزى : م . ، ٤٢٣/١ ، ويصعب تحديد موقع هذه المدرسة فى الوقت الحاضر حيث اختفت آثارها ، وانما كانت تقع فى درب ملوخيا الذى هو الآن شارع القزازين . على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ١٣/٦ .

(٣) المقريزى : م . س ٣٦٣/٢ - ٣٦٤ ، مؤلف مجهول : تاريخ المصر القاهرة ورقة ٤٤٣ ، حسنين ربيع : النظم المالية ص ٧٦ .

(٤) المقريزى : م . س ٣٦٤/٢ ، مؤلف مجهول : م . س ورقة ٤٤٤ ، حسنين ربيع : ن . م . س .

(٥) المقريزى : م . س ٣٦٦/٢ . مؤلف مجهول : م . س ورقة ٤٤٦ ، حسنين ربيع : ن . م . س .

(٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان (٢٠٦/٧ ، السخاوى : تحفة الأحباب ص ٩٥ .

(٧) المقريزى : م . س ، ٤٠٠/٢ .

(٨) حسنين ربيع : م . س ، ص ٧٧ .

(٩) عن هذه الجزيرة انظر ص ٩٦ .

(١٠) المقريزى : م . س ١٨٥/٢ .

ولقد فعل مؤسسوا المدارس الأخرى مثلما فعل الصلاح بحبس الأوقاف على المدارس ،فأوقف تقى الدين عمر لمدرسته أوقاف عظيمة[1] ، اذ اشترى منازل العز وحمامها ،والاصطبل المجاور لها الذى بناه فندقا عرف بفندق النخلة ،ثم اشترى جزيرة الروضة من بيت المال وأوقف جميع ذلك على هذه المدرسة[2] • بل يبدو ا أنه أوقف عليها الفندقين المعروفين بفندق الكارم[3] ،والربع المجاور لهما ايضا[4] •

كذلك أوقف ابن الارسوقى عددا كبيرا من الحوانيت على مدرسته فأوقف عليها الحوانيت الواقعة أسفل منها، وأخرى مجاورة لها ،علاوة على جميع الحوانيت فى القيسارتين الكبرى والصغرى اللتان تنسبان له[5] •

ومن العمائر التى دخلت المدينة فى تلك الأثناء أيضا ،الخوانك[6] وهى نوع من المنشآت التى جعلت للمتصوفة ينقطعون بها ،للتفرغ للعبادة على حسب مفاهيم ذلك العصر[7] • ولم تكن هذه الخنكاوات معروفة فى مصر فى العصر الفاطمى[8] ،ولم تدخل البلاد الاعلى يد الناصر صلاح الدين الأيوبى الذى عرف عنه الاهتمام بالمتصوفة ورعايتهم[9] • فأنشأ عام (٥٦٩هـ/١١٧٣م) أول خنكاه بالقاهرة[10] ، وهى الخانكاه الصلاحية سعيد السعداء[11] ،التى كانت

---

(١) أبو شامة : الروضتين ١/ق٤٨٧/٢،البندارى : سنا البرق ص ٥٨ •

(٢) ابن دقماق : الانتصار ق٩٣/١ - ٩٤،المقريزى : م • س ٣٦٤/٢ •

(٣) عن هذا الفندق انظر ص ٤٩٤ - ٤٩٥ •

(٤) ابن دقماق : ن • م • س ،المقريزى : ن • م• س •

(٥) ابن دقماق : م• س ، ق٩٨/١ •

(٦) الخوانك جمع خانكاه وفارسيتها خركاه ،وهو البيت ويطلق على سرادق الملوك والوزراء • أدى شير • معجم الألفاظ الفارسية المعربة ص ٥٣ •
وكان ظهورها فى القرن الخامس (٥هـ/١٠م) تقريبا • المقريزى م• س ٤١٤/٢،عبد الرحمن زكى : موسوعة مدينة القاهرة ص ٩٦ •

(٧) المقريزى : ن • م • س •

(٨) القلقشندى : صبح الأعشى ٣٦٤/٣ •

(٩) ص ١٤٩ - ١٥٠ •

(١٠) القلقشندى : ن • م • س • السخاوى : تحفة الأحباب ص ٧٧،حسنين ربيع : النظم المالية ص ٧٤ •

(١١) وسميت بسعيد السعداء نسبة الى قنبر - ويقال عنبر - أحد خدام الفاطميين قتل مصلوبا عام (٥٤٤هـ/١١٤٩م) • المقريزى : م • س ٤١٥/٢ اتعاظ الحنفاء ٢٠٠/٣،السيوطى : حسن المحاضرة ٢٦٠/٢،عبد الرحمن زكى : م• س ، ص ٩٨ •

دار ضيافة فى أواخر العصر الفاطمى ، بناها الناصر صلاح الدين (١) خنكاه لاستقبال الصوفية الوافدين الى البلاد الذين فتحت لهم أبوابها فى تلك الأثناء (٢)، ووفر لهم فيها كل مايعوزهم من مطعم ومشرب وملبس (٣) وذلك عن طريق أوقاف جليلة تمثلت فى بستان يعرف ببستان الحبانية (٤) وقيسارية بالقاهرة تعرف بقيسارية الشرب (٥) . وناحية دهمر ومن البهنساوية (٦)، اضافة الى حمام بجوارها عرف بحمام الصوفية (٧) .

ولقد كان تأسيس هذه الخانكاه البداية لبناء العديد منها فى القاهرة الكبرى فيما تلا عهد الناصر صلاح الدين من عهود، ذكرت المصادر العديد منها (٨) .

ويتضح من خلال العرض السابق أن القاهرة الكبرى أخذت تعرف أنواعا جديدة من العمائر لم تكن تعرفها فى السابق، ظهرت كانعكاس لتطورات سياسية ودينية وثقافية سبقت الاشارة اليها .

---

(١) المقريزى : م . س ٣٦٣/١، ويدل عليها الآن جامع سعيد السعداء
عبد الرحمن زكى : ن . م . س .
(٢) ص ٥٠٩ - ٥١٠ .
(٣) المقريزى : م . س ٤١٦/٢ - ٤١٧ ، السيوطى ، حسن المحاضرة ٢٦٠/٢ .
(٤) سبقت الاشارة الى البستان . ص ٤٤٩ .
(٥) عن هذه القيسارية انظر ص ٤٩٥ .
(٦) المقريزى : م.س ٤١٥/٢، حسنين ربيع : النظم المالية ص ٧٤ .
والبهنساوية احدى كور الصعيد تقع غربى النيل ،كانت قاعدتها مدينة البهنسا . للمزيد انظر محمد رمزى : القاموس الجغرافى ق٢/ج٣/٢١١ - ٢١٢ .
(٧) المقريزى : م . س ٨٥/٢ ، وللمزيد عن هذا الحمام انظر ص ٤٩٦
(٨) المقريزى : م . س ٤١٦/٢ - ٤١٧، السيوطى : م . س ، ٢٦٥/٢-٢٦٧ .

(ب) عمائر توسع فى بنائها :

ومثلما كان لازدهار النشاط المعمارى فى القاهرة الصلاحية دورا فى أن يدخل المدينة أنواع جديدة من العمائر، كما سبق أن شاهدنا فلقد شهدت القاهرة فى تلك الأثناء توسعا فى استخدام أنواع من العمائر كانت موجودة بها فعلا .

ومن أبرز العمائر التى توسع فى انشائها فى عهد الناصر صلاح الدين الأيوبى هو سور القاهرة الذى صدرت الأوامر الصلاحية بالبدء فى بنائه عام (٥٧٢هـ/١١٧٦م) كما تذكر غالبية المصادر التاريخية (١) . وكان الهدف الأساسى من بنائه نشر بساط الأمن وحماية القاهرة الكبرى من الهجمات المعادية (٢) .ويعد هذا السور ثالث اسوار القاهرة ،حيث بنى لها فى العصر الفاطمى سورين ،وكان سور الصلاح ثالثهما ،ويقول المقريزى فى هذا الصدد : (اعلم أن القاهرة مذ أسست عمل سورها ثلاث مرات ، الأولى وضعه القائد جوهر (٣) ، والمرة الثانية وضعه أمير الجيوش بدر الجمالى (٤) (٥)

---

(١) أبو شامة : الروضتين ٦٨٧/٢/١ ، البندارى : سنا البرق ص ١١٩ ، الحنبلى شفاء القلوب ص ٩٣ ، المقريزى : الخطط ٢٣٣/٢ ، السلوك ٦٣/٢/١ ، محمود وصفى : دراسات فى الفنون والعمارة العربية الاسلامية الدمام ص ١٤١ ، وينقل ابن تغرى بردى عن ابن عبد الظاهر أن تاريخ هذا الأمر كان فى عام (٥٧٠هـ/١١٧٤م) . ابن زغرى بردى : النجوم الزاهرة ٣٩/٤ .

(٢) أبو شامة : ن . م . س . البندارى : ن . م . س . كازانوفا : تاريخ ووصف قلعة القاهرة ص ٣٢ .

(٣) بنى هذا السور عشية تأسيس القاهرة عام (٣٥٨هـ/٩٦٨م) وكانت أبعاده تبلغ (١١٠٠م) من الشرق الى الغرب ،وحوالى (١١٥٠م) من الشمال الى الجنوب ،وجعل له عدد من الأبواب أهمها بابى زويلة وبابى النصر والفتوح . وللمزيد انظر : المقريزى : م . س ٣٧٧/١ ، ٣٨٠ - ٣٨٣ ابن تغرى بردى : م . س ٣٧/٤ - ٣٩ ، القلقشندى : صبح الأعشى ٣٤٨/٣ - ٣٥٠ ، عبد الرحمن زكى : القاهرة ص ١٣ - ١٧ ، كازانوفا : م . س ص ٣٦-٤١ .

Creswell , The Muslim Architectur of Egypt, p. 24 Fig.10.

(٤) سبقت الاشارة الى ترجمته . ص ٣١٥ هامش (٥) .

(٥) كانت زيادة بدر الجمالى هذه فى عام (٤٨٠هـ/١٠٨٧م) وحسبما يرد من نصوص عنها فى المصادر التاريخية فان هذه التوسعة حدثت فى الناحيتين الجنوبية والشمالية فقط ،ويدل عليها ثلاثة أبواب وهى =

فى أيام الخليفة المستنصر والمرة الثالثة بناه الأمير بهاء الدين[1] قراقوش الأسدى فى سلطنة الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ...)[2] .

ولقد كان سور الناصر صلاح الدين عبارة عن زيادة وتوسعة لسور المدينة القديم ، بحيث يشمل أجزاء كبيرة من المنطقة ،وأهمها القاهرة[3] والقلعة ومدينة الفسطاط[4] . ولذلك فلقد جاء محيطه كبيرا ،فبلغ مجموع

= باب زويلة وبابى النصر والفتوح . المقريزى : الخطط ٣٧٩/١،٣٨٠ -٣٨٣ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٣٩/٤،وعلى الرغم من ذلك فلقد أثارت توسعة بدر الجمالى جدلا فيمابين الباحثين حيث أن هناك من يعتقد بأن هذه التوسعة شملت جميع النواحى ،فى حين ذهب البعض الى مخالفتهم فى هذا التصور . انظر أحمد فكرى : مساجد القاهرة ومدارسها ٢٣/١ شكل (٢) ،عبدالرحمن زكى : القاهرة ص ١٤ - ١٥ ، كازانوفا : تاريخ ووصف قلعة القاهرة ص ٤١ - ٤٣ .

Ravaisse, Essai sur chistoire et sur la topographie du Caire, plan 2.
Creswell, The Muslim Architecture of Egypt, Fig. 10.

والراجح أن زيادة بدر الجمالى كانت تشمل ثلاث جهات هى الجنوبية والشمالية كما هو معروف بالاضافة الى الجهة الشرقية ،يدل على ذلك باب التوفيق الذى بناه الوزير المذكور أيضا حيث يقع على بعد عشرة أمتار غربى سور الناصر صلاح الدين فى حين أن أسوار جوهر تقع على بعد خمسة وعشرين مترا غربى السور المذكور فى نفس الناحية مما يشير الى أن هذه التوسعة كانت بسيطة جدا وانها فى حدود خمسة عشر مترا تقريبا . انظر عبدالرحمن زكى : موسوعة مدينة القاهرة ص ١٩ - ٢٠ .

Creswell, op.cit. p. 25.

أما بالنسبة للناحية الغربية فان أحداث اى توسعة فيها يترتب عنه الاضرار بمنشآت النزهة الفاطمية التى تقع بالقرب من السور القديم - سور جوهر - وتطل على الخليج ،انظر المقريزى : م . س ٢٤/٢،حيث سيترتب عنها عزل هذه المنشآت عن الخليج ،وهو أمر لاتوجد أى دلائل تشير الى حدوثه .

(١) سبقت الاشارة الى ترجمته . ص ١٠٧ هامش (٢).
(٢) المقريزى : م . س ٣٧٧/١ .
(٣) المقريزى : م . س ٢٠٣/٢ .
(٤) أبو شامة : الروضتين ٦٨٧/٢/١،البندارى : سنا البرق ص ١١٩، المقريزى : م. س ٢٠٣/٢ .

أطوال أضلاعه مضافا اليها أطوال سور القلعة مامقداره تسعة تعشرين ألف وثلاثمائة ذراع وذراعين ،بذراع العمل الهاشمى (١) . (٢) ولعل هذا الكبر فى محيط السور هو الذى أدى الى عدم اتمامه ،حتى توفى الناصر صلاح الدين ،وقد بقى من السور مواضع لم يتم انجازها،على الرغم من أن الأعمال به كانت متواصلة على الدوام (٣) .

ولكى نتمكن من فهم مخطط هذا المشروع الكبير وماتم انجازه بالفعل فمن الأحرى تقسيم تناول بحثه الى أقسام ثلاثة وذلك بالنظر لما أوردته المصادر من تفاصيل عن أبعاد هذا السور اذ جرت فى تقسيمها الى ثلاثة أقسام أولها الضلع الغربى وكان يمتد من البرج (٤) الواقع بالمقسى (٥) حتى يصل الى البرج (٦) الواقع بالكوم الأحمر (٧)، ويبلغ طول هذا

---

(١) أبو شامة : ن . م . س . البندارى : ن . م . س . القلقشندى صبح الأعشى ٣٥٠/٣، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٤٠/٤،على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ٢٦٢/٣،ويذكر صاحب المراصد بأن هذا الرقم يوازى سبعة أميال ونصف الميل ،أو فرسخان ونصف صفى الدين عبد المؤمن : مراصد الاطلاع ١٠٣٧/٣ .

(٢) المقريزى : م . س . ٣٨٠/١، القلقشندى : م . س . ابن تغرى بردى ن . م . س .

(٣) أبو شامة : م . س ٦٨٨/٢/١، البندارى : م . س . ص ١١٩ -١٢٠ ، القلقشندى : ن . م . س .

(٤) هذا البرج عرف بقلعة المقسى او قلعة قراقوش . انظر مايلى .

(٥) سبقت الاشارة اليه . ص ٨٤ هامش (٢) .

(٦) هذا البرج عرف بقلعة "ياذكوج" انظر مايلى .

(٧) تذكر بعض المصادر أن الكوم الأحمر هو الكوم الواقع بالقرب من فم خليج القاهرة ،عند شاطئه الغربى حيث منشأة المهرانى . المقريزى م.س ٣٤٧/١ . القلقشندى : م.س ، ٣٥٠/٣ - ٣٥١ ،وللحقيقة ان هذا الكوم يقع جنوبى الفسطاط كما بين كازانوفا . يؤكد ذلك أن بستان المعشوق الذى يقع فى هذه المنطقة كما سبق أن بينا أثناء الحديث عن المتنزهات ،كان يقع فى منطقة تعرف بالكوم الأحمر انظر المسبحى : اخبار مصر ص ٤٤،كازانوفا : تاريخ ووصف قلعة القاهرة ص ٥٦ - ٥٧ .

الضلع عشرة آلاف وخمسمائة ذراع (١) . ويذكر القلقشندى بأن هذا الضلع قد انهدم (٢) . مما يعنى بأنه قد جرى بنائه . فى حين أن المقريزى يذكر أنه لم يبن على الاطلاق (٣)، وهو الأصح كما يذكر عدد من الباحثين (٤)، أما القسم الثانى فيتكون من السور الشمالى للمدينة ،علاوة على أجزاء كبيرة من السور الشرقى وصولا الى قلعة الجبل (٥) . وبلغ طول هذا الحائط ثمانية آلاف وثلاث مائة واثنان وتسعون ذراعا (٦) . وان كان يدخل فى جملته أجزاء من سور بدر الجمالى القديم ،فما قام به الناصر صلاح الدين فى هذا الحائط كان عبارة عن زيادة فى سورها القديم ،حيث زاد فيه من الناحية الشمالية الغربية الممتدة من باب القنطرة (٧)، الى باب

---

(١) أبو شامة : الروضتين ٦٨٧/٢/١، البندارى : سنا البرق ص ١١٩، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٤٠/٤ - ٤١ .

(٢) القلقشندى : م . س ٣٥١/٣ .

(٣) المقريزى : ن . م . س .

(٤) عبد الرحمن زكى : القاهرة ص ٦٨ - ٦٩، جرجى زيدان : تاريخ مصر ٣٢٣/١ ،كازانوفا : م . س . ص ٥٥ .

(٥) كازانوفا : م . س ص ٥٨ .

(٦) أبو شامة : ن . م . س، البندارى : ن . م . س . المقريزى : م س ٣٨٠/١ ، القلقشندى : ن . م . س . ابن تغرى بردى : م . س ٤١/٤ .

(٧) عن هذا الباب انظر مايلى . ومما يذكر أنه قد أدى جعل هذا الباب نقطة البداية الى أن يظهر فى السور قطعة زائدة تتجه نحو الغرب قليلا تصل فيما بين سمت الحائط الشمالى القادم من باب الشعرية والباب المذكور . خريطة رقم (٨) مما دفع بعض الباحثين الى القول بأن صلاح الدين قد بنى حائطا موازيا للحائط الغربى لسور المدينة القديم . ويسير على الساحل الشرقى لخليج القاهرة وذلك على أساس أنه يوجد فى هذه المنطقة خط يعرف بخط بين السورين أى أنه يقع بين سورين . انظر : المقريزى : م.س ، ٢٤/٢، حسن الباشا وآخرون : القاهرة ص ٣٢ ،محمد رمزى : التعليقات فى النجوم الزاهرة ٣٩/٤، هامش (٣) .

والواقع أن سور الناصر صلاح الدين لم يتجاوز فى اتجاهه جنوبا الباب المذكور،حيث كان يوجد فى هذه المنطقة فى تلك الأثناء منشآت للنزهة سبق الاشارة اليها . ووجود السور سيكون عائقا أمام بناء هذه المنشآت ،لأنه يسير بمحاذاة الخليج . أما بالنسبة لمسمى خط بين السورين فمن الواضح أن مسماه كان بسبب وجود طرفه الشمالى فيمابين سور المدينة القديم والقطعة التى بناها صلاح الدين . انظر خريطة رقم (٣٩) .

الشعرية (١) وصولا الى ساحل النيل حيث البرج الواقع فى المقسى (٢). فشمل بذلك أجزاء كبيرة من المنطقة اللواقعة غربى الخليج (٣). كذلك زاد من الناحية الشمالية الشرقية، القطعة الممتدة مما يلى باب النصر وصولا الى برج الظفر (٤)، الذى يعد الزاوية الشمالية الشرقية للسور (٥)، حيث يأخذ السور بالاتجاه جنوبا محددا الزيادة الشرقية لسور القاهرة والتى كانت مساحتها صغيرة جدا، اذ أن السور يتجه فى هذه الناحية نحو الميل غربا بصورة تدريجية ليقترب من سور المدينة القديم (٦)، ثم يتجه بعد ذلك ليلتقى بسور القلعة عند نقطة من طرفه الشمالى الغربى (٧).

ومن الواضح أن هذا القسم من السور هو أول الأقسام التى بدىء فى تنفيذها، ففى عام (٥٧٣هـ/١١٧٧م) كانت حوائطه قد بدأت بالظهور بصورة واضحة للعيان (٨)، بحيث لم ينقض عهد الناصر صلاح الدين الا وكانت أجزاء كبيرة منه قد تم انجازها، ولم يبق منه سوى قطعة صغيرة تصله بقلعة الجبل، حيث توقف السور بالقرب من مكان يعرف بالصوه يقع تحت القلعة (٩)

---

(١) عن هذا الباب انظر مايلى .

(٢) المقريزى : م . س ٣٧٩/١، على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ٢٦١/٣، عبد الرحمن زكى : القاهرة ص ٦٦ .

(٣) انظر خريطة رقم (٢) نقلا عن عبد الرحمن زكى : م . س ص ١٠١ الخريطة

(٤) عن هذا البرج انظر مايلى .

(٥) عبد الرحمن زكى : م . س . ص ٦٦، كازانوفا : تاريخ ووصف قلعة القاهرة ص ٥٠ .

(٦) Creswell , The Muslim Architecture of Egypt, Fig.10

(٧) كازانوفا : تاريخ ووصف قلعة القاهرة ص ٦٤ . ولازالت أجزاء كبيرة من هذا القسم موجودة حتى الوقت الحاضر . انظر عبد الرحمن زكى القاهرة ص ٦٧ - ٦٨ .

(٨) أبو شامة : الروضتين ٢/٢، المقريزى : السلوك ٦٦/١/١ .

(٩) المقريزى : الخطط ٣٨٠/١، على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ٢٦١/٣، عبد الرحمن زكى : م . س . ص ٦٦ . جرجى زيدان : تاريخ مصر ٣٢٤/١ . وعن موقع الصوه انظر أيضا مايذكره القلقشندى أثناء حديثه عن المدرسة الأشرفية، القلقشندى : صبح الأعشى ٣٦٣/٣ .

ويبقى لنا من السور القسم الأخير ،وهو القسم الثالث ،وهذا القسم كان يهدف الى ربط مدينة الفسطاط بالقلعة اذ خطط له أن يمتد منها الى أن يصل شاطئ النيل حيث البرج الواقع بالكوم الأحمر ،ويبلغ طول هذا الضلع سبعة آلاف ومائتا ذراع (١) . وهو بذلك يشكل الضلع الجنوبي والجنوبي الشرقي لسور المدينة (٢) . ولقد بدأ بناء هذا الضلع عام (٥٨١هـ/١١٨٥م) (٣) ،ولايعرف على وجه التحديد ماقد تم انجازه من هذا الجانب فى عهد الناصر صلاح الدين ،فكل مايرد عنه هو أنه لم يتسن فى تلك الأثناء وصل هذا السور بالقلعة (٤) ، وان كان أعمال البحث الأثرى قد كشفت عن أجزاء كبيرة منه (٥) .

أما عن الأبراج فلقد زود الناصر صلاح الدين الأيوبى هذا السور بأبراج كبيرة جدا تعتبر حصونا قائمة بذاتها (٦) .

فعلى ساحل النيل بالقس بنى برج كبير جدا، عرف "بقلعة المقسى" (٧) أو "قلعة قراقوش" (٨) . ولقد بنى هذا البرج فى موضع منظره من مناظر

---

(١) أبو شامة : م . س ١/٢/٦٨٧ . البندارى : سنا البرق ص ١١٩ ، القلقشندى : م . س ٣٥١/٣، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٤١/٤ .

(٢) انظر خريطة رقم (٢) نقلا عن عبدالرحمن زكى : القاهرة ص ١٠١ ، الخريطة .

(٣) المقريزى : السلوك ٩٠/١/١ .

(٤) المقريزى : الخطط ٣٨٠/١ . ويذكر عبدالرحمن زكى بأن هذا الضلع قد تم انجازه فعلا فى عهد صلاح الدين وذلك بناء على مايذكره المقريزى أثناء حديثه عن قنطرة خليج بنى وائل من أن هذا السور قد جرى مده فعلا ،وهو بذلك يناقض نفسه حيث ذكر أنه لم يتسن اكماله فى تلك الأثناء، انظر عبدالرحمن زكى : م . س . ص ٦٨ . والواقع أنه لم يتم اكمال هذا الضلع والا فمن باب أولى اكمال الضلع الشمالى الشرقى الذى بدئ ببنائه قبل هذا الأخير كما سبق أن أوضحنا .

(٥) حسن الباشا وآخرون : القاهرة ص ٤٧٧ . وانظر أيضا :

Casanova, Paul, de Reconstitution, plan 1.

(٦) كازانوفا : تاريخ ووصف قلعة الجبل ص ٤٥ .

(٧) القلقشندى : صبح الأعشى ٣٥٠/٣ . ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٣٩/٤ .

(٨) المقريزى : م.س ٣٨٠/١، ١٢٣/٢. ومن الواضح أن نسبه الى قراقوش يقصد بهاء الدين قراقوش الذى كان متوليا لعمارة السور والقلعة كما سبق أن شاهدنا .

الخلفاء الفاطميين كانت تعرف بمنظرة المقس[1] . كذلك بنى أيضا برج آخر جنوبى الفسطاط شبيه بالبرج الأول[2] ، كان يقع على الكوم الأحمر على شاطئ النيل[3] ، عرف بقلعة يازكوج[4] . وفى الزاوية الشمالية الشرقية من سور المدينة ،بنى برج ثالث أطلق عليه برج الظفر[5]، كان يحتل موقعا فى غاية الأهمية لاشرافه على الضلعين الشرقى والغربى من سور المدينة[6] .

أما عن الأبواب فان الناصر صلاح الدين الأيوبى قد زود السور بأبواب عدة أهمها بابان كانا يقعان فى السور الواقع غربى الخليج . وأولهما باب كان يقع بالمقس ،فى مواجهة ساحل النيل ،ولذلك عرف بباب البحر[7]

---

(١) المقريزى : م . س ٤٨٠/١ . هدم هذا البرج عام (٧٧٠هـ/١٣٦٩م) وقيل (٦٧٠هـ/١٢٧١م) المقريزى : ن . م . س؛ ابن تغرى بردى : م . س ٤٠/٤، ويدل عليه الآن المبانى المجاورة لجامع أولاد عفان من الناحية الشمالية الشرقية بميدان باب الحديد . محمد رمزى : التعليقات فى النجوم الزاهرة ٤٩/٤ هامش (٤) . عبدالرحمن زكى : موسوعة مدينة القاهرة ص ٣٧١ .

(٢) القلقشندى : ن . م . س .

(٣) أبو شامة : الروضتين ٦٨٧/٢/١ ،البندارى : سنا البرق ص ١١٩ .

(٤) ابن تغرى بردى : م . س ٣٩/٤ . ومن الواضح أنه ينسب الى الأمير سيف الدين ياذكوج الأسدى (ت ٥٩٩هـ/١٢٠٢م) الذى كان أميرا على طائفة الأجناد الاسدية فى عهد الناصر صلاح الدين الأيوبى . المقريزى م . س ٣٦٧/٢،ويبدوا أن هذا البرج قد هدم أيضا فى وقت من الأوقات ويصعب تحديد موقعه على وجه الدقة وان كان من المرجح أنه يقع بجوار باب القنطرة الذى كان يوجد هناك . انظر محمد رمزى : م . س ٤٠/٤ هامش (٢) .

(٥) كازانوفا : تاريخ ووصف قلعة الجبل ص ٥١ ،حسن الباشا وآخرون القاهرة ص ٤٨٤ .

(٦) حسن الباشاوآخرون : ن . م . س . ولايزال هذا البرج موجودا حتى الوقت الحاضر . عبدالرحمن زكى : م . س ص ٢٧ .

(٧) المقريزى : م.س ١٥١/٢، . هدم هذا الباب عام (١٨٥٧م) ويدل على موقعه فى الوقت الحاضر مدخل شارع باب البحر من جهة ميدان باب الحديد . عبدالرحمن زكى : القاهرة ص ٦٩ ،موسوعة مدينة القاهرة ص ١٩ .وانظر خريطة رقم (٨).

وثانيهما باب الشعرية (١)، الذى كان يقع بالقرب من خليج القاهرة (٢). كذلك بنى الناصر صلاح الدين بابا فى مواجهة الضلع الغربى لسور القاهرة القديم عرف بباب القنطرة (٣)، كان يقع فى نهاية خط سويقة أمير الجيوش (٤) كما يشير بذلك المقريزى (٥). ومن الواضح أنه بنى بدلا من باب القنطرة القديم (٦)، الذى كان يقع الى الشمال من نظيره الجديد (٧). كذلك فلقد

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ٣/٣٥٠ . وعرف بباب الشعرية نسبة لطائفة من البربر يقال لهم بنى الشعرية ،يبدو ان مساكنهم كانت بجوار هذا الباب . المقريزى : م . س ١/٣٨٣ . وقد هدم هذا الباب عام (١٨٨٤م) لخلل فى مبانيه ويدل على موقعه فى الوقت الحاضر ميدان العدوى . عبدالرحمن زكى : موسوعة مدينة القاهرة ص ٢٢ .

(٢) انظر خريطة رقم (٨).

(٣) محمد رمزى : التعليقات فى النجوم الزاهرة ٤/٣٩ هامش (٣) .

(٤) عن هذا الخط انظر ص ٣٥٨ .

(٥) المقريزى : م . س ٢/١٠١،ومن الواضح أن هذا الباب هو الذى ذكره على باشا مبارك . وذكر بأنه يقع فى نهاية هذا الخط تجاه البرج ،وهدم عام (١٢٩٥هـ) على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ١٢/٨٣ ويدل على هذا الباب الآن المنطقة التى يلتقى فيها شارع أمير الجيوش بشارع الخليج . عبدالرحمن زكى : م . س ص ٢٤ .

(٦) عرف هذا الباب باب القنطرة ،لأنه كان يقع فى مواجهة قنطرة تؤدى الى باب القنطرة ،لأنه كان يقع فى مواجهته قنطرة تؤدى الى بر الخليج الغربى . وهو من بناء جوهر الصقلى بانى القاهرة . المقريزى : م .س ١/٣٨٢ - ٣٨٣ . ومن الواضح أن هذا الباب كان يقع فى مواجهة القنطرة الفاطمية التى يذكر على باشا مبارك أنها تقع فى عطفة المصطاحى ،ويذكر بأن السور قد سدها ،بيد أنه يذكر بأن هذا السور هو من بناء الفاطميين رغم أنه يشير الى أنه يتصل باب القنطرة وهو الباب الذى بناه صلاح الدين كماسبق أن بينا ،مما يدل بدوره على أن هذا السور هو الذى بناه صلاح الدين ،والذى سبقت الاشارة اليه ومن الواضح أن سبب اللبس هذا ،عند على باشا هو أنه لم يكن يعلم ببناء الناصر صلاح الدين هذا الباب والسور هنا . انظر على باشا مبارك : م . س ٣/٢٧٢،وانظر أيضا عن موقع الباب الفاطمى :
A. Raymond E Wiet, Les Marcees de Caire , plan 2.
وبذلك يثبت لدينا بأن هذا الباب لم يكن يقع فى مواجهة باب صلاح الدين كما يذكر بعض الباحثين . انظر محمد رمزى :م.س ، ٤/٣٩ هامش (٣) .
Creswell, The Muslim Architecture of Egypt, p. 25. Fig . 10.

(٧) انظر خريطة رقم (٣٨).

اقتضت زيارة الناصر صلاح الدين لسور المدينة الشرقى أن يبنى له أبوابا فبنى بابين هما بابى البرقية (١) والمحروق (٢) (القراطين) (٣) ليكونا بديلين عن البابين الفاطميين اللذين كانا يقعان فى مواجهتهما (٤) . كذلك أضاف صلاح الدين لهذه الأبواب بابا ثالثا عرف بالباب الجديد (٥) ، من الواضح أنه سمى بذلك لأنه لم يكن له نظير فى العصر الفاطمى ،فاعتبر بابا جديدا يضاف الى سور المدينة فى هذه الناحية . ولم تكن أبواب صلاح الدين قاصرة على سور المدينة الشمالى والشرقى ،بل انه بنى أبوابا فى سور المدينة الجنوبى أيضا ،من أهمها باب القنطرة (٦) وكان يقع فى مواجهة باب القنطرة الفاطمى (٧) ، فابن دقماق عندما يتحدث عن المساجد التى كانت تقع فى هذه المنطقة ،يذكر بأنه كان هناك باب يعرف "بباب

---

(١) يرجع أصل تسمية هذا الباب الى العصر الفاطمى ،فبرقة احدى طوائف الجيش الفاطمى ،ومن الواضح أنه احتفظ بنفس المسمى لأنه بنى بدلا من آخر قديم . ولقد كشفت أعمال البحث الأثرى عن هذا الباب ، الذى لايزال محتفظا بحالته الأصلية . ويقع مكان هذا الباب بجوار التل الواقع على يمين الداخل من طريق قطع المرآة ـ للموصلة من شارع الغريب الى جبانة المجاورين والمماليك شرقى القاهرة على بعد (١٢٠م) شرقى جامعة الأزهر . عبد الرحمن زكى : موسوعة مدينة القاهرة ص ١٩ .

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ٣٥٠/٣ ،عبد الرحمن زكى : القاهرة ص ٧٠ .

(٣) كان هذا الباب يعرف بباب القراطين نسبة لباعة القرط ،وهو البرسيم حيث كان يوجد عنده سوق للغنم . ثم عرف بالباب المحروق فى أوائل العصر المماليكى حيث أحرق هذا الباب عام (٦٥٢هـ/١٢٥٤م) ولايزال يوجد فى القاهرة درب يعرف بدرب المحروق يدل على هذا الباب علاوة على أنه قد تم العثور على برجين من أبراجه . انظر المقريزى الخطط ٣٨٧/١ . عبد الرحمن زكى : موسوعة مدينة القاهرة ص ٢٤ ، القاهرة ص ٧٠ .

(٤) Creswell , The Muslim Architecture of Egypt, Fig.10.

(٥) ولقد كشفت أعمال البحث الأثرى عن هذا الباب ،ويقع على بعد (١٤٥م) جنوبى برج الظفر . عبد الرحمن زكى : م٠س ، ص ٢٠ .

(٦) وعرف بباب القنطرة نسبة لقنطرة بنى وائل التى يقع بجوارها المقريزى : م . س ٣٤٧/١ . وكان يقع هذا الباب فى المنطقة التى يتقاطع بها شارع الصغير بشارع آثر النبى . محمد رمزى : التعليقات فى النجوم ٤٠/٤ هامش (٢) .

(٧) عن هذا الباب انظر ص ٣٠٦ .

القنطرة الجوانى"[(١)]، مما يشير الى وجود باب آخر يقع فى مقابلته ويؤيد ذلك أنه عندما يتحدث عن رحاب الفسطاط ،فانه يذكر رحبة تعرف برحبة "بابى القنطرة"[(٢)]، أى أنها تقع فيما بينهما .

ولكى يتمكن السور من أداء المهام الدفاعية التى بنى من أجلها على أكمل وجه فلقد زوده الناصر بخندق كان يحيط السور الشرقى وأجزاء كبيرة من السور الشمالى[(٣)] .

ومن الجدير بالذكر أنه كان لازدهار التجارة وتزايد النشاط الاقتصادى فى عهد الناصر صلاح الدين[(٤)] ،دورا فى أن تشهد المدينة توسعا كبيرا فى بناء عمائر الخدمات الاقتصادية ،ومن أبرز أنواع هذه العمائر الخانات أو الفنادق[(٥)] . وهى منشآت ضخمة كانت مخصصة لنزول التجار والمسافرين[(٦)] . كانت معروفة فى مصر فى العصر الفاطمى[(٧)] . ونظرا لازدهار التجارة فى القاهرة فى عهد الناصر صلاح الدين الأيوبى ،ومايعنيه ذلك من ازدياد حركة الانتقال والسفر خاصة من قبل التجار[(٨)]، علاوة على ازدياد حركة الهجرة الى مصر[(٩)] . فلقد ترتب على ذلك أن بنى فى القاهرة الكبرى عدد من هذه العمائر ،من أبرزها خان السبيل، الذى يقع خارج

---

(١) ابن دقماق : الانتصار ٧٩/١ .

(٢) ابن دقماق : م . س ٣٥/١ .

(٣) المقريزى : الخطط ٣٨٠/١ . حسن الباشا وآخرون : القاهرة ص ٤٧٨ .

(٤) انظر فيما ذكرناه عن نمو الاستهلاك وازدهار التجارة فى عهد الناصر صلاح الدين .

(٥) الخان كلمة فارسية الأصل ،والفندق كلمة لاتينية الأصل ،والكلمات تطلقان على منشآت من نوع واحد،وان كان من المرجح أن يكون الخان هو المستعمل فى شرق العالم الاسلامى والفندق فى غربه . انظر حسن الباشا : المدخل للآثار الاسلامية ص ١٩٢ - ١٩٣،عطية القوصى : تجارة مصر ص ١٩٧،١٩٩ .

(٦) حسن الباشا : م . س ص ١٩٢ . عبد الرحمن زكى : موسوعة مدينة القاهرة ص ٩٤ .

(٧) عطية القوصى . م . س ص ١٩٧ - ١٩٨،٢٠٠ .

(٨) ص ٢٧٧.

(٩) ص ٥٠٨ - ٥١٠.

باب الفتوح ،وهو من بناء الأمير بهاء الدين قراقوش[(١)]، جعله لأبناء السبيل والمسافرين بدون أجرة ،وكان به بئر ساقية ،وحوض للشرب[(٢)].

ومن الخانات التى بنيت فى تلك الأثناء ،خان مسرور[(٣)]، وهو خان كبير كان يتكون من مئة بيت الا بيت ،وبه مسجد جامع تقام فيه الجمع والجماعات . وكان ينزله أعيان التجار الشاميين[(٤)]. ولقد بنى هذا الخان على موضع خزانة الأسلحة الفاطمية[(٥)]، كذلك بنى الأمير سكن الدين منكورش (ت ٥٧٧هـ/١١٨١م)[(٦)] ،خانا عرف به كان يقع بالقرب من الجامع الأزهر[(٧)] وبنى تقى الدين عمر[(٨)] فى الفسطاط ثلاثة فنادق ،أهمها فندق الكارم[(٩)]، الذى كان عبارة عن فندقين أحدهما كبير والآخر صغير[(١٠)]. خصص لنزول تجار

---

(١) عنه انظر ص ٣٨٦ ،هامش (٣).

(٢) المقريزى : الخطط ٩٣/٢ . مؤلف مجهول : تاريخ المصر القاهرة ورقة ١٠٢ ،عطية اللقوصى : م . س ص ١٩٨،ويدل على موقع هذا الخان مسجد البيومى وحوض الشرب المجاور له بشارع البيومى . عبد الرحمن زكى : موسوعة مدينة القاهرة ص ٩٦ .

(٣) ينسب الى مسرور الخادم. أحد خدام الفاطميين ،ثم اختص بالناصر صلاح الدين الأيوبى وبقى حيا الى الأيام الكاملية ،اشتهر بالبر والاحسان . المقريزى : الخطط ٩٢/٢ .

(٤) المقريزى : ن . م . س . على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ١١١/٢.

(٥) المقريزى : ن . م . س . ويدل على موقعه فى الوقت الحاضر مجموعة المبانى التى تحد من الغرب بشارع النردجية ،ومن الجنوب بشارع السكة الجديدة ومن الشرق والشمال بشارع خان الخليلى . عبد الرحمن زكى : موسوعة مدينة القاهرة ص ١٧٨ .

(٦) هو الأمير ركن الدين منكورش ،أحد مماليك الناصر صلاح الدين ،وكان من أمراء الأجناد الصلاحية ،عرف بالشجاعة واصابة الرأى . المقريزى م . س ٩٣/٢ .

(٧) المقريزى : م . ن . س . ويدل عليه فى الوقت الحاضرمجموعة المبانى الواقعة خلف وكالة المخلل بالقرب من جامع محمد بيك ،فى شارع الصنادقية على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ١٠٠/٢ .

(٨) عنه انظر ص ٢٤٧ ،هامش (٢).

(٩) ابن دقماق : الانتصار ق٤٠/١ .

(١٠) ابن دقماق : م . س ق٩٦/١ .

الكارم[١] . الذين ازدهرت تجارتهم فى تلك الأثناء كذلك بنى فى موضع اصطبل منازل العز[٢] ، فندقا عرف بفندق النخلة[٣] .

ومن المنشآت الاقتصادية التى توسع فى بنائها فى تلك الأثناء القياسر وهى منشآت تجارية تحوى حوانيت ومصانع[٤] عرفت فى مصر منذ العصر الأموى[٥] . ونتيجة لانتقال الكثير من أوجه النشاط التجارى والصناعى من الفسطاط الى القاهرة ،فى عهد الناصر صلاح الدين الأيوبى[٦] فلقد استوجب ذلك استيعاب هذا الانتقال ببناء عدد من القياسر فيها ولذلك فلقد بنى فى القاهرة فى تلك الأثناء عدد من القياسر . فبنى باسم قيسارية الناصر صلاح الدين فى شارع القصبة قيسارية الشرب كان موضعها فى السابق اصطبلا ،وجعلها وقفا على صوفية خنقاه سعيد السعداء[٧] . كذلك بنى القاضى المرتضى بن قريش[٨] قيسارية فى سوق الجملون الكبير[٩] ،عرفت بقيسارية ابن قريش ،وكان موضعها فى السابق

---

(١) عطية القوصى : تجارة مصر ص ٢٠١ . تجار الكارم هم تجار السلع القادمة من الهند وجنوب شرق آسيا ،وكان من أهم تجارتهم [illegible] البهار والسلع الثمينة . عطية القوصى : م . س ص ٩١ . ويصعب تحديد موقع هذا الفندق فى الوقت الحاضر ،وان كان كازانوفا قد قدم تحديدا تقريبيا له .انظرخريطة رقم (٩) نقلا عن :

Casanova, Paul, de Reconstitution, p. 42.

(٢) عن منازل العز انظر ص ٣٥١ ،هامش (٤) .

(٣) ابن دقماق : الانتصار ق ٩٦ . ولاتوجد معلومات يمكن خلالها تحديد موقع هذا الفندق فى الوقت الحاضر .

(٤) عطية القوصى : تجارة مصر ص ١٩٢ .

(٥) عطية القوصى . م . س . ص ١٩٣ .

(٦) ص ٤٣٢-٤٣٤ .

(٧) المقريزى : الخطط ٨٦/٢ . ويذكر على باشا بأنه يدل عليها خان يقع تجاه وكالة الزيت . على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ٢٥٢/٢ .

(٨) هو القاضى المرتضى صفى الدين أبو المجد عبدالرحمن بن قريش (ت ٥٨٦هـ/١١٩٠م) أحد كتاب الانشاء فى دولة الناصر صلاح الدين ،توفى شهيدا على عكا . المقريزى : الخطط ٩٦/٢ .

(٩) عن هذا السوق انظر ص ٤٢٧ .

اصطبلا[(١)] . وبنى القاضى الفاضل[(٢)] قيسارية ،بجوار باب زويلة عرفت بقيسارية الفاضل[(٣)] .

ونتيجة لتزايد الاهتمام بالتصوف وانتشاره فى تلك الأثناء[(٤)]، فلقد توسع فى بناء الأربطة[(٥)] فى القاهرة الكبرى ،حيث تذكر المصادر أن الأمير بهاء الدين قراقوش بنى فى المقس رباطا[(٦)] . وعلى الرغم من أن القلقشندى يذكر بأن هذا النوع من العمائر لم يدخل مصر الا فى العصر الصلاحى[(٧)] ، الا أن وجود رباط الأندلس فى القرافة والذى يعود الى أواخر العصر الفاطمى ينفى هذا القول[(٨)] . ولعل القلقشندى يقصد بقوله هذا أن هذه الأربطة أصبحت منذ عهد الناصر صلاح الدين تبنى فى داخل المدينة وليس فى مقابرها ،كما هو واضح من رباط بهاء الدين السابق الذكر .

ومن الواضح أن تزايد الكثافة السكانية فى القاهرة الفاطمية منذ عهد الناصر صلاح الدين اقتضى التوسع فى بناء الحمامات فيها فلقد بنى الناصر صلاح اللدين بجوار خنقاه سعيد السعداء حمام عرفت بحمام الصوفية ،وجعله وقفا على المتصوفة القاطنين بهذه الخنقاه[(٩)]

---

(١) المقريزى : ن . م . س ويدل عليها فى العصر الحديث الحوانيت الواقعة تجاه الشرم والجملون ومطهرة الغورى وماخلف ذلك . على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ١٧١/٣ .

(٢) عنه انظر ص ٢١- ٢٢ .

(٣) المقريزى : م . س ٨٩/٢ . ويدل على موقعها فى الوقت الحاضر الحوانيت والوكالة التى تقع فى مواجهة جامع المؤيد . على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ١٣١/٢ .

(٤) ص ١٤٩ - ١٥٠ .

(٥) الاربطة جمع رباط ،وهى فى الأصل منشآت عسكرية يقيم فيها المجاهدون فى سبيل الله ،ثم تحول بمرور الأيام اللى منشآت يقيم فيها المنقطعون للعبادة . حسن الباشا : المدخل للآثار الاسلامية ص ١٦٩ .

(٦) المقريزى : م . س ٩٣/٢ . ولاتوجد عن هذا الرباط أى معلومات يمكن من خلالها تحديد موقعه .

(٧) القلقشندى : صبح الأعشى ٣٦٤/٣ .

(٨) المقريزى : م . س ٤٤٦/٢، ٤٥٤ .

(٩) المقريزى : م . س ٨٥/٢ . ولازالت هذه الحمامات موجودة حتى العصر الحديث وتعرف بحمام سعيد السعداء . على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ٢١٨/٢ .

كذلك بنى القاضى الفاضل حماما تقع بالقرب من قيساريته ،وكان عبارة عن حمامين احدهما للرجال والآخر للنساء (١) . وبنى لؤلؤ الحاجب (٢) حماما أيضا يقع برأس رحبة الابدمرى (٣) .

ونظرا لتزايد الروابط العمرانية بين القاهرة ومنطقة غربى الخليج ،فقد اقتضى انشاء قناطر جديدة على هذا الخليج (٤) لكى تستوعب هذه الروابط،فأنشأ الأمير عز الدين موسك (٥) على هذا الخليج قنطرة عرفت به (٦) .

---

(١) وتعرف فى الوقت الحاضر بحمام السكرية . انظر : على باشا مبارك الخطط التوفيقية ١٢٩/٢ .

(٢) عنه انظر ص ٤٤٦ هامش (١) .

(٣) المقريزى : م . س ٨٥/٢ . ولاتوجد معلومات عن موقع هذا الحمام حديثا .

(٤) ص ٣٣٠ .

(٥) هو الأمير عز الدين موسك (ت ٥٨٤هـ/١١٨٨م) من أقرباء الناصر صلاح الدين كان خيرا ومن حفظة القرآن الكريم محبا لأهل الخير والصلاح المقريزى : الخطط ١٤٧/٢ .

(٦) ن . م . س، جرجى زيدان : تاريخ مصر ٣٣٢/١ . وقد ظلت هذه القنطرة حتى عصر على باشا ويدل عليها فى الوقت الحاضر النقطة التى يتقاطع فيها شارع الموسكى مع شارع الخليج (بورسعيد) مع شارع السكة الجديدة (جوهر القائد) على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ٣٠٩/٢ .

(ج) عمائر تبنى فى مواضع لم تكن توجد بها فى السابق :

كما سبق أن شاهدنا فان انحراف مجرى نهر النيل قد أوجد فى عهد الناصر صلاح الدين الأيوبى ،فرصة كبيرة ومواتية لاستغلال الأراضى المترتبة عن هذا الطرح (١) . ولذلك آخذت بعض عمائر المرافق بالظهور عليها . فبنى عليها المساجد الجامعة ،حيث تذكر المصادر أن القاضى الفاضل بنى فى منشآته التى بنيت على هذه الأراضى (٢) ، مسجدا جامعا (٣) . كذلك بنى هذا الوزير على هذه الأراضى الواقعة على ساحل الفسطاط دار التمر (٤) ، التى كانت عبارة عن ربع (٥) عظيم ،كان به ثلاثة مساجد (٦) ، وخمسة وسبعون منزلا ،وثمانية وخمسون مخزنا واثنا عشر حانوتا ،وغير ذلك من المنشآت . وكان هذا الربع موقوفا على فكاك أسرى المسلمين عند الفرنج (٧) .

---

(١) ص ٣٨٧ - ٣٨٨ .

(٢) عن هذه المنشأة انظر ص ٣٨٨ .

(٣) ولقد اندثر هذا الجامع فى أوائل العصر المماليكى نتيجة للفيضان النهرى . انظر المقريزى : الخطط ٢٦٨/٢ .

(٤) سبق الاشارة الى أنها تدل على صناعة مرتبطة بالتمور. انظر ص ٤٣٦

(٥) الربع مبنى كبير يتكون من عدد كبير من المساكن فى أعلاه وحوانيت فى أسفله . عبدالرحمن زكى : موسوعة مدينة القاهرة ص ١١٥ .

(٦) ابن دقماق : الانتصار ق١/ ٩٠ .

(٧) المقريزى : م . س ٧٨/٢ - ٧٩

(د) عمائر تبنى بدلا من أخرى قديمة :

ومن أوجه النشاط الانشائى ، الذى شهدته القاهرة فى عهد الناصر صلاح الدين الأيوبى ،هو بناء عمائر للمرافق بدلا من أخرى قديمة . ومن أبرز الأمثلة على ذلك المارستان الصلاحى الذى عرف فى العصر المماليكى بالمارستان العتيق (١) . وهو منشأة أمر الناصر صلاح الدين ببنائها عام (٥٧٢هـ/١١٧٦م) (٢) . على أجزاء من القصر الشرقى الكبير، (٣) حيث جرى استغلال بعض قاعات هذا القصر وخزاناته ليتكون منها المارستان ،فقيل انه جعل فى قاعة كتب القرآن الكريم على حيطانها ،وانه لايدخلها شمل أبدا (٤) كذلك يذكر ابن الطوير بأن خزانتى الكتب (٥) والأشربة (٦) جعلتا من جملة مجالس هذا المارستان (٧) .

ولقد زود الناصر صلاح الدين هذا المارستان بما يحتاجه من أطباء

---

(١) عبد العزيز عبد الدايم : الرعاية الطبية فى عصر المماليك ،بحث منشور فى مجلة كلية الآثار ،جامعة القاهرة ، العدد الثانى ١٩٧٧م ، ص ١٦٣ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ١٤١/٩ ، ابو شامة : الروضتين ٦٨٨/٢/١ . وينقل المقريزى عن القاضى الفاضل بأن بنائه كان عام (٥٧٧هـ/١١٧٦م) ، المقريزى : الخطط ٤٠٧/١ .

(٣) على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ٢٣٨/٢ .

(٤) المقريزى : ن . م . س . عبد العزيز عبد الدايم : ن . م . س .

(٥) هذه الخزانة كانت من أجل خزانات الفاطميين ،وكانت تحوى على مئات الألوف من المجلدات فى مختلف العلوم والفنون ،قام الناصر صلاح الدين ببيعها ،وحصل القاضى الفاضل على جملة وافرة منها المقريزى : م . س ٤٠٩/١ .

(٦) كانت هذه الخزانة من جملة خزانات القصر الشرقى ،وكانت تحوى على الأنواع المختلفة من الأشربة والمعاجين والأدوية . المقريزى م . س ٤٢٠/١ .

(٧) المقريزى : م . س ٤٠٩/١، ٤٢٠ ،ويدل على موقعه فى الوقت الحاضر مجموعة المبانى الواقعة خلف دورة المياه بجامع الحسين من الجهة الشمالية الى عطفة القزازين . محمد رمزى : التعليقات فى النجوم الزاهرة ١٠١/٤ ،هامش (٣) ،عبد الرحمن زكى : موسوعة مدينة القاهرة ص ٤٣ - ٤٤ .

ومو ظفين[1] ، وأوقف عليه الأوقاف الجليلة ضمانا لاستمرار العمل به وهى مائتا دينار من أجرة الرباع الديوانية ،وغلات جهاتها الفيوم[2] . هذا علاوة على مطبخ للسكر وحماما يقعان فى الفسطاط[3] .

وعندما زار ابن جبير القاهرة فى تلك الأثناء ،زار هذا المارستان وأشاد به ،حيث يقول فيه : (ومما شاهدناه أيضا من مفاخر هذا السلطان المارستان الذى بمدينة القاهرة ،وهو قصر من القصور الرائقة حسنا واتساعا ،وأبرزه لهذه الفضيلة تأجرا واحتسابا ،وعين قيما من أهل المعرفة ووضع لديه خزائن العقاقير ومكنه من استعمال الأشربة واقامتها على اختلاف أنواعها ،ووضعت فى مقاصير ذلك القصر أسرة يتخذها المرضى مضاجع كاملة الكسى ،وبين يدى ذلك القيم خدمة يتكفلون بتفقد أحوال المرضى بكرة وعشية ،فيقابلون من الأغذية والأشربة بما يليق بهم . وبازاء هذا الموضع موضع مقتطع للنساء المرضى ،ولهن أيضا من يكفلهن ويتصل بالموضعين المذكورين موضع آخر متسع الفناء فيه مقاصير عليها شبابيك الحديد اتخذت محابس للمجانين ،ولهم أيضا من يتفقد فى كل يوم أحوالهم ويقابلهم بما يصلح لها . والسلطان يتطلع هذه الأحوال كلها بالبحث والسؤال ويؤكد فى الاعتناء بها والمثابرة عليها غاية التأكيد)[4].

ومن الواضح أن هذا المارستان بنى بدلا من الفاطمى القديم[5] الذى تحول الى حى سكنى فى تلك الأثناء[6] .

كذلك بنى الناصر صلاح الدين دارا جديدة لضرب النقود[7]، جعلت فى موضع خزانة من خزانات القصر الشرقى كانت تقع بجوار الايوان الكبير[8]

---

(١) المقريزى : الخطط ٤٠٧/١ ،عبدالعزيز عبدالدايم : الرعاية الطبية فى عصر المماليك ص ١٦٣ .

(٢) المقريزى : ن . م . س .

(٣) ابن دقماق : الانتصار ق٤٥/١ ،١٠٤ .

(٤) ابن جبير : الرحلة ص ٢٦ .

(٥) المقريزى : الخطط ٤٠٧/١ ، القلقشندى : صبح الأعشى ٣٦٥/٣ .

(٦) ص ٣٥٧ - ٣٥٨ .

(٧) المقريزى : م . س ٤٤٥/١ .

(٨) المقريزى : م.س ٤٠٦/١ . ولاتوجد معلومات واضحة يمكن من خلالها تحديد موقع هذه الدار على وجه التحديد ،ولعلها تقع فى الأجزاء الشرقية من هذا القصر .

وذلك بدلا من دار الضرب القديمة (١) ،التى تحولت الى حى سكنى فى تلك الأثناء (٢) ٠

ومن الواضح أن تحول خزانة السلاح الفاطمية الى فندق فى عهد الناصر صلاح الدين الأيوبى (٣) ، قد أدى الى انشاء خزانة جديدة للأسلحة ،على أجزاء من القصر الشرقى أيضا (٤) ٠ حيث تقع بجوار دار الضرب الجديدة كان يجرى بها صناعة الأسلحة للجيش الأيوبى (٥) ،ولعل من المفيد أن نذكر أن تغيير موقع باب القنطرة (٦) ، قد أدى الى بناء قنطرة جديدة على الخليج القاهرى بدلا من تلك القديمة (٧) ٠ فعلى الرغم من أن المقريزى يشير أثناء حديثه عن هذه القنطرة ،بأنها ظلت مستعملة منذ العصر الفاطمى حتى عصره (٨) ، مما يوحى بأنه لم يجر بناء أخرى جديدة فى عهد الناصر صلاح الدين الأيوبى ،الا أنه من الواضح أن بناء باب "قنطرة" جديدة يقع الى الجنوب من القديم ،قد أدى الى أن تفقد القنطرة الفاطمية وظيفتها حيث أن السور الصلاحى الذى يتصل بالباب الجديد (٩) ،سيفصل فيما بينها وبين الباب القديم الذى تقع فى مواجهته (١٠) ٠ وبالتالى فمن المؤكد أن قنطرة هذا الباب التى ذكرها المقريزى وأشار الى وجودها فى عصره ،يعود بنائها الى عصر الناصر صلاح الدين الأيوبى حيث لابد أن يبنى أمام الباب الجديد قنطرة أخرى جديدة تصل فيما بينه وبين

---

(١) المقريزى : م ٠ س ٤٤٥/١ ٠

(٢) ص ٣٥٨ ٠

(٣) ص ٤٩٤ ٠

(٤) المقريزى : م ٠ س ٤٠٧/١ ٠

(٥) القلقشندى – صبح الأعشى ١٢/٤ ٠

(٦) سبقت الاشارة الى أن الناصر صلاح الدين بنى فى هذه الناحية بابا جديدا بدلا من الفاطمى القديم ٠ انظر ص

(٧) بنى هذه القنطرة جوهر القائد بانى القاهرة ليتسنى العبور عليها نحو البر الغربى للخليج ،حيث المقس وغير ذلك ٠ انظر المقريزى م ٠ س ١٤٧/٢ ٠

(٨) المقريزى : الخطط ١٤٧/٢ ٠

(٩) عن هذا السور انظر ص ٤٨٧ وخريطة رقم

(١٠) على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ٢٧٢/٣ ٠

بر الخليج الغربى[1] .

---

(١) وبما أن هذا الباب كان يقع على رأس شارع مرجوش فمن الواضح أن موقع هذه القنطرة يدل عليه تقاطع هذا الشارع مع شارع الخليج (بور سعيد) . انظر ص ٤٩١ ، هاشم (٤) .

(هـ) عمائر تم تجديد عمارتها :

ونظرا لما عهده أواخر العصر الفاطمى من سيادة للفوضى والاضطراب [(١)] وظهور التدخلات الأجنبية ،ممثلة فى أطماع الصليبيين فى مصر [(٢)] ، وما ارتبط بكل ذلك من حروب وصراعات ،ترتب عنها أن تعرضت العديد من المنشآت والعمائر فى القاهرة الكبرى للتلف والتخريب ،حيث شهدعصر الناصر صلاح الدين القيام بتجديد عمارة العديد منها • ومن أبرز العمائر التى تم تجديد عمارتها فى تلك الأثناء المساجد الجامعة ،ففى عام (٥٦٨هـ/١١٧٢م) قام الصلاح بتجديد عمارة جامع عمرو بن العاص (الجامع العتيق) [(٣)] فجدد بناء هذا الجامع ومحرابه الكبير ،وغطاه بالرخام ،كذلك قام بتجديد بياض أجزاءه الأخرى ،وأصلح رخامها [(٤)] • ومن الواضح أن هذه الاصلاحات كانت بسبب ماتعرض له الجامع من التلف والتخريب نتيجة حريق الفسطاط عام (٥٦٤هـ/١١٦٨م) [(٥)] • كذلك قام الناصر صلاح الدين فى عام (٥٦٦هـ/١١٧٠م) بتجديد عمارة سور القاهرة القديم [(٦)] ، الذى كان فى حالة يرثى لها ،حيث لم يعد يرد داخلا ولايمنع خارجا [(٧)] • ومن الواضح أن الصراعات التى سادت فى أواخر العصر الفاطمى قد ادت به الى هذه الحال ،حيث كلما نشب قتال تعرض هذا السور للتلف والتخريب ،ففى عام (٥٥٩هـ/١١٦٣م) تهدمت

---

(١) ص ٢١٢ - ٢١٣ •

(٢) ص ١٨٩ - ٢٠٦ •

(٣) ابن دقماق : الانتصار ٦٩/١، أحمد فكرى : مساجد القاهرة ومدارسها ٧/٢ • وهذا الجامع أقدم مساجد مصر ،بناه عمرو بن العاص رضى الله عنه عشية تأسيس الفسطاط • المقريزى : الخطط ٢٤٦/٢ •

(٤) كذلك زود الناصر صلاح الدين هذا الجامع ببعض الاضافات • انظر ابن دقماق : ن • م • س •

(٥) المقريزى : الخطط ٢٥١/٢ •

(٦) أبو شامة : الروضتين ٤٨٨/١ ، نظيرسعداوى : التاريخ الحربي المصرى ص ٢٢ ، أحمد فكرى : مساجد القاهرة ٧/٢، كازانوفا : القلعة ص ٥٨ •

(٧) أبو شامة : ن • م • س •

أجزاء من سور المدينة الغربى ،نتيجة القتال الذى نشب بين أسد الدين شيركوه والوزير الفاطمى شاور[(١)] .

ومن المؤكد أنه قد تم فى تلك الأثناء تجديد عمارة دار صناعة السفن فى الفسطاط[(٢)] . اذ يذكر المقريزى أنها ظلت " ... عامرة الى ماقبل سنة سبعمائة ..."[(٣)] . فى حين أن من المؤكد أن هذه الدار قد تعرضت للتلف فى حريق الفسطاط عام (٥٦٤هـ/١١٦٨م) كما حدث لغيرها من المنشآت .

ومن الواضح أن المارستان الذى كان يوجد فى الفسطاط فى عهد الناصر صلاح الدين الأيوبى[(٤)] ، انما هو مارستانها القديم جرى اعادة عمارته فى تلك الأثناء،كما يشير الى ذلك القاضى الفاضل حيث يقول :(... كذلك بمصر أمر بفتح مارستانها القديم ..)[(٥)]، مما يشير الى أنه كان مغلقا وذلك بسبب تعرضه للتلف نتيجة حريق الفسطاط على الأرجح .

---

(١) المقريزى : اتعاظ الحنفاء ٢٧٦/٢ .

(٢) أسست هذه الدار عام (٣٢٥هـ/٩٣٦م) المقريزى : الخطط ١٩٧/٣ .
ولاتوجد معلومات تحدد موقعها فى الوقت الحاضر .

(٣) ن ٠م ٠ س ٠

(٤) ابن جبير : الرحلة ص ٢٦ .

(٥) المقريزى : م ٠ س ٤٠٧/١،لاتوجد معلومات عن هذا المارستان وموقعه .

الفصل الرابع

الأوضاع السكانية

اذا كانت المدينة - كوحدة مادية - تعتبر مجموعة من المنشآت والمبانى الكثيرة العدد،والمتآزرة فيما بينها بطريقة تكاملية،لتحقق وحدة المضمون • فان المدينة تعتبر أيضا تجمعا بشريا ضخما يشكل التآزر بين أفراد هذا التجمع الوجه الحضارى والانسانى للمدينة • لذلك فان دراسة الأوضاع السكانية تعكس المظاهر الأساسية التى يمكن من خلالها التعرف على مجالات النشاط العمرانى فى المدينة بشكل عام •

وعلى الرغم من أهمية البيانات الاحصائية لدراسة هذا الجانب ،فان عدم توفرها - بشكل وافى - لم يكن حائلا دون تقديم بعض التصورات الجيدة نظرا لما تقدمه المصادر من نصوص يمكن توظيفها فى الكشف عن العديد من الجوانب •

والحقيقة فان القاهرة الكبرى التى شهدت فى تلك الفترة تغيرات عمرانية متعددة الجوانب ،لم تستطع أن تحافظ على أوضاعها السكانية التى كانت سائدة ابان حكم الفاطميين ،حيث طرق هذا الجانب العديد من أوجه التغير السكانى ،بشكل غير جذريا من بنيتها السابقة ،ومن أبرز هذه المتغيرات :

(أ) التغير السكانى وتشجيع الهجرات السكانية :

لقد حصل فى عهد الناصر صلاح الدين الأيوبى تغيرا كبيرا فى الأوضاع السكانية للقاهرة ،فلقد مارس الناصر سياسة محددة استهدفت احلال عناصر سكانية محل أخرى • فقد التزمت الدولة الصلاحية بسياسة ابعاد عناصر الشيعة الفاطمية من مدينة القاهرة هدفها الى نفيهم خارجها [١] • ويشير الى ذلك احدى رسائل القاضى الفاضل حيث يقول : (••••• فأخرجناهم من القاهرة ،تارة بالأوامر المرهقة لهم ،وتارة بالأمور الفاضحة منهم،وطورا بالسيوف المجردة [٢]) • وعلى الرغم من أن المصادر

---

(١) أبو شامة : الروضتين ٥٦٥/٢/١ •

(٢) أبو شامة : م • س ٦١٩/٢/١ •

لاتقدم تفاصيل الخطة الصلاحية ،فان من المؤكد أنها تمت على مراحل (١) كما أنها تأثرت الى حد بعيد بمواقف شيعة الفاطميين من الناصر صلاح الدين ورجاله . اذ أن ثورة العبيد السودان (٥٦٤هـ/١١٦٨م) قد أسهمت فى أن يقرر السلطان صلاح الدين الأيوبى التخلص من جزء كبير من أتباع الفاطميين وشيعتهم ،وعلى الأخص أولئك الذين اشتركوا فى الثورة ،وكانت النتيجة أنهم أخرجوا من المدينة وشردوا ومزقوا كل ممزق (٢) ، ومن الواضح أنه بعد أن تمكن الناصر من القضاء على الخلافة الفاطمية فى عام (٥٦٧هـ/١١٧١م) (٣) فانه قام بالتخلص من بعض أتباع الفاطميين أيضا . فتذكر المصادر أن رجال الناصر قاموا فى الأيام الأولى لتسلمه السلطة العليا بالاستيلاء على دور من ينتمى الى الدولة البائدة ،حتى بلغ الحال بأنصاره أن صار كل من استحسن منهم دارا من أملاك أتباع الفاطميين وأشياعهم،أخرج منها سكانها واستوطن بها (٤) وذلك يشير الى تهجير أصحاب تلك الدور غالبا الى خارج المدينة ويبدو أن ذروة اجراءات التهجير هذه قد تمت فى عام (٥٦٩هـ/١١٧٣م) بعد أن اكتشف الناصر صلاح الدين الأيوبى فى تلك السنة مؤامرة استهدفت تقويض أركان حكمه ،واعادة حكم الفاطميين (٥) ، الأمر الذى دفع السلطة الى اتباع سياسة حازمة استهدفت اخراج أتباع الفاطميين من الأجناد ومن تولى مسئوليات الحشم والخدمة فى القصر السلطانى ،حيث تم اقصاء المبعدين الى أقصى بلاد الصعيد جنوبى مصر (٦) . ومن الواضح أن الاجراء الأخير قد قضى وبشكل نهائى على وجود تجمعات سكانية كبيرة للشيعة فى القاهرة ،وكان هذا الاجراء هو آخر الاجراءات التى تذكرها المصادر فى هذا الصدد .

---

(١) أبو شامة : م . س ٤٥٦/٢/١ .
(٢) عن هذه الثورة انظر ص ٢١٤ - ٢١٥ .
(٣) ابن الأثير : الكامل ١٠٣/٩ - ١٠٤،أبو شامة : م س ٤٥٢/٢/١،المقريزى الخطط ٣/٢،بول كازانوفا : قلعة الجبل ص ٣١ .
(٤) أبو شامة : م . س ، ٥٠٧/٢/١،البندارى : سنا البرق الشامى ص ٦٠ ، المقريزى : م.س ،٤٩٦/١،عبد الرحمن زكى : القاهرة ص ٢٩ .
(٥) عن هذه المؤامرة انظر ص ٢١٢ - ٢١٦ .
(٦) أبو شامة : م . س ٥٦٥/٢/١،المقريزى : السلوك ٥٤/١/١ .

بيد أن هذه الاجراءات لم تؤد الى القضاء التام على وجود أتباع الفاطميين فى القاهرة ،بل استمر وجود بعضهم فى القاهرة خلال عهد الناصر صلاح الدين الأيوبى ، اذ أن استمرار المظاهر الشيعية فى المدينة فى تلك الأثناء (١)، علاوة على استمرار الوجود الرمزى لبعض الأحياء فيها والتى تعود الى عهد الفاطميين (٢)،نتيجة عدم تغير عناصرها السكانية يعتبر من أبرز الدلائل على بقاء بعض العناصر الشيعية فى هذه المدينة فى عهد الدولة الصلاحية •

ولكى تتواصل عملية التغير السكانى فلقد حرص الناصر صلاح الدين الأيوبى ،على تشجيع الهجرات السكانية الى مصر بشكل عام ،وكان أول من قدم الى مصر من خارجها الأجناد والعسكريون،وأول من استوطن مصر من هذه الفئة العسكر الشامى الذى قدم الى مصر تحت قيادة أسد الدين شيركوه (٣) فى عام (٥٦٤هـ/١١٦٨م) فقد استلطف الأجناد طبيعة مصر وارتاحوا لسكناها (٤) • ومن الواضح أن استقدام الأجناد من خارج مصر هى ظاهرة قد استمرت وتواصلت مع تنامى القوة السياسية والعسكرية للدولة الصلاحية حيث قام الناصر صلاح الدين الأيوبى باستحداث جيش جل عناصره من الأكراد والأتراك على وجه الخصوص (٥)، ليكونوا قوة بديلة عن الجيش الفاطمى وذلك ما أشار اليه ابن الياس فى قوله : " فلما انفرد صلاح الدين يوسف بملك مصر والشام أزال ماكان بمصر من العساكر الملفقة ،وكان امابين صقالبة ومصامدة وأرمن وشناترة العرب ،ومشانفة العبيد الزنج،فمحا هذه الطوائف كلها،واستجد بمصر عساكرا من الأكراد خاصة ،فكان عدتهم اثنى عشر الفا من شجعان الكرد" (٦) • وبالاضافة الى الأجناد والعسكريين فلقد قدم الى مصر فى عهد الناصر صلاح الدين الأيوبى ،عدد كبير من الناس

---

(١) ص ١٣٥ •
(٢) ص ٤٠٢ •
(٣) عنه انظر ص ٢١ هامش (٥) •
(٤) أبو شامة : الروضتين ٤٣٥/٢/١ •
(٥) المقريزى : الخطط ٩٤/١ •
(٦) ابنى الياس : بدائع الزهور ٢٤٢/١/١،وانظر أيضا حسن ابراهيم حسن وعلى ابراهيم حسن : النظم الاسلامية ص ٢٠٦ •

بفئاتهم المختلفة ومن المناطق المختلفة (١)، فعندما قدم والد الناصر وأقربائه الى مصر عام (٥٦٥هـ/١١٦٩م) وفد معهم عدد كبير من التجار (٢) أضف الى ذلك فقد كان لاهتمام الناصر صلاح الدين بالعلم والعلماء (٣) أكبر الأثر فى تشجيع الهجرة الى مصر ،اذ أن رعاية التعليم وتشجيعه من عوامل الجذب السكانى المؤثرة (٤) • خاصة وأن الناصر صلاح الدين الأيوبى ،كان كلما سمع بعالم ذائع الصيت زين له نزول بلاده (٥)، علاوة على رعايته لطلاب العلم عن طريق اسكانهم والانفاق عليهم (٦) الأمر الذى دفعهم نحو الهجرة الى مصر وطلب الاستقرار بها ،خلال تلك المرحلة • ويذكر ابن جبير أثناء حديثه عن الاسكندرية (٧) بأن بها طلابا للعلم "... يفدون من الأقطار النائية فيلقى كل واحد منهم مسكنا يأوى اليه ومدرسا يعلمه الفن الذى يريد تعلمه واجراء يقوم به فى جميع أحواله" (٨) • كما أنه يشير الى العدد الكبير من طلاب العلم الذين سكنوا فى القرافة (٩) والذين كان أغلبهم من الغرباء الذين وفدوا الى مصر نظرا لازدياد مكانتها العلمية بين أقطار ديار الاسلام خلال فترة البحث (١٠) • وهو يذكر أثناء حديثه عن جامع ابن طولون بأن فيه عددا كبيرا من المغاربة الذين تفرغوا لطلب العلم والعبادة على حد تعبيره (١١) • وبالاضافة الى الرحلة فى طلب العلم ،فلقد وفد الى مصر عدد كبير من المتصوفة (١٢)، الذين شجعهم

---

(١) ابن شداد : النوادر السلطانية ص٤٠، ابن خلكان : وفيات الأعيان ١٥٢/٧، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٥/٦ •

(٢) ص ١٨

(٣) عن هذه الرعاية انظر ص ١٤١ - ١٤٦.

(٤) نيكيتا اليسييف : التخطيط المادى ضمن كتاب المدينة الاسلامية ص ١٠١، محمد الغريب : سسيولوجيا السكان ، الاسكندرية ، ١٩٨٢م ، ص ٢٤٩- ٢٥٠ •

(٥) أحمد بدوى : الحياة العقلية ص ٣١٠ •

(٦) ص ١٤٤ - ١٤٥.

(٧) عنها انظر ص ٢٠٠ هامش (٧).

(٨) ابن جبير : الرحلة ص ١٥ •

(٩) عن القرافة انظر ص ٤٦١- ٤٦٤.

(١٠) ابن جبير : م • س ص ٢٤ •

(١١) ابن جبير : م • س ص ٢٦ - ٢٧ •

(١٢) ابن خلكان : م • س ، ١٥٢/٧، ابن تغرى بردى : م• س ، ١٥/٦.

الناصر صلاح الدين على الهجرة الى مصر وفتح أبوابها لهم[(١)] .

ومن الواضح أن مثل هذا التدفق البشرى يعكس مدى اهتمام السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبى بزيادة المحتوى السكانى للاقليم المصرى بشكل عام ،وللقاهرة بشكل خاص . لذلك فلقد حرص على الاهتمام بالوافدين الى مصر[(٢)] ، فأنفق عليهم الأموال وخصص لهم المساكن وأعانهم بما يلزمهم من وسائل الرعاية الأخرى وذلك مايشير اليه ابن جبير فى ثنايا حديثه عن الوافدين الى الاسكندرية خلال فترة البحث[(٣)] . ومما هو جدير بالذكر فى هذا المجال أن خان السبيل الذى بنى فى تلك الفترة[(٤)] ، انما بنى ليكون مأوى للمسافرين بغير أجرة[(٥)] . مما يشير الى تشجيع السفر والانتقال الى مصر . وكذلك كان الحال بالنسبة لخانكاه سعيد السعداء[(٦)] ،التى جعلها السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبى " .. برسم الفقراء الصوفية الواردين من البلاد الشاسعة ..."[(٧)] . ولقد ترتب على هذا الاهتمام زيادة الكثافة السكانية فى مصر عن طريق هذه الهجرة ،اذ أخذت بعض المراكز العمرانية بالظهور فى تلك الأثناء،فمدينة الأقصر[(٨)] ،قد بدأت بالظهور

فى عهد الناصر صلاح الدين الأيوبى نتيجة هجرة بعض العلماء ورجال الصوفية واستقرارهم فى موضعها[(٩)] . ومن المرجح أن تكون الزيادة الحاصلة فى أعداد القرى والتى تضاعف عددها فى تلك الأثناء[(١٠)] ،انما قد حصلت نتيجة الهجرات السكانية . ولاشك فى أن الأمر ينطبق على القاهرة

---

(١) محمد محمد أمين : الأوقاف والحياة الاجتماعية ص ٦٦ .
(٢) عبدالرحمن زكى : القاهرة ص ٧١ .
(٣) ابن جبير : الرحلة ص ١٥ - ١٦ .
(٤) عن ذلك وعن هذا الخان انظر ص ٤٩٣ - ٤٩٤ .
(٥) الخاصكى : التحفة الفاخرة لوحة ٨٨ البكرى : قطف الأزهار لوحة ١١٢ .
(٦) عنها انظر ص ٤٨٢ - ٤٨٣ .
(٧) المقريزى : الخطط ٤١٥/٢ .
(٨) الأقصر : جمع قصر ،مدينة على شاطئ النيل الشرقى فى الصعيد كان فى موضعها فى القديم مجموعة قصور تعود الى ماقبل الاسلام . ياقوت : معجم البلدان ٢٣٧/١ .
(٩) محمد عبده الحاجى : الأقصر فى العصر الاسلامى (دراسة تاريخية) القاهرة ١٩٧٨م ،ص ٢٠ - ٢١ .
(١٠) ص ٢٣٢ .

ولعل أبرز مايشير الى ذلك مالوحظ من تنامى عدد الجيش الأيوبى عنه عما كان عليه الجيش فى أواخر العصر الفاطمى ،ففى عهد العزيز بالله عثمان (١) ابن صلاح الدين ايوبى كان اذا اجتمع أفراد الجيش خارج القاهرة للعرض ،فان عددهم يبلغ مايزيد عن مائتى ألف رجل ،فى حين انهم فى عهد الناصر صلاح الدين الأيوبى كانوا أكثر من ذلك كما يذكر المقريزى (٢) ... بينما بلغ عدد أفراد الجيش فى أواخر عهد الفاطميين ستة وسبعين ألف رجل (٣) .

ان تنامى العدد السكانى للقاهرة فى عهد الناصر صلاح الدين الأيوبى ،يتناقض تماما مع ماكان عليه الحال فى عهد الفاطميين حيث شهد أواخر عهدهم تناقصا فى العدد السكانى للمدينة ،حيث فتكت الاضطرابات التى سادت فى تلك الفترة (٤) بعدد كبير من سكان المدينة (٥) هذا علاوة على دورها فى دفع عدد آخر نحو الهجرة من المدينة نتيجة سيادة الفوضى وانعدام الأمن ،ففى عام (٤٩٣هـ/١٠٩٩م) هاجر من مصر والشام عدد لايحصى من سكانها نتيجة الغلاء والغزو الصليبى (٦) .

---

(١) عنه انظر ص ٣٨٥ هامش (٣) .

(٢) وكان هذا الجيش يقسم على أساس أن يكون هناك عدد من الفرسان يتبع كل واحد منهم عدد من الأتباع فمنهم من يتبعه العشرة ومنهم العشرون حتى المائة . المقريزى : الخطط ٩٤/١ - ٩٥ .

(٣) المقريزى : م . س ٩٤/١ .

(٤) ص ٢١١ - ٢١٢ .

(٥) ص ٢١٢ - ٢١٣ .

(٦) المقريزى : اتعاظ الحنفاء ٢٥/٣ .

(ب) توزيع الكثافات السكانية :

تعرض توزيع الكثافات السكانية فى القاهرة الكبرى فى عهد الناصر صلاح الدين الأيوبى للعديد من المتغيرات التى أثرت على بنيته الى حد بعيد،وبشكل خالف ماكان عليه الحال فى عهد العبيديين ،فقد انتقلت مراكز التكتل السكانى فى عهد الناصر من مواقع الى مواقع أخرى . ومن الواضح أن القاهرة قد غدت فى تلك المرحلة أهم مراكز الثقل السكانى فقد تركزت فيها أعداد كبيرة من البشر بشكل يفوق كثيرا ماكان عليه الحال فى الفسطاط،ويذكر ابن سعيد أن القاهرة فى وقته كانت أكثر زحمة من الفسطاط (١) . وهو مظهر لاشك أن القاهرة قد اكتسبته من عهد الناصر صلاح الدين الأيوبى ،اذ أن الكثير من المواضع الخالية من البناء والمنشآت المتعددة الأغراض قد أخذت بالتحول الى أحياء سكنية فى العصر الأيوبى (٢) ، كنتيجة طبيعية لزيادة الكثافات السكانية فى القاهرة ولاشك فى أن تلك الزيادة قد أسهم فيها سياسة السلطان الناصر التى تمثلت فى اباحة سكناها لمختلف الطوائف (٣) ، خاصة وأنه من المؤكد أن الكثير من أهل الفسطاط سيجدون فى ذلك فرصة للانتقال للقاهرة اذ أن هؤلاء تحول الكثير منهم نحوها نتيجة حريق شاور لمدينتهم عام (٥٦٤هـ/١١٦٨م) حيث اضطروا الى اللجوء اليها،وانطرحوا بأهليهم وعيالهم فى المساجد والشوارع والأزقة والحمامات (٤) . وعلى الرغم من أن المصادر تذكر بأن استقرار الأوضاع على يد بنى أيوب قد أدى الى أن يعود هؤلاء الى مدينتهم (٥) بشكل تدريجى كما يذكر المقريزى (٦) ،فان ذلك لايعنى انهم جميعا قد عادوا الى الفسطاط ،ولاشك بأن هناك من بقى منهم فى القاهرة ،حيث يذكر القلقشندى بأن ذلك الحريق قد أدى لأن يكثر الخلو

---

(١) ابن سعيد الأندلسى ـ الاغتباط فى حلى الفسطاط ص ١١

(٢) ص ٣٤٢ - ٣٨٥ .

(٣) ص ٥١٧ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ٩٩/٩، المقريزى : اتعاظ الحنفاء ٢٩٦/٣، الخطط ٣٣٩/١ .

(٥) البندارى : سنا البرق الشامى ص ٤١، نظير حسان سعداوى : التاريخ الحربي المصرى ، ص ١٤ .

(٦) المقريزى : م.س ، ٣٣٩/١، ٢٥١/٢ .

من الفسطاط ويتزايد انتقال السكان منها (١)، وهو انتقال كان لصالح القاهرة (٢).

ان مظهر التغير هذا فى توزيع الكثافات السكانية يعكس انقلابا حقيقيا لما كان عليه الحال فى عهد الفاطميين ،حيث كانت الكثافة السكانية فى الفسطاط أكثر منها فى القاهرة ،فقد ذكر الطبيب أبو الحسن ابن رضوان (ت ٤٥٣هـ/١٠٦١م)، بأن الفسطاط كانت فى وقته أكثر سكانا من القاهرة (٣). ويبدو أن الفاطميين كانوا يحرصون على أن يكون عدد سكان القاهرة محدودا وذلك ماتعكسه النصوص التى تذكر بأنه كان بامكان رعيتهم فيها الاجتماع بأكملهم بالخليفة بالايوان بقصره الكبير (٤) وعلى الرغم من أن القاهرة الفاطمية قد زيد فى مساحتها على يد الوزير الفاطمى بدر الجمالى (٥)، فان تلك التوسعة كانت محدودة (٦)،ولاتعتبر مؤشرا قويا على تزايد السكنى بالقاهرة بشكل يفوق مستوى الكثافة السكانية التى كانت فى الفسطاط ،اذ لاتقدم المصادر نصوصا تفيد بذلك (٧)

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ٧٣٤/٣ .

(٢) القلقشندى : م . س ٣٦٦/٣،

(٣) نقلا عن المقريزى : الخطط ٣٦٥/١ .

(٤) المسبحى : أخبار مصر ص ٤٤ .

(٥) عنه انظر ص ٣٠٣ ،هامش (٣).

(٦) يستفاد مما ذكره المقريزى عن أسوار القاهرة الفاطمية بأن بدر الجمالى قد أقام توسعة لأسوار المدينة عام (٤٨٠هـ/١٠٨٧م) يذكر أحمد فكرى بأنها كانت تمتد من الناحية الشمالية والجنوبية بمقدار مائة وخمسين مترا تقريبا . وان كان من الواضح أن بدر الجمالى قد أجرى توسعة من الناحية الشرقية كما يدل على ذلك باب التوفيق الذى بنى فى هذه الجهة على يد الوزير المذكور بيد أنه يصعب تحديد مقدار هذه التوسعة لعدم وجود نصوص تاريخية أو مخلفات أثرية للسور من هذه الجهة . انظر : المقريزى : م . س ٣٧٩/١ ،أحمد فكرى : مساجد القاهرة ومدارسها ٢٤/١،عبد الرحمن زكى : موسوعة القاهرة ص ١٩ - ٢٠،القاهرة ص ١٤ - ١٥ .

Creswell , The Muslim Architecture of Egypt, p. 23.

(٧) يذكر عبد الرحمن فهمى بأن القاهرة والمناطق المحيطة بها كانت فى أواخر العصر الفاطمى أكثر سكانا من الفسطاط وذلك بناء لما حدث فى عهد الآمر بأحكام الله العبيدى (٤٩٥ - ٥٢٤هـ/١١٠٢ - ١١٣٠م)، الذى أمر بأن تعمر المواضع الواقعة جنوبى القاهرة من باب الصفا

وبالاضافة الى التغير فى توزيع الكثافة بطريقة تبادلية فيما بين الفسطاط والقاهرة ،فان هناك مواضع آخرى من المدينة الكبرى تعرضت البنية السكانية فيها للتغير سواء بالزيادة أو النقصان • فمن الواضح أن التراجع السكانى فى الفسطاط كان أثره كبيرا على بعض أجزائها فقط ،حيث تناقص مقدار الكثافة السكانية فى أجزائها الجنوبية الشرقية التى تحولت الى أكوام فى تلك الأثناء(١)، ويذكر القلقشندى بأنه يسكن أطرافها رعاع الناس ولاتعد من العامر(٢)، مما يشير الى تراجع مستوى الكثافات السكانية فيها(٣) • فى حين أن المناطق الواقعة على شاطىء النيل أصبحت منطقة جذب للنشاط السكنى ،نتيجة تزايد فرص البناء عليها فى تلك الفترة(٤) • فأخذت الأحياء السكنية بالظهور على ساحل الفسطاط(٥) • وغربى الخليج ،خاصة ناحية المقس التى اتصلت مبانيها بالقاهرة(٦) ، مما يعكس تزايد النشاط السكنى فى تلك المناطق ، وبالتالى تزايد المحتوى البشرى فيها(٧) •

= الى الباب الجديد،حسن الباشا وآخرون : القاهرة ص ٥٥ • بيد أنه من الواضح أن هذه الأحياء كانت تعتبر من جملة الفسطاط وليس القاهرة ،بحيث انها بنيت على أجزاء من القطائع والعسكر كما سبق أن ذكرنا • انظر ص ٣١٧-٣١٨.

(١) ص ٣١٠ •

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ٣٣٤/٣ •

(٣) انظر خريطة رقم (٦/٦٤ب).

(٤) ص ٣٨٧ •

(٥) ص ٣٩٤ وخريطة رقم (٩)

(٦) ص ٣٨٦ وخريطة رقم (٩)

(٧) خريطة رقم (٧/٦٤ب).

(ج) التوزيع الاجتماعى :

تتكون المجتمعات الانسانية بشكل عام من فئات اجتماعية تمتلك كل واحدة منها بعض الخصائص التى تميزها عن الفئات الأخرى (١) . وهذه الخصائص هى الوسيلة الأساسية التى يمكن من خلالها تصنيف الفئات المختلفة (٢) ويعد وجود هذه الفئات أمرا ضروريا فى المجتمعات الانسانية، حيث أن التفاعل الحضرى بين أفراد هذه المجتمعات يقتضى أن يسخر بعضه بعضا، كل يتعامل مع الآخر بحسب امكانياته المتاحة ووسائله المتوفرة (٣) وحيث أن مجتمع المدينة هو مجتمع صغير ضمن المجتمع الكبير، فلاشك بأن تكوينها السكانى قد تأثر بالنواحى المهنية والطبقية (٤)، ولذلك يلاحظ بعض علماء الاجتماع الحضرى بأن الأسس الاقتصادية تلعب دورا فى توزيع السكنى فى المدينة، حيث يميل أصحاب الثراء الى السكنى بجوار بعضهم البعض، وكذلك الحال بالنسبة للفقراء (٥) . بيد أن هذا الأساس فى التوزيع السكانى لاينطبق بشكل دائم على المدينة الاسلامية ففى بعض المدن الاسلامية جرى توزيع السكنى فيها على أساس الانتماء القبلى، كما حدث فى مدن الفتح فى مراحلها الأولى، حيث قسرت السكنى فى أرباعها بناء على هذا الاعتبار (٦) . بينما نجد أن الاعتبار الدينى والسياسى قد أسهم أيضا فى توزيع السكنى فى المدينة، كما حدث فى القاهرة الكبرى فى العصر الفاطمى، فلقد جرى فى تلك الأثناء الأخذ بنظر الاعتبار مسألة الانتماء المذهبى والسياسى لتوزيع مواضع السكنى فيها (٧)، لذلك فانه بالامكان القول بأن توزيع الفئات الاجتماعية فى

---

(١) اسماعيل حسن عبدالبارى : الديمجرافيا الاجتماعية ، القاهرة ط الأولى، ١٩٨٣م، ص ١٦١ .

(٢) ن . م . س .

(٣) قال تعالى : " ورفعنا بعضهم فوق بعض ليتخذ بعضهم بعضا سخريا" . سورة الزخرف آية ٣٢ .

(٤) اسماعيل حسن عبدالبارى : م . س ص ١٢٢ .

(٥) عبدالمنعم شوقى : مجتمع المدينة ص ١٣٣ .

(٦) ص ٧٥ .

(٧) انظر مايلي .

المدينة الاسلامية ،كان يخضع للمبادىء والمفاهيم الاجتماعية التى ينظر من خلالها الى تلك الفئات ،وعليه فان دراسة المبادىء والمفاهيم الاجتماعية التى ينظر من خلالها الى الفئات يعد أمرا ضروريا يمكن من خلاله فهم طبيعة التوزيع الطبقى والحرفى وماطرأ عليه من تحولات فى عهد الناصر صلاح الدين الأيوبى . بيد أن الصورة لاتكتمل الا اذا استطعنا أن نستوعب طبيعة هذا التوزيع فى العصر الفاطمى . والتى من خلالها يمكن التعرف على التغيرات التى طرأت على هذا التوزيع فى عهد الناصر صلاح الدين الأيوبى .

لقد قام توزيع السكنى للفئات الاجتماعية فى العصر الفاطمى على أسس مختلفة الجوانب يعبر بعضها عن وجود نظرة طبقية فى التوزيع السكنى لهذه الفئات . فالولاء السياسى كان من العناصر الرئيسة التى حددت المواضع التى تسكن بها بعض الفئات الاجتماعية . اذ أن القاهرة الفاطمية كانت فى تلك الأثناء مدينة ملكية (١)، يسكنها الخليفة وحرمه وخواصه وجنده (٢). فى حين أن الفسطاط كانت موضع سكنى الرعية (٣)، الذين كان لايجوز لهم سكنى القاهرة (٤)، وكان يحق لمن يعمل فيها أن يدخلها نهارا ويعود منها الى الفسطاط مساء (٥). ولقد لعب الانتماء المذهبى دورا مهما فى توزيع سكنى الفئات الاجتماعية ،فكانت هناك مناطق فى المدينة الكبرى يسكنها الشيعة الفاطمية أو العلوية ،أو يغلب على سكانها بأنهم من أتباع المذهب المذكور . فمن الواضح بأن الجزء الشرقى من الفسطاط والذى يقع ناحية الجبل كان سكانه من الشيعة ،فقد ذكر المقدسى أن القسم العلوى من قصبة الفسطاط كانوا من الشيعة (٦)، ولاشك فى

---

(١) حسن الباشا وآخرون : القاهرة ص ٢٩ ،عبد الفتاح وهبة : جغرافية العمران ص ٢٦٥ .

(٢) المقريزى : الخطط ٣٦٤/١،عبد الفتاح وهبة : ن . م . س .

(٣) المقريزى : م . س ٢٨٦/١ .

(٤) الأمين عوض الله : الحياة الاجتماعية ص ٢٣ .

(٥) ن . م . س .

(٦) المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٢٠٢ .

أن غالبية سكان القاهرة الفاطمية كانوا من الشيعة أيضا[(١)] .

ان هذه الأسس يمكن اعتبارها الأسس الرئيسة التى شكلت الاطار العام لتوزيع السكنى فى المدينة الكبرى فى العصر الفاطمى والذى كانت تقع فى داخله أسس توزيع الفئات الاجتماعية التى كان يغلب عليها الانتماء الاجتماعى ،ذلك أن حارات القاهرة كان معظم سكانها يتألف من فئات ذات انتماء قبلى واحد[(٢)] .

أما عهد الناصر صلاح الدين الأيوبى فقد كان مرحلة تحول فى توزيع السكنى للفئات الاجتماعية المختلفة . فالناصر صلاح الدين كان شديد التمسك بالمبادىء والقيم الدينية الصحيحة[(٣)] ، وهى مبادىء كانت تحث على المساواة بين أفراد المجتمع الاسلامى[(٤)] . الأمر الذى انعكس على النظرة الموجهة نحو الفئات الاجتماعية التى كانت تقطن المدينة الكبرى فى تلك الأثناء . ولذلك فلقد حرص السلطان الناصر على دمج الفئات فيما بين بعضها البعض ،فأباح القاهرة لسكنى عامة الناس على اختلاف طبقاتهم وفئاتهم[(٥)] . حيث ان حرية السكنى كانت متاحة فى كافة أجزاء المدينة الكبرى ،وكان يحق لمن شاء من المواطنين والوافدين فى بداية الأمر أن يسكن حيث شاء . لذلك فلقد وجدت بعض الفئات الاجتماعية فى تغير السياسة السكانية للدولة فرصة مناسبة لها للسكنى فى بعض المواضع التى كان يحرم عليها السكنى فيها فى العصر الفاطمى . فالمنطقة الواقعة جنوب باب زويلة ،اشتهرت بسكن فئات من العلماء وعلى الأخص المحدثين

---

(١) هذا بالاضافة الى وجود عناصر من أهل الذمة كالنصارى الذين كانوا يقطنون فى حارة الروم . انظر ص ٤٠٢

(٢) ص ٣٣٤ .

(٣) ص ١٣٦ .

(٤) محمد محمود فرغلى : البيئة الادارية فى الجاهلية وصدر الاسلام مكة المكرمة ،١٤٠٢هـ ص ١٤٤ - ١٤٦ .

(٥) المقريزى : الخطط ٣٦٤/١،حسن الباشا وآخرون : القاهرة ص ٥٧ ،عبد الفتاح وهبة : جغرافية العمران ص ٢٦٥ .

ويذكر الزبيدى أثناء حديثه عن شارع باب زويلة (١) بأنه قد نسب اليه جماعة من المحدثين (٢) ، وهذه الظاهرة قد ابتدأت منذ عهد الناصر صلاح الدين الأيوبى • وتشير النصوص التاريخية الى سكنى المحدثين فى هذه المنطقة منذ تلك الفترة (٣) •

ولاشك فى أن سكنى هذه الفئات فى هذه المنطقة يعد مغايرا لما كان عليه الحال فى العصر الفاطمى • حيث كانت الأحياء السكنية التى تقع فيها فى تلك الفترة مخصصة للأجناد فقط (٤) • ولاشك فى أن الأمر ينطبق على بقية أجزاء المدينة الكبرى • ومن المعلوم أن انتقال العديد من الصناعات الخفيفة والأسواق الرئيسة من الفسطاط الى القاهرة فى عهد الناصر صلاح الدين (٥) ، قد ارتبط بانتقال العديد من طوائف الصناع والتجار للسكنى فى القاهرة ،ويدل على ذلك سكنى العديد من أهل الفسطاط فيها فى تلك الفترة (٦) ، والذين لاشك فى أن كثيرا منهم كانوا ينتمون لهذه الفئات حيث كانت الفسطاط تمثل المركز التجارى والصناعى فى العصر الفاطمى (٧) •

بيد أن سيادة مفاهيم المساواة والدمج الاجتماعى ،وماترتب عنه من تغييرات فى توزيع السكنى للفئات الاجتماعية المختلفة ،لايعنى عدم وجود ضوابط تتحكم فى توزيع النشاط السكنى للفئات الاجتماعية المختلفة فى المدينة الكبرى فى تلك الأثناء • اذ يلاحظ أن هناك مناطق فيها كانت مركزا لاستيطان فئات ينتمون الى طبقة اجتماعية واحدة فلاشك فى أن القاهرة كانت فى تلك الفترة مركزا لسكنى الفئات التى تنتمى الى السلطة بشكل عام ،حيث كان الكثير من الأمراء والأجناد وغيرهم ممن ينتمون الى السلطة الحاكمة يقطنون فيها (٨) •

---

(١) عن هذا الشارع انظر ص ٤١٩ - ٤٢٠ •
(٢) الزبيدى : تاج العروس ٣٩٧/٥ •
(٣) ص ٣٩٦ •
(٤) القلقشندى : صبح الأعشى ٣٥٩/٣ •
(٥) ص ٤٣٢ - ٤٣٤ •
(٦) ص ٥١٢ - ٥١٣ •
(٧) ص ٤٣٢ •
(٨) ابن سعيد المغربى : النجوم الزاهرة ص ٢٧ ، الاغتباط فى حلى الفسطاط ص ١١ •

ومن المرجح أن الأمر كان كذلك بالنسبة لجزيرة الروضة التى خصصها السلطان صلاح الدين الأيوبى مقرا لاحدى أكبر الفرق العسكرية (١) • فى حين أن هناك مناطق كانت مركزا لسكنى الفقراء فالادر التى بنيت فيما بين الفسطاط والقاهرة فى تلك الفترة كان بنائها قد تم من قبل الفقراء (٢) • وهو مظهر استمر فى هذه المنطقة الى فترة مابعد عهد الناصر صلاح الدين الأيوبى ،فيذكر المقريزى أثناء حديثه عن أحد الاحكار الواقعة غربى الخليج ،بأنه تم وقفه فى عام (٦٤٣هـ/١٢٤٥م) "••• على جهات تؤول أخيرا الى الفقراء والمساكين المقيمين بمشهد السيدة نفيسة" (٣) وقد تم كذلك وقف أحد هذه الأحكار فى عام (٦٦٠هـ/١٢٦٢م) على الأطفال الفقراء القاطنين فى الشارع الأعظم (٤) فى هذه المنطقة أيضا (٥) • ومن خلال العرض السابق يتضح بأنه على الرغم من وجود المساواة والدمج الاجتماعى فان هذا لم يمنع من أن تتركز بعض الفئات الاجتماعية فى مناطق بعينها ومن الواضح أن السبب فى ذلك يرتبط بنواحى ادارية واقتصادية الى حد بعيد فلاشك فى أن تركز كثافة الأجناد فى القاهرة انما كان نتيجة طبيعية لما قام به الناصر صلاح الدين الأيوبى من توزيع للعديد من منشآت الفاطميين وأتباعهم على أمرائه ورجال دولته (٦) ، وهو تصرف يعكس ملامح الجانب الادارى الى حد بعيد • فى حين أن تركز الفقراء فى المنطقة الواقعة فيما بين الفسطاط والقاهرة ،كان نتيجة لعوامل اقتصادية ذلك أن هؤلاء لم يجدوا لهم مجالا واسعا للسكنى فى القاهرة ،حيث أن وجود طوائف الجند وأمرائهم فيها قد استلزم توفر العناصر التى تقدم لهم الخدمات المختلفة ،خاصة وأن العسكريين قد أصبحوا خلال فترة البحث

---

(١) ص ٣٩١•

(٢) ص ٣٨٩ - ٣٩٠•

(٣) المقريزى : الخطط ١٢٠/٢ •

(٤) عن هذا الشارع انظر ص ٤١٩ - ٤٢٠•

(٥) المقريزى : الخطط ١٠٠/٢ - ١٠١ •

(٦) ص ٣٤٢ - ٣٤٣•

رمزا للثراء وهم يشكلون طبقة رئيسة للاستهلاك بطبيعة الحال (١) . الأمر الذى انعكس آثره على آسعار الأراضى والمبانى الموجودة فى القاهرة ، حيث ارتفعت معدلات الأسعار بطبيعة الحال نتيجة زيادة الطلب عليها من قبل المستفيدين المشتغلين بتقديم الخدمات للطبقات الثرية ، ولذلك فقد لجأ الفقراء الى السكنى جنوبى القاهرة فى المنطقة المحصورة بينها وبين الفسطاط ، والتى لم يكن الطلب عليها شديدا حينذاك ، وربما كانت آسعار الأراضى وكلفة السكن فيها مناسبة .

---

(١) ص ٢٢٥ .


خاتمة

من المعروف ان دراسة القاهرة عمرانيا يمثل مرتكزا آساسيـــا لا يضاح الكثير من المتغيرات التي طرأت عليها في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي وما صاحب ذلك العهد من ازدهار وتطور شمل مختلف النشاط الانساني والمادى في هذه المدينة .

فقد كشفت الدراسة ان المدينة تعرضت لعوامل تطور عمرانـــي كان اهمها العوامل الجغرافية ،حيث تزايد تأثير بعض المكونات الطبيعية التي توجد في القاهرة . فبالنسبة لنهـر النيل فلقد عمل على انحـــراف مجراه وتباعد خطر الفيضان النهرى عن كثير من الأراضي التي كانـــت توجد في المدينة الكبرى وعلى الأخص تلك التي تقع ناحية ساحلها ممـــا أدى الى ظهور فرصة استغلالها عمرانيا .

كما كشفت الدراسة عن تزايد العلاقة بين المدينة وتلال المقطم وذلك عندما جرى بناء القلعة عليها .

كما كشفت الدراسة ان الاكوام والتي تكونت نتيجة الاضطرابـات التي شهدتها المدينة في العصر الفاطمي جرى اهمالها لم يعد لها أهمية عمرانية كبيرة كما أنها اصبحت خارج السور الذى بني للمدينة في تلـــك الأثناء .

وبالنسبة للبرك والخلجان فان الدراسة أظهرت تزايد العلاقة العمرانية بين المدينة وهذه المواضع فبالنسبة للخلجان اصبحت المبانـــي تحيط بشواطئها ،وكذلك الأمر بالنسبة لبعض البرك علاوة على أنه قـــد جرى استغلال اجزاء من بعضها ليبنى عليها .

أما فيما يتعلق بالعوامل الاجتماعية فلقد كشفت الدراسة على أنه قد حدث تغير مذهبي في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي ارتبط بمظاهر عمرانية تمثلت بشكل أساسي في الغاء القيمة المعنوية لبعض المواضع كما حدث بالنسبة لمصلى العيد .

كما كشفت الدراسة على ان التغير ارتبط بدخول المدارس كمنشآت جديدة لمحاربة التشيع .

كما جرى التطرق الى دور الناصر صلاح الدين الأيوبي في رعاية التعليم اذ ظهر ذلك جليا في انشاءه للعديد من المدارس في القاهرة علاوة على تشجيع الهجرات والرحلات العلمية للقاهرة مما أدى الى زيادة المحتوى السكاني للمدينة . وما ارتبط من ذلك بطبيعة الحال من زيادة النشاط العمراني فيها .

وفي جانب المتغيرات الاجتماعية كشفت الدراسة عن سيادة مظاهر اجتماعية جديدة كانتشار الأمن والرفاه في جانب وفي جانب آخر ظهور عادات وتقاليد جديدة في الملبس والمأكل ترتب عنها نتائج عمرانية في زيادة النشاط العمراني في المدينة اذ كان لها تأثيرا على الجانب الاقتصادى في المدينة وما ارتبط به من تأثير على الأسواق في داخل القاهرة الكبرى .

وكشفت الدراسة أيضا عن تزايد الأهمية السياسية لعاصمة الدولة الصلاحية نتيجة لتزايد قوتها العسكرية والاقتصادية كان له انعكاس على القاهرة في الجانب حيث زودت بمنشآت ضخمة عبرت عن أهمية هذا الدور .

وكشفت الدراسة كذلك عن تغير الموقف الصليبي تجاه القاهرة بعد وصول الدولة الصلاحية الى السلطة في مصر حيث ركز الصليبيون انظارهم تجاه مصر بهدف الاستيلاء عليها انعكس ذلك في قوة الهجمات التي وجهت لضرب مصر في مختلف الانحاء . الأمر الذى دفع بالدولة الأيوبية الى تزويد هذه المدينة باستحكامات حربية تدافع عنها ، ساهم في وجودها ايضا ظهور الفتن الداخلية التي استهدفت تقويض دولة صلاح الدين الأيوبي منذ بداية قيامها .

كما كشفت الدراسة بان الموارد الاقتصادية لمصر اصبحت تنصب بشكل كبير في القاهرة نتيجة تطبيق نظام الاقطاع اضافة الى تزايد النمو في مقدار هذه الموارد . كما أسهمت نفقات بني أيوب وامراؤهم السخية ، واتجاه الدولة نحو توفير الكثير من احتيا جاتها من السوق نحو وصول كثير من الثروات الى ايدى الشعب مما كان له اكبر الأثر في انتشار الرفاه الاقتصادى الذى عم فئات المجتمع .

كما كشفت الدراسة على ان ازدهار التجارة والتبادل التجارى في عهد الناصر صلاح الدين ارتبط بالتوسع في بناء منشآت الخدمات الاقتصادية .

وفي جانب الادارة والتخطط اثبتت الدراسة ان المشروعات العمرانية التي اقيمت في تلك الأثناء ارتبطت بالتخطيط والتنظيم ،كما ان انتقال مركز الحكم والادارة أثر على القيمة المعنوية لبعض المواضع فجرى استغلالها عمرانيا بصورة تختلف عما كان عليه في السابق.

أما في جانب المظاهر العمرانية فقد كشفت الدراسة على حدوث تطورات واسعة النطاق ، ففي جانب التخطيط المادى للقاهرة اذ شهدت توسعا كبيرا في النواحي الانسانية والمادية . كذلك تأثرت بنية القاهرة الكبرى التي اتخذت معالم تخطيطية تختلف بشكل أساسي عما كانت عليه في العصر الفاطمي حافظت عليها لقرون عديدة لاحقة.

كما أبانت الدراسة عن ظهور احياء جديدة واختفاء احياء أخرى واعادة عمارة احياء اخرى كانت قد عمها الخراب في العصر الفاطمي اضافةالى تغير النطاق العمراني للاحياء .

وبالنسبة للشوارع فقد كان لها نصيب في التطور العمراني داخل القاهرة الكبرى حيث ظهرت شوارع جديدة ،وجرى توسعة شوارع أخرى ، ومد أطوال شوارع أخرى قديمة واغلاق بعض الشوارع القديمة.

وفي مجال الأسواق كشفت الدراسة عن ظهور اسواق جديدة اضافة الى توسع القديم منها ، وتغير مواضع بعض الأسواق والصناعات، وظهور الأسواق المتخصصة في القاهرة لأول مرة.

أما المتنزهات والبسلتين فقد خضعت لنفس المتغيرات على وجه التقريب اذ ظهرت مواضع نزهه جديدة واختفت أخرى قديمة ،كما تزايد الاهتمام بالتنزه في بعض المواضع الأخرى كالخلجان والبرك ،كما خضعت الرحاب والميادين والمقابر لبعض المتغيرات التي طرات على الأقسام الأخرى .

أما عن منشآت المرافق فقد خضعت لمتغيرات آساسية شملت

ايجاد عمائر تدخل المدينة لأول مرة ، والتوسع في بناء أنواع أخرى منها ، وبناء عمائر بدلا من قديمة كانت موجودة اضافة الى بناء عمائر في مواضع لم تكن توجد بها في السابق بجانب التي تم تجديد عمارتها .

وفي جانب الأوضاع السكانية كشفت الدراسة عن حدوث تغيرات في العناصر السكانية في المدينة حيث جرى استبدال عناصر سكانية بأخرى بدلا منها علاوة على تشجيع الهجرة الى القاهرة و مصر بشكل عام كذلك تغيرت أوضاع الكثافات السكانية فأصبح ارتكازها في مواضع تختلف عما كانت عليه في العصر الفاطمي .

اما بالنسبة للتوزيع الاجتماعي فلقد تغيرت المفاهيم التي تتحكم في هذا التوزيع الأمر الذى ترتب عنه بطبيعة الحال التغير في توزيع الكثافات السكانية .

الفهارس

قائمة المصادر والمراجع

أولا : المخطوطات :

- ابن أبي السرور البكرى : محمد بن محمد بن ابي السرور ت ١٠٨٧هـ
قطف الأزهار من الخطط والاثار
مخطوط دار الكتب رقم ٤٥٧٠

- ابن بهادر المؤمنى : محمد بن محمد المؤمنى ٨٧٧هـ/١٤٧٣م
مختصر تاريخ العيني المسمى :
فتوح النصر في تاريخ ملوك مصر
مخطوط في مكتبة أيا صوفيا باسطنبول رقم ٣٣٤٤

- ابن فضل الله العمرى : شهاب الدين أحمد بن يحيى ت ٧٤٩هـ/١٣٠٠م
مسالك الأبصار في ممالك الأمصار
مخطوط في مكتبة اياصوفيا باستانبول رقم ٣٤١٦

- ابن نباته : جمال الدين محمد بن محمد ت ٧٦٢هـ/١٣٦٠م
مختارات من كلام القاضي الفاضل
مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٣٨٨٢

- الاسحاقي : محمد عبد المعطي بن أحمد ت
لطائف اخبار الأول فيمن تصرف في مصر من الدول
مخطوط بمكتبة أسعد أفندى باسطنبول رقم ٢٣٦٧

- الخاصكي : آق بغا (دوادار السلطان قانصوه الغورى)
التحفة الفاخرة بذكر رسوم خطوط القاهرة
مخطوط بالمكتبة الوطنية بباريس و منه نسخة مصورة بمعهد
البحوث بجامعة أم القرى بمكة المكرمة تحت رقم

- الشافعي : محمد بن أبي الفتح الصوفي

الصفوة في وصف الديار المصرية و نظام الممالك الاسلامية

مخطوط من نسخة مصورة بالميكروفيلم في مكتبة المتحف

البريطاني رقم ٢٢٣٩

- مجهول المؤلف

تاريخ مصر القاهرة

مخطوط محفوظ في مكتبة أيا صوفيا في اسطنبول

تحت رقم ٣٠٨٣

*

ثانيا : المصادر العربية المطبوعة :

- القرآن الكريم .

- ابن الاثير : ابو الحسن علي بن أبي الكرم محمد ت ٦٣٠هـ/١٢٣٣م

- التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل

تحقيق : عبد القادر طليمات ، القاهرة : ١٩٦٣م

- الكامل في التاريخ تحقيق نخبة من العلماء

بيروت ط ٢ سنة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م

- ابن اياس : محمد بن أحمد الحنفي ت ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م

بدائع الزهور في وقائع الدهور

تحقيق : محمد مصطفى القاهرة ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م

- ابن أيبك الدوادارى : ابو بكر عبد الله ت ٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م

كنز الدرر وجامع الغرر

الجزء السابع وعنوانه : الدر المطلوب في أخبار بني أيوب

تحقيق : سعيد عبد الفتاح عاشور

القاهرة ١٣٩١هـ / ١٩٧٢م

- ابن تغرى بردى : ابو المحاسن جمال الدين يوسف ت ٨٧٤هـ/ ١٤٤٣م

أ - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة تحقيق محمد رمزى القاهرة ١٩٣٥م

ب - الدليل الشافي على المنهل الصافي تحقيق : فهيم محمد شلتوت القاهرة ١٩٧٩م.

- ابن جبير : محمد بن أحمد ت ٦١٤ هـ / ١٢١٧م

رحلة ابن جبير ،بيروت ١٩٦٤م

- ابن حماد : ابوعبدالله محمد بن على ت ٦٢٨ هـ / ١٢٣١م

اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم

تحقيق التهامي نقره ،عبد الحليم عويس

الرياض ١٤٠١هـ / ١٩٨١م

- ابن حوقل : ابن القاسم النصيبي ت ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م

صورة الأرض - بيروت ١٩٧٩م.

- ابن خرداذبة : ابوالقاسم عبيدالله بن عبدالله ت حوالي ٢٧٢هـ

المسالك والممالك باعتناء دى غويه : ليدن ١٨٨٩م

- ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد الاشبيلي ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م

مقدمة كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر المشهور بمقدمة ابن خلدون - بيروت الطبعة الخامسة.

- ابن خلكان : شمس الدين أحمد بن محمد ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان

تحقيق : احسان عباس ، بيروت ١٩٧٢م.

- ابن دقماق : ابراهيم بن محمد بن أيدمر ت ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦هـ

أ - الانتصار لواسطه عقد الأمصار - القاهرة ١٨٩٢م

ب - الجوهر الثمين في تاريخ الخلفاء والملوك والسلاطين

تحقيق : سعيد عبد الفتاح عاشور ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م

- ابن رجب الحنبلي : ابي الفرج عبد الرحمن بن أحمد ت ٧٩٥هـ/ ١٣٩٢م

الاستخراج في احكام الخراج تحقيق : محمد ابراهيم الناصر

رسالة ماجستير - مخطوط ،كلية الشريعة والدراسات الاسلامية

جامعة أم القرى - مكة المكرمة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م

- ابن سعيد الأندلسي : على بن موسى بن محمد ت ٦٧٣هـ / ١٢٧٤م

- الاغتباط في حلى مدينة الفسطاط

من كتاب المغرب في حلى المغرب

القسم الخاص بمصر ، حققه وعلق عليه : زكى محمد حسن -

وآخرون ، القاهرة : ١٩٥٣م.

- النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة

تحقيق حسين نصار ، القاهرة ١٩٧٠م

- ابن سيدة : ابو الحسن على بن اسماعيل ت ٤٢٨هـ/ ١٠٦٥م

المخصص - تحقيق لجنة احياء التراث العربي - بيروت

- ابن شاهنشاه الأيوبي : محمد بن تقي الدين عمر ت ٦١٧هـ/ ١٢١٩م

مضمار الحقائق وسر الخلائق

تحقيق : حسن حبشي ، القاهرة ١٩٦٨م

- ابن شداد : ابو المحاسن يوسف بن رافع ت ٦٣٢هـ/ ١٢٣٩م

النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين)

تحقيق : جمال الدين الشيال - القاهرة ١٩٦٤م

- ابن شداد : عزالدين محمد بن على ت ٦٨٤ هـ/ ١٢٨٥م
الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة
تحقيق يحيى عبادة ، دمشق ١٩٧٨م

- ابن ظافر الأزدى : جمال الدين على ت ٦١٣هـ/ ١٢١٦م
أخبار الدول المنقطعة
تحقيق : اندريه فريه ، القاهرة ١٩٧٢م.

- ابن ظهيرة القرشي : مجهول الشخصية عاش في القرن ٩هـ/ ١٥م
الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة
تحقيق : مصطفى السقا ،كامل المهندس - القاهرة ١٩٦٩م

- ابن عبد الحق : صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادى
ت ٧٣٩ هـ
مراصد الاطلاع عن أسماء الأماكن والبقاع
تحقيق على محمد البجاوى
نشر : داراحياء الكتب العربية ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م

- ابن عبد الظاهر : عبدالله بن رشيد الدين بن نشوان السعدى
المصرى ت ٦٩٢ هـ / ١٢٩٢م
الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر
تحقيق : عبد العزيز الخويطر - الرياض ط ١ ، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م

- ابن العماد الحنبلي : ابو الفلاح عبد الحي الحنبلي ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م
شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٨ أجزاء
ط . بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

- ابن فضل الله العمرى (سبق ذكره)
التعريف بالمصطلح الشريف - القاهرة ١٣١٢هـ.

- ابن القلانسي : ابو يعلى حمزة ت ٥٥٥ هـ/ ١١٦٠م

ذيل تاريخ دمشق - بيروت ١٩٠٨م

- ابن كثير : اسماعيل بن عمر ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م

البداية والنهاية ،بيروت ١٩٦٦م

- ابن مماتي : اسعد بن المهذب بن ابي مليح ت ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م

قوانين الدواوين

تحقيق : عزيز سوريال عطية - القاهرة ١٩٤٣م

- ابن منقذ : اسامة بن مرشد الكناني ت ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م

كتب الاعتبار - تحقيق : فيليب حتى

ط . جامعة برنستون - الولايات المتحدة سنة ١٩٣٠م

- ابن ميسر : تاج الدين محمد بن علي بن جلب راغب ت ٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م

أخبار مصر (بانتقاء المقريزى)

تحقيق ايمن فؤاد سيد - القاهرة

- ابن واصل : جمال الدين محمد بن سالم ت ٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م

مفرج الكروب في اخبار بني أيوب

تحقيق : جمال الدين الشيال - القاهرة ١٩٥٣-١٩٥٧

- أبو شامة : شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي

ت ٦٦٥هـ / ١٢٦٦م

١ - كتاب الروضتين في أخبار الدولتين ج ١ ق ٢

تحقيق محمد حلمي القاهرة ١٩٦٢

ج ١ م٢ ط . القاهرة ١٢٨٧ هـ/ ١٨٧٠م

٢ - الذيل على الروضتين

تحقيق : عزت العطار القاهرة ١٩٤٧م

- أبو الفداء : عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م
تقويم البلدان
تحقيق : دينور والبارون ماكوكين دى سلانا باريس ١٨٤٠م
- ابو يوسف : يعقوب بن ابراهيم ت ١٨٣ هـ
الخراج - بيروت ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م
- الأحدب : نجم الدين حسن الرماح ت ٦٩٥ هـ/ ١٢٩١م
الفروسية والمناصب الحربية تحقيق : عيد ضيف العبادى
بغداد ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م
- أحمد بن محمد المالكي
الحاشية على تفسير الجلالين للجلال المحلى والجلال السيوطي
القاهرة ١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م
- الاصطخرى : ابراهيم بن محمد المعروف بالكرخي ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م
المسالك والممالك - تحقيق : محمد جابر عبد العال
مراجعة : محمد شفيق غربال - القاهرة ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م
- الأصفهاني : محمد بن محمد بن حامد الكاتب : العماد الأصفهاني
ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠م
خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء مصر)
تحقيق : أحمد امين وآخرون - القاهرة .
- البغدادى : اسماعيل باشا بن محمد الباباني ت ١٣٣٩ هـ
- ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون - استانبول ١٩٤٥م
- هدية العارفين في أسماء المصنفين - استانبول ١٩٦٠م

- البغدادى : عبد القادر بن طاهر بن محمد ت ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م
الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية منهم
تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد
ط ٤ - ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م
- البغدادى : قدامة بن جعفر بن قدامة الكاتب ت ٣٢٧هـ/ ٩٤٨م
الخراج وصناعة الكتابة
شرح وتعليق : محمد حسين الزبيدى
بغداد ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م
- البلاذرى : أحمد بن يحيى البغدادى ت ٢٧٩ هـ/ ٨٩٢ م
فتوح البلدان
مراجعة وتعليق : رضوان محمد رضوان
بيروت ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م
- البندارى : الفتح بن على بن محمد ت ٦٤٣ هـ / ١٢٤٥م
- تاريخ دولة آل سلجوق - ط: دار الافاق - بيروت ١٩٧٨م
- سنا البرق الشامي - تحقيق فتحية البزاوى ،القاهرة ١٩٧٩م
- الجوهرى : اسماعيل بن حماد ت ٣٩٣ هـ/ ١٠٠٢م
تاج اللغة وصحاح العربية
تحقيق : احمد عبد الغفور عطار القاهرة ١٤٠٢هـ
- حاجي خليفة : مصطفى بن عبد الله ت ١٠٦٧هـ
كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون
مكتبة المثنى ببغداد عن ط. استانبول ١٩٤١م
- الحموى : ابن الفضائل محمد بن على الحموى (عاش في القرن ٧هـ/ ١٣م)
التاريخ المنصورى (تلخيص كشف البيان في حوادث الزمان
تحقيق :
دمشق ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م

- الحنبلي : احمد بن ابراهيم ت ٨٧٦ هـ /

شفاء القلوب في مناقب بني أيوب

تحقيق ناظم رشيد ، بغداد ١٩٨٧م

- الخطيب البغدادى : أحمد بن علي ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م

تاريخ بغداد - بيروت.

- الزبيدى : محمد بن محمد بن عبد الرزاق الشهير بالسيد الحسيني :

محب الدين ت ١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م

تاج العروس من جواهر القاموس - القاهرة ١٣٠٦هـ

- السخاوى : نور الدين على بن احمد بن عمر

تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والتراجم

والبقاع المباركات

تحقيق : محمود ربيع ،وحسن قاسم

ط : ١ ، القاهرة ١٣٥٦هـ/ ١٩٥٧م.

- السمهودى : نور الدين على بن أحمد ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى

تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد

بيروت ط ٣ ١٤٠١هـ / ١٩٨١م

- السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن ت ٩١١ هـ

حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة

تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم

ط : الاولى ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨م

- الشوكاني : محمد بن على ت ١٢٥٠هـ

البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع - القاهرة ١٣٤٨هـ

- الشيزرى : عبد الرحمن بن نصر ت ٥٨٩هـ / ١١٩٣م
- نهاية الرتبة في طلب الحسبة ـ تحقيق : السيد الباز العريني
بيروت ط ٢ ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م
- المنهج المسلوك في سياسة الملوك ـ القاهرة ١٣٢٦هـ
- الطبرى : محمد بن جرير ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م
تاريخ الأمم والملوك ـ القاهرة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م
- الطرسوسي : مرضى بن على ت ٥٨٩ هـ / ١١٩٣م
تبصرة أرباب الألباب في كيفية النحاة من الأسواء
ونشر اعلام الاعلام في العدد والالات المعينة على لقاء
الأعداد (ألفه لصلاح الدين الأيوبي)
تحقيق : كلود كاهين بيروت ١٩٤٨م
- العبدرى : عبدالله محمد بن محمد
رحلة العبدرى المسماة ـ الرحلة المغربية
تحقيق : محمد القاسمى ـ فاس
- عبداللطيف البغدادى : ابو محمد عبداللطيف بن يوسف بن محمد
ابن على عاش في القرن ٦هـ/ ١٢م وعاصر صلاح الدين
الافادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة
بأرض مصر ـ المجلة الجديدة
- عمارة اليمنى : ابو محمد نجم الدين عمارة الحكمى ت ٥٦٩ هـ
النكت العصرية في أخبار الوزارة المصرية
تحقيق : هرتويغ دركبرغ ، شالون : ١٨٩٧م
- القزويني : زكريا بن محمد بن محمود ت ٦٢٨هـ/ ١٢٣٨م
آثار البلاد واخبار العباد
دار صادر ـ بيروت ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م

- القلقشندى : ابو العباس احمد بن علي ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م
صبح الأعشى في صناعة الانشا
القاهرة ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م

- الكتبي : محمد بن شاكر ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م
فوات الوفيات والذيل عليها
تحقيق : احسان عباس - بيروت ١٩٧٤م.

- الماوردى : علي بن محمد بن حبيب البصرى ت٤٥٠هـ/١٠٥٥م
الأحكام السلطانية والولايات الدينية
القاهرة ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م

- المسبحى : محمد بن عبدالله (ت ٤١٥ هـ /
اخبار مصر في سنتين (٤١٤ - ٤١٥ هـ)
تحقيق وليم ج. ميلورد - القاهرة ١٩٨٠م

- المقدسي : شمس الدين ابي عبدالله محمد بن أبي بكر البنا
ت ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م
أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم
ليدن ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م

- المقريزى : احمد بن علي ،تقي الدين ابو العباس ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م
أ - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار القاهرة ١٢٧٠هـ
ب - السلوك لمعرفة دول الملوك
تحقيق محمد مصطفى زيادة القاهرة ١٩٥٦م
جـ - اتعاظ الحنفا باخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء
تحقيق : محمود حلمى محمد
القاهرة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م
د - اغاثة الأمة بكشف الغمة (أو تاريخ المجاعات في مصر)
نشر : محمد مصطفى زيادة ،جمال الدين الشيال
القاهرة ١٩٤٠م

- المنذرى : ابو محمد زكي الدين عبد العظيم ت ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨م
التكملة لوفيات المقلة
تحقيق : بشار عواد معروف ط : الثانية بيروت ١٤٠١هـ/١٩٨١م

- ناصر خسرو
سفرنامة - ترجمة : يحيى الخشاب - بيروت ١٩٧٠م

- ياقوت الحموى : شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الرومي البغدادى
ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م
أ - معجم البلدان - بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م
ب - المشترك وضعا والمفترق صقعا - بغداد

ثالثا : المراجع والدراسات العربية والمعربة :

- ابراهيم الحقحقي
معجم المدن والقبائل اليمنية - صنعاء ١٩٨٥م

- ابراهيم درويش ، وبكر العمرى
دراسة الحكومات المقارنة
جدة ط ٢ - ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م

- ابراهيم على طرخان
النظم الاقطاعية في الشرق الاوسط في العصور الوسطى
القاهرة

- احسان الهى ظهير
الاسماعيلية تاريخ وعقائد
رهور ،ط ١ - ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م

- أحمد أحمد بدوى
الحياة العقلية غفي عصر الحروب الصليبية بمصر والشام - القاهرة

- أحمد بيلى

حياة صلاح الدين الأيوبي

القاهرة ,ط ٢ - ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م

- أحمد رمضان

شبه جزيرة سيناء في العصور الوسطى - القاهرة

- أحمد زايد

علم الاجتماع بين الاتجاهات الكلاسيكية والنقدية

القاهرة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م

- أحمد السيد الصاوى

المجاعات وتأثيرها على النواحي المالية والحضارية زمن

الفاطميين - دراسة اثرية حضارية

رسالة ماجستير مخطوط - كلية الاثار - جامعة القاهرة

القاهرة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م

- أحمد شلبي

موسوعة النظم والحضارة الاسلامية

الجزء الخامس (التربية الاسلامية - نظمها - فلسفتها -

تاريخها) القاهرة ط : السادسة ١٩٧٨م.

- أحمد عبدالله خياط

الاقطاع في الدولة الاسلامية حتى نهاية العصر العباسي الأول

رسالة ماجستير في الحضارة - جامعة أم القرى - كلية الشريعة

والدراسات الاسلامية - مكة المكرمة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م

- أحمد العسال وفتحى عبد الكريم

النظام الاقتصادى الاسلامي (مبادئه واهدافه)

- أحمد علي اسماعيل
دراسات في جغرافية المدن
القاهرة ط الثانية ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م

- أحمد فكري
مساجد القاهرة ومدارسها - القاهرة

- أحمد بن محمد بناني
موقف الامام ابن تيميه من التصوف والصوفية
مكة المكرمة ط ١ - ١٤٠٦هـ

- أحمد محمد عدوان
العسكرية الاسلامية في العصر المملوكي
الرياض ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٥م

- أحمد مختار العبادى
قيام دولة المماليك الاولى في مصر والشام - بيروت ١٩٦٩م

- أحمد مختار العبدى - السيد عبد العزيز سالم
تاريخ البحرية الاسلامية في حوض البحر الابيض المتوسط
البحرية الاسلامية في المغرب والاندلس
الاسكندرية

- آدم متز
الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجرى
ترجمة : محمد عبد الهادى ابوريدة
بيروت ط١ ، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م

- آدى شير : السيد أدى شير
معجم الألفاظ الفارسية المعربة
الناشر : مكتبة لبنان بيروت ١٩٨٠م

- أرنولد توينبى

مختصر دراسة التاريخ - ترجمة فؤاد محمد شبل

مراجعة محمد توفيق غربال القاهرة ١٩٦٦م

- اسماعيل حسن عبد البارى

الديمجرافيا الاجتماعية

القاهرة الطبعة الاولى ١٣٩٣هـ / ١٩٨٣م

- اسمت غنيم

الدولة الايوبية والصليبيون - الاسكندرية ١٩٨٥م

- الأمين عوض الله

الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي

جدة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م

- أمينة بيطار

التعليم في الشام في العصر الأيوبي

بحث منشور في مجلة تاريخ العرب والعالم

العدد ٧٠ سنة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م

- بدرو شالمتيا

الأسواق - ضمن كتاب المدينة الاسلامية

- بروكلمان - كارل

تاريخ الشعوب الاسلامية

ترجمة نبيه امير فارس - منير البعلبكي

بيروت ط. السابعة ١٩٧٧م

- بسام العسلى

صلاح الدين الأيوبي - بيروت .

- بول كسزانوفا

تاريخ ووصف قلعة القاهرة

ترجمة : احمد السيد دراج ، مراجعة : جمال محرز

القاهرة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م

- توفيق عبد الجواد

تاريخ العمارة والفنون الاسلامية ـ القاهرة ١٩٧٠م

- جاستون فييت

القاهرة مدينة السفنى والتجارة

ترجمة مصطفى العبادى - بيروت ١٩٦٨م

- جرجي زيدان

- تاريخ التمدن الاسلامي - بيروت

- تاريخ مصر الحديث معفذلكة من تاريخ مصر القديم

القاهرة ١٣٠٦هـ/ ١٨٨٩م

- جمال حمدان

- جغرافية المدن ـ القاهرة ط: الثانية

- شخصية مصر (دراسة في عبقرية السكان)

القاهرة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م

- جمال الدين الرمادى

صلاح الدين الأيوبي ـ القاهرة ١٩٥٨م

- جمال الدين الشيال

تاريخ مصر الاسلامية (العصران الأيوبي والمملوكي)

القاهرة ١٩٦٧م

- جميل حرب

الحجاز واليمن في العصر الايوبي

جدة ط١ ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م

- جورج لوفران
تاريخ التجارة
ترجمة : هاشم الحسيني - بيروت
- جوستاف فون جرونباوم
انجازات العصر الفاطمي
ضمن ابحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة
القاهرة ،جا ، ١٩٦٩ م.
- جون كلارك
جغرافية السكان
ترجمة : محمد شوقي ،ابراهيم مكى
الرياض ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م
- جيرار - ب - س
موسوعة الحياة الاقتصادية ضمن كتاب وصف مصر لعلماء
الحملة الغرنسية ،ترجمة : زهير الشايب
القاهرة ،ط : الاولى .
- حامد عبد السلام زهران
علم النفس الاجتماعي
القاهرة ،ط : الخامسة ،١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م
- حسام الدين السامرائي
المؤسسات الادارية في الدولة العباسية - مكة المكرمة ط ٢
المدرسة مع التركيز على النظاميات
بحث مقدم للمجمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلامية
عمان ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م

- حسن ابراهيم حسن

- تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسوريا وبلاد العرب
القاهرة ط : الرابعة ١٩٨١م

- تاريخ المماليك البحرية - القاهرة ط ٣ ، ١٩٦٧م

- حسن أحمد البدوى

ظاهرة الحرب ومذاهبها

محاضرة القيت ضمن فعاليات الموسم الثقافي لكلية الملك

خالد العسكرية ، ونشرت في مجلتها العدد ١٦- ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م

- حسن الباشا

- المدخل للآثار الاسلامية - القاهرة

- الفنون الاسلامية والوظائف على الاثار - القاهرة ١٩٦٦م

- الالقاب الاسلامية في التاريخ والوثائق والاثار - القاهرة ١٩٧٨م

- حسن الباشا - وآخرون

- القاهرة : تاريخها ، منشؤها ، آثارها - القاهرة

- فنون التصوير الاسلامي في مصر - القاهرة

- حسن عبد الحميد صالح

الحافظ ابو طاهر السلفي - ط١ - بيروت

- حسن عبد الوهاب

- تخطيط القاهرة وتنظيمها منذ نشأتها - القاهرة ١٩٥٧م

- تاريخ المساجد الأثرية - القاهرة ١٩٤٦

- حسن محمد الهوارى

الرحلات العلمية (الفسطاط) - القاهرة ١٩٢٧م

- حسنين محمد ربيع

النظم المالية في مصر زمن الأيوبيين - القاهرة ١٩٦٤م

- ديماند

الفنون الاسلامية

ترجمة احمد عيسى ،مراجعة احمد ذكرى

القاهرة ،ط : الثانية ١٩٥٨م

- رشاد عباس معتوق

نظام الحسبة في العراق حتى عصر المأمون (نشأته وتطوره)

جدة ، ط ١ ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م

- رنسيمان - ستيفن

تاريخ الحروب الصليبية

ترجمة السيد الباز العريني - بيروت

- زكي محمد حسن

- فنون الاسلام - الكويت

- الرحالة المسلمون في العصور الوسطى

- كنوز الفاطميين

جـ٤ / جـ ٨ ضمن كتاب الاعمال الكاملة

بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م

- سعيد عبد الفتاح عاشور

- الحياة الاجتماعية في المدينة الاسلامية

جـ ١١ العدد الاول ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م

- مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك - القاهرة

- الحركة الصليبية - القاهرة

- سعاد ماهر
  - النسيج الاسلامي - القاهرة ١٩٧٧م
  - القاهرة ، القاهرة .
  - مجرى مياه فم الخليج
  بحث منشور في المجلة التاريخية المصرية ١٩٥٨م ج ٢
- سعد جلال
  المرجع في علم النفس
  القاهرة ط : الخامسة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م
- سفيتلانا باتسييفا
  العمران البشرى في مقدمة ابن خلدون
  ترجمة رضوان ابراهيم ، تونس ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م
- سناء بلال
  الملابس في العصرين القبطي والاسلامي ط ١ ، ١٩٨٢م
- السيد الباز العريني
  - مصر في عهد الأيوبيين - القاهرة ١٩٥٢م
  - المماليك - بيروت .
- سيد سابق
  فقه السنة ،ط ١ ، ١٣٩٧هـ
- شاكر احمد أبوبدر
  الحروب الصليبية والأسرة الزنكية - بيروت
- شحاته ابراهيم
  القاهرة - القاهرة.
- شكرى فيصل
  حركة الفتح الاسلامي في القرن الاول
  دراسة تمهيدية لنشأة المجتمعات الاسلامية
  بيروت ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م

- شوقي ضيف

تاريخ الادب العربي ـ القاهرة

- صالح العلي

بغداد مدينة السلام (الجانب الغربي)

بغداد ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م

- صالح لمعى مصطفى

التراث المعمارى الاسلامي في مصر

بيروت ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م

- صباح ابراهيم الشحتلي

النشاطات التجارية العربية عبر الطريق الصحراوى الغربي

حتى نهاية القرن الخامس الهجرى

بحث منشور ضمن كتاب تجارة القوافل ودورها الحضارىحتى

نهاية القرن التاسع عشر ـ همذان ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م

- ضيف الله يحيى الزهراني

موارد بيت المال في الدولة العباسية فيما بين سنة

١٣٢ - ٢١٨ هـ / ٧٤٩ - ٨٣٣ م)

مكة ,ط : أولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م

- طلال جميل رفاعي

نظام البريد في الدولة العباسية حتى منتصف القرن الخامس

الهجرى ـ رسالة دكتوراه مخطوط

كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ـ جامعة أم القرى

مكة المكرمة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م

- عبد الرحمن زكي

الفسطاط وضاحيتاها العسكر والقطائع ـ القاهرة ١٩٦٦م

حواضر العالم الاسلامي ـ القاهرة منارة الحضارة الاسلامية
القاهرة

- - القاهرة تاريخها وآثارها من جوهر القائد الى الجبرتي
المؤرخ - القاهرة ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م
- الازهر وما حوله من آثار - القاهرة
- امتداد القاهرة من عصر الفاطميين الى عصر المماليك
بحث منصور ضمن أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة
والمنشور في كتاب يحمل عنوان الندوة - القاهرة ١٩٧١
- موسوعة مدينة القاهرة في الف عام
القاهرة ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م
- عبد الرحمن فهمي
- دراسات في الحضارة الاسلامية
مذكرات مطبوعة تحتفظ بها مكتبة قسم التاريخ في كلية
الشريعة والدراسات الاسلامية - جامعة أم القرى بمكة
المكرمة تحت رقم ٧٥ .
- النقود العربية ماضيها وحاضرها ،القاهرة ١٩٦٤م.
- عبد العال الشامى
مدن مصر وقراها عند ياقوت الحموى
الكويت - ط الأولى ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م
- عبد العزيز الدورى - وآخرون
- بغداد
نقلا عن دائرة المعارف الاسلامية
ترجمة ابراهيم خورشيد وآخرون - بيروت ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م
- المؤسسات الحكومية - ضمن كتاب المفينة الاسلامية - بغداد

- عبد العزيز عبد الدايم

الرعاية الطبية في عصر المماليك

بحث منشور في مجلة كلية الاثار - جامعة القاهرة

العدد الثاني ١٩٧٧م

- عبد الفتاح محمد وهبة

الجغرافيا التاريخية بين النظرية والتطبيق

بيروت ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م

- جغرافية الانسان - القاهرة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م

- جغرافية العمران - الاسكندرية ١٩٧٥م

- عبد القدوس الأنصارى

مع ابن جبير في رحلته

ط : الاولى ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م

- عبد اللطيف حمزة

الحركة الفكرية في مصر في العصرين الايوبي والمملوكي الاول

القاهرة ١٩٦٨م

- عبد الله عبد الغني غانم

النظرية في علم الانسان الاقتصادى

دراسات للاتجاهات النظرية في الانثروبولوجيا الاقتصادية

الاسكندرية ١٩٨٤م

- عبد المنعم شوقي

مجتمع المدينة (الاجتماع الحضرى)

- عبد المنعم ماجد

- نظم الفاطميين ورسومهم في مصر

ط ٣ - القاهرة ١٩٧٨م

- المرأة المصرية تتزعم مظاهرة في عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمي - بحث منشور في المجلة التاريخية المصرية ١٩٧٧م المجلد ٢٤.

- عزام باشا

النظام الادارى في الدولة العباسية في العصر السلجوقي

٤٣٢ - ٤٨٥ هـ / ١٠٤٠ - ١٠٩٢م

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الحضارة الاسلامية

جامعة أم القرى كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ١٤٠٦هـ

- عطية القوصي

تجارة مصر في البحر الأحمر

منذ فجر الاسلام حتى سقوط الخلافة العباسية

- عطية مصطفى شرفه

نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين - القاهرة ١٩٤٨م

- على ابراهيم حسن

- مصر في العصور الوسطى - القاهرة

- المماليك البحرية - القاهرة ١٩٦٨م

- على ابراهيم حسن - حسن ابراهيم حسن

النظم الاسلامية - القاهرة ١٩٦٢م

- على بن محفوظ

الابداع في مضار الابتداع - بيروت

- على بيومي

قيام الدولة الأيوبية في مصر - القاهرة ١٩٥٢م

- على باشا مبارك

الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها

القديمة والشهيرة - القاهرة ط الثانية ١٩٧٠م

- عيسى سليمان - وآخرون

العمارات العربية الاسلامية في العراق (تخطيط مدن

ومساجد) بغداد ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م

- فاديه عمر الجولاني

علم الاجتماع الحضرى * الرياض ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م

- فالتر هنس

المكاييل والاوزان الاسلامية ،وما يعادلها في النظام المترى

ترجمة كامل العيسى - عمان ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م

- فتحى حافظ الحديدى

دراسات في مدينة القاهرة

القاهرة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م

- فريد شافعي

العمارة العربية الاسلامية ماضيها وحاضرها ومستقبلها

الرياض ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م

- فوءاد فرج

المدن المصرية وتطوراتها عبر العصور

مجموعة فنية تاريخية (القاهرة) -القاهرة ١٩٤٣م

- قدرى قلعجي

صلاح الدين الأيوبي - بيروت

- قطب ابراهيم

النظم المالية في الاسلام - القاهرة

- الكتاني : عبد الحي بن عبد الكبير الحسيني

نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الادارية - بيروت

- كحالة : عمر رضا

معجم الموءلفين (تراجم مصنفي الكتب العربية) - بيروت

- كريزول : ك. أ

وصف قلعة الجبل - ترجمة جمال محمد سمرة

مراجعة : عبد الرحمن زكي - القاهرة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م

- كزاتشكوفسكي : أغناطيوس يوليا نوفتش

تاريخ الادب الجغرافي

ترجمة : صلاح الدين عثمان هاشم

القاهرة ١٩٦٣م

- كريستس أ. هـ

الفنون الاسلامية الفرعية وتأثيرها في الفنون الأوربية

بحث منشور في كتاب تراث الاسلام

ترجمة : زكي حسن ، القاهرة ١٩٣٦م

- كمال الدين سامح

العمارة الاسلامية في مصر

القاهرة ،ط : الثانية ١٩٨٣م.

- لسترنج - كي

بلدان الخلافة الشرقية

ترجمة بشير فرنسيس ،كوركيس عواد

بيروت ،ط : الثانية ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م

- لينبول

سيرة القاهرة

ترجمة : حسن ابراهيم حسن ،ادوارد حلمي - القاهرة ١٩٥٠م

- ماير : ل. أ

الملابس المملوكية

ترجمة : صالح الشيتي ، مراجعة : عبد الرحمن فهمي

- محمد ابو زهرة

محاضرات في الوقف - القاهرة ط ٢ .

- محمد جمال الدين سرور

الدولة الفاطمية في مصر

سياستها الداخلية ومظاهر الحضارة في عهدها

القاهرة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م

- محمد الجوهرى

الأنثروبولوجيا

(أسس نظرية وتطبيقات علمية) الدمام

- محمد رمزى

القاموس الجغرافي للبلاد المصرية في عهد قدماء المصريين

الى سنة ١٩٤٥م - القاهرة ١٩٥٤م

- محمد رياض

الانسان - دراسة في النوع والحضارة - بيروت ١٩٧٤م

- محمد سيد الكيلاني

الحروب الصليبية واثرها على الأدب العربي في مصر والشام

القاهرة ،ط ٢ - ١٤٠٤هـ

- محمد ضيف الله البطانية

تاريخ الحضارة العربية الاسلامية

عمان ط الاولى ١٩٨٤م

- محمد عبده الحجاجي

الاقصر في العصر الاسلامي - دراسة تاريخية

القاهرة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م

- محمد عبد الستار عثمان

المفهوم الاسلامي لتخطيط المدن
بحث منشور في مجلة المنهل العدد ٤٥٤ ،
١٤٠٧هـ/ ١٩٧٨م

- محمد عبد العزيز مرزوق

الفن الاسلامي في العصر الأيوبي - القاهرة ١٩٦٣م

- محمد عبدالله عنان

- مصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية

القاهرة ط الثانية ١٩٦٩م

- مؤرخو مصر الاسلامية ومصادر التاريخ المصرى - القاهرة

- محمد الفريب

سسيولوجيان السكان

الاسكندرية ١٣٩٢هـ/ ١٩٨٢م

- محمد فاتح عقيل

أهمية الموقع الجغرافي لسواحل مصر

بحث منشور ضمن كتاب البحرية المصرية - القاهرة

- محمد ماهر حمادة

الوثائق السياسية والادارية للعهود الفاطمية والاتابكية

والايوبية - دراسة ونصوص

بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م

- محمد محمد امين

الاوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ٦٤٨-٩٢٣هـ/

١٢٥٠-١٥١٧م - القاهرة ،الطبعة الاولى

١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م

- محمد محمود فرغلي

البيئة الادارية في الجاهلية وصدر الاسلام

مكة المكرمة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م

- محمد محمود محمدين

التراث الجغرافي الاسلامي

الرياض ط الثانية ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م

- محمود وصفي

دراسات في الفنون والعمارة العربية الاسلامية ـ الدمام

- مصطفى عباس الموسوى

العوامل التاريخية لنشأة تطور المدن العربية الاسلامية

بغداد ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م

- مصطفى المنصور ،

تاريخ الفيوم ،القاهرة ١٩٢٩م

- موريس لومبارد

الجغرافيا التاريخية للعالم الاسلامي خلال القرون الأربعة

الأولى - ترجمة عبد الرحمن حميدة

دمشق ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م

- نظير حسان سعداوى

- التاريخ الحربي المصرى في عهد صلاح الدين الأيوبي

القاهـــرة .

- المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين الأيوبي -

القاهرة ١٩٦٢م.

- نعمت اسماعيل سلام

فنون الشرط الأوسط في العصور الاسلامية ،

القاهرة ط الثانية

- نعيم زكي

طرق التجارة الدولية ومحطاتها في العصور الوسطى

القاهرة ١٩٧٣م

- نقولا زيادة

الطرق التجارية في العصور الوسطى

مجلة تاريخ العرب والعالم

العددان ٥٩ - ٦٠ - ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م

- نيكيتا اليسييف

التخطيط المادى

بحث القي ضمن فعاليات حلقة التدارس عن المدينة الاسلامية

التي عقدت بمركز الشرق الاوسط، التابع لكلية الدراسات الشرقية

في جامعة كمبردج بالمملكة المتحدة تحت رعاية اليونسكو، ونشرت

في كتاب يحمل عنوان الحلقة، باشراف ر . ب - سرجنت

ترجمة : أحمد محمد ثعلب - اليونسكو ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م

- هاملتون جب

- دراسات في الحضارة الاسلامية - ترجمة احسان عباس وآخرون

بيروت، ط ٣، ١٩٧٩م.

- صلاح الدين الأيوبي

ترجمة : يوسف آيبش - بيروت

- هشام جعيط

نظرة ابن خلدون للمدينة ومشكلة التمدين

بحث القى ضمن فعاليات ندوة ابن خلدون والفكر العربي

المعاصر المنعقد في تونس عام ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م تحت

رعاية المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والمنشور في كتاب

يحمل عنوان الندوة - تونس ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

- هشام عجيمي

قلاع الأزنم والوجه وضبا

دراسة معمارية حضارية

رسالة دكتوراة غير منشورة - جامعة أم القرى ١٤٠٦هـ

- يعقوب لتز

خطط بغداد في العهود العباسية الأولى

ترجمة: صالح أحمد العلى

بغداد ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م

رابعا ـ المراجع الأجنبية ـ

- Agricultural In Iraq During The 3rd Centurey A.H
El Samarraie - Husam Qawam ,
Thesissu Limited For the degree of Doctor of
Philosophy in University of London 1970.

- Conquest and Fusion , The Social Elvolution of
Cairo A.D. 642 -1890 ,
Suzan Jane Staffa, Leiden 1979.

- De Reconstitution , Topographique de of ville
D' Al Foustat au Misr Mifao ,
Casanova , Paul ,
Tome Tranteeinguieme, Le Caire 1919.
- Egyptian Brigaton, Willcocks, 1913.
- Essai sur Chistoir et sur la topographie du
Caire D' apres Makrizi (Palais des
Khaliles Fatimites),
P. Ravaisse ,
Memoires Publies par les membres de la
Mission archiologique France alse au Caire
Paris 1887.

- Muslim Cities in the later Middle Ages,
Iram Lapidus,
Cambridge University Press, London 1984.

- Palais Et Maisons du Caire Epoque Mamelouke,
Jean Claude Garcin, Bernard Maury
Jaques Revault , Mona Zakariya,
Paris 1982.

- Les Marcees de Caire Traduction annotced
du rexte de Maqrizi,
A. Raymond E. T.G Wiet,
Caire 1979.

- The Muslim Architecture of Egypt, Ikhshids and
Fatmides A . D . 939 - 1171
K.A.C. Creswell,
Haker Art Books, New York 1978.
- The Tasrif and tasir Calculations
Cir Mesiaral Mes oporomain Fiscal operation,
JES HO , 1, 1964 .

فهرس الموضــــوعات